

# شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم،

نحمد الله عز وجل على توفيقه لنا لإنجاز هذا العمل البحثي ، كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور " حسين فسيان" ، و الذي أشرف على هذا العمل و كان عوناً لي في بحثي هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحياناً في طريقي من خلال توجيهاته و تصويباته.

و أيضاً أبعث بأسمى عبارات الشكر و التقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة و مهدوا

طريق العلم والمعرفة، إلى لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا العمل البحثي.

كما أتقدم بشكر خاص إلى كل من ساعدني في مختلف ولايات الوطن من موظفين في مكاتب الجامعات،

حالات الدراسة، أفراد وجهوني.

و أشكر كل من طرقت بابه و استجاب لأسئلتني المتعلقة سواء بالموضوع في حد ذاته أو فيما

يخص قواعد اللغة العربية وحتى ترجمة قصص الحياة التي كانت باللغة الأمازيغية.

## الإهداء

أهدي عملي هذا إلى:

\* إلى عائلتي الكريمة.

\* إلى أصدقائي و معارفي الذين لم يخلوا علي بالنصيحة و التشجيع.

...هـ

## ملخص الدراسة

موضوع هذه الدراسة هو "مكان الأم والممارسات الأمومية داخل العائلة الجزائرية"، بمعنى دراسة مكان الأم ومختلف الأدوار والمهام المنوطة بالأمومة لدى مجموعة من الأمهات. لقد كانت المرأة على عبر مختلف العصور في مختلف أقطار العالم وفي الجزائر بالخصوص تُعرّف انطلاقاً من تكوينها البيولوجي ودورها الثقافي، والتمثّل في الاهتمام بالزوج والإنجاب ورعاية الأطفال وتربيتهم والقيام بمختلف الأعمال المنزلية، وكلّ ذلك يكون داخل فضائها الخاصّ بها: الداخل، ولا تتعدّى حدوده إلا للضرورة. أمّا فيما يتعلّق بالمدرسة، فكانت إمّا لا تدخلها تماماً أو تدخل لبضع سنوات من أجل تعلّم أساسيات الكتابة والقراءة فقط، ثمّ تركها من أجل العودة إلى الداخل حيث يتمّ تحضيرها للزواج والأمومة. ولكن نتيجة لمجموعة من التغيّرات التي اجتاحت المجتمع الجزائري وبالخصوص بعد الاستقلال، فإنّه ظهرت مجموعة من التحوّلات المهمّة والعميقة فيما يتعلّق بوضعية المرأة في الجزائر، أين لم يعد ينحصر دورها على أداء المهام المرتبطة بالفضاء الداخلي. وإنّما أصبح لديها مهاماً أخرى في فضاء جديد، والتمثّل في الفضاء الخارجي، حيث تمّ تسجيل ارتفاعاً مهماً لتلمّس البنات، وكذا الحصول على معدّلات مرتفعة في مختلف الشعب والتخصّصات. كما أنّ معدّل النساء العاملات في الوظيف العمومي هو في ارتفاع مستمرّ، حتى إنّ بعض القطاعات تمّ تأنيثها تقريباً. انطلاقاً من كلّ هذا يتوضّح أنّه لم يعد للمرأة مكانا (Place) واحداً داخل العائلة والتمثّل في مكان أمّ، وإنّما لديها مكانا آخر خارج العائلة، إنّها مكان العاملة. هنا نلاحظ مهاماً مضاعفة وإضافية لدى المرأة. كما أنّ من خلال ما سبق ذكره يبدو أنّ هذا التغيّر الاجتماعي لم يؤدّ إلى إعادة تركيب الهوية لدى المرأة فحسب، ولكن أدى أيضاً إلى ظهور ممارسات أمومية جديدة، وبالتالي تحول في العلاقات أم-طفل. وهذا ما دفعنا إلى القيام بهذه الدراسة، وقد انطلقنا من طرح التساؤلات التالية: هل تغيّر مكان ودور الأم داخل العائلة نتيجة لهذه التغيرات؟ هل تغيّرت الممارسات الأمومية؟ هل تغيّرت العلاقات "زوجة-زوج" بفعل هذه التغيرات؟ من أجل القيام بهذه الدراسة والإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج العيادي، والأدوات التي تمّ استعمالها هي شبكة الملاحظة في الدراسة الاستطلاعية، وشبكة المقابلة وقصّة الحياة

في الدراسة الأساسية. قمنا في الدراسة الاستطلاعية بدراسة مسحية من أجل استطلاع الميدان، حيث قمنا بتوزيع شبكات الملاحظة على مجموعتين من الأمهات: مجموعة أمهات ماكثات بالبيت ومجموعة من الأمهات العاملات، واللاتي قمن بملا تلك الشبكات التي تتضمن مواقف تتعلّق بالممارسات الأمومية، ثم بعدها قمنا بحساب النسب المئوية. وكانت النتائج كما يلي: تبين أنّ الأمهات الماكثات بالبيت يقمن بالممارسات الأمومية بنسب عالية جدًا مقارنة مع الأمهات العاملات، كما أنّه تمّ تسجيل تدخّل مبكر للأب في العلاقة أم-طفل، وكذا قيامه بالممارسات الأمومية وذلك بنسب أعلى في حالة عندما تكون الأمّ عاملة. أمّا فيما يخصّ الدراسة العيادية فقد قمنا باختيار مجموعتين من الأمهات: خمس حالات مأكثة بالبيت وخمس حالات أخرى عاملة، حيث قمنا بعرض قصص حياة كلّ الحالات وكذا التعليق عليها، وكانت النتائج المتحصّل عليها كما يلي: بالنسبة للحالات المأكثة بالبيت فقد كانت تُمثّل نموذج الأمّ التقليدية وذلك من خلال قيام كلّ منها بمهام الأمومة وممارساتها: رعاية الأطفال وتربيتهم، الاهتمام بالزوج والأشغال المنزلية، اتباع نفس النمط التربوي التقليدي، ولكن تمّت ملاحظة بعض التغيرات والتي تتعلّق بالتأخر في سنّ الزواج، تحديد عدد الأطفال. أمّا فيما يخصّ الحالات العاملة فقد لاحظنا تغييرات واضحة في مكان الأمّ وفي الممارسات الأمومية، وكذا لاحظنا دخول الأب في تفاعل مبكر مع الطفل، وكذا قيامه بمساعدة الأمّ في الأشغال المنزلية والاهتمام برعاية الأطفال. إذن كخلاصة هناك تغيير على مستوى مكان الأمّ وممارساتها الأمومية، حيث أنّه إذا طرأ تغيير على المكان فإنّ ذلك يُؤثّر على الدور، كما أنّه لم يعد للأمّ مكانا واحدا فقط الذي هو مكان الأمّ وإتّما هناك مكان العاملة والدور المنوط به، الأمر الذي نتج عنه هوية أمومية وهوية مهنية. هذا كلّه أثر على مكان الأب ودوره، لأنّ هناك علاقة تأثير وتأثر بين الجنسين، حيث إذا حدث تغيير على جنس فإنّه يُؤثّر على الجنس الآخر.

## الفهرس

01	كلمة شكر.....
02	الإهداء.....
03	ملخص الدراسة.....
06	فهرس الدراسة.....
12	المقدمة.....
16	الإشكالية.....
<b>الفصل الأول: الثقافة و النظام الاجتماعي وتحولاته في الجزائر.</b>	
23	تمهيد.....
23	1- مصطلحات قاعدية.....
23	1-1- المكان.....
24	1-2- الدور.....
25	1-3- المكانة.....
26	1-4- الوظيفة.....
26	1-5- الجنوسة أو الجندر.....
28	2- الثقافة.....
28	2-1- تعريف الثقافة.....
33	2-2- أنواع الثقافة.....
34	2-3- محددات الثقافة.....
42	2-4- الثقافة الجزائرية.....
44	2-5- الثقافة الإسلامية.....
45	3- النظام الاجتماعي.....
45	3-1- مفهوم النظام الاجتماعي.....
46	3-2- أهمية النظام الاجتماعي.....
46	3-3- أهمّ تحوُّلات النظام الاجتماعي الجزائري.....
51	4- العائلة.....
51	4-1- تعريف الزواج.....
52	4-2- العلاقات بين الرجل والمرأة: الزواج.....
55	4-3- تعريف العائلة.....
56	4-4- نظريات العائلة.....

57	..... 4-5- مراحل تطوّر العائلة
59	..... 4-6- بنية العائلة الجزائرية
64	..... 4-7- التحوّلات التي طرأت على العائلة الجزائرية
68	..... 4-8- علاقات القرابة الأبوية
74	..... 4-9- علاقات القرابة الأمومية
76	..... 4-10- المرأة داخل العائلة الجزائرية
80	..... 4-11- العائلة في الإسلام
81	..... خلاصة

### الفصل الثاني : الشخصنة ومشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر

83	..... تمهيد
83	..... 1- الشخصنة
83	..... 1-1- تعريف الشخصنة واستراتيجياتها
88	..... 1-2- الهوية، الهوية الفردية، الهوية الاجتماعية والهوية الثقافية
91	..... 1-3- سيورة تكوّن الهوية كسيورة جزئية للشخصنة
91	..... 1-4- التّنشئة الاجتماعيّة و الشّخصنة
94	..... 1-5- الارتهان و الشخصنة
97	..... 1-6- شخصنة المرأة في الجزائر
99	..... 2- مشروع الحياة
99	..... 2-1- تعريف المشروع
101	..... 2-2- الجوانب الوظيفية للمشروع
102	..... 2-3- العوامل المساهمة في إعداد مشروع
103	..... 2-4- أنواع المشروع
105	..... 2-5- المشروع، صورة الذات، الشخصنة والتّنشئة الاجتماعية
108	..... 2-6- استراتيجيات المشروع
110	..... 2-7- مشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر
117	..... خلاصة

### الفصل الثالث: المؤنث، المرأة و الأمّ في الاسلام و في الجزائر

119	..... تمهيد
119	..... 1- التّنشئة الاجتماعية للمرأة في النظام الاجتماعي التقليدي



123	2- الانقسام الجنسي: مذكر مؤنث.....
126	3- التدرج الجنسي: تعارض الجنسين.....
129	4- مشروع دراسي، هوية عملية.....
129	4-1- المرأة والمدرسة.....
134	4-2- المرأة والعمل.....
137	5- المشروع العائلي: الزواج والأمومة.....
140	6- عوامل تأخر سنّ الزواج.....
141	7- أدوار المرأة بين الماضي والحاضر.....
144	8- العذرية هي مكانة للمرأة وضمان للرجل.....
148	9- المرأة في الثقافة العربية.....
148	9-1- المرأة قبل ظهور الإسلام.....
150	9-2- المرأة بعد ظهور الإسلام.....
152	10- الأم في الثقافة الجزائرية الإسلامية.....
157	11- المقدرة الأثوية.....
160	12- المرأة هي أساس التنشئة الاجتماعية.....
161	13- حق المرأة في الأمومة.....
162	خلاصة.....

### الفصل الرابع: الأمومة والممارسات الأمومية

164	تمهيد.....
164	I- مصطلحات قاعدية.....
164	1- التفاعل.....
165	1-1- بدايات الاتصال.....
165	1-2- الكفاءة، القواعد الحسية في التفاعلات.....
166	1-3- تفاعل ملاحظ.....
168	1-4- تفاعل إستهامي.....
169	2- الأمومة وعاطفتها.....
170	2-1- الأمومة.....
171	2-2- العاطفة الأمومية.....
173	3- التعلّق.....

176	.....4- الحرمان العاطفي
176	.....1-4- تعريف الحرمان العاطفي
176	.....2-4- عياديا
180	.....5- الأبوة
181	.....II- تفاعل الطفل مع الراشد: العلاقات بين الشخصية المبكرة
181	.....1 - العلاقة التفاعلية أم-طفل
182	.....1-1- اتصال أحادي العلاقة
194	.....2-1- اتصال متعدّد العلاقات
220	.....2- تفاعل الطفل مع راشدين آخرين غير الأم
220	.....1-2- مشكلة النظرية والمصطلح
226	.....2-2- الأعمال التجريبية الأولى حول التفاعلات خارج أمومية
235	.....3-2- العلاقة التفاعلية الثلاثية أب-أم-طفل: الثالوث العائلي
238	.....خلاصة

#### الفصل الخامس: منهجية الدراسة

240	.....تمهيد
240	.....1 - الدراسة الاستطلاعية
240	.....1-1- مكان الدراسة
240	.....2-1- مدة الدراسة
241	.....3-1- حالات الدراسة
241	.....4-1- أدوات الدراسة
243	.....5-1- نتائج الدراسة الاستطلاعية
251	.....2 - الدراسة الأساسية
251	.....1-2- مكان الدراسة
251	.....2-2- مدة الدراسة
251	.....3-2- حالات الدراسة ومواصفاتها
252	.....4-2- أدوات وتقنيات الدراسة
258	.....خلاصة

#### الفصل السادس: عرض الحالات

260	.....تمهيد
-----	------------

260	.....I- الحالات المأكنة بالبيت
260	.....1- الحالة الأولى
272	.....2- الحالة الثانية
293	.....3- الحالة الثالثة
327	.....4- الحالة الرابعة
346	.....5- الحالة الخامسة
361	.....II- الحالات العاملة
361	.....1- الحالة الأولى
376	.....2- الحالة الثانية
391	.....3- الحالة الثالثة
409	.....4- الحالة الرابعة
425	.....5- الحالة الخامسة
438	..... خلاصة عامة لجميع الحالات
440	..... خاتمة
444	..... قائمة المراجع
457	..... الملاحق

# مقدمة

اهتمّ العديد من العلماء والباحثين بدراسة النظام الاجتماعي والثقافي ومختلف التحولات الطارئة على عناصره، وعلى رأسها العائلة التي لها دور مهم وتُساهم بشكل فعّال في تكوين شخصية الفرد بمساعدة مجموعة من المؤسسات الاجتماعية الموجودة في الوسط الذي يعيش فيه، والعائلة هي مجموعة أفراد يربط بينهم رابط قرابة، والتي مرّت عبر الزمن بمجموعة من التغيّرات، وذلك تبعاً للتحولات التي تطرأ على المجتمع.

فإذا عدنا إلى المجتمع التقليدي نجدتها تضمّ الجدّ والجدّة والأب والأمّ والأبناء والأحفاد والأعمام المتزوجين وغير المتزوجين والعمات غير المتزوجات. وكانوا جميعاً يتشاركون في مكان العيش، وكانت الأمّ تحتلّ فيها مكاناً مهماً الذي من خلاله كانت تُؤدّي ممارساتها الأمومية، وذلك من خلال استدخال النموذج الأمومي الموجود في الثقافة التي تنتمي إليها.

في النظام الاجتماعي التقليدي مكان المرأة في داخل المنزل، فهي التي تتحكم في كلّ ما يتعلّق بالداخل بينما الخارج هو خاصّ بالرجل. لهذا قد تدخل البنت إلى المدرسة ولكن سرعان ما تتركها في سنّ مبكّرة من أجل المكوث في المنزل، الفضاء المخصّص لها فقط، أين تتعلّم أموراً جديدة تختلف عن تلك التي تلقّتها في المدرسة. أمّا الولد فإنّه يُتابع دراسته لأنّ المدرسة موجودة في الفضاء الطبيعي الخاصّ به: الخارج. وتعيش البنت وسط مجموعة من النساء لديهنّ نفس الإيديولوجية وبالتالي تستدخل ذلك وفي المستقبل تصبح مثلهنّ.

تدرجياً تعيّر هذا النظام وتغيّرت بنية العائلة، وتزامن ذلك مع التغيّرات الطارئة على وضعية المرأة داخل المجتمع الجزائري التي هي نصفه، وقد تحيط وظيفتها وقدسيّتها ونشاطها المجتمع بأكمله، حيث عندما تصبح المرأة أمّاً فذلك يُعطي لها قيمة كبيرة، فمكان ومكانة أمّ هدف تسعى إليه كلّ امرأة، ولكن لا يُمكن بلوغ هذا الهدف إلا بشكل مشروع وذلك تحت إطار الزواج الذي يُعدّ مهماً في الحياة، وما يجعله كذلك هو العنصر الثقافي المتمثّل في الدين. حيث أنّ في النظام التقليدي المرأة الوحيدة ليس لها مستقبل ويُحكّم عليها بالفشل في الحياة. إذن تدلّ هذه العبارة على أهميّة الزواج وتقديس المجتمع له بحيث عن طريقه تطمئنّ العائلة على البنت.

ومع دخول المرأة إلى الحياة العملية تغيّرت الأوضاع، وأصبح من الواجب عليها التوفيق بين المهام المنوطة بالأمومة وتلك الخاصة بالعمل، وهنا سيكون لزاما معرفة ما إذا كان العمل يُؤثّر على المهام الأمومية أم لا، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال هذه الدراسة.

موضوع هذه الدراسة هو مكان الأمّ والممارسات الأمومية داخل العائلة الجزائرية، ومن أجل تحقيق هذه الدراسة سنتطرق إلى مجموعة من الفصول النظرية والتطبيقية وللتوضيح فإنّه في الواقع لا يوجد حدود فاصلة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، حيث أنّ الفصول النظرية هي مستمدّة من الدراسات والملاحظات الميدانية التي تناولناها بالتحليل والتأويل، وهي مدعّمة للفصول التطبيقية. وتمثّلت الفصول فيما يلي:

**الفصل الأوّل:** الثقافة والنظام الاجتماعي وتحولاته في الجزائر، الذي سنتطرق فيه إلى بعض المصطلحات القاعدية التي يجب إدراكها قبل الدخول في عمق الدراسة، وكذا سنشير إلى مفهوم الثقافة ومختلف عناصرها، ومفهوم النظام الاجتماعي وكذا العائلة ومراحل تطوّرها عبر الزمن وأنواعها، والتحوّلات الطارئة على النظام الاجتماعي والعائلة بالخصوص.

**أما الفصل الثاني** فسيضمّ مفهومي الشخصية ومشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر، حيث سيتمّ تقديم مختلف التعاريف حسب العلماء والباحثين حول هذين المصطلحين داخل وخارج الوطن، وأيضا سنقوم بالإحالة إلى كلّ من الشخصية ومشروع الحياة لدى المرأة بين الماضي والحاضر في الجزائر.

**بالنسبة للفصل الثالث** سنشير فيه إلى المؤنث، المرأة والأمّ في الإسلام وفي الجزائر، وهنا سيتمّ الاهتمام بتربية المرأة في النظام التقليدي والحالي، ومدرسها وعملها وزواجها وأمومتها، وكذا التأكيد على مكانة الأمّ في الثقافة العربية وبالخصوص في الجزائر، وكذا مقدرتها.

**الفصل الرابع** سنعرِّج فيه على الأمومة والممارسات الأمومية، وهنا سنحاول الإلمام بمختلف الأبحاث التي اهتمت بدراسة الممارسات الأمومية والعلاقة التفاعلية أم-طفل، وكذا العلاقة التفاعلية أب-طفل عبر مختلف المراحل العمرية.

فيما يتعلّق بالجانب التطبيقي فسيضمّ **الفصل الخامس** والذي يخصّ منهجية الدراسة، حيث سنعتمد على المنهج العيادي، والأدوات التي سيتم استعمالها تتمثّل في شبكة الملاحظة، شبكة المقابلة، قصّة الحياة. وسيتمّ عرض الدراسة العيادية في **الفصل السادس**، أين سيتمّ عرض الحالات والتعليق عليها، وفي الأخير سيتمّ إعطاء استنتاج عامّ وخاتمة للعمل.

# الإشكالية



في النظام التقليدي الجزائري كانت المرأة الجزائرية تُعرّف بالأساس من خلال دورها كزوجة وأمّ وكذلك من خلال وظيفتها وقيامها بالأشغال المنزلية. لكن في هذه العشرينات الأخيرة الماضية ظهرت تغيّرات جلية فيما يتعلّق بوضعية النساء الجزائريات، بحيث لم يعد نشاطهن يقتصر على ما هو متواجد في الفضاء المنزلي. سجّل الوطن على مختلف مستويات التمدرس معدلا مرتفعا فيما يتعلّق بنسبة النجاح لدى البنات والتي كانت أكثر من نسبة الأولاد، كما نجد في الجامعة أنّ عدد البنات مرتفع مقارنة بالأولاد في كلّ الشّعْب تقريبا.

انتقلت المرأة من دور منزلي إلى ممارسة أدوار أخرى، حيث لوحظ تواجدها بشكل متزايد في الوظائف العمومية خارج عائلتها بالإضافة إلى الدور المنزلي الذي كان منوطا بها. حاليا نجد المرأة عاملة، طبيبة، قاضية، مهندسة، أستاذة، مقابلة، ضابطة في الجيش. كما أنّ المرأة داخل العائلة لم تعد أمّا فقط، بل هي في آن واحد أمّ بالإضافة إلى مكانة (Statut) أخرى خارج العائلة.

من خلال ما سبق ذكره يبدو أن هذا التغيّر الاجتماعي لم يؤدّ إلى إعادة تركيب الهوية لدى المرأة فحسب، ولكن أدى أيضا إلى ظهور ممارسات أمومية جديدة والتي سنكشف عنها في هذه الدراسة، وبالتالي تحوّل في العلاقات أم-طفل.

هذه الوضعية دفعتنا إلى دراسة مكان الأمّ وممارساتها الأمومية في خضمّ هذه التغيّرات، وكذلك من بين دوافع اختيارنا لهذا الموضوع هو محاولة تتبّع لما تمّ دراسته في عمل بحثي سابق والذي سيتمّ الإشارة إليه لاحقا كدراسة سابقة تمّ الانطلاق منها، ويُمكن القول أنّها محاولة للقيام بدراسة مستعرضة.

وما ساهم في الاهتمام بالقيام بهذه الدراسة هو إمكانية وقابلية إنجازها في أرضية الواقع، وذلك فيما يتعلّق بالوقت وإمكانيات ووسائل التطبيق في الواقع. أمّا فيما يتعلّق بالهدف من هذه الدراسة فهو يتمثّل من جهة في السعي للكشف عمّا إذا كان تغيّر مكان الأمّ وممارساتها هو نتيجة للتغيّرات الطارئة، وكذا الكشف عن العلاقات

أم-طفل وزوجة-زوج الحالية ومقارنتها بالماضية، ومن جهة أخرى المقارنة بين أمهات ماكنات بالبيت يُتمثلن الأمهات في النظام التقليدي وأمّهات عاملات وهن اللاتي تعرضن للتغيّرات التي سيتم توضيحها في فصل لاحق.

وفقا لذلك ومن أجل بلوغ هذا الهدف نطرح التساؤلات على النحو التالي:

- هل تغيّر مكان ودور الأم داخل العائلة نتيجة لهذه التغيّرات؟

- هل تغيّرت الممارسات الأمومية؟

- هل تغيّرت العلاقات زوجة-زوج بفعل هذه التغيّرات؟

من أجل القيام بهذه الدراسة والإجابة عن التساؤلات المطروحة سيتم القيام بدراسة مسحية تنتمي إلى

الدراسة الاستطلاعية ودراسة عيادية ثم المقارنة بين مجموعتين من الأمهات يختلفن فيما بينهنّ من حيث المكانة

(Statut) والوضعية (Position):

مجموعة أمهات ماكنات في البيت.

مجموعة أمهات عاملات.

فيما يخصّ الدراسة المسحية سيتم اختيار عينة من الأمهات الماكنات بالبيت، وعينة من الأمهات

العاملات، حيث يتمّ توزيع عليهنّ شبكات ملاحظة من أجل ملئها. أمّا بالنسبة للدراسة العيادية فسيتمّ اختيار أيضا

مجموعتين من الأمهات الماكنات بالبيت والأمهات العاملات، تضمّ كلّ مجموعة عشرة حالات من مناطق مختلفة

من الجزائر، وسيتمّ اختيار المنهج العيادي وبالتحديد قصّة الحياة كوسيلة للعمل مع الأمهات، لهذا الغرض سيتمّ

إجراء مقابلات معقّمة معهنّ، وأيضا سيتمّ الاعتماد على المقارنة التي تتضمّن إظهار أوجه التشابه وأوجه الاختلاف

بين المجموعتين.

في هذه الدراسة سيتم أخذ مصطلح مكان (Place) حسب المعنى الذي أعطاه قاموس Larousse expression : "رتبة اجتماعية لفرد، موقف مُكَيَّف حسب محيطه، ثقافته، أو وضعية وموقف فرد اتجاه نسق معين" (Larousse expression, 2005 : 320)، بالإضافة إلى ذلك الدور المرتبط به والذي يضم مجموعة من المهام الخاصة بالأم. إضافة إلى أننا نأخذ مصطلح الممارسات الأمومية على أنها تلك الأفعال التي تقوم بها الأم في علاقتها مع طفلها من رعاية واهتمام وتربية وعاطفة، أما مصطلح عائلة فيُقصد به تلك الخلية القاعدية للمجتمع، والتي تضم مجموعة من الأفراد تربط بينهم روابط قرابة ومصاهرة. والتي تتأسس على الزواج، والتي قد يتخذ أعضاؤها مكانا مشتركا للعيش أو قد يعيشون بشكل مستقل عن بعضهم.

إن الدراسات السابقة التي تم الانطلاق منها من أجل القيام بهذا العمل البحثي والتي تعتبر كأساس له هي

كما يلي:

● الدراسة السابقة الأولى:

أنجز هذه الدراسة الباحث حسين فسيان ( sous la ) CHERIF . H et MONCHAUX . PH,

37 : 2007, (dir de)، حيث اهتم فيها بدراسة المشروع العملي لدى المراهقات الجزائريات: من الارتهان إلى إستراتيجية الشخصية. واعتمد الباحث فيها على تحليل محتوى مجموعة من مقابلات مع عشرين طالبة جزائرية تراوحت أعمارهن ما بين 19 و 23 سنة.

وكانت النتائج المتوصل إليها تتمثل في أنّ الصراعات الأساسية في مرحلة المراهقة هي التي تُعدّ مصدرا للمشايخ. بمعنى أنّ هذه الأخيرة هي محاولة لتجاوز التناقضات التي يعيشها المراهق من خلال القطيعة مع الطفولة من جهة، ومن جهة أخرى من خلال المطالب الاجتماعية المتعددة (عائلة، مدرسة، أقران،...).

قام الباحث في هذه الدراسة بالكشف عن مدلول كلمة "مشروع" لدى المراهقات الجزائريات، حيث كان يتمثل المشروع الأنثوي داخل النظام التقليدي في الزواج، والذي كان يعتبر منذ أمد بعيد كمرحلة مهمة للاندماج

الاجتماعي داخل عالم الراشدين. ولكن في هذا البحث توصل إلى أنّ الزواج حاليا بدأ يفقد بالتدرج وظيفته ومدلوله، الأمر الذي أدى إلى تعويضه بمشروع آخر لبلوغ برّ الأمان وكذا الوقاية من احتمالات صعوبات الحياة، والفشل في تحقيق الاستقرار الوحيد للمرأة الذي كان موجودا في النظام التقليدي ألا وهو الزواج.

خلّص في الأخير إلى أنّ أهمّ مشروع تسعى المراهقات إلى تحقيقه هو دخول الجامعة والعمل، حيث وجد أنّ المشروع العملي للفتاة هو رغبة في التوسع وتحقيق الذات داخل أدوار وفضاءات كانت مخصّصة للرجال فقط، وهذا ما أدى إلى تعيّر و تحوّل على مستوى تمثّل المرأة داخل التاريخ الثقافي لهذا المجتمع.

● الدراسة السابقة الثانية (عيساوي أمنية، 2011-2012):

ثاني دراسة هي الدراسة التي قمنا بها في رسالة الماجستير حول الشخصية لدى المراهقة غير المتمدرسة والمراهقة المتمدرسة، حيث أقيمت على مجموعة من المراهقات اللاتي انسحبن مبكرا من مقاعد الدراسة ومكثن في البيت دون أي تكوين سوى تعلّم الأشغال المنزلية، ومجموعة ثانية تتكوّن من مراهقات متمدرسات. وكانت النتائج المتوصل إليها كما يلي: تسعى الحالات المتمدرسة إلى بلوغ مشروع عمليّ، حيث تبحث كلّ منهنّ من خلاله على التكيف مع تغيّرات الوسط الاجتماعي، وتحقيق الذات. المشروع العملي بالنسبة لهذه الحالات هو استجابة للارتهان، والقصد منه التخلص من التبعية وتحقيق الاستقلالية، وبالتالي إنّّه في مركز حركة الشخصية.

أمّا الحالات غير المتمدرسة فإنّها تُحاول إثبات ذاتها من خلال البحث عن التطابق مع الثقافة الأبوية، إنّ كلّ منها استدخلت الثقافة التي تربّت داخلها وتركّبت شخصيتها انطلاقا من أوامر هذه الثقافة ونواهيها وبالتالي تتمّ شخصية كلّ من تلك الحالات تبعا للحدود التي وضعتها الثقافة، ولهذا لا نجد إحساسا داخليا بالارتهان.

وتظهر أهمية المشروع أكثر لدى المراهقة الجزائرية التي تسعى إلى بلوغ مكان جديد غير ذلك الذي كان من قبل ألا وهو مكان الأم. إنها تسعى إلى الحصول على شهادات عليا من خلال الدراسة والعمل، واجتياح الفضاء الذي كان سابقا مخصصا للرجال فقط. كل ذلك يُعبّر عن رغبتها في تحقيق الاستقلالية.

● الدراسة السابقة الثالثة (عمار عبد الحق، 2011-2012):

هذه الدراسة قام بها الباحث عمار . ع، والتي تناول فيها مكان الأب داخل العائلة، حيث قام بدراسة إحصائية وعيادية على مجموعة من الآباء من أجل معرفة المكان الذي يحتلّه الأب داخل العائلة، وكذا فهم سيرورة العلاقات التفاعلية فيها. وكانت النتائج المتوصل إليها هي أنّ الأب أصبح يُقيم علاقة تفاعلية مبكرة مع الطفل، ليس بعد ميلاده فحسب ولكن منذ الأشهر الأولى للحمل، حيث أصبح الأب يحضر مع الأم إلى مواعيد الفحص عند الطبيب، ويهتم لراحته، بعد ميلاد الطفل يدخل مبكرا جدا في حوار جسدي معه.

ما نريد بلوغه في دراستنا هذه هو مكمل للدراسة التي قام بها هذا الباحث من خلال التركيز على الهيئة

المقابلة ألا وهي الأم.

## الفصل الأوّل: الثقافة و النظام الاجتماعي وتحولاته في الجزائر

### La culture et le système social et ses mutations en Algérie

تمهيد.

1-1-1-1 مصطلحات قاعدية. المكان.

1-2-1-2 الدور.

1-3-1-3 المكانة.

1-4-1-4 الوظيفة.

1-5-1-5 الجنوسة أو الجندر.

2-1-2-1-2 الثقافة. تعريف الثقافة.

2-2-2-2 أنواع الثقافة.

2-3-2-3 محدّدات الثقافة.

2-4-2-4 الثقافة الجزائرية.

2-5-2-5 الثقافة الإسلامية.

3-1-3-1-3 النظام الاجتماعي. مفهوم النظام الاجتماعي.

3-2-3-2 أهمية النظام الاجتماعي.

3-3-3-3 أهمّ تحولات النظام الاجتماعي الجزائري.

4-1-4-1-4 العائلة. تعريف الزواج.

4-2-4-2 العلاقات بين المرأة الرجل: الزواج.

4-3-4-3 تعريف العائلة.

4-4-4-4 نظريات العائلة.

4-5-4-5 مراحل تطوّر العائلة.

4-6-4-6 بنية العائلة الجزائرية.

4-7-4-7 التحولات التي طرأت على العائلة الجزائرية.

4-8-4-8 علاقات القرابة الأبوية.

4-9-4-9 علاقات القرابة الأمومية.

4-10-4-10 المرأة داخل العائلة الجزائرية.

4-11-4-11 العائلة في الإسلام.

خلاصة.

## تمهيد:

يعيش الفرد داخل ثقافة تمنحه طرق وأساليب الحياة المختلفة، وهي التي تُحدّد مكانه ودوره ومكانته داخل المجتمع، كما أنّها تضبط النظام داخل الجماعة فلولاها لعمّت الفوضى داخله، ولكلّ مجتمع ثقافة تُميزه عن باقي المجتمعات وهذا هو حال المجتمع الجزائري الذي له ثقافة ونظام اجتماعي خاصّ به، والذي تعرّض لمجموعة من العوامل التي أثّرت فيه ممّا أدّى إلى تغيّرات على مستوى بنية العائلة، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الفصل، وسنبداً بتقديم أهم المفاهيم القاعدية ذات الصلة.

### 1- مصطلحات قاعدية:

#### 1-1- المكان (Place):

تبعاً لما قدّمه الباحث عمار . ع في دراسته حول مكان الأب داخل العائلة الجزائرية فإنّه: "يوجد مصطلح المكان في صلب مجال علم النفس الاجتماعي كما يُشير إلى ذلك Fsian . H، والذي يُشير إلى كونه لم يجد ما يُوازي هذا المصطلح في علم النفس العيادي سوى مصطلح الوضعية الذي تعرّضت له Klien . M . بالرجوع إلى مصطلح الوضعية نجده يُعرّف على أنّه المكان الدقيق الذي يحتلّه فرد ما في الفضاء" (عمار . ع، 2012: 24-25).

ويُضيف في موضع آخر على أنّ لمصطلح مكان أهمية والتي تكمن في أنّه "يسمح للفرد بأن يدخل في علاقات تفاعلية مع الآخر، بمعنى أنّه انطلاقاً من المكان الذي يحتلّه يُخاطب الفرد الآخر ويتفاعل معه، وكلّ ذلك انطلاقاً ممّا يُعطيه له هذا المكان من امتيازات وخصائص وواجبات" (عمار . ع، 2012: 25). ويُشير في الأخير إلى أنّه يجب داخل كلّ علاقة تحديد مكان كلّ فرد فيها.

## 1-2- الدور (Rôle):

الدور هو "ما يجب على الممثل قوله أو فعله. هو تصرف مُتَوَقَّع من الشخص الذي لديه مكانة (Statut) معيّنة" (SILLAMY . N, 2003 : 235). ويُمكن تعرفه على أنه: "يتعلّق بمجموع الاتجاهات أو السلوكيات التي على الفرد الذي لديه وضعية محدّدة تأديتها، من أجل فرض وتأكيد مكانته (Statut). الدور يتعلّق أيضا بما يتوقّعه أعضاء جماعة معيّنة من سلوكيات من فرد بسبب وضعيته الاجتماعية" (LEHALLE . H, 1995 : 219).

كلّ فرد يُفترض أن يكون لديه العديد من الأدوار المختلفة، وذلك حسب سنّه (طفل، مراهق، راشد، شيخ)، حسب جنسه، الأشخاص الذين يتواجد معهم (عندما يكون مع طفل يتصرّف بشكل مختلف عن تواجده مع أصدقائه أو مع الأمّ أو مع الأستاذ)، وحسب المواقف (في المنزل، العمل،...). "هذه الأدوار يُمكن أن تُولّد صراعات إذا كانت متناقضة. (...) إنّ احترام الأدوار يُحافظ على الأمن والارتباط الاجتماعي. الحياة الاجتماعية هي عبارة عن نسيج من الأدوار. والأفراد غير المتكثفين اجتماعيا هم هؤلاء الذي لا يحترمون الأدوار" (SILLAMY . N, 2003 : 235).

بالنسبة للعديد من علماء النفس الاجتماعي الدور (Rôle) هو ليس إلا ترجمة سلوكية لوضعية معروفة لدى فاعل (Acteur)، أمّا في النظرية التحليلية يُعرّف الدور على أنه "المحرّك، القابل للتبادل (أي يُمكن استعمال شيء عوضا عن آخر). أمّا الوظيفة تُعرّف بالدوام والاستمرارية ومتعدّد استبدالها". (LE CAMUS . J, 1985 : 46). ميّز Elder (1968) بين نوعين من تغيّرات الأدوار: "يوجد أولا تغيّرات داخل الأدوار وشكليا تبقى متماثلة، فإذا كانت المطالب ليست نفسها وبالتالي الأدوار تميل للتغيّر، مثلا إذا كان هناك طلب للاستقلالية في العمل، الدراسة، أمّا داخل العائلة فيبحث على دعم شخصي مهمّ جدّا ولكن لا يتغيّر الدور كليا. وثانيا أدوار جديدة، حيث يتطلّب الأمر هنا ضرورة التكيّف معها مثلا فيما يتعلّق بالاندماج المهني. وهنا يتّضح أنّ عدم الاستمرار في الدور



ليس كلياً، وكذلك من جهة أخرى هناك تكيف مع بعض الأدوار الجديدة والتي هي في الأصل ذات علاقة بالأدوار السابقة" (In LEHALLE . H, 1995 : 220).

في حين أشار Thomas (1968) إلى صعوبات نفسية مرتبطة بهذه التغيرات في الأدوار أو داخل الأدوار. وقد ميّز بين أربعة أنواع من الصعوبات والصراعات: "أولاً صراعات الأدوار ترتبط بالفرد تبعاً لوضعيته ومواقفه الاجتماعية، ويجب عليه لعب أدوار متناقضة لأنه يُتَظَرّ منه سلوكيات مختلفة. وهنا مثل حالة المراهق الذي كابد يجب عليه أن يكون خاضعاً ومطيعاً، لكن كرفيق لصديقه يجب أن يبدو مستقلاً. ثانياً يُمكن أن يكون هناك صراع داخل نفس الدور وهنا نلاحظها عند المراهق الذي يُطالب أو يكتسب استقلالية اتجاه العائلة، ولكن يبقى تابعاً لها في جوانب أخرى. ثالثاً في حالة عدم استمرار الأدوار أي في حالة الأدوار الجديدة فهذا يُعتبر مصدراً آخر للصعوبة والصراع، وبالخصوص عندما لا يكون هناك علاقة أو جسر بين الأدوار السابقة الجديدة، أي الدور الثاني لا يرتبط بالدور السابق مثل الانتقال من الدراسة للعمل. وأخيراً يُمكن للفرد أن يلعب أدواراً لا ترتبط به ولا باهتماماته ولا بدوافعه الشخصية" (In LEHALLE . H, 1995 : 220).

### 1-3- المكانة (Statut):

المكانة هي "وضعية شخص داخل مجموعة اجتماعية. تشترط المكانة روابط التي تتأسس بين الأفراد: الطفل لديه حماية من طرف الراشد، المسنّ يختلف عن الشاب، والمرأة عن الرجل" (SILLAMY . N, 254 : 2003). كما أنّها: "تعلّق بمجموع الاتجاهات والسلوكيات التي يُمكن للفرد شرعياً توقّعها من الآخرين نتيجة للوضعية الاجتماعية التي يشغلها" (LEHALLE . H, 1995 : 219).

كلّ واحد يتوقّع من الآخر ويتوقّع منه هو ذاته تصرفاً تبعاً للوضعية التي يشغلها داخل الجماعة، ويمثّل للدور الذي يتوقّع منه. تُعرّف المكانة أيضاً بأنّها "حقوق وواجبات الشخص وتُشكّل عنصر الوعي بالذات

(Conscience de soi). أغلبية الأفراد يقبلون مكانتهم ويلعبون بسهولة الدور المنوط بها. هناك آخرون الذين يرفضون أن يُتركوا مغلّق عليهم ومحجوزين داخل إطار محدّد، يرفضون المعايير الاجتماعية، يثورون ويصبحون غير متكيفين وغير منسجمين أو مصلحين" (SILLAMY . N, 2003 : 255).

إنّ مفهوم كلّ من الدور والمكانة (Statut) يستلزم تصنيف الأفراد حسب معايير اجتماعية، تُؤدّي إلى تعريف الوضعيات الاجتماعية. هذا التصنيف يعمل على مستوى التمثّلات (Représentations)، غالبا بطريقة ضمنية ويتعلّق بالروابط بين الأفراد. و"يُمكن ترتيب الأفراد تبعا لما هم عليه: أب، ابن، امرأة، رجل، طالب، أستاذ،.... إنّ كلّ فئة من هذه الفئات ترتبط بمكانة أو دور (أدوار)" (LEHALLE . H, 1995 : 219).

#### 1-4- الوظيفة (Fonction):

الوظيفة هي "مجموع عمليات تابعة بعضها لبعض بعناية، حيث ذلك التناغم يُعبّر عن حياة الجسم" (SILLAMY . N, 2003 : 113). وحسب Dewey . J "تُشكّل الوظيفة الوحدة الأساسية لكلّ تصرّف. إنّها فعل مكيف، اللعب مثلا ليس عرضي يقول E. Claparède، لأنّه يُشبع الحاجات الحاضرة للطفل، ويعمل على مساعدته في التحضير لمستقبله. الآليات النفسية مثل الاستهام، الكبت لديهم قيمة وظيفية لأنّهم طرق دفاع للشخصية ضدّ التوتّرات التي يُمكن مواجهتها" (In SILLAMY . N, 2003 : 113).

#### 1-5- الجنوسة أو الجندر (Genre):

الجندر أو الجنوسة هو الآن من المصطلحات الأكثر تعقيدا، والأكثر تفلّقا في اللغة الإنجليزية، كلمة تبرز على نحو غير متوقّع في كلّ مكان، كما أنّ استعمالها تبدو متغيّرة دوما، وهي دائما في حالة تقدّم. وفي الغالب "يتمّ التحدّث عن أدوار الجنوسة والفجوة بين الجنسين" (غلوfer . د وكابلان . ك، 2008 : 7).

لا أحد يعرف بالضبط متى وأين استُعمل مصطلح الجندر أساسا للإشارة إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية للاختلاف الجنسي، لكن من الواضح أنّ المصطلح كان دارجا قبل ذلك في علم الجنس في أوائل الستينات. على سبيل المثال لا يظهر مصطلح جندر في عرض Comfort . A بعد الحرب لكتاب السلوك الجنسي في المجتمع (1950) إلى أن تمّ تنقيح الكتاب لأجل النشر بعد ذلك بثلاثة عشر عاما تحت عنوان جديد الجنس في المجتمع، عندما أضاف المؤلف مناقشة مختصرة للأدوار الجنسية. وقال Comfort . A في هذا الصدد: "الدور الجنسي الذي يتبناه الفرد -الرجالي أو النسائي- وفقا لمعايير ثقافته، يتمّ تعلّمه تعلّما كليا تقريبا وكافيا. (...). في الحقيقة، إنّ الدور الجنسي الذي يتعلّمه في سنّ الثانية هو بالنسبة لمعظم الأفراد غير قابل للانعكاس أو الاستبدال، حتى لو سار ضد الجنس الجسدي للشخص" (ورد في غلوفر . د وكابلان . ك، 2008: 26).

وبالتالي إنّ مصطلح جنوسة أو جندر أو نوع اجتماعي "لم يُصبح مفهوما أو مصطلحا في العلوم الاجتماعية والإنسانية إلا نتيجة التقدّم والرقى، أين النساء (الجنس الأنثوي) تفوّقن وتقدّمن وأين الجندر تقدّم" (SENAC-SLAWINSKI . R, 2010 : 21).

إنّ التفريق بين الجنس البيولوجي والنوع الاجتماعي الثقافي -وإذن الاكتشاف الحالي للجندر- يعود إلى الأطباء النفسانيين الأمريكيين في سنوات 1950 و 1960، الذين أشاروا إلى الانحراف المسجّل لدى عدد من المرضى بين الجسم والهوية. حيث عملوا على توضيح الفرق بين مصطلح جنس الذي يُحيل إلى الطبيعة، إلى الاختلافات الطبيعية، الاختلافات التشريحية والبيولوجية بين الرجال والنساء، الذكور والإناث، والنوع الاجتماعي أو الجندر الذي يُشير إلى الثقافة، ويتعلّق بالتصنيف الاجتماعي والثقافي بين المدكّر والمؤنّث الذي يكون متغيّرا داخل الزمن والفضاء: "النوع أو الجندر (Genre) هو الجنس الاجتماعي (Sexe social)، اختلاف الجنسين المشكّل اجتماعيا وثقافيا" (SENAC-SLAWINSKI . R, 2010 : 22).

## 2- الثقافة:

إنّ مفهوم الثقافة لغة استعمله العرب للدلالة على معانٍ متعدّدة كالحذق وسرعة الفهم والبديهة والذكاء، والتهذيب، وتقويم المعوج وغيرها من المعاني. إلا أنّه أصبح لهذا المفهوم في العصر الحديث مدلولاً اصطلاحياً، وكلّ ذلك سببته بالتفصيل فيما يلي:

### 1-2- تعريف الثقافة:

لقد اتفق العديد من المعاجم على تعريف الثقافة من الناحية اللغوية، وقد قدّم مالك بن نبي في أحد مراجعه ملخصاً عنه وهذا ما سنقدمه فيما يلي: كلمة ثقافة (Culture) تتحدّر من الكلمة اللاتينية (Colere) بمعنى أقام، تثقف، شرف أي أكرم، وعامة تُسند إلى النشاط الإنساني. أمّا استخدامها في اللغة العربية، فلسان العرب يقول في المجلد العاشر: "يقال ثقّف الشيء وهو سرعة التعلم"، ويقول ابن دريد: "ثقفت الشيء حذقته"، وفي حديث الهجرة: "هو غلام شابّ لحن ثقّف"، أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنّه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. والعلامة فريد وجدي يقول في (دائرة المعارف القرن العشرين/ المجلد الثاني): "ثقّف يثقّف ثقافة: فطن وحذق، وثقّف العلم في أسرع مدّة أي أسرع أخذه، وثقّفه يثقّفه ثقفاً: غلبه في الحذق، والثقيف: الحاذق الفطن" (بن نبي. م، 2013: 19).

أمّا اصطلاحاً وعلمياً يوجد عدّة تعاريف لمفهوم الثقافة، وذلك باختلاف العلماء، إذ أنّ كلّ واحد منهم حاول إعطاء لهذا المفهوم معنى يظهر له أنّه يجيب عن تساؤلاته وانشغالاته وحقل اهتماماته. ومن جهة أخرى فإنّ التعاريف المختلفة لمفهوم الثقافة تعكس النظريات المختلفة من أجل فهم النشاط الإنساني. ففي 1952 كتب كلّ من Krober . A و Kluckohn . C قائمة تتضمّن حوالي 200 تعريف مختلف للثقافة داخل كتابهما الثقافي: « A critical review of concepts and difinitions », وفيما يلي سيتمّ تقديم البعض من تلك التعاريف الواردة في هذا الكتاب وتعاريف لعلماء مختلفين:

يُمكن تعريف الثقافة حسب قاموس Larousse على أنّها: "مجموع الاستعمالات، الأعراف، مظاهر فنية، دينية وفكرية التي تُعرّف وتُميّز جماعة، مجتمع" (In KACHA . F, 2011 : 353).

حسب UNESCO: "الثقافة هي مجموع السمات المميّزة، الروحية والمادية، الفكرية والعاطفية، التي تُميّز مجتمع أو مجموعة اجتماعية" (In KACHA . F, 2011 : 353).

بالنسبة لأحد أهمّ مؤسسي الأنثروبولوجيا الثقافية (Anthropologie culturelle) ألا وهو Taylor . E.B (1871): "الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكلّ المركّب الذي يتضمّن المعرفة، القانون، الفنّ، القواعد الأخلاقية و الشرعية، التقاليد، الأعراف وكلّ استعداد وكفاءة أو عادة مكتسبة من طرف الانسان باعتباره عضوا في المجتمع" (In BENNOUNE. M, 2000 :66).

يرى هذا العالم الأنثروبولوجي الثقافة على أنّها كلية مجردة، رمزية، وأيضا مادية، مكوّنة من طرف ثلاثة أنظمة متكاملة بنويوا ووظيفيا: نظام اجتماعي، نظام تكنولوجي ونظام رمزي-إيديولوجي. والنظام الاجتماعي يضمّ كلّ المؤسسات الاجتماعية، الكائنات الإنسانية التي هي قادرة على تحويل وتغيير الطبيعة من أجل حاجاتهم والحفاظ على الحياة. هذا لا يستلزم فقط نظام اجتماعي قادر على توجيه الطاقات الإبداعية والإنتاجية لأعضاء المجتمع، وإنّما يستلزم أيضا ظهور ونمو إيديولوجية موضّحة بين الطبيعة ووظائف العلاقات لدى الكائنات الإنسانية وأيضا بين هذه الأخيرة والطبيعة. وحسبه "يتكوّن النظام الرمزي-الإيديولوجي من الأفكار، المعارف، المعتقدات والأساطير، الديانات، ما وراء الطبيعة، العلوم، الآداب، الفن، الفلسفة مكوّنة ومنقولة من جيل إلى آخر ومنتشرة من ثقافة إلى أخرى من خلال تأشيرة التفاعل بين الثقافات" (In BENNOUNE. M, 2000 :67).

إنّ هذه الأنظمة الثلاثة المكوّنة للثقافة هي متكاملة ومتداخلة فيما بينها بنويوا ووظيفيا، وبالتالي إذا طرأ تغيير على أحدها فإنّ ذلك يؤدّي لاحقا إلى ظهور تغييرات وتحوّلات، وكذا ارتقاء وازدهار أو تراجع وانحطاط في مجموع

الثقافة. في الواقع Edmund Leach سجل أن: "الوضعية البيئية، الاقتصادية، والسياسية لا تُشكّل محيطا ثابتا، ولكن تُبرز محيطا متغيّرا باستمرار، كلّ مجتمع واقعي هو سيرورة زمنية" (In BENNOUNE. M, 2000 :65).

أما Herrskovitz . M.J (1963) فقد أعطى تعريفا ميّز به بين الثقافة والمجتمع، حيث قال: "الثقافة هي طريقة عيش شعب معيّن، في حين أن المجتمع هو مجموعة منظّمة من الأفراد الذي يتّبع طريقة عيش معيّنة" (In MEGHARBI . A , 1986 : 13).

من جهته عالم الاجتماع الفرنسي A Cuvillier (1963) تحدّث عن الثقافة بربطها بمصطلح الحضارة فقال: "هي نظام أفكار، معارف، تقنيات، أنماط سلوكية، اتجاهات، التي تُميّز مجتمع معيّن"، وأضاف: "الحفاظ أو اكتساب الثقافة هي سيرورة اجتماعية وليست بيولوجية، ولهذا السبب يتمّ أحيانا استعمال مصطلح الموروث الاجتماعي بدلا من حضارة" (In MEGHARBI . A , 1986 : 13).

أما Pieron . H العالم الذي قضى سنوات عديدة من حياته في مخابر علم النفس اقترح التعريف التالي: "هي مجموع الأفعال التي تضمن التنشئة الاجتماعية للأفراد خلال نموهم، اندماجهم داخل الجماعات" (In MEGHARBI . A , 1986 : 14).

وأشار من جهته Cohen . Y: "الثقافة هي الوسيلة الأكثر أهمية لتكّيف الإنسان. ومن أجل المحافظة على علاقة قابلة للاستمرار وللحياة مع المحيط الإنساني. الثقافة هي جزء مُدمج للإنسان وهذا الأخير لا يستطيع التواجد دونها، هو أوجدها، صنعها، استعملها وتأثّر بها" (In BENNOUNE. M, 2000 :68). وأضاف حول تعيّرهما ودور الانسان في ذلك: "الثقافة تتغيّر ومع كلّ تغيير لها في جماعة إنسانية، فإنّ الأفراد المكوّنين لتلك الجماعات يعيشون تحولات في السمات والصفات النفسية وعلاقاتهم الاجتماعية من أجل القيام باستخدام وتبني

الشكل الجديد للثقافة" (In BENNOUNE. M, 2000 :68). وأضاف أنّ من خصائص الثقافة أنّها "غير منعزلة ولا ساكنة، بل إنّها دائما في تغيّر" (In BENNOUNE. M, 2000 :70).

حسب Berque . J "الثقافة هي الماضي الذي يُحافظ عليه الحاضر من أجل المستقبل" (In KACHA . F, 2011 : 353). أمّا بالنسبة لـ Descartes "الانسان هو الوحيد الذي يكون فاعل (sujet) و موضوع (objet) بالنسبة للثقافة (...)" (In KACHA . F, 2011 : 353).

من ناحيته Linton . R عرّفها بأنّها: "تنظيم السلوكات المكتسبة ولنتائج تلك السلوكات، أين تكون العناصر المكوّنة لها مشتركة و منقولة من طرف أعضاء مجتمع معيّن" (LINTON . R , 1968 : 33).

في حين أشار المفكر الجزائري مالك بن نبي إلى أنّ: "الثقافة لا تضمّ في مفهومها الأفكار فحسب، وإنّما تضمّ أشياء أعمّ من ذلك كثيرا، تخصّ أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخصّ السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى" (بن نبي . م، 2013 : 13).

يُمكن استنتاج أنّ مفهوم الثقافة يُعطي مجموع المعارف المكتسبة، السلوكات والاعتقادات التي تكون فردية بقدر ما هي مشتركة، جماعية، موحّدة وشاملة، وبهذا "تتمثّل الثقافة في طريقة عيش الفرد داخل مجموعة اجتماعية، ثمّ الجماعة داخل المجتمع" (KACHA . F, 2011 : 352). كما ينبغي التأكيد على أنّ "الثقافة تطبع الأمة بطابع خاصّ يُميّزها عن غيرها ويُحدّد شخصيتها وهويتها، لكلّ أمة ثقافة تختصّ بها، (...) وهي تؤثر في سلوك الإنسان، أفرادا وجماعات كما تؤثر في نظام حياته واتجاهاته" (التميمي . ع.خ وآخرون، 1988 : 10).

وكتعقيب وخلاصة لكلّ التعاريف المذكورة والتي يُكمل بعضها بعضا يُمكن القول أنّ الثقافة هي: كلّ المعطيات التي تُميّز كلّ مجتمع عن الآخر من تاريخ، دين، اقتصاد، معتقدات، عادات وتقاليد، اللغة، الأفكار والمعاش اليومي، فهي كلّ الأسس التي تبني المجتمع. الثقافة هي مجموع التعريفات حول الانسان، الزمان، المكان

والكائنات الحية الأخرى، من حيث أنّ تلك التعريفات تُحدّد وتُتميّر بين ما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون، على أنّ هذا التمييز يُوجّه بطريقة معيّنة التفكير، التحقيق والتعبير، من هنا نُدرك نسبة المعاني التي تُكوّن الثقافة.

وقبل الانتقال إلى عنصر آخر يجب الإشارة إلى ثلاث ملاحظات مهمّة أشار إليها A. Megherbi في مرجعه والتي يجب ذكرها من أجل تفادي الغموض واختلاط المصطلحات.

أول ملاحظة هي أنّ مصطلح ثقافة ليس مرادفاً للتهذيب أو العادات الحسنة ولا للنشاطات الفكرية. تشكّل الثقافة ظاهرة عالمية من خلال تواجدها في مختلف المجتمعات الماضية والحاضرة، "كلّ التعاريف تُبرز بوضوح أنّ الثقافة هي السمة الحقيقية والواقعية للاتحاد بين المجتمع من جهة (المحيط بالتحديد) والفرد من جهة أخرى" (MEGHARBI . A , 1986 : 14). وعليه فإنّه لا يُمكن فهم الفرد دون إحالته إلى الوسط الذي يعيش فيه والعكس.

ثاني ملاحظة تكمن في أنّ الثقافة هي فعل موضوعي، بمعنى مستقلّ عن إرادة الفرد ويُحدّد في مجال واسع وجوده كعضو ينتمي إلى مجتمع معيّن. يُمكن في حدود معينة تغيير الثقافة، ولكن في الواقع يكون صعباً إن صحّ التعبير إذ أنّه يبقى دائماً ما هو أساسي ومهمّ في العمق ولا يتغيّر عبر الأجيال. كما أنّ التغيير في حدّ ذاته لا يتمّ تحقيقه في أرض الواقع إلا إذا كانت نوعية الثقافة التي ينتمي إليها الفرد تسمح بذلك. فمثلاً التبشير الثقافي لا يُؤدّي إلى حدوث تغيير كليّ أو جذري، فهو يُؤثر في بعض العناصر فقط في الثقافة الأصلية.

يتعلّم الفرد في بعض المجتمعات أن يعيش دون طرح أيّ سؤال أو تقديم أيّ رأي فيما يتعلّق بملاءمة أو عدم ملاءمة قاعدة أو نظام ثقافي. يجد الفرد صعوبة إذا ما حاول تغيير بعضاً من ثقافته لأنّه نشأ عليها وتشكّل في داخلها، بمعنى آخر الثقافة تفرض نفسها عليه وهذا ما أشار إليه E. Durkheim : "لا يجب أن ننس في الواقع



أنّ المجتمع (الذي يُشكّل ركنا ودعامة ومصدرا للثقافة) يسبقنا في الوجود ولا يموت معنا" ( In MEGHARBI , 1986 : 15 ).

وآخر ملاحظة تكمن في كون مصطلح الثقافة ليس مرادفا لمصطلح حضارة عكس ما أشار إليه البعض مثل Cu villier . A ، عموما مصطلح حضارة يُستعمل من أجل " وصف وتمييز ثقافة ذات مستوى عالي، إذن الحضارة هي ثقافة راقية أو عالية (La haute culture) والتي تُشكّل الانسان المتحضّر" ( . MEGHARBI , 1986 : 15 ).

وحسب Megherbi . A إنّ مفهوم الحضارة لا ينطبق على مجتمع معين، وإنما على مجموعة من المجتمعات.

## 2-2- أنواع الثقافة:

يوجد عبر العالم نوعين من الثقافة هما:

- الثقافة المكتوبة: هي التعريفات الثقافية التي تنتقل عبر الأجيال بشكل مدوّن، ونذكر منها العلوم المختلفة والنظريات والقوانين وهي تعتمد على مبدأ الحس النقدي، ويشير هذا الأخير إلى ضرورة مراجعة الإجابات وذلك بطرح أسئلة جديدة، والغرض من هذا المبدأ تنمية مهارات الذات الفكرية والتحقيقية والتعبيرية. ويعتبر الناقل الرئيسي لهذا النوع من الثقافة هو المعلم حيث أنّها مبنية على التربية، والمكان هو حاملها.

- الثقافة المنطوقة: هي التعريفات الثقافية المنقولة بشكل شفهي وهي لا تقبل المراجعة، أي أنّها تحتوي على إجابات مغلقة، لا تقبل السؤال الجديد، وتعتمد على مبدأ الحس المشترك حيث يشير إلى ضرورة الاتفاق والاصطلاح على إجابات معينة ثابتة يتم الرجوع إليها دون الاستفهام حولها وهي تسعى إلى إبقاء إنتماء أكبر عدد من أفرادها، والناقل الرئيسي لها هو الراشد، والزمان هو حاملها. " وذاكرة الثقافة المكتوبة تفوق ذاكرة الثقافة المنطوقة

ولها القدرة على مراجعتها، ويقوم كل من المعلم والراشد بنقل الثقافة المكتوبة والمنطوقة إلى المتعلم والطفل وذلك من خلال العلاقة العمودية" (عطا الشيخ . س.د، 2013 : 3).

## 2-3- محددات الثقافة:

الانسان كائن اجتماعي، إذ لا غنى له عن الحياة داخل المجتمع، فهو عاجز بمفرده عن تحقيق مختلف الإشباعات لحاجاته ورغباته، ولهذا لا يعيش بمعزل عن أقرانه. غير أنّ الحياة في الجماعة تتطلب تنظيم سلوك أفرادها وعلاقاتهم عن طريق وضع نظام وقواعد تُبين لكل منهم ما له من حقّ وما عليه من واجب لمنع أي تداخل بين المصالح، الأدوار والأماكن والأمكنة، كلّ هذا من أجل تجنّب الفوضى واختلال التوازن. فلو انعدم مثل هذا التنظيم لسادت الفوضى، ومن أجل الحفاظ على النظام داخل المجتمع هناك مجموعة من المكونات أو العناصر التي تُساهم في ضبط هذا النظام من جهة، والتي تساهم أيضا في تحديد الثقافة التي ينتمي إليها الفرد من جهة أخرى.

## 2-3-1- الدين:

هو مجموع القواعد والنظم السماوية والتي لا يكون للبشر العاديين دخل في وضعها، وفي ثقافتنا هو الدين الإسلامي أو الشريعة الإسلامية والتي هي: "مجموع القوانين القرآنية للإسلام المفروضة على المسلم في ميادين عديدة: قضائية، اقتصادية، اجتماعية، ... تمّ تحديدها من خلال نصوص عديدة: القرآن والحديث والسنة" (HAMZA . B, 1998 :1). ومن خلال الدرن يتم استنباط مختلف القواعد والضوابط والأخلاق والقيم والمبادئ التي تضبط الحياة داخل المجتمع. كما أنه من خلال الدين وممارسة مضمونه يمكن تحديد إلى أي ثقافة ينتمي الفرد، فالدين هو أحد أهم عناصر الثقافة.

## 2-3-2- اللغة:

وهي أهم عنصر ثقافي وهي تُمثّل أهم جوانب الحياة النفسية والاجتماعية، فهي أساس تكوين العلاقات الاجتماعية ووسيلة التواصل بين الأفراد، إضافة إلى أنها أداة نقل وتنمية التراث من جيل إلى جيل وبين أفراد الجيل الواحد، كما أنّ من أهم وظائف اللغة أنها "وسيلة التعبير عن المفاهيم وتحديدها. ولهذه المفاهيم دور مهم في تنمية العلاقات الاجتماعية وتدعيم الصلات. وترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً وثيقاً، فاللغة أداة التعبير عن الفكر وأساس تنظيمه وتنميته. فالألفاظ في اللغة رموز تُعبّر عن معانٍ ومفاهيم، ومحمّلة بشحنات نفسية وانفعالية" (فرج . ع. ط، دون سنة: 384-385).

## 2-3-3- الرمز:

الرمز هو كذلك من أهم العناصر الثقافية وله ارتباط وثيق بعنصر اللغة، وهو في معناه العام "أيّ شيء يحيل إلى شيء آخر، أو يقوم مقامه أو يدل عليه، فهو من هذه الناحية ما يرتبط بالموضوع الذي نوّد الكشف عن فكرته، وهو من ناحية أخرى مصطلح يُطلق على موضوع مرئي يُمثل تشابهاً غير مرئي" (فرج . ع. ط، دون سنة: 215). وهذا يحيل إلى أنّ الكلمات هي في حدّ ذاتها رموز، حيث يحاول الإنسان استخدام كلمة معينة ليعبّر عن معنى يريد نقله إلى الآخر.

ويشير Cassirer في كتابه "مقال في الإنسان" (1944): "إنّ الرمز بما هو مبدأ لهو تلك الكلمة السحرية التي تنتقل بقائلها إلى العالم الإنساني والحضارة الإنسانية، الإنسان" (ورد في فرج . ع. ط، دون سنة: 215)، وكأنّه يريد القول أنّ الإنسان في الأصل كائن رمزي وبالتالي الرمز هو شامل وكثير التنوع. ويرى Yung والذي احتلّ مصطلح الرمز مكاناً أساسياً في نظريته في علم النفس التحليلي أنّ: "ما ندعوه بالرمز إنّما هو مصطلح، أو اسم، أو حتى صورة ربّما كانت مألوفة في حياتنا اليومية، وهو ما ينطوي على شيء خفيّ وغامض ومجهول

بالنسبة لنا" (فرج . ع.ط، دون سنة: 215). وهذا يعني أنّ ما يعيشه الفرد من أعراض إنّما هي رمز غامض يتطلب من المعالج توضيحه لفهم العرض وتجاوزه.

#### 2-3-4- القانون:

إنّ أصل كلمة قانون يرجع إلى اللغة اللاتينية، فهي كلمة معرّبة أخذت من الكلمة اليونانية Kanun أو من اللغة اللاتينية Kanon ومعناها العصا المستقيمة. ولهذه الكلمة في هاتين اللغتين معنى مجازي يدل على القاعدة أو النظام أو المبدأ و الإستقامة في القواعد القانونية (جعفور . م.س، 2011: 13). وعموما تُستعمل كلمة قانون للدلالة على مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك الأفراد داخل المجتمع وتُنظّم وتضبط علاقاتهم داخله، وقد تكون هذه القواعد مكتوبة أو غير مكتوبة، وذلك دون اعتبار لمصدرها، "إذ أنّه يمكن أن يكون مصدر هذه القواعد التشريع الذي تضعه السلطة المختصة في الدولة أو يكون مصدرها أحد مصادر القانون المعترف بها رسميا كمبادئ الشريعة الإسلامية والعرف" (جعفور . م.س، 2011: 13).

#### 2-3-5- قواعد السلوك:

هذا العنصر له علاقة وطيدة مع العنصر السابق ألا وهو القانون، لأنّه في الغالب تكون هذه القواعد مستمدّة منه، ويمكن تعريفها على أنّها: "قواعد تُنظّم سلوك الأفراد وتحكم علاقاتهم في المجتمع وتهدف أساسا إلى تنظيم حقوق الأفراد وحمايتهم، وذلك عن طريق تحديد مجال خاص بكل فرد من شأنه أن يمنع تدخل الآخرين" (جعفور . م.س، 2011: 7).

#### 2-3-6- العادة:

هي سلوك مكتسب، يقويه التكرار والممارسة، بحيث يؤدي هذا التكرار إلى سهولة أداء السلوك بتلقائية. وهي تتمثل في العادات اليومية التي يقوم بها الفرد من أجل قضاء شؤون الحياة اليومية مثل المأكل وارتداء الملابس،

وتنظيم الأشياء. وغالبا ما يكون هذا السلوك ومصحوب بتعزيز الفرد الذي يؤدّيه. وقد أشار عماد .ع. غ في كتابه إلى أنّ العادات تنقسم إلى عادات فردية وأخرى جماعية.

- العادات الفردية: وهي "ظاهرة شخصية يمكن أن تتكوّن وتُمارس في حالات العزلة عن المجتمع. ويكاد الانسان يكون مجموع عادات تمشي على الأرض، بل إنّ قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته" (عماد .ع غ، 2006: 152-153). وهذا يُقصد به أسلوب الحياة أو طريقة العيش التي تتضمن مختلف ما يمارسه الفرد من عادات يومية مثل طريقة الكلام، المشي، الأكل، الشرب، الجلوس، الرياضة، التهذيب وغيرها من العادات، والتي يسعى الفرد من خلالها إلى تحقيق التكيف مع محيطه. وأضاف عماد .ع غ أنّ: "العادات الفردية لا تستمرّ إلا لأنها تقوم بوظيفة، فهي تُسهّل العمل المعتاد وتجعل تكراره سهلا، وهي أيضا تؤدي إلى قيام الإنسان بأعماله في زمن أقلّ وبتكرار أقلّ، فالكتابة والكلام والمشي يحتاج في البدايات إلى وقت وتركيز لن يحتاج إليه فيما بعد" (عماد .ع غ، 2006: 153).

- العادات الجماعية: هي "مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها" (عماد .ع غ، 2006: 153). وهنا يتفق أفراد الجماعة على طريقة معيّنة لممارسة فعل ما فيصبح إجباريا عليهم جميعا ممارسته بنفس الطريقة. وبالتالي فإنّ العادة الجماعية تنشأ وفقا للظروف المشتركة التي يعيشها أفراد مجتمع معيّن بحيث يمارسها عدد كبير منهم، ويصبح من غير الممكن خروج الأفراد عن نطاق هذه العادات الجماعية وإلا سيكون تمرّدا. نجد من ضمن هذه العادات الجماعية ما هو مفيد للحياة ولوحدة المجتمع وتعزيزها، وكذا تقوية علاقات أفرادها ببعضهم، مثل آداب السلوك والحديث وغيرها، وكذلك نجد ما يعود على المجتمع بعواقب وخيمة مثل انتشار الآفات الاجتماعية. وحسب عماد .ع غ: "هناك من الأسباب والعوامل ما يُساعد على تقوية سلطة العادات الجماعية، منها صغر حجم المجتمعات وانعزالها، صرامة النظام العائلي فيها، وسيادة نظام الهرمية الطبقية" (عماد .ع غ، 2006: 153-154). إنّ العادات

الجماعية تحول دون التجديد بل وتميل للجمود حسب ما أشار إليه المؤلف، وهذا يُعتبر لدى البعض خاصية مهمة من أجل تحقيق استقرار المجتمع، من جهة أخرى هذه العادات هي قابلة للتطور والتغيير، "فقد انتقلت الأشكال الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد، وتطور نظام الأسرة من حيث الوظيفة والنطاق، وزادت موجات الهجرة الداخلية وتقدمت أساليب جديدة استخدم فيها الإنسان التكنولوجيا الحديثة، مما يؤدي إلى موت بعض العادات الاجتماعية القديمة ونشوء عادات فردية بديلة عنها" (عماد . ع غ، 2006: 154). بالتالي يتضح أنّ العادات الاجتماعية هي قابلة للتغيير وخصوصا تلك الخاصة بالأسرة وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

## 2-3-7- الأعراف:

استخدم مصطلح العرف في القانون، وهو "ما تعارف الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها" (عماد . ع غ، 2006: 154)، بمعنى اتفاق أفراد المجتمع على أمور معينة وجعلها بمثابة القانون أو القاعدة التي لا يجب تجاوزها. وأشهر تعريف يمكن تقديمه لها هو ذلك الذي قدّمه Summer حيث قال أنّ: "الأعراف هي تلك السنن الاجتماعية التي تدلّ على المعنى الشائع للاستعمالات والعادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار والقوانين وما شابه، وبخاصة عندما تحوي حكما" (ورد في عماد . ع غ، 2006: 154). إنّ من يخرج عن نطاقها من أفراد المجتمع يكون على خطأ ومن لا يتجاوزها فهو على صواب، إذ أنّها تُعتبر مصدرا من المصادر الأساسية للقانون وهي تحتلّ المرتبة الثالثة في بلادنا، وهناك من الدول من تحتلّ المرتبة الأولى أي هي تُعتبر المصدر الأول لتشريع المواد القانونية.

ذكر عماد ع. غ أنّ تكوّن العرف في ضمير الجماعة يكون بطريقة لاشعورية وبشكل تدريجي، وقد وضح ذلك بقوله: "قد يتبع شخص أو أكثر قاعدة ما في تصرفاتهم، حتى إذا ظهر صلاح تلك القاعدة أو اتفقت مع ظروف الجماعة وحاجاتها لجأ باقي الأفراد إلى اتباعها" (عماد.ع.غ، 2006: 155)، بمعنى أنّ الجماعة هي من تصنع العرف وذلك باتباعه لمدة طويلة، وترفض على أفرادها انتهاجه وتُعاقب من يعارضه.

2-3-8- التقاليد:

من الناحية اللغوية مصطلح التقليد (Tradition) هو مشتقّ من الجذر "قلّد"، وقلّدته قلادة أي جعلتها في عنقه ومنه التقليد في الدّين، بمعنى المحافظة على الأمانة وذلك بوضعها على العنق. من الناحية السوسولوجية يتمّ تعريف التقاليد بأنّها: "مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ عن الرضى والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معيّنة خاصّة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه، لهذا فهي تستمدّ قوتها من قوة المجتمع أو الطبقة أو البيئة التي توافقت عليها، وتفرض سلطتها على الأفراد باسمها" (عماد . ع غ، 2006: 155).

يعبّر مصطلح التقليد عن مدى ارتباط حاضر المجتمع بماضيه، كما يُشكل أساس مستقبله، وهذا المصطلح "يُعبّر عن ارتباط الإنسان الاجتماعي بترائه المادي-الروحي، ومحاولة بعثه من جديد عن طريق إعادة إنتاجه ماديا وروحيا، بإقامة الاحتفالات المعبّرة عن مناسبات معيّنة" (عماد.ع.غ، 2006: 155). يتميز كلّ احتفال منها بطابع خاصّ به من حيث الرموز والطقوس والسلوكيات، وينتهي إنتاج التقليد بانتهاء المناسبة ولكن يبقى راسخا في الأذهان واللاشعور الجمعي، ويتمّ إنتاجه في كلّ مرّة على مرّ الأجيال، لا يُمكن تجاهله في أيّ حال من الأحوال فهو يكتسي طابع التقديس لدى أفراد المجتمع. وهنا يمكننا التفريق بين العادة والتقليد بحيث أنّ هذا الأخير يقبله المجتمع رغبة في التمسك وإحياء سنن الأسلاف وليس لدوافع أخرى، كما أنّ العادات تتغيّر باستمرار بفعل الاحتكاك مع الآخرين أما التقاليد فهي ثابتة لا تتغيّر. كما يمكن تعريف التقليد بربطه بالعادة حسب ما قدّمه عماد . ع.غ: "التقليد هو عادة فقدت مضمونها ولم يعد من الممكن أحيانا التعرّف على معناها الأصلي، وإنّما يُمارسها الإنسان لمجرّد المحافظة" (عماد.ع.غ، 2006: 156).

### 2-3-9- الطقوس:

لهذا المصطلح مجالين يُمكن انطلاقاً منهما تقديم تعريف له، أولاً المجال الثقافي ويُمكن تعريفه حسب ما قدّمه عماد .ع.غ في مرجعه: "الطقوس هي مجموعة من الأفعال والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة موقرة أو مقدّسة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات" (عماد .ع.غ، 2006: 158). ثانياً المجال النفسي المرضي فالطقوس تُعرّف على أنّها: "سلسلة من الأعمال تتكرّر وتُنقذ على نحو قهري كدفاع ضد القلق أو للتخفيف من التوتر" (جابر .ع.ج و كفاي .ع، 1995: 3311)، هذا ما نلاحظه لدى الشخصيات الوسواسية أو لدى المصابين باضطراب الوسواس القهري، التي تكون من أجل التخفيف من القلق وتجنّب الشعور بالذنب التي تُولّدها الرغبات والاندفاعات المحرّمة حسب مدرسة التحليل النفسي. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ عماد .ع.غ ربط الطقوس بالشعائر بل وجعلها مرادفاً لها: "الشعائر جمع شعيرة، والشعيرة هي العلامة التي يتميّز بها الشيء عن غيره (...). والشعائر ليست إلا طقوساً اجتماعية (...). الوظيفة الرئيسية هي الوظيفة الرمزية، باعتبارها أداة تنظيمية للوحدة الجماعية" (عماد .ع.غ، 2006: 158).

### 2-3-10- التراث الشعبي:

يتمظهر التراث الشعبي من خلال عناصر كثيرة تتمثّل في: الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير، و يُقصد بمصطلح تراث بشكل عامّ العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل لآخر، وأهمّ محتوياته الفلكلور، حيث ظهر هذا المصطلح في سنة 1840 في اللغة الإنجليزية تحت اسم Folklore، وأول من استخدمه Thomas . W.J، وهو يتركّب من مقطعين Folk تعني الناس و Lore وتعني معرفة أو حكمة، وبهذا يعني هذا المصطلح حرفياً معارف الناس أو حكمة شعب، وهو يستخدم ليدلّ على العادات والمعتقدات والآثار الشعبية القديمة الماثورة. وقد أشار عماد .ع.غ إلى أنّه: "قد اختلفت مدارس الفولكلور حول تحديد



موضوعه، فمنها من قصره على الأدب الشعبي وبعضها حدّده في الحكايات الخرافية والأساطير، وبعضها الآخر ضمّ إليه طرائق الحياة الشعبية ونشاط الناس الثقافي والحضاري" (عماد.ع.غ، 2006: 159).

عندما نتحدث عن مصطلح فولكلور في مجتمعنا فإنّه يُحيلنا إلى مختلف الفنون العريقة والتي انتقلت عن طريق التقليد والمحاكاة أو النقل الشفهي. ولا يجب أن ننس المكان المهمّ الذي تحتله الخرافات والأساطير، والتي ظهرت عند العرب في عصر انحطاط الحضارة الإسلامية، ولكن كانت قد ظهرت قبلها بكثير لدى الحضارة اليونانية والرومانية والفرعونية، "نشأت عند البدائيين، ذلك أنّهم كانوا لا يصيغون الآراء عن مسببات الأشياء ودلالاتها، أو ما بينها من علاقات، بل تلك الآراء تمّ نسجها وتضمينها خواطر فلسفية عميقة عبّروا عنها بطريقة ذاتية ودرامية وتصويرية" (عماد.ع.غ، 2006: 159).

### 2-3-11- القيم والمبادئ:

وهما من عناصر الثقافة وغالبا ما يتمّ ذكرهما أو استخدامهما معا، ويُقصد بالقيم ذلك الهدف أو المعيار الذي له جدارته وقيّمته بالنسبة للفرد والمجتمع، وغالبا ما يقترن مصطلح القيم بالأخلاق، وحسب مدرسة التحليل النفسي "يتمّ تمثّل القيم الخلقية للمجتمع في الأنا الأعلى عن طريق التوحد مع الوالدين" (جابر.ع.ج وكفافي.ع، 1995: 4104)، ويُقصد بذلك من خلال تماهي الطفل مع الأب والأمّ أو أي نموذج اجتماعي آخر. على العموم تضمّ القيم "المفاهيم الخلقية والاجتماعية والجمالية والاقتصادية والدينية التي يتقبّلها فرد أو مجتمع على نحو صريح أو ضمّني" (جابر.ع.ج وكفافي.ع، 1995: 4105).

أمّا المبادئ فهي "قاعدة أو عنصر مميز، وهو بصفة عامّة حقيقة أساسية" (جابر.ع.ج وكفافي.ع، 1995: 2967)، هي أسس يتبنّاها الفرد ويتبعها ولا يحود عنها وتكون مقبولة اجتماعيا.

## 2-3-12- طريقة العيش:

تمّ التطرق إلى طريقة لعيش كعنصر ومحدّد من محدّدات الثقافة لأنّه تقريبا يجمع مختلف العناصر الأخرى، وعن طريقه يُمكن تحديد إنتماء فرد ما إلى ثقافة معيّنة، وهي تضمّ مختلف الأفعال والسلوكيات اليومية من طريقة المشي، الأكل، الجلوس، الكلام، التصرف، وغيرها والتي هي كلها استجابات لحاجات معيّنة، فهي "تركّب من عدد من الإنشاءات كلّ منها يلعب دورا محدّدا أو غير محدّد، بمعنى وظيفة تستجيب إلى حاجة مُعبّر عنها تكون إمّا ظاهرة أو خفية" (MEGHARBI . A , 1986 : 16). وهنا أعطى Megherbi . A مثال العائلة التي هي مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع وهي متواجدة في مختلف المجتمعات الأخرى في العالم ولكن "تبقى وظيفتها تختلف من نمط جماعي إلى آخر وذلك عبر الزمان والمكان" (MEGHARBI . A , 1986 : 16)، وأضاف مثلا آخر عن الفرد الذي تتمّ تنشئته داخل عائلة موسعة أو داخل عائلة نووية، "فرد يعيش في حضانة موسّعة لا يسلك نفس سلوك الذي يسلكه ذلك الذي يعيش في عائلة مصغرة نووية" (MEGHARBI . A , 1986 : 16). وهذا يعني أن طريقة العيش تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن عائلة إلى عائلة أخرى.

## 2-4- الثقافة الجزائرية:

تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر عن طريق الاحتكاك، فتتأثر بثقافات سبقتها أو عاصرتها، فقد تُضيف إليها عناصر وتتخلّى عن أخرى من خلال تعايشها مع تلك الثقافات التي تكون أكثر قوة وازدهرا، وبهذا يفتح أفرادها على مختلف الثقافات الأخرى وبالتالي يخرجون من الآفاق الضيقة في تفكيرهم

وأعمالهم. ومن جانب آخر يُمكن أن تصادم هذه الثقافة بثقافات أقل منها فتمدّها بما ينقصها، وفي كلا الحالتين يكون هناك تعايشا ثقافيا (Acculturation)<sup>(1)</sup> وبالتالي تبادلا ثقافيا.

إنّ للمجتمع الجزائري ثقافة تُميّزه عن سواه من المجتمعات، وهذه الثقافة هي نتاج لاحتكاكه بعدة ثقافات أخرى مختلفة. أشار طمار . م في مؤلفه إلى أصل الانسان الجزائري وطريقة عيشه منذ ظهوره التي لا تختلف عن الإنسان الأوّل البدائي في سائر أنحاء العالم، والذي بدأ في التطوّر تدريجيا عن طريق التفاعل والتبادل مع بني جنسه: "إنّ الإنسان في طوره الأوّل كان يشبه الحيوان، ولكن مع توالي الأيام، بزغ في عقله شعاع للوعي، فأخذت الأفكار تُلمّ بذهنه الساذج يشوبها شيء من الغموض ولكنّها لا تلبث أن تتضح عن طريق التجربة والتبادل بينه وبين غيره" (طمار.م، 2007: 10). تدريجيا تحسّنت طريقة عيشه وبلغ تحقيق حياة ناعمة داخل جماعة راقية.

إنّ من بين العوامل التي ساهمت في احتكاك الإنسان الجزائري بثقافات أخرى هو تمتّع هذا البلد بمناخ معتدل وأمطار وافرة، وموقع جغرافي استراتيجي، الأمر الذي جعلها قبلة يتوافد عليها الناس من كلّ الأقطاب إمّا للتجارة أو السياحة أو الاحتلال والإستلاء على خيراتها، كلّ هذا أدّى إلى الإختلاط بالشعوب الأخرى إلى أن أصبح الجزائري على ما هو عليه حاليا، حاملا لثقافة امتزجت ولا تزال مع العديد من الثقافات. إذا حاولنا معرفة أصل الفرد الجزائري وثقافته فإنّه يُمكن الرجوع إلى مؤلّف طمار.م الذي أشار فيه إلى ذلك وأكّد احتكاك هذه الثقافة مع ثقافات أخرى بقوله: "من بين السكان الأوائل للجزائر هم البربر الذين لديهم لغة تُعتبر عمادا لثقافتهم، ولكن هذه الثقافة البربرية أو الأمازيغية لم تكن في معزل عن الثقافات الأخرى بل احتكت مع ثقافات أخرى كالفيثيقين والإغريق، الرومان، الوندال والعرب والعثمانيين والاسبان والفرنسيسين" (طمار.م، 2007: 10)، وهنا

(1) التعايش الثقافي Acculturation: حسب قاموس Larousse هي سيرورة التي من خلالها فرد، مجموعة اجتماعية أو مجتمع يدخل في تواصل مع ثقافة مختلفة عن ثقافته و يستوعب جزء منها(KACHA . F, 2011 : 354).

يتضح لنا أنّ الثقافة الأصلية أو الثقافة الأمّ التي هي الثقافة الأمازيغية امتزجت وتعايشت مع ثقافات عديدة وأخذت من كلّ واحدة منها جزءاً أو عنصراً معيّناً يخدمها، وكانت اللغة هي أول عنصر ثقافي تأثر بلغات تلك الثقافات، خصوصاً اللغة العربية التي جاءت مع الفتوحات الإسلامية: "أهمّ ثقافة تفاعلت معها الثقافة الأمازيغية هي الثقافة العربية التي نقلها العرب عبر الفتوحات وكانت ثقافة عربية إسلامية" (طمار.م، 2007: 10). ولهذا في اللهجة الجزائرية نجد خليطاً من اللغات أولها الأمازيغية، العربية، التركية، الإسبانية، الفرنسية، وأخيراً الإنجليزية التي دخلت الثقافة عن طريق وسائل الإعلام وتدرّسها في المؤسسات التربوية والتعليمية. وسواءً الثقافة الأمازيغية أو العربية الإسلامية فإنّ ما يميّزهما أنّه كان يسودهما نظام أبوي وهذا ما يُحيل إلى الثقافة الأبوية، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً.

## 2-5- الثقافة الإسلامية:

تُعرّف الثقافة الإسلامية بأنّها: "المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سبباً في بحثها كعلم التوحيد والفقهاء والتفسير والحديث وعلوم القرآن وعلوم الحديث، وعلوم اللغة العربية ومصطلح الحديث وعلم الأصول" (التميمي.ع.خ وآخرون، 1988: 13). وترجع الثقافة الإسلامية بالأساس إلى الكتاب والسنة فعملهما اكتسبت جميع فروع الثقافة الإسلامية، وذلك بعدما نزل القرآن على الرسول لبيّنه للناس. وأمر المسلمون أن يأخذوا ما يأتي به الرسول، وأخذ ما أتى به لا يأتي إلا بعد فهمه وتعلّمه. فكان من نتيجة ذلك وجود المعارف التي اقتضاها فهم الكتاب والسنة. فنشأت أنواع المعارف الإسلامية وصارت الثقافة الإسلامية تشمل "الكتاب والسنة واللغة، والتفسير والحديث، ومصطلح الحديث والفقهاء وأصول الفقهاء والتوحيد والسيرة والتاريخ وغير ذلك من المعارف الإسلامية" (التميمي.ع.خ وآخرون، 1988: 13).

وبالتالي من مصادر الثقافة الإسلامية يوجد: القرآن الكريم، السنة النبوية، الإجماع، القياس، السيرة النبوية، الفقه، اللغة العربية، التاريخ الإسلامي، وكل ما توارثته هذه الثقافة عن الثقافة العربية التي كانت سائدة قبل ظهور الإسلام من عادات وتقاليد وأعراف وغيرها والتي لا تتنافى مع الدين الإسلامي.

### 3- النظام الاجتماعي:

لقد اهتم كل من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وكذا علم النفس الاجتماعي بهذا المصطلح، وقد حاولوا تعريفه انطلاقاً من دراساتهم في كل من تلك المجالات.

### 3-1- مفهوم النظام الاجتماعي:

النظام في اللغة يعني التأليف والجمع والاتساق، فهو كلمة تُطلق على كل شيء يُراعى فيه الترتيب والانسجام وهو يُشبه العقد في انتظام أحجاره بعضها ببعض. أما النظام اصطلاحاً فهو: "مجموعة القواعد والأحكام المتناسقة، المرتبة والمتفاعلة فيما بينها، أو هو "ضوابط الأعمال". فنظام أي دولة مثلاً يتكوّن من مجموعات من القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في تلك الدولة" (التميمي. ع. خ وآخرون، 1988: 119).

أما النظام الاجتماعي في الإسلام يُقصد به: "مجموعة من الأحكام الشرعية التي شرعها الإسلام لتنظيم علاقة الرجل بالمرأة، وما يتفرع عن هذه العلاقة وما ينشأ عن اجتماعهما من أمور، فالخطبة والزواج والطلاق، وحسن العشرة بين الزوجين، ومنع الخلوة بالأجنبيات، وحق حضانة الصغير، والولاية عليه، والنفقة، ونحوها، كل ذلك يُعد في النظام الاجتماعي" (التميمي. ع. خ وآخرون، 1988: 119). والنظام الإسلامي هو الأحكام والقواعد التي شرعها الإسلام لتنظيم أعمال الناس وعلاقاتهم المتعددة والمتنوعة والمنبثقة عن العقيدة الإسلامية.

### 3-2- أهمية النظام الاجتماعي:

من المسائل المهمة في حياة المجتمعات التي يهتمّ بها النظام الاجتماعي وبضبطها، والتي تُعتبر أكثر تعقيدا مسألتان هما:

- الصلة التي تربط بين الرجل والمرأة، وكيفية توطيدها وتنظيمها، وكيفية إيجاد التعاون والتكامل بينهما، وتبر هذه الصلة مسألة مهمّة وهي أشبه بالروح لحياة المجتمع، وهنا يدخل دور النظام الاجتماعي الذي يضبط هذه العلاقة، وهذا ما سنوضّحه في العناصر اللاحقة. وحتى النظام الإسلامي كان له اهتمام بمعالجة هذه الناحية: "فقد أخذت هذه المعالجة سورا كاملة من القرآن الكريم، وعددا كبيرا من الأحاديث (...). كما احتلت هذه المعالجة مجالا واسعا من مجالات النظم الإسلامية التي تعالج جميع شؤون الحياة" (التميمي. ع. خ وآخرون، 1988: 151-152).

- والمسألة الثانية، ترتبط بعلاقة الفرد بالمجتمع رجلا كان أو امرأة، وعلى أي وجه تكون العلاقة، لأنّ أي خلل في التوازن بينهما تكون له آثارا على الفرد والجماعة معا. ومثل المسألة السابقة فانظام الإسلامي اهتمّ بهذا الجانب: "أما حكم الإسلام في هذه العلاقة فيتمثل بما أقامه من توازن وتناسق بين متطلبات الفرد والجماعة" (التميمي. ع. خ وآخرون، 1988: 152).

### 3-3- أهمّ تحولات النظام الاجتماعي الجزائري:

إنّ التحولات التي اجتاحت النظام الاجتماعي الجزائري أدت إلى ظهور تعييرات على مستوى كلّ من المجتمع، العائلة و المدرسة وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي.

### 3-3-1- التحولات التي مسّت المجتمع:

تعرض المجتمع الجزائري بعد استقلال الجزائر في 1962 إلى تغييرات مهمة، حيث تم تسجيل هجرة نسبة مهمّة تُقدّر بالآلاف من سكان الريف نحو مجتمعات سكنية حضرية، أين سكنوا في مباني فاخرة تم إخلاؤها من طرف المستعمرين الفرنسيين. هذا التنقل أحدث تحولات اجتماعية أدت إلى ظهور مجتمع جديد. أدى ذلك إلى "تفكك التجمّعات العائلية وتفريقها، وأحدث تغييرات في العلاقات بين الجماعات وفي الاتجاهات إزاء الجيران الجدد والأقارب المقيمين في القرى" (ADDI . L, 1999: 10).

بعد هذه الهجرة من الريف إلى المدينة استقبلت تلك الأحياء المسكونة حديثا عائلات من أصول ومناطق مختلفة، لا يمتون لبعضهم بصلة قرابة. وهذا ما أدى إلى تغيير العلاقات وأصبح كلّ سكان منزل لا يعرفون أهل المنزل المجاور، وكثير الأطفال على هذه الطريقة الجديدة وبالتالي لم يعد هناك من يراقبهم في الشارع ما عدا أهاليهم، وفقد نمط التربية الجماعي الذي كان سائدا في السابق في الريف في ظلّ النظام الأبوي. وكلّ ذلك أدى إلى اختلاف في إقامة العلاقات والمعاملات داخل الحي الذي ينتمي إليه الفرد وفي حيّ آخر، وهذا ما ذكره ADDI . L : "حتى إن كان الشّاب يحترم قواعد أهل حيّه ويأخذ بأرائهم، إلاّ أنّه يُخالف قواعد حيّ آخر، وحتى لو لم يقيم بشيء سيء في حيّ آخر فإنّ أهله يشكّون فيه ولا يثقون به" (ADDI . L, 1999: 11).

كما تجدر الإشارة إلى أنّه لو قمنا بمقارنة بين الحاضر والماضي القريب، فإننا سنجد كيف أنّ كلّ المؤسسات الاجتماعية الثقافية تعرضت إلى تغيير تدريجي فيما يتعلّق بالقيم الاجتماعية. فالقيم التي أقامت الرابطة الاجتماعية وسهّلت طرق العيش مع الاندماج الاجتماعي، والتي ليس بعيدة كانت هي المنظّمة للمجتمع مثل الطاعة، الصدق والأمانة، الحياء والتضامن، كلّها طرأ عليها التغيير. ما كان في الماضي من قيم فقدت طابعها المقدّس والمحترم. وبمحاولة إعادة تقدير وتقييم الحقيقة الاجتماعية الحالية فإنّ تلك القيم أصبحت مُلغاة ومُهملّة وذلك بسبب عدم تكيفها مع الاستراتيجيات السلوكية للحياة الراهنة. وهذا أدى إلى ظهور قيم جديدة مثل الشطارة وجودة

التصرف، الانتهازية، المخاطرة والجرأة والتهور. وأغلب هذه السمات الجديدة لا تأخذ بعين الاعتبار المبادئ الأخلاقية. هدفها هو الانتفاع الفردي من الظروف الحالية، الاستفادة من نقائص النظام والمنافسة. وهنا يصبح حسب ما ذكره H. Fsian من الواجب على الفرد "التكيف مع هذه القواعد الجديدة، هذه الأخيرة على عكس القيم التقليدية ليس لديها أي قدرة منظمّة وهنا لا يتمّ الأخذ بعين الاعتبار والاهتمام بالآخر، وبالتالي تُؤدّي إلى إقامة نمط علائقي إنساني تكون فيه المنفعة المادّية الفردية هي المهيمنة" (FSIAN . H, s.a : 30).

### 3-3-2- التحولات التي مسّت العائلة:

لا يُمكن بل من الصعب عزل العائلة عن المجتمع وعن المجموع الاجتماعي الذي تندرج فيه، والذي تعتبر بالنسبة له كخلفية أساسية في تكوينه، وأي تغيير يطرأ على المجتمع يؤثر فيها ويحدث تغييراً على مستواها. يُؤلّد الفرد داخل عائلة والتي من خلالها تتمّ تنشئته اجتماعياً، بمعنى أنه يستقبل ثقافة، لغة، إحساساً وإدراكاً للآخر. هذه الثقافة وهذه اللغة ليستا متعلّقتين بالعائلة بالخصوص بل إنّهما حدث اجتماعي. "ما يُميّز المجتمع الإنساني هو الرابطة الاجتماعية، الرابطة التي تُوجّد الأفراد خارج الجماعات العائلية والتي تُعطي لهم الإحساس بالانتماء إلى وحدة مشتركة أين يتقاسمون نفس القيم" (ADDI . L, 1999: 13).

ما كان يُميّز المجتمع الجزائري أنه كان يسوده نظام أبوي، فهو مجتمع ذو ثقافة أبوية التي اختلفت بعض معالمها حالياً، وقد أشار Addi . L إلى أنه يوجد تغيير واستمرار للثقافة الأبوية. حيث أنّ بالرغم من التحولات الاجتماعية التي طرأت بعد الاستقلال إلا أنّ الثقافة الأبوية هي دائماً موجودة على مستوى اللاشعور والذهنية بشكل رمزي. ولكنّ في نفس الوقت، هذه الثقافة الأبوية ليست نفسها أين نجد "تنصيب الأمّ على حساب الأب في التسيير اليومي واتّخاذ القرارات المهمّة مثل: الزواج، الطلاق، شراء الأثاث، حيث أصبحت هناك نشاطات وأفعال أين القرارات تعود للأمّ" (ADDI . L, 1999: 14)، وهذا ما يصبّ في موضوع دراستنا.



الثقافة خالدة ولا زالت باقية ولكنّ الأدوار تعيَّرت: "مقدرة (Pouvoir) الأب انحطَّت وخارت وتلك الخاصَّة بالأمّ تأكَّدت وأثبتت نفسها" (ADDI . L, 1999: 27). في هذه الثقافة يُرَكِّز أفرادها على الإنجاب و ذلك لتوسيع العائلة و دائما ما نسمع "ابن فلان" أي هذا الشَّخص هو ابن كذا، وهذا يشير إلى أنَّه العنصر الذي يحمل اسم العائلة و ينقله إلى أبنائه و هكذا: "يتركَّب المجتمع الجزائري انطلاقا من المسلمة التي من خلالها المجتمع هو مجموع رجال يتبادلون ويتفاعلون مع نساء من أجل الإنجاب وتمير أسمائهم ونفوذهم إلى النَّسل بتخليد ذكرياتهم، انطلاقا من التَّقليد (Tradition)" (ADDI . L, 1999: 14).

تبعاً لما سبق ذكره فإنَّ العلاقات التي كانت تربط بين الأب والابن، الزوج والزوجة، الأب والبنات، تعيَّرت كلياً بسبب التحوُّلات التي طرأت على المجموعات الاجتماعية. لكن مع ذلك يجب الإشارة هنا إلى أنَّ: "البنات القديمة لا توجد، ولكنَّ التصرُّوات الثقافية لم تختلف بعد" (ADDI . L, 1999: 17). بمعنى في هذه الحالة يجد الفرد نفسه أمام تحقيق الفردانية والعائلة النووية، ومن جهة أخرى أمام خياله الاجتماعي المتميِّز بالثقافة الأبوية والانحصر على العائلة التناسلية من أجل الحفاظ على اسم العائلة.

يُمكن القول أيضاً بأنَّ التمثلات المرتبطة بالوجه الأبوي هي أيضاً تعيَّرت. إنَّ آباء الجيل الحالّ من المراهقين تربُّوا وسط التقاليد التي ورثوها عن الجيل السابق والذين كان لديهم الطاقة لتميرها للأحقيين. "إنَّ التعليمات الأخلاقية والقواعد التي اشتملتها التقاليد أصبحت دون تأثير وبلا قيمة وأصبحت بعيدة عن الحقيقة التي نعيشها. أفراد الجيل السابق وجدوا صعوبات في التكيّف مع التحوُّلات الاجتماعية الراهنة" (ADDI . L, 1999: 18)، فإذا تحدَّثنا عن رجل من مواليد الثلاثينيات أو الأربعينيات، فإنَّه يتعجَّب للتطوُّرات التي طرأت، مثلاً لا يتكيّف بسرعة مع العيش في المدينة لأنَّ العلاقات والأدوار تعيَّرت. مثلاً أصبح الابن لا يخجل من الحديث مع زوجته في حضرة أبيه بعدما كان فعل ذلك مُخجلاً في وقت هذا الشيخ، قد يتفرَّج الابن التلفاز مع أبيه وزوجته، أصبحت المرأة ترفع من صوتها ولا تخجل من الرِّجال الغرباء، تُعيِّر ملابس ابنها أمام حماها، حيث قديماً كان وجه

المرأة يحمرّ عندما ترى والدها أو أخوها أو زوجها ولا تلتقي معهم إلا عند الضرورة. ولهذا "حسب الجيل الماضي الجيل المعاصر فقد وأضاع معنى القيم والنضج وتجاهل أصول الأدب والأخلاق" (ADDI . L, 1999: 19).

كان يعيش الأفراد في الريف داخل عائلة كبيرة تُسمّى العائلة الأبوية، والتي كانت تعيش في منزل واحد كبير، وبعد نزوح إلى المدينة وإقامتهم في شقق، حقّقوا بذلك عائلة نووية ولكن هم أنفسهم أنجبوا أطفالا الذين سينجبون هم أيضا أطفالا وهكذا يوسعون العائلة النووية. وبعد كلّ هذا أصبح أعضاء العائلة الذكور سواءً راشدين أو أطفالا يضلّون خارج المنزل في الشارع ولا يعودون إلى المنزل إلا للأكل والنوم. بالنسبة للنساء هنّ "مُجَبَّرات على التواجد داخل فضاءات ضيّقة أين تكون الصراعات بين أمّ الزوج والزوجة وأخوات الزوج لا تُحتمل، وهذا ما يُفسّر زيادة نسبة الطلاق أين تُفضّل المرأة العودة إلى بيت والدها" (ADDI . L, 1999: 20). في حين في الريف كنّ يقضين معظم الوقت بل كلّ في الفضاء الداخلي دون أي صراعات. سنفضّل في هذا الجانب لاحقا.

### 3-3-3- التحوّلات التي مسّت المدرسة:

إنّ من مؤسّسات التنشئة الاجتماعية التي مسّها التحوّل، والتي لا يُمكن المرور دون الحديث عنها لأنّها لعبت منذ ظهورها دورا حاسما ومهما ليس فقط في تطوّر المجتمع ككلّ، ولكن أيضا في ظهور هذه المرحلة المسماة مراهقة، ولها أيضا دخل في امتدادها إلى سنّ متأخر تدريجيا، إنّها "المدرسة". يُمكن اعتبار فترة التعليم الطويلة أكثر فأكثر التي تفرضها المدرسة أنّها تدخل في إطار المساعدة على تجاوز هذه المرحلة الصعبة من النمو. إنّ النجاح في الامتحانات يُمكن مقارنته واعتباره بمثابة نجاح في طقوس الانتقال التدريجي الذي نظّمته المجتمعات التقليدية سابقا من أجل تحمّل المرور من حالة بيولوجية للمراهقة إلى حالة اجتماعية لرجل أو امرأة. و لكنّ هذا له جوانب سلبية حاليا لأنّ "الشابّ لا يُحيدّ قضاء وقته في الدراسة، لأنّه يعرف أنّه سيواجه في نهاية المطاف البطالة، و إنّما يتوجّه لتعلّم مهارة اجتماعية عملية تُكسبه المال، و هذا ينتشر أكثر وسط فئة الذكور، لأنّ وراءهم تحمّل مسؤولية: التكفّل بعائلة" (Fsian . H, s.a :30).

أما فيما يخصّ الفتيات، ففي أيامنا هذه، إنّ بحجّة التمدن، ودخول المرأة للعمل والحصول على أجر، فإنّ ذلك أدّى بالخلية العائلية إلى إعادة التنظيم، أين نجد مثلا التمدن طويل المدى وعمل المرأة في الفضاء العمومي ترتّب عنه تأخّر في سنّ الزواج، حرية اختيار الزوج وتحديد حجم العائلة. إنّ فئة المراهقين خصوصا الذكور لديهم ميول إلى عدم إدراك أهمية الدراسة، لأنّ المدرسة فقدت معناها ودورها المتمثل في الترقية الاجتماعية وازدهار الشخص بسبب طول سنوات الدراسة. فئة كبيرة من المراهقين الجزائريين لا يُمكنها إدماج الدراسة في مشروعها الشخصي. وبهذا فإنّ "هذه المؤسسة الرفيعة على المستوى الفردي و الجماعي هي غير قادرة على القيام بالمهمّة التي خُلقت من أجلها: المساهمة في نضج الفرد و إدماجه" (Fsian . H, s.a :30).

#### 4- العائلة:

تعتبر العائلة من بين المؤسّسات الاجتماعية الأكثر أهمية في المجتمع، والتي لها دور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية.

#### 4-1- تعريف الزواج:

الزواج هو الفعل الذي من خلاله يلتقي نصفا المجتمع، جزءان أساسيا مختلفان، وغالبا متعارضان، اللذان يجب عليهما من خلال هذه الوسيلة تحقيق تكاملهما، وهذا شرط أساسي لبقاء ودوام المجتمع. إنّ مؤسس على قانون يُنظّم ويُقنّن الجنسية. من وجهة نظر اجتماعية يُعرّف على أنّه "يُشكّل مفتاحا للإنتاج العائلي والاجتماعي، إنّهُ مُنظّم في المجتمعات التي تجهل موانع الحمل بوسائل اصطناعية" (SEGLIN . M, 2004 : 116).

في المجتمعات القديمة كان يمثل الزواج العنصر الأساسي في الاستمرارية العائلية، واختيار الزوج كان مُسيّرا من خلال مجموع ميكانيزمات اجتماعية وأهمّها الزواج المقرّب: يتعلّق الأمر بقرب في الفضاء الاجتماعي والجغرافي أو وجود القرابة العائلية. وهذا ما كان سائدا في المجتمعات العربية، حيث تُعدّ المرأة العربية هي العمود الرئيسي في الزواج: من خلاله تبلغ مكانة (Statut) راشد كما أنّها تفوز بحق الإخصاب. إنّ الحدث الأكثر أهمية

في حياتها حيث تُربى داخل إجلال الزواج واعتباره مثل قمة يجب بلوغها ومثل هدف نهائيّ لحياتها يجب تحقيقه. تهتمّ الفتاة بتركيب الجهاز (Trousseaux) وتنتظر الزوج منذ الطفولة، كما تعتقد أنّ الحياة تبدأ في اليوم الذي تزوج فيه. يستلزم في هذا الفعل الخاصّ باتّحاد شخصين وعائلتين اللجوء إلى طقوس المرور، التي تتعلّق خصوصا بالفتاة لأنها تُغيّر العائلة والمكانة (Statut) في آن واحد: "سُتُنقل من عائلة أبيها، يجب أن تتحمّل التغيير العميق الذي يتضمّن محاولة الاندماج داخل عائلة أخرى. إضافة إلى أنّها يجب أن تمرّ من حالة عذراء إلى تلك الخاصّة بامرأة: زوجة" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 73). كما يُمثّل الزواج بالنسبة للمرأة هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ مكانة (Statut) اجتماعية معتبرة: أمّ محترمة من قبل الآخرين لمجموعة من الأولاد الذين من خلالهم تحصل على القدرة للتحكم داخل المنزل.

#### 4-2- العلاقات بين الرجل و المرأة: الزواج:

يستلزم الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة العودة إلى وصف هذه العلاقة في النظام التقليديّ. في هذا الأخير طفولة ولد صغير تكون موضوع اهتمام كبير حتى يكبر كما يتمتّع بحرية كبيرة لا تحظى بها الفتاة، فهي غالبا ما تُوجّه إلى القيام بمساعدة الأمّ في أشغال المنزل أو أنّها تهتمّ بإخوتها الأصغر كبديلة للأمّ. في مجتمعنا التقليدي، إنّ العلاقات ولد/بنت لا تتعدّى سنّا معيّنا من العمر، فغالبا ما يلتقيان في طفولتهما في اللعب ولكنّ في سنّ معيّن يتمّ الفصل بين الجنسين، ويُوجّه كلّ جنس إلى المهمة الموكلة إليه. بعد ذلك تصبح "أول علاقة محقّقة بين الرّجل والمرأة اللذان تمّ فصلهما في مجالين مختلفين (الدّاخل و الخارج): المؤنّث والمدكّر هي تلك الخاصّة بالزواج" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991 : 346). وغالبا ما تربط الرّوجان صلة القرابة.

يتميّز الزواج في النظام التقليدي بخاصية فريدة وهي أنّ هذا الزواج يكون باتّحاد عائلتين وليس فردين، و يقول في ذلك Le Tourneau . T : "الزواج الغربي هو نتيجة لاتّخاذ قرار بين فردين... ولكن الزواج في فاس

كما في باقي كلّ البلدان الإسلامية الزواج هو تحالف بين عائلتين قبل أن يكون اتحاد رجل و امرأة" (In EL KHAYAT . GH, 1988 : 73).

إذن الزواج هو اتحاد عائلتين ثمّ اتحاد رجل وامرأة، ويكون ذلك تبعا لطقوس تقليدية والتي تبدأ بالخطوبة، وقد كانت الفتاة في هذا النظام عندما تُطلب يدها للزواج يُوافق أهلها مباشرة دون أخذ رأيها وتتعرف عليه أول مرة ليلة العرس. ما دام الداخل هو خاصّ بالمرأة فلا يُمكن لأي رجل غريب دخوله إلا إذا كان بطريقة شرعية: أي أن يصبح زوجا.

من الطقوس أيضا انتقال الفتاة إلى عائلة جديدة، عائلة مُستقبلة (Famille d'accueil)، حيث تترك عائلتها التي تربّت وعاشت فيها 15 سنة أو 20 سنة، ويجب عليها تحمّل هذا التغيير العميق الذي يستلزم الاندماج داخل عائلة جديدة. (...) " يجب عليها أن تمرّ من حالة عذراء إلى امرأة، زوجة" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 73). هذا يُحيلنا إلى أمر مهمّ لدى الفتاة: إنّه العذرية (La virginité)، فهي تُعبّر عن الشرف. ولهذا نجد العائلة دائما تحرس الفتاة. فالمجتمع العربي بصفة عامّة لا يسمح إطلاقا بإقامة علاقات جنسية غير شرعية، فهي مسموح بها في إطار الزواج فقط، ونجد الأم تُنّبئ الفتاة منذ صغرها، إضافة إلى احتجازها في الداخل ومنعها من الخروج إلا للضرورة كالذهاب إلى الحمام أو الطبيب.

أمّا فيما يخصّ العلاقات الجنسية بينهما فهي لا تخصّ الزوجين في حدّ ذاتهما، وإنّما هي تخصّ العائلة ككلّ التي تراقبهما باستمرار وتفرض عليهما استعمالها في دوام الذكرى، ويكون ذلك في إطار حدّته العائلة والذي هو الزواج الشرعي. وغالبا ما نشاهد في مجتمعنا أنّ في ليلة العرس ينتظر كلّ أفراد العائلة نتيجة أول علاقة جنسيّة وهذا ما يثبت أنّها علاقة جنسية جماعية وليست بين رجل وامرأة. والهدف الوحيد منها هو الإنجاب والعمل على بقاء اسم العائلة. أمّا في حالة العقم فإنّ ذلك يعتبر عائقا في استمرار نسل العائلة وأنّ الشّخص العقيم هو في حدّ ذاته عقبة تحول دون ذلك. فالمرأة العقيمة تُعدّ وكأنّها لا تقوم بالدور الذي خُلقت من أجله ألا وهو إنجاب

الأطفال، وتعدّ و كأنّها هي المسؤولة الأولى على استمرار العائلة وخلودها. أمّا عقم الرجل فإنّه لا يُؤخذ بنفس الشدّة والصرامة مثل عقم المرأة، حيث يلاحظ "حجل المرأة عندما لا تُنجب أطفالا، خصوصا الذكور. إنّ بإنجابها لرجال داخل المجموعة النسبيّة أين لديها مكان زوجة، فإنّها تبرم عقدا ضمينا وتصبح محترمة ومقدّرة ليس كزوجة فلان ولكن كأمّ لفلان و فلان" (ADDI . L, 1999 : 14-15).

وبحديثنا عن العلاقات الجنسية التي لا تخصّ الزوجين فقط، هذا يحيلنا إلى الإشارة إلى الحميمية بين الزوجين، حيث تبقى المرأة في النظام التقليدي داخل منزلها ولا تحصل إلا على جزء صغير جدّا في علاقتها واتّصالها مع زوجها، أين نادرا ما تحصل على امتياز الحميمية معه: "... خارج مثلما داخل المنزل، باستثناء اللحظات النادرة الحميمية (...). النظر والحركات هي مُحدّدة بين الجنسين، بين أعضاء العائلة الواحدة مثلما بين الزوجين" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 2008 : 38). ولكن مع التحوّلات الطارئة أصبحت المرأة تُظهر أنّ من حقّها التمتع مع زوجها والحصول على حميمية والعيش مع زوجها على انفراد، وهذا ما أشارت إليه Badinter . E عندما تحدّثت عن التغيّرات التي حدثت في العلاقة رجل/امرأة: "تضع النساء في فكرهنّ بأنّ لديهنّ حقّا في تحقيق اللذة" (BADINTER . E, 2003: 126). وهذا يدلّ على تغيّر وتطوّر ملحوظين، حيث كانت المرأة التقليدية قديما لا تُفكّر بل ولا تحلم أبدا في أمر مثل هذا، فهي كانت مُقتنعة باستحالة ذلك، كما أنّها كانت تعي أنّ الوقت الذي تُمضيه مع عائلة الرّوج من أجل الاندماج وتحقيق ذاتها في مكانتها (Statut) كزوجة ابن هو أطول وأكثر أهميّة من الوقت الذي تقضيه في الاستمتاع بوضعيتها الجديدة كزوجة أحدهم: "العائلة تُحدّث حاجزا للزوجين، لحميميّتهما" (FSIAN H, 2006 : 273-274)، وتمتدّ جذور ذلك إلى الماضي أين "لم يكن المجتمع التقليدي يُشجّع حتما الروابط بين الزوج و الزوجة" (BOUZAR . D et KADA . S, ) (2003 : 179).

أدت التحوّلات التي تعرّض لها النظام الاجتماعي الجزائري إلى حدوث تغيّرات على مستوى العلاقة بين الرجل والمرأة. حيث أصبحت المرأة تدرس مع الرجل في نفس القسم، تعمل معه في نفس المؤسسة وحتى في نفس المكتب، كما لوحظ وجود صداقات بين الجنسين. أصبح أيضا التقاؤهما بغرض الزواج صادرا عن اختيار شخصي وليس عائليا، وبناءً على مواصفات محدّدة من قبل كلّ منهما. لكن مع كلّ ذلك تبقى إقامة علاقة جنسية بين الرجل والمرأة غير مسموح بها إذا كانت خارج إطار الزواج. إذن العلاقة التي كانت تربط بين الرجل والمرأة في النظام التقليدي هي الزواج، والذي اعتُبر منذ أمد بعيد كمرحلة للاندماج الاجتماعي داخل عالم الراشدين. ولكن التغيّرات الاجتماعية التي حدثت مسّته هو أيضا حيث فقد بالتدريج وظيفته و مدلوله من أجل سببين تمّ التوصل إليهما من خلال دراسة قام بها H. Fsian : أولا "تُفكّر المراهقات أكثر فأكثر أنّ السيورة الوحيدة للاندماج والتي هي الزواج التقليدي تُعاش كزوال الحياة الأمر الذي يُعبّر عن وضعية العجز، الارتهان أين تكون الفتاة خاضعة لاستراتيجيات الآخرين ولا تستطيع المعارضة وتخفيض الأفعال الاستبدادية لهؤلاء الذين يسيطرون عليها". والسبب الثاني "زوال جزئيّ لمدلول وأهمّية الزواج كاستقرار اجتماعي وحيد والذي هو ناتج عن زيادة نسبة الطلاق. إنّ المرأة التي تمّ تحديد مصيرها تقليديا من خلال السيرورات الاجتماعية والثقافية، وجدت نفسها أمام قطيعة زوجية وبالتالي دخول سيورة مسدودة" (In CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 40).

#### 4-3- تعريف العائلة:

العائلة هي مصطلح متعدّد المعاني: إنّهُ يشير إلى أفراد مرتبطين بالدمّ والمصاهرة تماما مثل مؤسسة التي تُنظّم وتُحكّم روابطها. إنّها جماعة أشخاص مجتمعين من خلال روابط الزواج والقرابة وإضافة إلى ذلك يشغلون نفس فضاء الإقامة. كما يمكن أن يشير مصطلح عائلة إلى الوالدين والأصهار الذين لا يتشاركون في الإقامة. ويمكن تعريفها على أنّها: "المؤسسة أو المنشأة الأساسية التي تتضمن واحد أو العديد من الرجال يعيشون متزوجين

مع واحدة أو العديد من النساء، خلفهم الأحياء وأحيانا أقارب آخرين أو خدم" ( . BOUTEFNOUCHET (M, 1980 :19).

والمقصود من هذا التعريف السوسولوجي أننا نجد في العائلة رجل أو مجموعة من الرجال، زوج أو أزواج- امرأة أو نساء-زوجة أو زوجات، والخلف (أطفال: الأبناء أو الأحفاد) وآباء آخرين (الكنة، أخت الزوج وآخرين)، وخدم المنزل. وبالتالي العائلة هي الخلية الأساسية والوحدة الرئيسية لتكوين المجتمع، وهذا يوضح أنّ "الوحدة الاجتماعية ليست الفرد وإنما الجماعة، الروابط الاجتماعية ليست مدركة بفرد لفرد ولكن جماعة بجماعة" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :20).

وبما أنّ العائلة هي مؤسسة اجتماعية فإنّ التغيرات التي تطرأ على المجتمع تؤثر عليها، فهي حساسة للتغيرات الخارجية والتي داخلها يكون للأفراد اتجاهات في نفس الوقت اندماجية وصراعية، كما أنّهم هم أنفسهم يتأثرون بالتغيرات التي تتعرض لها العائلة. فبعدها عاشوا في نظام معين يجدون أنفسهم يعيشون في نظام جديد تختلف قيمه ومبادئه عن نظامهم الذي أصبح قديما، وهذا ما سنشير إليه لاحقا.

#### 4-4- نظريات العائلة:

وُضعت العديد من النظريات الخاصة بالعائلة ومن العلماء من استوحى نظريته ممن سبقوه، وتأخذ على سبيل المثال Morgan . L، وردّ عليه Kohler، ليأتي بعدهم Durkheim الذي استوحى أفكاره من نتائج Kohler.

يقول Durkheim العائلة هي "مؤسسة اجتماعية، مجتمع منظم أين الأعضاء مرتبطين شرعا وقانونا ومعنويا بعضهم ببعض" (In BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :22).



نجد من بين النظريات: النظرية التقليدية (La théorie traditionnelle) التي ترى أنّ "العائلة الأبوية (من جهة الأب) أحادية الزواج هي الخلية الاجتماعية الأصلية والوحدة الاجتماعية العالمية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980:21).

هناك نظرية الاختلاط والتي مؤسسها هو Bachofen، وقد أشار إلى أنّ "العائلة تطوّرت من عائلة أمومية (Matriarcat) إلى عائلة أبوية (Patriarcat)" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :21) وقد طوّر هذه النظرية L. Morgan.

وأخيرا هناك نظريات اقتصادية والتي ناقض روادها Morgan . L واقترحوا تأويلات اقتصادية، وهذه النظرية تُوضّح مختلف مراحل تطوّر العائلة على أساس اقتصادي للمجتمع وظهرت مع Mucke . J.R و Grosse . E (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :21).

كذلك kohler رد على أطروحة Morgan المؤسسة على مفهوم الاختلاط، ولكنّه في نظريته "أشار إلى عوامل دينية ومعتقدات واستنتج أنّ العائلة البدائية كانت أمومية" (BOUTEFNOUCHET . M, ) (1980 :21).

#### 4-5 - مراحل تطور العائلة:

خضع تطوّر العائلة لستة أشكال أساسية:

- الشكل الأول هو قبيلة أو وحدة طوطمية (Clan totémique) ويُقصد بها: "وحدة اجتماعية تشمل أشخاصا من أصل واحد ويعبدون طوطما يُمثّل جدّهم الأكبر، وهي لا تُؤسّس على قرابة الدّم و إنّما على وحدة الطوطم" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :22).

- الشكل الثاني هو "العائلة ذات القرابة من ناحية الأم" (Famille maternelle) وهي تختلف عن السابقة بالأهمية المعطاة للزواج، وحياة العائلة داخل المنزل التي تتمحور حول الأم" (BOUTEFNOUCHET . M, ) :22(1980).

- الشكل الثالث هو "العائلة ذات القرابة من ناحية الأب حيث الانتساب الأمومي يُخلي المكان للانتساب الأبوي، مع تفوق دور الزوج الذي يجلب زوجته للعيش معه، ولكن العائلة تحتفظ بالشكل الموحد والموسّع" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :22).

- الشكل الرابع هو "العائلة الأبوية (Patriarcale)، حيث تتركز العائلة هنا على الأب الذي يُسيّر جميع أمورها، إذ أنه ليست الجماعة من تُسيّر وليست من تحظى بالامتيازات، وإنما كل شيء يعود للأب" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :24).

- الشكل الخامس هو العائلة الأبوية (Paternelle) أو ذات قرابة رحيمة، "وهي لم تنتج عن الشكل السابق وإنما نتجت مباشرة عن العائلة الأمومية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :24)، حيث تُعطي نفس الحقوق لأب المرأة فيما يتعلق بالنسب والمصاهرة.

- الشكل الأخير العائلة الزوجية حيث يكون فيها "كلّ عضو له خصوصيته، فردانيته، فضاءه الخاص، وتمتّع المرأة بنفس حقوق زوجها" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :24).

من خلال التحوّلات والتطوّر الحالي الذي طرأ على العائلة الجزائرية فإنّ "هناك ميل إلى الاعتقاد أنّ العائلة النمط هي العائلة الزوجية أو ما يُسمّى بالعائلة النووية أو العصرية، وأنّ العناصر العائلية التقليدية هي مجرد بقايا محكوم عليها بالاختفاء" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :37). وبالرغم من ذلك تجدر الإشارة إلى أنّ ما حدث "ليس قطيعة مع الوسط الأصلي الريفي وإنما هو استمرار للعالم الريفي داخل مدن صغيرة"

(BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :37). وهذا كانت بدايته بعد الاستقلال مباشرة، وقد تمّ توضيح ذلك

Addi . L، الذي ستطرق إليه لاحقاً.

#### 4-6- بنية العائلة الجزائرية:

من أجل فهم بنية العائلة الجزائرية سنتطرق إلى العناصر التالية:

#### 4-6-1- العائلة الكبيرة (La grande famille):

كشفت الدراسات حول العائلة الجزائرية على مجموعة من المميزات ذكرها Boutefnouchet . M في

مرجهه "العائلة الجزائرية" (1980) منها:

- العائلة الجزائرية هي عائلة كبيرة أو متوسّعة، حيث نجد مجموعة من العائلات الزوجية تعيش تحت سقف منزل واحد.

- العائلة الجزائرية هي عائلة من نمط أبوي (Patriarcale)، والتي يكون فيها الأب أو الجد هو ربّ العائلة، السيّد، الشيخ، صاحب السلطة داخل الجماعة العائلية، والتي يقوم فيها بتنظيم سير الأمور داخلها، له مكانة (Statut) خاصّة تسمح له بالحفاظ على ترابط الجماعة، غالباً من خلال نظام صارم ودقيق.

- العائلة الجزائرية هي عائلة تميّز بالقرابة من ناحية الأب، نسب ذكري، الانتساب يكون دائماً أبوياً، والمرأة أو الأمّ تنتسب إلى أبيها، والميراث ينتقل على خطّ أبوي من الأب لابن الأكبر للحفاظ على اتّحاد العائلة وعدم انقسام الميراث العائلي.

- العائلة الجزائرية هي عائلة غير قابلة للانقسام والتجزؤ، مع العلم أنّ "الأب لديه سلطة، حمل ومسؤولية على أولاده، وبناته إلى غاية ترك المنزل من أجل الزواج، أبناء أولاده وأطفال أبناء أولاده" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :38).

#### 4-6-2- المنزل الكبير (La grande maison):

تعيش العائلة في منزل واسع، والذي يتوسع تدريجيا من خلال بناء غرف جديدة إذا زاد عدد الأفراد داخل العائلة: "تبعاً للمناطق وظروف العيش يُمكن لأفراد الجماعة العائلية العيش معا داخل منزل كبير واحد، تمّ بناؤه حسب حاجات وخصوصيات العائلة الكبيرة، أو داخل منازل صغيرة مقسّمة ممّا يرفع من الحميمية والاستقلالية للخلية الزوجية، لكن مع الحفاظ على القاسم الأكبر الخاصّ بالأبوية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :40).

لهذا المنزل مميزات لها علاقة بنظام العيش في العائلة الكبيرة، فهو يقع إمّا في وسط الأراضي المتوارثة أبا عن جدّ، والتي هي غير قابلة للتقسيم، وإمّا بجانبها، أو داخل القرية. من أهمّ خصائصه أن يكون مُطلّاً على مختلف السبل والطرق، ولهذا غالبا ما يقع المنزل الكبير في مكان يوجد في طرق مستعملة بكثرة، ويُحيط به سور عالي، حيث لا يمكن للمارّ بجانبه رؤية ما يحدث فيه ولا رؤية النساء في الداخل، وكذا به فناء كبير الذي يربط بين مختلف الغرف والمطبخ وغرفة الاستقبال، وهو يعتبر نقطة الالتقاء لكلّ أفراد العائلة. "يكون هذا المنزل نظيفا ومرتباً، ولكن ليس فاخراً فهو بسيط جدّاً، ويتوزّع فيه أفراد العائلة بشكل مشترك ومتوازن كلٌّ حسب مكانته ودوره مع احترام خصوصية كلّ فرد (...). كما أنّه داخل هذا المنزل يُمكن أن يعيش ما بين 20 إلى 60 شخص وثلاثة أو أربعة أجيال" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :40). كلّ مجموعة أزواج أو أفراد من نفس السنّ والجنس يوجد له داخل هذا المنزل الكبير مكان (Place) خاصّ به. كلّ شيء يسير حسب نظام محدّد فمثلاً وجبات الأكل تكون من خلال الأخذ في الحسبان النظام التالي: "تُقدّم الوجبات للرجال أولاً يتناولونها معا، ثمّ

النساء في جهة والأطفال في جهة أخرى، وعندما يبلغ الولد ينتقل إلى تناول الوجبات مع الرجال"  
(BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :41).

#### 4-6-3- البنيات الاجتماعية (Les structures sociales):

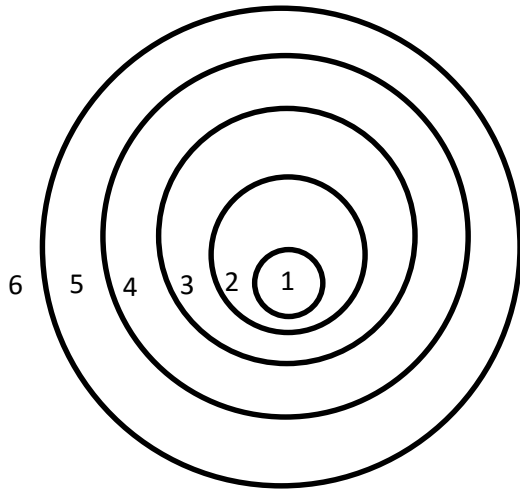
هذه العائلة الكبيرة التي تتميز بالحياة المشتركة داخل المنزل الكبير تُعتبر القاعدة والأساس الاجتماعي للمجتمع الريفي، خصوصا أين يتواجد هناك مجتمعات صغيرة التي تُكوّن القبيلة. وإذا حاولنا ملاحظة قبيلة أو عرش ومقارنتهما بقبيلة أخرى مجاورة فإنه نتوصل إلى خصوصيات ومميزات وخصائص مشتركة فيما يخصّ البنية الاجتماعية. فعلا هذا ما تمّ ملاحظته من خلال زيارتنا لمجموعة من المدن الجزائرية، حيث وجدنا أنه يوجد نظام قبلي في مختلف تلك المدن، والملفت للانتباه هو نقط الاشتراك في البنية والتكوين وسير الأمور سواء بين المدن المتجاورة وحتى البعيدة. كما أنه بالرغم من أنّ النظام القبلي يبدو غير موجود في الظاهر أو متراجع نوعا إلا أنه موجود في الواقع في ذهنية كلّ مواطن من هؤلاء، لأنه هو ذاته يُمثّل امتدادا للذهنيات السالفة، وهذا لاحظناه بكثرة في مدينة النعامة وضواحيها، إيليزي حيث في هذه الأخيرة لا يزال هناك مكانة تخصّ شيخ القبيلة والذي تُوكل إليه بعض المهام ولكن في المقابل فقد مهاما أخرى، مدينة خنشلة، تبسة، تيزي وزو وبالخصوص في ما يُطلقون عليه سكان هذه الولاية الدشرة، أمّا في المدينة فالأمور تختلف حيث نجد اختلاط لأفراد ينتمون إلى عروش وقبائل مختلفة، ولكن جميعهم يعرفون انتماء بعضهم البعض، وهذا قام بتحليله L . Addi في كتابه حول تحولات المجتمع الجزائري.

إنّ العائلة مهما كان كبرها، حجمها فهي تبدو كخلية مركزية لهذا المجتمع. كما أنه تجدر الإشارة إلى أنّ هذه العائلة الزوجية في هذه البنية المدمجة داخل العائلة الكبيرة تحتفظ بقيمتها الخاصّة، وبمقارنتها مع العائلة العصرية النووية التي تشغل فضاء خاصّا بها لوحظ أنّ "حتى في نظام المنزل الكبير يحظى الزوجان باستقلالية

تسمح بحميمية لا بأس بها" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :42)، وإن كانت أقل مما قد تكون عليه خارجه.

إنّ نظام البنيات الاجتماعي القبائلي هو الأكثر وضوحاً وذلك من خلال الدراسات السابقة، حيث نجد عدد كبير من الدراسات اهتمت بدراسة منطقة القبائل وسكانها ومقارنتها مع المناطق الأخرى، وذلك من طرف باحثين من الجزائر وأجانب، وهذا ما دفعنا إلى زيارتها والقيام بجمع الملاحظات والمعلومات عن كثر، وتمّ التوصل إلى أنّ العائلة عند البربر أو العرب في الجزائر تتميز بنفس خصائص العائلة الأبوية، حيث نجد العائلة الكبيرة تتكوّن من العديد من العائلات الزوجية وأطفالهم: جدّ وأبنائه غير المتزوجين والمتزوجين وأطفالهم وقد يعيش في نفس العائلة من 3 إلى 4 أجيال. هذا ما كان في الماضي القريب، ولكن ما لاحظناه حالياً هو تفرق مختلف أفراد العائلة الكبيرة سواء عند العرب أو حتى البربر، حيث منهم من دخل المدينة ومنهم من بقي في القرية ولكن انفصل عن المنزل الكبير، وبهذا نجد بعض القرى فيها عدد من المنازل والعائلات المستقلة عن بعضها البعض ولكن تنتمي إلى نفس الجدّ الأكبر. وحتى نبقي في نفس السياق فإنّ Boutefnouchet . M أشار إلى البنية الاجتماعية لمختلف التجمعات وذلك يساعدنا على إدراك بعض المفاهيم والعلاقة بينها، وقدّم ذلك على شكل "دوائر تكون أصغر في المركز: العائلة، وأكبر: في الاتحاد (...). مجموعة كل عنصر تُكوّن العنصر الموالي"

(BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :42).



1- عائلة

2- خروبة (KHarrouba)

3- دشرة

4- فرقة

5- عرش (Taqbilt)

6- بلاد

الشكل-1- البنية الاجتماعية التقليدية (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :44).

في الفرقة الواحدة مثلا نجد:

- مسجد مشترك الذي يصلون فيه، وهو أيضا مكان يبيت فيه عابري السبيل.

- دكان مشترك.

- الجماعة (ومعناها هنا بالعامية) وتضمّ كبار العائلات، وهي التي تميّز الفرقة.

وانطلاقا من هذه التقسيمات نجد: "ما هو أساسي هو العائلة والمنزل الكبير (...)", ما هو بنائي هو الفرقة والقرية

(...), ما هو خاصّ بالانتماء هو العرش" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :45).

#### 4-6-4- التنظيم الاقتصادي المشترك:

يتميّز هذا النظام بكون الرجال والصبيان يعملون في الخارج، ويقضون معظم وقتهم في الحقول والمزارع

التي هي ملك للجدّ، والذي يرثها بعده أحد أفراد العائلة الذي يُحدّده هو، ويبقى الإرث ذكوري من الجدّ، الأب،

الابن، الحفيد وهكذا. يعمل الرجال من أجل تأمين متطلبات ومستلزمات المنزل. أمّا النساء والبنات فيمكنن في

الفضاء الداخلي، للقيام بالأشغال المنزلية، وكذا تسيير المؤونة داخل المنزل، وربما نجدهنّ يجمعن الحطب،

يحضرن الماء من المنبع خارج المنزل الكبير، ولكن حتى الطريق إلى المنبع فيه فضاء داخلي، حيث يسلكن طرقا

خاصة بهنّ لا يمرّ فيها الرجال أبداً، فالفضاء الداخلي يكون في المنزل وحتى الطرق ومنبع الماء. وقد ذكرت إحدى النساء بقرية تيوت ولاية النعامة أنّه كان لديهن منبع مياه دافئ، وكنّ يذهبن في يوم محدّد لهن في الأسبوع من أجل الاستحمام، حيث يُمنع منعاً باتاً على أي رجل أو ولد الاقتراب من المكان ومن الطريق المؤدّي إليه.

#### 4-7- التحوّلات التي طرأت على العائلة الجزائرية:

التحوّلات التي طرأت على المجتمع الجزائري أدّت إلى تغيّرات في أشكال تنظيم العائلة وفي العلاقات بين مختلف أعضاء المجموعة العائليّة الواحدة. العائلة التي كانت في المجتمع قبل الاستعمار أو ما يُسمّى بالعائلة الأبويّة اختفت وتركت المجال للعائلة الموسّعة، التي ليس لديها نفس التّجانس والانسجام مثل الأولى ثمّ ظهر ما يُسمّى بالعائلة النوويّة.

#### 4-7-1- العائلة الأبويّة (La famille patriarcale):

وهي التي أشرنا إليها سابقاً تحت اسم العائلة الكبيرة، وقد عرّفها E. Bienveniste على أنّها : "جدّ الذي يتجمّع حوله الأحفاد الذكور و عائلاتهم"<sup>(1)</sup> (In SEBAA . F.Z, 2010 : 24). في هذه العائلة يكون أعضاء الجيل الواحد إمّا إخوة أو أبناء عمومة، يعيشون تحت سلطة الجدّ أو العمّ الأكبر، وهذه العائلات تُكوّن قبيلة، حيث يتّسمون بالتعاون والتضامن فيما بينهم. إنّ هذه العائلة تُقدّم إطاراً مُتدرّجاً تحت سلطة قائد، ربّ أسرة الذي يضمّ الجدّين، الأبناء المتزوّجين، زوجاتهم وأطفالهم، الأبناء والبنات غير المتزوّجين، مع وجود نظام الأمكنة (Places) والأدوار الموزّعة بطريقة جيّدة ومعينة من طرف صاحب السّلطة: "أب، زعيم وقاضي، يُعطي إلى كلّ عائلة أو زوج وإلى كلّ أعزب مكانة محدّدة ضمن الوحدة الجماعيّة. سلطته عموماً غير قابلة للمناقشة (له قدرة الحرم واللّعة وهما مصدر قوته)" (ADDI . L, 1999 : 43).

(1) « Un ancêtre autour duquel se regroupent tous les descendants males et leurs familles restreintes ».



يتمّ تمرير السلطة للأب من قبل يرث الأسلاف وهو بدوره يُمرّرها إلى الأحفاد الذكور. هذه العائلة تظهر كوحدة عائلية أبوية النسب، تتكوّن من الأبناء المتزوجين يعيشون معا في حياة الأب، وغالبا بعد موته يحلّ محله الابن الأكبر ليُوَجّه إخوته وباقي سكّان المنزل. إذن زعيم العائلة هو الجدّ إن كان حيّا أو ابنه الأكبر إذا غاب هو. دوره الأساسي هو تقسيم المهامّ والأعمال على مختلف خلايا المجموعة العائلية، التي تشترك في الإنتاج، الاستهلاك والسكن، ويحرص على السّلم بين أعضائها، ويُمثّل المجموعة في الخارج. والأفراد الآخريّن يحترمونه ويخشونه. كما أنّه من مميّزات هذه العائلة أنّه كان كلّ فرد من أفرادها يُؤكّد على الشرف و كان يعتبر أنّ: "الشرف يقوم على عفاف زوجته، أخواته و بناته" (ADDI . L, 1999 : 44)، وأنّ نفوذ الرّجل متعلّق بسلوك النّساء اللاتي يتكفّل بهنّ إلى درجة أنّ القتل يُبرّر ولا يُعاقب القاتل إذا كان هناك هناك للشرف. كما أنّ في هذه العائلة كي تتزوّج الفتاة يجب أن تكون عذراء، بمعنى لا يجب أن تكون لديها علاقات جنسيّة قبلا. وذلك من أجل "الحرص على نقاوة وصفاء دم الورثة أي إنجابها لأطفال من صلب زوجها، وبالتالي يتمّ ضمان صفاء العائلة والقبيلة ككلّ. وبعد الزّواج يجب عليها أن تخشى زوجها، فإن لم تفعل ذلك فإنّ ذلك يشير إلى أنّها سوف لن تضمن صفاء النّسل" (ADDI . L, 1999 : 45).

#### 4-7-2- العائلة الموسّعة (La famille élargie):

إنّ العائلة الكبيرة أو المسماة العائلة الأبوية التي كانت قبل الاستعمار لم تعد موجودة، بل هناك تجمّع عائلي متعدّد النّوى (أي يوجد داخله عدّة عائلات نووية)، أفرادها لا زالوا يحملون نظام القيم التقليدي الذي يشير إلى أدوارهم التي لا تتطابق مع السلوكات الجديدة للحياة في الحضر. وهذا ما أشرنا إليه سابقا أنّه بعد الاستقلال نزلت نسبة كبيرة من السكّان من الريف إلى المدينة، وعندما كان يعيش أفراد العائلة الكبيرة الواحدة في القرية، تفرّقوا في المدينة، وعاشوا وسط أحياء تضمّ عائلات عديدة من أصول أبوية مختلفة، وهذا ساهم في ظهور العائلة الموسّعة. ونلاحظ نتيجة لكلّ ذلك تناقضا: "من جهة نجد قيم العائلة التقليدية التي

هي دائما نشطة في الذاكرة الجماعية وغالبا ممثلة (Idéalisées)، ومن جهة أخرى التحولات الاجتماعية أعطت ميلادا لأشكال جديدة للحياة الاجتماعية، ويظهر هذا التناقض أكثر في المدينة" (ADDI . L, 1999 : 45).

وكما ذكرنا سابقا في التنظيم الاقتصادي للعائلة الكبيرة فإنه في النظام التقليدي كانت العائلة الأبوية تضمن المؤونة أو القوت من خلال الميراث المشترك الذي جمعه الإخوة في الماضي وحثهم على تشكيل وحدة استهلاك، إنتاج وإقامة معا. لكن في النظام الحضري الحالي، العائلة الموسعة لا تؤمن القوت بنفس الطريقة، لقد فقدت هذه العائلة ذلك التعاون بسبب تعدد مصادر العيش وأصبح لكل من الأبناء عمل مستقل. "في هذه العائلة مع أنهم يعيشون مع بعض إلا أنه توجد عائلة نووية مثل الابن المتزوج وأبنائه و كل عائلة لها غرفة خاصة بها" ( . ADDI L, 1999 : 51)، في البداية يعيشون مع بعض ولكن مع الوقت يفترقون ويكُونون عائلات نووية.

#### 4-7-3- العائلة النووية (La famille nucléaire):

داخل العائلة الأبوية كانت توجد العائلة الزوجية أو النووية التي تعيش داخل المنزل الكبير، والتي كانت تمثل نواة للعائلة الكبيرة، لكن نتيجة للتغيرات التي اجتاحت النظام الاجتماعي فإنه تدريجيا ظهر هذا النوع من العائلة التي أصبحت تعيش بشكل مستقل. فبعدها كانت قديما العائلة تتكون من الجدّين والأعمام والوالدين والأطفال أي العائلة الأبوية، تغيرت وأصبحت عائلة موسّعة، وهذه العائلة بدورها هي في تحوّل تدريجي إلى خلية عائلية تتكون من الوالدين والأطفال، أو ما يُسمى بالعائلة النووية. حاليا الروابط ذات النمط الجماعي تركت المجال لروابط جديدة، داخل فضاء جديد الذي هو الفضاء الزوجي (Espace matrimonial)، الذي يضمّ الزوجين وأطفالهما في منزل مستقل. لا تتطابق أدوار أفراد العائلة في هذا الفضاء الجديد مع توزيع الأدوار الذي وضعته الثقافة التقليدية. ويُعتبر أهم دور تغير هو دور المرأة، التي كان لها تقليديا دورا ثابتا ومحدّدا: "تجد ازدهارها وتكاملها في الأمومة، التي هي في آن واحد رمز وحارسة الأسرة أو المنزل. كانت المسؤوليات الاجتماعية أو العملية مقصاةً من حياتها، كانت ثانوية مقارنة بأدوارها كزوجة و كأم. العمل خارج المنزل هو معارض للمنظور

الأبوي (Vision patriarcale)" (26 : SEBAA . F.Z, 2010). إذن نتيجة للتحوّلات تغيّر دور المرأة بعمق، حيث كانت تحت تبعيّة مضاعفة: للطبيعة من خلال وظيفة الإنجاب وللرجل، أين كانت تمرّ من الخضوع لأبيها إلى طاعة زوجها. كما كانت الأشغال المنزليّة اليوميّة تملأ حياتها. بينما حاليا فإنّ التّقدم البيولوجي والتّقني (منع الحمل، الأجهزة الالكترونيّة المنزليّة) سمح لها بالتمتّع ببعض الوقت الفارغ والذي يجب ملؤه بنشاط ما، هذا النشاط يتمثّل غالبا في الخروج للعمل.

في النظام الأبوي كان الزواج يُعدّ قبل كلّ شيء كمؤسّسة تُضيف خلية إلى العالم الاجتماعي المنظّم والموجود مسبقا، حيث كان الزواج يُرتّب منذ الطّفولة (هذه البنت يتزوّجها ابن عمّها)، وما هو مهمّ هو التّسلل والحفاظ على اسم العائلة. في العائلة النوويّة والتي يُمكن تسميتها بالنظام الزوجي، فإنّ الزواج هو علاقة بين شخصين، حيث يكون التّقاء رجل وامرأة تبعاً لقصّة حدثت بينهما. وهنا ما هو مهمّ ليس النسل والتقاليد ولكنّ المهمّ هو الآخر، الشريك ذاته الذي يأخذ كلّ الاهتمام مع التّفنّح على المستقبل. في هذا النظام الجديد إنّ من المستحيل إبقاء ذلك التمييز الجنسي التقليدي بين الرجل والمرأة، وكذا بقاء المرأة في الدّاخل للقيام بالمهام المنزلية والتربوية فقط، فهي دائما في المنزل ولكنّ بطريقة عيش مختلفة، "لأنّه و قبل كلّ شيء اختيار و ليس مصيرا مفروضا عليها. أصبحت النساء يُطالبن بالعيش مستقلّات في منزل خاصّ بهنّ" ( : SEBAA . F.Z, 2010 : 28). في البنيات الأبوية يتمّ التركيز على إيجاد دائرة كبيرة للأقارب، أمّا العائلة من نوع زوجي تهتمّ عكس ذلك، إذ أنّها تُشير إلى ضرورة الانفصال عن الوالدين، حيث يسعى الزوجان أكثر فأكثر إلى تحقيق استقلاليتهم.

إنّ هذا التغيّر الذي مسّ العائلة له سلبيّاته، حيث أنّ العائلة الزوجية النوويّة التي اقتصرّت على بعض الأشخاص، عموما الأب، الأمّ والأطفال أدّى في مجتمعنا إلى التّأثير في مرحلة المراهقة وقوّلبيّها: "النقلة المعاصرة للأدوار الوالدية تميل لإعادة طرح قضيّة التّأثيرات المفروضة من الأب والأمّ على نموّ الطّفل" ( : TAP . P, 1987 : 402-403). إنّ التّكفل بالمراهقين وسطّ جماعة تطوّر من تكفّل ذو طابع جماعي نحو تكفّل محدود. "تلك

المسؤولية الجماعية اتجاه نمو المراهق هي تضعف تدريجيا لتترك المجال إلى مسؤولية الأب والأم وحدهما اللذان غالبا هما ذاتهما يوجدان في وضعية صعبة للتكيف مع هذا الفضاء العائلي الجديد" ( : SEBAA . F.Z, 2010 ).(18).

#### 4-8- علاقات القرابة الأبوية:

وتضمّ علاقات حسب الجنس، علاقات قرابة أولية وعلاقات قرابة ثانوية.

#### 4-8-1- العلاقات حسب الجنس:

يُمكن التساهل في العديد من الأمور في هذا الوسط، لكن الجنس (Sexe) والجنسية (Sexualité) هما ممنوعان، حرام (Tabou)، وتبعاً لذلك كلّ فرد سواء كان رجلاً أو امرأة تتمّ تنشئته داخل دوره، مكانته (Statut)، اتجاهاته، تصرفاته، وانحرافات الأفراد القاصرين يُمكن اغتفارها والصفح عنها، لكن انحرافات الراشدين التي قد تُؤثر على بقية أعضاء الجماعة فهي مذمومة ويُعاقب عنها دون العفو. ويجب على المرأة أن تتبني نحو رجال العائلة اتجاه التحفظ، وعليها تجنّب التلقائية في الحركة داخل المنزل. وعلى الرجل عدم الاجتماع مع نساء العائلة ولا الدخول معهنّ في حوارات معمّقة ومطوّلة. فالرجل يعيش من أجل ومن خلال الاشتراك والاتحاد والجماعة، وكذا تطبيق مبدأ المساواة بين أفراد المجموعة، أعضاء العائلة وأطفالها، سواء كانوا أبناءه أو أبناء إخوته، والمرأة تعيش من أجل ذاتها وإحضار إليها كلّ ما تحتاجه هي وأطفالها فقط، وقد تتعارض مع النساء الأخريات داخل العائلة عندما تشعر بالأذى من طرفهنّ. ولهذا ومن أجل الحفاظ على ترابط العائلة وعدم الدخول في المشاكل الوصراعات فإنّه: "لا يجب على الرجل إعطاء أهمية كبيرة لأقوال زوجته، ولا يجب متابعة الصراعات التي يُمكن أن تتواجد بينها وبين أخواته وزوجات إخوته وحتى أمّه، وعلى كلّ حال لا يجب أن تتجاوز الخلافات النسائية باب المنزل، ولا يجب طرح المشاكل على الأعضاء الرجال للعائلة" ( BOUTEFNOUCHET . M, ) (1980:60).

من أجل هذا يُربى الطفل منذ صغره تبعاً لاتجاهين: الخطر الذي يُمكن أن تتسبب المرأة في حدوثه، ومبدأ المساواة والتشابه نحو كلّ النساء، الأمّ، العمّات، بنات العمّ. وفي كلّ مرحلة عمرية يتمّ التأكيد على هذه الاتجاهات، ويجب على الأطفال أن يكون لديهم احترام مثالي وعاطفة وحياء اتّجاه النساء الكبيرات وعلى العموم كلّ الأفراد الأكبر منهم داخل العائلة. عندما يكون الأولاد والبنات من نفس الجيل أو نفس السنّ فإنّه لا توجد حميمية بينهم: "أخ أو أخت يُمكن أن يكون لديهم علاقات ولكن ضعيفة جدّاً والتي تبدو سطحية. النشاطات، اللعب، الاهتمامات والتربية كلّها هي مختلفة بينهما تماماً، حيث يتمّ التكفل بالأولاد مبكراً جدّاً (...). والبنات يتعلّمن المهام الأثوية اليومية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :60).

بالنسبة للولد الصغير المتعلّق بأخته فإنّ ذلك يُمثّل خطر عدم تحمّل ذهابها من العائلة بعد زواجها وانتقالها، وخطر حمايتها حتى في حضن العائلة الجديدة للأخت المتزوجة، الأمر الذي قد يُسبّب لها مشاكل إن حاول هذا الأخ التّدخل والدّفاع عنها. وأيضاً يجب على الولد أن يتعلّم عدم التعلّق بأخته أكثر من اللازم، حيث عندما تتزوّج على الأخ أن يلعب دور الأخوة والعلاقات الأخوية العاطفية، ويكون ذلك فقط في المناسبات والزيارات العائلية والحفلات وغيرها. في حين العلاقة "ابن العم-ابنة العم" تختلف نوعاً ما، فهذه العلاقة منذ سن مبكّر لها خاصية مميزة لها، حيث يُمكن أن تكون ابنة العم خطيبة لابن عمّها، يتحدّث النساء عن ذلك منذ صغرهما بطريقة مزاحية، ثمّ شيئاً فشيئاً يصبح ذلك بجديّة في سنّ بلوغهما، عند حوالي 12 سنة، طيلة هذه الفترة يتصرّفان كما لو أنّهما لا يعرفان بعضهما، ولا يتوجّهان بالكلام إلى بعضهما حتى سنّ الزّواج. وكخلاصة يتمّ تحضير الجزائري الرّاشد منذ صغر سنّه لعلاقات القرابة الأبوية مع جميع نساء العائلة: زوجته، أخواتها، عمّاته، أخواته، بنات عمّه. في هذا المجتمع "كلّ نساء العائلة هنّ متساويات في نظر الرجل، ولا يجب أن تكون زوجته أعلى درجة عن نساء العائلة ولو شكلياً، الاستثناء الوحيد المُلاحظ هو العلاقة الخاصّة أمّ-ولد" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :61). التي سنتطرق إليها بشكل أفضل داخل علاقة القرابة الأولية.

4-8-2- علاقات القرابة الأولية:

وتضمّ الوالدين: الأب والأم، الأطفال: أولاد وبنات، الأحفاد: بنات وأولاد، الأجداد: الجدّ والجدّة. وما يُميّز علاقات هؤلاء فيما بينهم هو الاحترام المتبادل من قبل كلّ الأطراف دون استثناء. حيث يُلاحظ احترام الابن لوالديه احترام الصغير للكبير واحترام الرجل للمرأة في مختلف أطوارها العمرية سواء كانت بنت أو متزوجة أو حتى كبيرة في السنّ. وعلاقات الرجال فيما بينهم أيضا يسودها الاحترام والذي يكون أكثر جلاء لأنّهم يعملون معا، يأكلون ويقرّرون معا. إنّ هذه العلاقات تتميز بالتهذيب، تصرّف الاحتجاب، نكران الذات والفردانية، كما لو أنّ الفرد لا يعيش من أجل نفسه ولكن من أجل أعضاء الجماعة الأولية. وقد حاول Boutefnouchet . M وصف هذا الاحترام بطريقته: "هذا الاحترام (القدر qdar) له لازمة طبيعية هو الحياء (الحشومة L'hechouma)، الخجل أو بالأحرى الخوف من العار، مراقبة ذاتية مستمرة وهذا يلعب دورا مهمّا لدى الفرد من أجل الحفاظ على ترابط الجماعة العائلية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :61).

العلاقة بين الأب والابن تستحق انتباها خاصّا، بمعنى أنّه من خلال هذه العلاقة يدوم التّعايش الجماعي للعائلة داخل المنزل، وكذا قيمتها، كما يُعتبر الأب بالنسبة للابن شخص ذو وقار، وحامل للدين والقانون والعرف، كما أنّ الأب هو السلطة الاقتصادية، هو المالك والمُحافظ على التراث والمال الذي يشترك فيه جميع أفراد العائلة خصوصا الذكور، وهو مشارك في المهام وموّرّعها. لكن في المقابل "الأب هو أب لابنه، هو حاميه (...)، مُحرّره ومنقّده عندما تكون هناك صراعات داخل المجموعة، وأخيرا الأب هو الوالد (Géniteur)، فروابط الدّم هي روابط مقدّسة" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :62).

يلعب الأب دورا مهمّا داخل العائلة فهو في آن واحد وصيّ على أطفاله، الذي يجب احترامه وطاعته ، كما أنّ الأب هو من يتخذ القرارات المهمّة بشكل فرديّ وليس باستشارة أطفاله. أحيانا يبدو وكأنّه يُقرّر بنفسه وبهدوء لكن في الواقع إنّه يطلب رأي المحيط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. أمّا فيما يتعلّق بالأمّ فإنّه "من خلال

وضعتها كأمراة وبانتمائها لعائلة أخرى، ومن خلال مكانتها الاجتماعية الضعيفة جدًا مقارنة بمكانة الأب، لها سلطة أقلّ جلاء وغير ظاهرة، إنّها تُعبّر عن هذه السلطة على المستوى العاطفي والأمومي، ويبقى للولد اختيار موافقة رأي الأمّ أو لا" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :62).

يكون للأمّ نفوذا أكثر في السنوات الأولى للطفل، وفيما بعد تحتفظ بعلاقات ذات امتياز وثرية يُمكن أن تصل إلى المساواة، حيث مثلا عندما لا يستطيع الابن التصريح بمشاريعه مباشرة للأب، تُصبح الأمّ هي الوسيط بينهما. إنّ العلاقة بين الأب والابن يُمكن أن تتميز باللامساواة<sup>(1)</sup>: "امتثال شكلي للابن لسلطة الأب، الجانب الدّيني يُوضّح أكثر سلطة الأب هذه، من خلال طاعة الابن للأب وفقا لقواعد القرآن والحديث" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :62). يستطيع الابن باستعمال الدين كوسيط التقليل من هذه اللامساواة في العلاقات من خلال تديّنه الكامل، واحترامه علانية للقواعد والقوانين الإسلامية، وبلوغ النّضج الشّخصي من خلال تأشيرة الدّين، وهنا تنخفض درجة اللامساواة بين الأب والابن، ويُصبح للأب سلطة أقلّ، ويُصبح الابن أكثر التماسا في الأمور والشؤون والأعمال الحالية والأكثر أخذًا بأرائه. إنّ هذه اللامساواة بين الأب والابن تتدخل فيها عدّة عوامل ومتغيّرات: "أولا السنّ الذي يُقدّم تدرّج الأجيال، ويضمن للأب تمرير قيم الأسلاف ثانيا، الأب هو وصيّ وأمين على المراث المادّي والمعنوي والعقاري ثالثا، وأخيرا الأب يجب احترامه كفرض ديني وكواجب مقدّس" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :63).

بالمقابل إنّ سموّ مكانة (Statut) الأب في العلاقة مع الابن تُجبره على لعب دور تعويضي مهمّ بالنسبة لمكانته: "الأب يُوجّه الابن في أفعاله ونشاطاته، الأب يحمي اجتماعيا الابن في تصرّفاتة، الأب ينقل للابن الأكبر أو إلى الأكثر حكمة وعفافا في أولاده الميراث، وأخيرا الاحترام الواجب أدائه للأب هو ردّة فعل لاحترام الأب

(1) هنا لا يُقصد باللامساواة بالمعنى السلبي، وإنّما يُقصد بها أنّه لا يوجد تساو في المعاملة بين الابن والأب، وأنّ أحدهما أعلى درجة من الآخر لأنّه هو الوالد.

الواجب أدائه لابنه، وعليه تعليمه له في كل فرصة ومناسبة: الاحترام المُعطى يولّد الاحترام الواجب أدائه"  
(BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :63).

هذا النمط من العلاقة بين الأب والابن، والتي يُعطيها النظام التقليدي أهمية كبيرة وكذا أهمية الاحترام كل ذلك يُحيل إلى سمة الخضوع، وهذا الأخير ليس لكون الابن ينتسب للأب وإنما هو خضوع عائلي، اجتماعي واقتصادي يجب أدائه للأب من قبل الابن: "هذا الخضوع المفروض من طرف الأب غالبا يكون تحت عنوان الاحترام، حيث يمتزجان ويُصبحان واجب يضغط على الابن الذي لا يُمكنه التحرر منهما إلا بالتمرد والعصيان"  
(BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :63).

في مقابل العلاقة أب-ابن وأم-طفل، إنّ العلاقة الثانية داخل العائلة هي تلك التي تربط بين الإخوة فيما بينهم. هنا السنّ يُمثّل العنصر الأكثر جلاء في تميّز واختلاف العلاقات بين الإخوة. يظهر ذلك أيضا في اللغة والسلوك: "الأخ الأصغر يجب عليه أن يحترم أخاه الأكبر، مع أنّ هذا الاحترام ليس لديه نقطة اشتراك مع الاحترام الواجب أدائه للأب، يجب على الأخ الأصغر أن يقوم به ويُنادي أخاه الأكبر بـ "سي" أو "دادا" أو "خويا" مع إضافة اسم الأخ" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :63).

بعيدا عن السنّ الذي يُميّز ويُحدّد العلاقات بين الإخوة، رابط القرابة في حدّ ذاته يُميّز ويُفرّق بين هذه العلاقات، مثلا أخ ينادي أخاه الآخر من نفس سنّه أو أصغر منه "خويا"، أو أكبر منه "خويا" ويضيف اسمه. حتى البلوغ مع حوالي 12 سنة العلاقات بين الإخوة لا تكون إجبارية: الألعاب، الدراسة، التعلّم الاجتماعي، كلّ ذلك يُقربهم، بعد البلوغ يستيقظ الوعي بالرجولة والجنسية التي تُصبح طابو، ممنوعة بين الإخوة، وكلّ منهم يحتفظ لنفسه بأفكاره الخاصّة، أحاسيسه وخبراته وتجاربه، وغالبا يكون للأخ شخص يثق فيه هو ابن عمّه وهي علاقة تدوم طويلا. أيضا بين الإخوة المراهقين والراشدين فإنّ التواجد معا في أماكن عمومية مثل المقهى، مسرح، سنيما وغيرها فإنّها مواقف يجب تجنّبها، لأنّ ذلك قد يُؤدّي إلى فقدان الاحترام الواجب أدائه بين الإخوة فيما بينهم. ما يتمّ



تشجيعه بين الإخوة المراهقين والراشدين هو "المشاركة في الصلاة الجماعية في المنزل أو المسجد، دروس الفقه والأخلاق، وتذكّر متانة ورسوخ روابط القرابة، الترابط العائلي الذي يُظهر قيم الأسلاف، حلّ بشكل ودي الصراعات التي يُمكن أن تحدث ودون تدخّل الأب داخل العائلة وخارجها، وأخيرا تجميع الأفكار والأفعال داخل مشاريع مشتركة ونشاطات يومية وغيرها" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :64).

ومع مرور الزمن بقيت آثار الثقافة الأبوية إلى يومنا هذا وهي تنتشر داخل العائلات التقليدية، أين نجد أنّ للأخ بصفة عامّة والأكبر بصفة خاصّة دورا مهمّا ألا وهو توفير الحماية لأخواته البنات ومراقبتهم. وهذا الدور الذي مُنح للأخ امتدّ حتى إلى العائلات المهاجرة من أصول مغربية في أوروبا، حيث يكون الأخ مسؤول عن حماية أخته وحراستها ومراقبتها، وعلى الأخت احترامه حتى لو كان أصغر منها سنّا، إذ أنّ الإخوة الأولاد "يُمكن ألا يكونوا حتما الأكبر سنّا من البنات، أحيانا هنّ أنفسهنّ يكنّ الأكبر سنّا من إخوتهم، لكن وضعيتهم [الإخوة الأولاد] كإخوة أصغر بسنوات فقط كافية لكي يكون لديهم مقدرة (Pouvoir) على أخواتهم" (LACOSTE- DUJARDIN . C, 1992 : 40).

#### 4-8-3- علاقات القرابة الثانوية:

وتخصّ هذه العلاقات العمّ وابن الأخ من جهة وأبناء العمّ من جهة أخرى. يحصل العمّ على نفس الاحترام والتقدير الذي يحظى به الأب، ولكن دون تصلّب ومع ليونة. إنّ العلاقة الرابطة بين العمّ وابن الأخ هي مُشابهة في الشّكل للعلاقة بين الأب والابن. يُمكن للعمّ أن يحلّ محلّ الأب، ويقوم بتعليم ابن أخيه وتوجيهه الاجتماعي والأخلاقي، ومتابعة تصرّفاته وسلوكاته، ويتقبّل ابن الأخ ذلك دون مانع، وأحيانا الأب يُوكّل أخاه ويُعطيه كلّ الصّلاحيات لتربية الابن. إذن "إنّ مكانة (Statut) العمّ يُمكن اعتبارها مساوية لمكانة الأب، ومكانة ابن الأخ هي مساوية أيضا لمكانة الابن" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :64).

يلعب الأب دوره إزاء أطفاله داخل نظام علاقات يتركز على عدم المساواة في الروابط، أما العمّ يلعب دور السند والحامي مع حرية أكبر في السلوكيات: عندما لا يُحلّ مشكل ما مع الأب، يتّجه الابن لمقابلة العم، وشرح له دون انزعاج أو تضاييق أفكاره العميقة ودوافعه التي لم يستمع إليها الأب ولم يفهمها. "العمّ في اتجاهاته مع ابن أخيه يخفض من العلاقات غير المتساوية المرتكزة على القيم الدينية، السالفة، الاجتماعية والنفسية، وبالتالي القيم الشكلية بين الأب والابن تُصبح ثانوية بين العمّ وابن الأخ الذي هدم جدار الاحترام المتصلّب المشلّ للحركة" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :64).

فيما يخصّ سيرورة العلاقات بين أبناء العمّ فهي مشابهة للعلاقات بين الإخوة، فهي أيضا تتركز على عدم مساواة والتي تأخذ بعين الاعتبار السنّ، ثمّ الاحترام الأساسي والواجب أدائه بصفة مقدّسة لرابط الدم الذي يُظهر نوعا من التصلّب المترجم من خلال الانزعاج أثناء التواجد معا في أماكن عمومية، أيضا العلاقة مع ابن العمّ تُعوض عدم المساواة في العلاقة بين الإخوة، حيث العلاقة مع ابن العمّ تكون أكثر حرية، ويكون مركز ثقة، يُمكنهم الذهاب معا إلى الأماكن العمومية المختلفة، والحديث عن أمور الحياة الدنيوية بحرية أكبر. في هذه العلاقة بين أبناء العمّ هي أيضا يحكمها عامل السنّ، "فابن العمّ الأكبر سنّا يجب احترامه تماما مثل الأخ الأكبر، لكن الذي هو من نفس السنّ فهو ما تربطه به علاقة ذات حرية أكبر. ولكن الروابط التي تكون أكثر حرية هي تلك التي تكون مع ابن الخال من جهة الأمّ" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :65).

#### 4-9- علاقات القرابة الأمومية:

إنّ للأمّ وضعية مُضاعفة، وتبدو أنّها تلعب دورا مضاعفا داخل عائلة زوجها وأطفالها. الأمّ هي أوّلا وقبل كلّ شيء الوالدة (Génitrice)، الأمّ هي التي ولدت وأعطت خلفا لزوجها، وهنا هي تُثبت وتُبرهن وتُفرض نفسها داخل العائلة من خلال إنتاجها الديمغرافي، فكلّما أنجبت أطفالا ويُفضّل أن يكونوا ذكورا كلّما تتشبّت وضعيتها وبالتالي تُؤكّد وجودها وتفرضه أمام الزوج وعائلته. الروابط الأمومية بين الأمّ وأطفالها هي روابط تكون حساسة وهي

تُشكل سمة اتحاد بين الأم وأطفالها وجميع أعضاء العائلة الآخرين: الزوج، أب الزوج، أم الزوج، أخت الزوج، أخ الزوج،....

إنّ الأمّ منذ مجيئها إلى العائلة، ومنذ الزواج هي امرأة ذات أصل مختلف من عائلة أخرى، عائلة أجنبية عنهم، أيضا هذه المرأة، الزوجة الجديدة تكون غريبة وأجنبية وعند مجيئها يكون مُقلّل من شأنها نوعا ما إلى أن تقوم بإثبات جدارتها على أنّها ربّة بيت جيّدة وأنّها تُتقن الأشغال المنزلية، بارعة في المطبخ، الخياطة، والأعمال المنزلية الكبيرة، وخاصّة عندما تُنجب الأطفال ومن الأفضل أن يكونوا أولادا. لكن حتّى وإن كان للأمّ كلّ الإمكانيات لأن تكون مُدمجة بشكل أكبر داخل عائلتها الجديدة من خلال المعايير المذكورة سابقا، إلا أنّه لا يُمكن أبدا لهذه العائلة أن تترك الأمّ تحتلّ وتستولي كثيرا على أطفالها، وأن تحدّثهم كثيرا عن عائلتها الأصلية، بمعنى الأحوال والخالات: "إذ يوجد نوع من المنافسة بين عائلة الأمّ وعائلة الأب فيما يتعلّق بالعلاقات العاطفية التي يجب أن يحملها الأطفال اتّجاه هذه أو تلك من العائلتين، علاقات تُحدّد درجة اندماج الأطفال داخل عائلة الأب. القليل من الأطفال لديهم علاقات وتضامن مع عائلات أمهاتهم، حيث كلّما كان هناك علاقات وتضامن أقلّ كلّما كان هناك اندماج أكبر مع عائلة الأب" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :66).

لهذا فإنّ العائلة الأبوية التي يعيش فيها الطفل تُحاول التّخفيض من قيم عائلة الأمّ أمام الطفل. بالتّالي تظهر عائلة الأمّ على أنّها تنقصها الاستعدادات، ونقائص ظاهرة وأيضا نقص للرجولة في سلوك أعضائها. وهنا يكون ردّ فعل الطفل واضحا وجليّا اتّجاه المعلومات السلبية، حيث يُفضّل عائلة الأب، وهذا يبقى بطريقة مستمرة مؤثرا في نمو وتطوّر الطفل. وهذا يشير إلى العائلة الأبوية: "العائلة تُخلد وتدوم من الأب إلى الابن وليس من الأمّ إلى البنت، من خلال قيام السّلف الأبوي، من خلال أبوية السّكن، ومن خلال الهيمنة الأبوية، وهذا يكشف عن حدود قويّة هي موضوعة بين عائلة الأب وعائلة الأمّ، والقطب الإيجابي لهذه العاطفة يكون في جهة عائلة الأب" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :67).

إنّ الموقف والاتجاه المتّخذ من طرف عائلة الأب في علاقتها مع عائلة الأمّ تكون بتحديد العلاقات بين العائلتين، وإن وُجدت هذه الأخيرة فإنّه يجب أن تكون شكلية فقط. إنّ الأب الذي يأتي إلى زيارة ابنته والتي هي أمّ وزوجة في عائلة جديدة فإنّه لا يُستقبل كأب وإنما كضيف خاصّ بها، ويتمّ استقباله في الجزء في المنزل المخصّص للضيوف العابرين، ونساء عائلة زوج ابنته لا يظهرون أمام هذا الضيف، وبهذا المعنى هو يعتبر كعنصر أجنبي عن العائلة. وحضور الأمّ (أي أمّ الزوجة) موسوم بنفس التحفظ: رجال العائلة لا يقتربون منها إلاّ من أجل الترحيب بها فقط، ولكن يبقون بعيدين طيلة الوقت الذي تكون فيه تلك الأمّ موجودة داخل العائلة. من خلال هذه الاتجاهات "عائلة الأب تُحافظ وتُبقي ذلك التحفظ المستمرّ إزاء عائلة الأمّ، وهي بذلك تُحافظ على ترابطها وتُبعد كلّ خطر للمناقشة التي يُمكن أن تأتي من الأمّ أو من عائلتها" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 67).

#### 4-10- المرأة داخل العائلة الجزائرية:

المجتمع الجزائري ومن خلاله العائلة الجزائرية لا تتكوّن فقط من رجال راشدين ومسؤولين، بل هذا المجتمع هو مُكوّن أيضا من نساء وأطفال الذين يضعون كلّ ثقلهم على بنيّاته ويؤثرون فيه، وبهذا الصّدّد أشار Boutefnouchet . M إلى نقطة مهمّة جدا تتعلق بما ذكر سابقا: "هذه الحقيقة تبدو بديهية وتحصيل حاصل، لكن للأسف هناك بعض المؤلفين يناقضون ذلك من خلال توضيحاتهم حول العائلة والمجتمع الجزائري، موضحين أنّ المجتمع الجزائري لا يوجد ولا يعيش إلا من خلال الرجل. هذا المجتمع هو مجتمع رجال" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 67).

الرجل الراشد الجزائري فعلا يحتلّ مكانة وهو العنصر المكوّن والمركّب للمجتمع الأكثر بروزا اجتماعيا واقتصاديا، العضو الظاهر والمرئي، لأنّ هذا المجتمع اختار إظهار رجاله، إنّه فعل اجتماعي ثقافي. وهنا أضاف Boutefnouchet . M: "لكن عوض القول أنّ المجتمع لا يوجد إلا من خلال الرجل، من الأفضل قول الرجل

الراشد الجزائري لا يعيش ولا يوجد إلا من خلال ومن أجل المجتمع" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 68). وفي هذه الحالة الرجل الراشد الجزائري لا يكون السيد القوي والعنصر صاحب الامتياز داخل العلاقات، رب الأسرة صاحب المقدرة والسلطة على جميع أعضاء عائلته، بل سيصبح الرجل المتحمّل لثقل البنات الاجتماعية، العنصر الذي من خلاله المجتمع (رجال ونساء وأطفال) يُترجم كلّ تمنياته وآماله، إشباع حاجاته، يُؤمن ويضمن خلوده وبقاءه ويُؤسّس تنظيمه. إذن "الرجل لا يكون في القمّة ذو الامتياز للبنية العائلية والبنية الاجتماعية، لكن سيكون في القاعدة لإنشاء وتأسيس هذه البنية كخادم مُتحمّل لكلّ واجبات وضغوط البنات والعلاقات الاجتماعية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 68).

كلّ هذا يُحيلنا إلى الحديث عن وضعية ودور المرأة والطفل داخل المجتمع. فيما يتعلّق بالمرأة يوجد حُكم مسبق عنها والذي يجب مواجهته ومقاومته بشدّة على حدّ تعبير Boutefnouchet . M: "المرأة داخل العائلة الجزائرية لم تكن أبداً شبه أمة، ولا أداة بيد الرجل، خادمة خاضعة للعائلة، الموضوع الجنسي الذي يجعل الرجل في موقف شكر، كلّ هذه المصطلحات دخلت من خلال تأشيرة التّيّار النسائي الذي هو منتشر في الغرب منذ منتصف القرن 19م، وعرف ازدهارا في نهاية الحرب العالمية الأولى 1914-1918، هذه الحركة النسوية الناتجة عن التناقضات الداخلية في المجتمع الغربي أنشئت على المطالبة بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، والاعتراف بشخصية المرأة كفرد له كيان نفسي اجتماعي" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 68).

قامت الأمانة الاجتماعية للجزائر العاصمة في 1967 بدراسة حول عالم النساء وذلك بالتركيز منذ البداية على أنّ "الجزائر كمّا ليست عالم رجال، ولكن هي عالم نساء، مع تقدير نسبة 105 امرأة مقابل 100 رجل" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980: 69). إنّ منطقة الريف بالخصوص تعرف هيمنة لنسبة النساء بسبب عوامل الهجرة إلى الخارج والنزوح إلى المدن، ومن خلال نسبة كبيرة جدّا خلال الاستشهاد في الثورة التحريرية، وهذا ما تطرقت إليه Lacoste Du Jardin . C في كتابها *Des mères contre les femmes*، حيث

أشارت إلى انخفاض نسبة الذكور في الجزائر وبالخصوص في منطقة القبائل بسبب الهجرة إلى الخارج بالدرجة الأولى. وهنا وضّح لنا ذلك Boutefnouchet . M عندما طرح السؤال التالي وحاول الإجابة عنه: "المجتمع الجزائري هو مجتمع رجال؟ كميا هذا خطأ، في حين من وجهة نظر علم الاجتماع (...) فإنه صحيح أنّ المجتمع الجزائري هو أولاً وقبل كلّ شيء هو مجتمع رجال. هذا يتعلّق بقواعد الجزائر الأصلية، التي تُوجب على المرأة وجوداً ممحواً، متواضعاً، الذي يفلت من النظرات الأجنبية الخارجية وأولاً من نظرات الرجال" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :69). بالنسبة للفرد الأجنبي عن هذا المجتمع والذي يقوم بملاحظته ومعايشة عالم الرجال يُخطئ في فهم المجتمع الجزائري، بحيث يُمكن أن يُقلّل من قيمة الوزن الوجودي لعالم النساء. فعلا عالم الرجال يحتلّ المقدّمة ولكن عالم النساء الذي يحتلّ مكانة في الخلف، فإنه يُمارس داخل المجتمع الجزائري أدواراً مهمّة لا يُمكن تجاهلها بل وله مقدرة (Pouvoir) وهذا ما أشار إليه Fsian . H عندما تحدّث في مقال له عن المقدرة الأنثوية (Le pouvoir féminin) والذي سنتطرق إلى مضمونه لاحقاً. فعالم النساء يُهيمن من خلال احتجابه واختفائه بالمقارنة مع عالم الرجال الذي يظهر في النهار في أماكن عمومية مختلفة، أمّا النساء فلهنّ عالم مهمّ جداً، وهو يقع في جزء خفيّ ومحجوب عن المجتمع ألا وهو داخل العائلة: "يظهر أنّه يوجد مجتمعين في الجزائر، مجتمع نساء ومجتمع رجال أو ما يُشار إليه بعالم النساء وعالم الرجال، هذين المجتمعين الذكوري والأنثوي مفصولين من خلال حدود واضحة: جدران المنزل الكبير، أحدهما يبني حياته خارج الجدران، والآخر داخل هذه الجدران" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :70).

بالرغم من هذا الفصل بين هذين المجتمعين الذكوري والأنثوي إلا أنّه يوجد أيضاً مجتمع شامل، أين يتداخل هذان العالمان ويتزوج أعضاؤهما ويكتملان بعضهما البعض. وكذلك المجتمع الأنثوي لا يوجد ولا يحيا إلا من خلال ومن أجل المجتمع الشامل. المرأة داخل المجتمع الجزائري التقليدي هي قبل كلّ شيء حجب، تحقّظ، حشمة، رصانة، سرّ بالمقارنة مع الرجل الذي هو عظمة، شرف وفخر، لكن خصائص الرجل وأوصافه يتمّ ضمّها

إلى المرأة: "المرأة يكون لها قيمة وسط النساء الأخريات وداخل عائلتها الأصلية، إذا كان زوجها ووالديه تتجمع لديهم كل القيم الإيجابية المتعلقة بالأصل، الشرف، النسب والدين،... وبالتشابه إذا كشفت المرأة عن قدراتها وقيمتها الأنثوية، فإنّ الرجل -الزوج، الأخ، الأب- يكون له نفوذ، شهرة، تباهي وشرف" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :71).

كذلك داخل العائلة لا يوجد تعارض اجتماعي بين الرجل والمرأة، لكن إن صحّ التعبير يوجد وحدة ورابطة، تكامل واضح حول المبادئ الأساسية للعائلة، وممارسة وتعزيز القيم السالفة للعائلة. إنّ الرجل والمرأة داخل العائلة الواحدة لهما علاقات قرابة، وبالتالي لهما مصلحة ومنفعة مشتركة: "الاتحاد من أجل تنفيذ الهدف المشترك المتمثل في التحالف العائلي، هيبية ونفوذ عائلي" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :71).

داخل هذه المبادئ الرئيسية للمرأة دور محدد تلعبه خارجا عمّا يتعلّق بشخصيتها الخاصّة وما يمكنها تحمّله من إيجابيات لشرف العائلة:

- يجب عليها المحافظة على طهارتها الجسمية أولاً والأخلاقية بعدها: هذا يصونها ويحميها ويراقبها ويحفظ نقاءها، ويحفظ كذلك كلّ عائلتها ويصونها من العار.

- يتوجّب عليها أن تُثبت وجودها المنزلي: يجب أن تُؤمّن وتضمن السّير الحسن للمنزل الكبير الذي يعيش فيه العديد من الأشخاص.

- لها دور اقتصادي تلعبه: وهذا من خلال تسيير المدّخرات الغذائية والمحافظة عليها بجعلها تكفي لأطول مدّة ممكنة.

- يجب عليها أخيراً أن تلعب دورها كأمّ: وهذا أهمّ واجب حيث يجب عليها: "بداية أن تكون ولودة، ثمّ أن تمنح ابنتها تربية جيّدة، لأنّها هي التي تتكفّل بنفسها بهذه المهمّة، وكذلك تمنح لولدها عاطفة كبيرة وأحسن حماية ورعاية أمومية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :71).

إنّ من المثير للانتباه في مجتمع يتميّز بأبوية متصلّبة وصارمة أن يتواجه في لحظة أو أخرى من تطوّر وتنظيم العائلة بنظام أمومية التي جاءت لتقاوم وبقوّة سلطة الأب. كما يجدر بنا الإشارة إلى أنّه كلّما كان حجب المرأة صارما في صغرها كلّما يُصبح لينا ومتسامحا عندما يصير للمرأة أطفالا، وعندما تكبر في السنّ، وهذا ما أشار إليه M. Boutefnouchet وكذلك Elkheyat . GH وسنتطرق إلى أفكار هذه الأخيرة لاحقا. وكذلك بالإضافة إلى هذا التطوّر نحو ليونة كبيرة اتجاه الأمّ والكبيرة في السنّ، فإنّها تحظى بالاحترام الذي يُقدّمه لها رجال العائلة الآخرين، كما أنّ العاطفة التي كانت تحملها لأطفالها الذين أصبحوا راشدين، متزوجين، أذى إلى أنّ "الأمّ الكبيرة هي مثلا للشرف، جزء في سلطة ربّ العائلة" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :71).

#### 4-11- العائلة في الإسلام:

إنّ مفهوم العائلة في الإسلام يشمل جميع الأقارب، فهي تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، ويدخل في هذا الأجداد والجدا، وتشمل أيضا فروع الأبوين وهم الإخوة والأخوات وأولادهم، وتشمل أيضا فروع الأجداد والجدا فتشمل العم والعمة وفروعهما، وهكذا فالعائلة تعني عموم النسب وحواشيه. وفي وجهة النظر الدينية الإسلامية أول عائلة وُجدت في التريخ الإنساني هي عائلة آدم وزوجة وذريتهما، ومنها نشأت العائلات فتكوّن المجتمع الإنساني. ولاشك أن العائلة بكلّ ما فيها من صلوات متعدّدة كانت موضع اهتمام كبير من الإسلام، ومن مظاهر عناية الإسلام بها، وحرصه على صيانتها أنّ "القرآن قد تعرّض لبيان الأحكام المتعلقة بالعائلة بصورة تفصيلية شاملة، فشرّع الزواج، ووضع الأحكام التي تُنظّم العلاقات بين الزوجين وغيرها من أفراد العائلة" (التميمي ع.خ وآخرون، 1988: 153).

إنّ تكوين العائلة في الإسلام يكون مبني على علاقة شرعية بين الرجل والمرأة: يكون بالزواج، وقد وردت النصوص الشرعية التي تُرغّب في الزواج وتحثّ عليه، ومن هذه النصوص وغيرها استدل الفقهاء على مشروعية الزواج، وعلى الرغم من ذلك فإن حكم الزواج في الشريعة الإسلامية يختلف باختلاف مقدرة الأفراد المالية



واستعداداتهم الجسمية والخلقية. وقد حث الإسلام أيضا على التبكير بالزواج، حتى يبدأ حصر الصلة الجنسية للرجل والمرأة بالزواج في سن مبكرة منذ بدء فوران هذه الغريزة وبذلك يبقى الإنسان طاهرا بعيدا عن الحرام، وهذا ما نجده في النظام الاجتماعي الأبوي المستمد لمبادئه وقيمه من الإسلام. كما منح الإسلام الحق للمرأة بقبول أو رفض الشريك المتقدم، فالزواج هو "عقد ولا بد فيه من رضی الطرفين، ولذلك فإن إكراه المرأة على الزواج يبطل العقد سواء كانت ثيبا أو بكرا" (التميمي ع.خ وآخرون، 1988: 155).

### خلاصة:

لقد حاولنا في هذا الفصل الإلمام بمختلف المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بموضوع دراستنا، حيث تطرقنا إلى أهم المفاهيم القاعدية، والتي لها علاقة بمفهوم المكان، كما قدمنا مختلف التعاريف لمفهوم الثقافة التي استخلصنا منها في الأخير أنّها طريقة عيش معينة لمجتمع ما، وكذا ذكرنا أنواعها والعديد من العناصر التي تُمثّل محدّدات للثقافة، والتي لا يخلو أي مجتمع منها، كما تحدّثنا على الثقافة الجزائرية والإسلامية. ثمّ عرّجنا على مفهوم النظام الاجتماعي وأهميته ومختلف التحولات التي طرأت عليه في مجتمعنا. وفي الأخير تطرّقنا إلى مفهوم العائلة والذي أشرنا فيه بعد التعاريف إلى بنية العائلة الجزائرية وكيف تحوّلت من عائلة أبوية إلى عائلة نووية، دون إهمال مختلف النظريات ومراحل التطوّر، وكذا مكانة العائلة في الإسلام.

## الفصل الثاني: الشخصية ومشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر

### La personnalisation et le projet de vie chez la femme en Algérie

تمهيد.

#### 1- الشخصية.

- 1-1- تعريف الشخصية واستراتيجياتها.
- 1-2- الهوية، الهوية الفردية، الهوية الاجتماعية والهوية الثقافية.
- 1-3- سيورة تكوّن الهوية كسيورة جزئية للشخصية.
- 1-4- التنشئة الاجتماعية و الشخصية
- 1-5- الارتهان و الشخصية.
- 1-6- شخصية المرأة في الجزائر.

#### 2- مشروع الحياة.

- 2-1- تعريف المشروع.
- 2-2- الجوانب الوظيفية للمشروع.
- 2-3- العوامل المساهمة في إعداد مشروع.
- 2-4- أنواع المشروع.
- 2-5- المشروع، صورة الذات، الشخصية والتنشئة الاجتماعية.
- 2-6- استراتيجيات المشروع.
- 2-7- مشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر.

خلاصة.

## تمهيد:

خلال مراحل النمو يمرّ الفرد بمجموعة من السيرورات التي هي متداخلة فيما بينها، فمثلا إنّ الحديث عن الهويةّ يحيل بالضرورة إلى بعض السيرورات الأخرى ذات الصلة، ومن بينها الشخصية (La personnalisation) التي هي مرتبطة بسيرورات أخرى مثل مشروع الحياة (Le projet de vie) وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

### 1- الشخصنة:

إنّ هذا المصطلح حديث في حقل علم النفس والبحث النفسي، وفيما يلي سيتمّ تقديم تعريف له وربطه بمختلف السيرورات الأخرى.

#### 1-1- تعريف الشخصية واستراتيجياتها:

قُدِّم مصطلح الشخصية من قبل Tap . P وهو يعرفه على أنه: "سيرورة التركيب والإثبات النفسِي للشخص، طيلة حياته وليس فقط أثناء الطفولة أو المراهقة. تُسهّل الشخصية تموضع أسلوب شخصيّة معيّن (بمعنى الطريقة التي يُرتب بها الفرد سلوكاته ونشاطاته العقلية تحت عمل الضغوط، الوسائل والخصائص الديناميكية للموقف). تشمل الشخصية على ديناميكية تكوّن الهويةّ (Identisation)... (SORDES-ADER . F et TAP, 2002: 160). ويضيف في هذا الصدد الشخصية هي: "السيرورة التي من خلالها الفرد، منذ الطفولة، لا يُساهم فقط في تركيب شخصيته داخل عمل معقّد للعديد من التحديدات، ولكن هي القدرة، طيلة حياته على إعادة النّظر في كلّ ما تمّ تطبيقه عليه، بفضل قدراته المكتسبة على التّمييز، الفهم والاستقلالية" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 10).

الشخصنة لا تتوقّف في مرحلة المراهقة بل تكون مستمرة في كلّ قصّة حياة الشخص. كما أنّها تتعلّق بمجموع الاستراتيجيات المستخدمة من قبل هذا الشخص من أجل البقاء على قيد الحياة والصمود، ترقية الذات،

يُنشأ اجتماعيًا، يتوافق مع ذاته على أنه شخص ويتصرف على ذلك الأساس، ويكوّن كذلك خطّ سير الذي يحمل سمته المميّزة له وسط محيطه. يُمكن أن يكون خطّ السير هذا مألوفًا أو إبداعيًا، متمركزًا حول الذات أو غيريًا، مؤسسًا على النجاح الاجتماعيّ أو على التّموّ الشخصيّ. وما هو مهمّ لدراسته هو المعنى (Sens) الذي يعطيه الفرد لتصرّفاته الخاصّة للآخرين، إنّها القيمة التي تخصّ مجموعة التّصرّفات، الأنظمة الاجتماعية أو الثقافية المرجعية، كذلك دراسة كيف يُحقّق ذاته من خلال الارتباطات (Engagements)، إمّا بالمخاطرة أو الانسحاب، وعلى أيّ أساس يُبرّر اختياراته وتوجيه مشاريعه. إنّ دينامية الشخصية هي "السيرورة التي من خلالها الشخص يتكوّن وينمي ذاته ويتكيف (...)", يتحرّك ضمن مشروع، تكوين تدرّج للقيم الشخصية والجماعية، وذلك بالأخذ في الحسبان الهوية وأصوله ذات الارتباط بالمواقف والتفاعلات" (ESPARBÈS-PISTRE . S, SORDES-). (ADER . F et TAP . P, s.a: 257).

يتشخصن الفرد من خلال ردّد فعله اتّجاه ما يرتبتهه (Aliène) ويكون ذلك من خلال بحث متعدّد سجّلها Fsian . H في دراسته (FSIAN . H, 2006 : 93-94):

- بحث عن القدرة والتّأثير (Quête de pouvoir et d'influence): إمكانيّات وكميّات التّصرّف اتّجاه المواقف الخارجيّة، ومراقبة العلاقات مع المواضيع (Les objets) و مع الآخرين. القدرة هي ليست خاصيّة وإنّما وسيلة تبادل في علاقة الفرد الفعّال مع الآخرين.

- بحث عن معنى (Quête de sens): الفاعل (Sujet) بحاجة إلى الفهم والتّفكير. إنّ سعّي لإعطاء مدلول لذاته وللعالَم. لكنّه بحاجة لإعطاء معنى إلى كلّ ذلك بالارتباط مع تاريخه الخاصّ، أصوله ومع آماله وأمنيّاته.

- بحث عن القيم (Quête de valeurs): حاجة إلى تدرّج وترتيب قيمة المواضيع (Les objets)، الموقف، الكائنات والذات بناءً على الموقف الصّراعيّة وإلحاحيّة الخيارات، حاجة إلى خلق قيم السّيطرة على المواضيع، على الذات والآخرين.

- بحث عن الاستقلاليّة (Quête d'autonomie): أثناء فترة المراهقة يُحاول الفاعل (Sujet) الابتعاد عن تبعيّة الطّفوليّة إلى عالم الرّاشدين. يبحث عن ترك ذلك الاستناد الوالديّ والتّبعيّة للمؤسّسات. إنّّه يريد تكوين حدوده الخاصّة به، يريد تثبيت قواعد عيش بنفسه ومراقبتها. يتضمّن البحث عن الاستقلاليّة سيرورة التّمييز (Différenciation)، تجاوز الارتهانات (Aliénations)، العجز، وضعنة (Objectivation) التّبعيات والصّراعات.

- بحث عن تحقيق الذات (La quête de réalisation de soi): حاجة إلى تحقيق ما هو كامن، توحيد الأنا (Unification du moi)، السّيطرة على الإمكانيّات، تنسيق الآمال داخل برنامج حياة، تنظيم الغايات والوسائل والقدرات، الواقع والحاضر، وذلك بناءً على الموقف والمؤسّسات. بتحقيق ذلك يحقّق الفرد ذاته، يتكوّن ويُدعم هويّة مستمرّة، متواصلة وإيجابية. يستطيع إذن التّنبؤ، التّفكّح وإثراء اتّصالاته مع الآخرين.

لا تتعلّق الشّخصنة بعلاقة الذات بالذات أو علاقة الجسم الخاصّ بالفرد مع الخصائص النّفسيّة الفرديّة، إنّما تتركّب داخل علاقات مع الآخرين وسيرورات بين شخصيّة (Interpersonnel)، تفاعلات واتّصالات، داخل مجموعة من الأدوار والتّمثّلات (Représentations). تتركّب من خلال التّثقّف (Enculturation)، والذي لا يُدرك كاندماج غير فعّال للذات داخل الثقافة ولكن يُدرك كتركيب فعّال. كما أنّ الشّخصنة "لا تقتصر على الفرديّة-تكوّن الهويّة (Individuation-identisation) (إثبات الذات، استقلاليّة، توحيد، استمراريّة)، ولا على التّثقّف (Enculturation)، إنّما هي أيضا محاولة لتجميع ما سبق من خلال تركيب الأهداف، القيم، مشاريع

تغيير الذات والتغيير داخل العلاقات بين الشخصية وداخل القواعد أو المؤسسات الاجتماعية والثقافية" (FSIAN : 95, 2006, H.).

إنّ أدوار وتمثّلات جنس معيّن لديها مكان واسع ووظيفة مهمّة خلال سيرورة الشّخصنة - عدم الشّخصنة - إعادة الشّخصنة (Personnalisation-Dépersonnalisation-Repersonnalisation). إنّها تتعلّق بمجموع نشاطات الفرد وتستعمل الهويّة الجسميّة، صورة ذاته داخل علاقاته مع الآخرين من نفس الجنس أو من جنس مختلف، وضعيته داخل المجتمع. وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ "الطريقة الأنسب من أجل تحليل سيرورة الشّخصنة المعقّدة جدّا هي طريقة دراسة السيرة الذاتية" (FSIAN . H, 2006 : 96). فهي تسمح لنا بتتبّع تكوّن حياة الشّخص وذلك من خلال العودة إلى مراحل العمر المختلفة التي مرّ بها، لهذا تبنيّا هذه الطريقة في دراستنا.

إنّ أفعال الأشخاص والتصرّفات هي ليست فقط استجابات للعالم الخارجي، وإنّما أيضا وبالخصوص استجابات للذات نفسها، بحث عن صورة مثالية. هذا كلّه يحيل إلى أنّ نموّ السيوروات النّفسية-الاجتماعية يكون تبعا لأربع مراحل (FSIAN . H, 2006 : 98-99):

- استقرار ونفوذ اجتماعي ثقافي (Ancrage et emprise socioculturelle): حتّى يتمكّن الفرد من التكيّف اجتماعيا يجب عليه امتلاك قواعد، معايير وقيم من خلال الاستدخال (Intériorisation)، يستقرّ في علاقات، يتعلّق بأشخاص، يندمج داخل شبكات ثقافية.

- انفصال (Déprise): إنّ التناقضات الاجتماعية الخارجيّة، الانقسامات الداخليّة التي يعيشها الفاعل (Sujet) بفعل إحباط الرغبات أو تثبيت الأهداف، كلّ ذلك يُولّد صراعات بين طرق العيش والمواقف الجديدة ممّا يُؤدّي

إلى عدم تكيف السلوكات المعتادة. يجد الفرد نفسه في وضعيّة لا استقرار، انفصال، تفكك ولاإندماج الأنا وبمعنى أشمل يكون في وضعيّة أزمة.

- عودة الانسجام من جديد (Reprise): يؤدّي موقف القطيعة الذي يعيشه الفاعل (sujet) إلى حثّه على القيام بمحاولات حلّ هذا الصّراع. من بين هذه المحاولات نجد: الثّوران والثّمرد، دفاع عدوانيّ، تهْميش، الهروب كدفاع، البحث عن أفكار جديدة التي تسمح بالاندماج.

- عمليّة الإنشاء (Entreprise): على الفرد أن يكون مع وليس ضدّ. هنا نلاحظ الفاعل (Sujet) يبحث عن إمكانيّات ووسائل جماعيّة أو على الأقلّ الاعتماد على الآخرين من أجل تحقيق الذات وذلك بوضع برنامج، هدف جديد تعاوني عند الاقتضاء.

وتبعاً لهذه المراحل الأربع، تبدو الشّخصنة كمحاولة تعمل على التّنسيق بين ظروف الوجود، التّحريضات التّفافية، كميّات الاتّصال الخاصّة بالتّفاعل، وسائل تحقيق الذات، السيرورات والأحداث الخاصّة بتاريخ الفرد. فقط تحليل السّيرة الذاتيّة يسمح بفهم أحسن لهذه المحاولة داخل عمل المواجهات والصّراعات، النّجاح أو الفشل، الأهداف المتمركزة حول الذات (Egocentrique) أو متمركزة حول الغير (Altérocentrique). "إنّ كلّ شخصنة تُسجّل ضمن شبكة معقّدة من التّأثيرات داخل الشّخصية والاجتماعية التّفافية، غير المتجانة والمتعارضة" (FSIAN . H, 2006 : 99).

إنّ التّطابق مع التّوقعات الوالديّة واستدخال القواعد الاجتماعية والتّفافية عبر عمل التّماهي الفئويّ المتعلّق بالجنس (Identification catégorielle de sexe) يُمكنه أن يساهم في شخصنة الفرد وذلك من خلال إثبات الهويّة، مواجهة حالة نقص سابقة أو تبعيّة أو ارتهان ناتج عن العجز. إنّ من خلال بحث الفرد على أن يكون مثل الآخرين، وفي نفس الوقت البحث عن التّوافق الشّخصي الدّاخليّ، فإنّه يُعزّز تقديره لذاته وترابطه

الداخلي. لكن هذا الاندماج داخل جماعة الانتماء، أو تلك التبعيّة إلى التّوقعات الخاصّ بالوالدين، أحكام ونظرة الآخر كلّ ذلك يُؤدّي إلى الارتهان إذا لم يكن هناك تمييز مهمّ، وضعنة (Objectivation) للتّماهيات المتباعدة والمتضاربة، محاولة مضاعفة لتجاوز: التّمرکز حول الذات من جهة، والضّغط وطاعة سلطة الآخر من جهة أخرى. هذا التّجاوز لا يمكن الحصول عليه إلاّ من خلال انفتاح مزدوج زمنيّ واجتماعيّ: "من خلال مشروع وبرنامج الحياة حيث يتحرّر الفاعل (Sujet) من التّبعيّة والخضوع، يبحث عن تنمية قدراته من خلال توسيع حقل وتدرّج الإمكانيات" (FSIAN . H, 2006 : 100).

## 1-2- الهوية، الهوية الفردية، الهوية الاجتماعية والهوية الثقافية:

بالرغم من أنّ مصطلح هوية يُمثّل ضرورة أساسية لفهم الفرد وتوجّهاته، إلا أنّ علماء النفس لم يعكفوا مبكراً لدراسته، وكان Erikson . E أوّل من اهتمّ به وأدخله حقل العلوم الاجتماعية، وذلك عندما أشار في أعماله إلى الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية.

يشير مصطلح هوية حسب Erikson . E إلى: "إحساس ذاتي بالوحدة الشخصية والاستمرارية الزمنية" (19 : 2005 . In Marc . E)، هذا الإحساس هو نتيجة لسيرورة مضاعفة التي تعمل في نفس الوقت "داخل الفرد وداخل الثقافة في مجملها" وأضاف: "هذه السيرورة هي في تحوّل وتطوّر ونموّ من خلال تفاعل بين الجانب النفسي والاجتماعي" (20 : 2005 . In Marc . E).

من حيث أصل الكلمة فإنّ الهوية تُحيل إلى المطابق (Identique)، إلى المثل (Idem)، الأمر نفسه (Mêmeté). لكنّ مثلما قال Leibniz: "لا يوجد في العالم موضوعين متطابقين كليّة، ولا يوجد موضوع مطابق لنفسه في زمنين من وجوده (هناك استمرار في العيش). لا يمكن أن يكون لديه إلاّ تشابهات (Ressemblances)، نظير (Semblable) ... وكلّها تبقى نسبيّة. إنّها كلّها نتيجة لمقارنة بين أمور بارزة، التّركيز على أمر محدّد، ذلك بجعل الاختلافات في العمق على الهامش" (MALEWSKA-PEYRE . H)



56 : (et TAP . P, 1991). إنَّ تعريف الهوية يتطلَّب معرفة كيفية المرور من المطابق (Identique) إلى النظير

(Semblable) ومن النظير إلى المختلف (Différent)، من الاختلاف إلى التَّمييز (Différenciation).

يرى Durkheim أنَّه يوجد داخل كلِّ فرد كائنين وهما متداخلين وغير قابلين للفصل في الحقيقة وهو ميِّز

بينهما فقط من أجل التحليل: ويتمثَّل الكائن الأوَّل في الكائن الفرديّ (L'être individuel): وهو "يتعلَّق بما

في داخل الفرد، يمثَّل ما يوجد في العالم الخاصِّ، سماته، طبعه، وراثته، الخبرات و الذِّكريات المرتبطة بتاريخه

الشخصيِّ" (50 : In MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991). والكائن الثاني هو الكائن

الاجتماعيِّ (L'être social): "يتعلَّق بأنظمة الأفكار، الإحساسات والعادات والمعتقدات التي تُعبِّر عن

الجماعات المختلفة التي ينتمي إليها الفرد" ( : In MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991

51). وانطلاقاً من هذا يمكن الإشارة إلى أنماط الهوية والتي تتمثَّل في: الهوية الفردية ( Identité

individuelle) والهوية الاجتماعية والجماعية (Identité sociale et collective) والهوية الثقافية

(Identité culturelle).

- الهوية الفردية: وتُسمَّى أيضاً الهوية الشخصية، وهي "نظام من الأحاسيس وتمثَّل الذات، بمعنى مجموع

الخصائص البدنية، النفسية، الأخلاقية، الشرعية، الاجتماعية والثقافية التي من خلالها يمكن للشخص التعرّف

بنفسه، تقديم نفسه، معرفة ذاته... أو التي من خلالها الآخرون يعرفونه" ( : ESPARBÈS-PISTRE . S et

:07 (TAP . P, s.a).

هذه الهوية الفردية (أنا Je) تتركَّب داخل الاستمرارية (شعور الفرد بأنَّه يعيش في استمرار وجوديِّ وشعوره بأنَّه هو

ذاته مع الوقت)، داخل الوحدة و/أو الترابط (الحفاظ على ترابط التصرفات وتنظيمها وتنسيق طموحاته ومبتغياته،

رغباته واستهاماته، والبحث عن البقاء هو ذاته)، ويحدث ذلك من خلال الانفصال، الاستقلالية، الإثبات عن طريق

التَّمييز، من خلال التَّشاطر والإنتاج ومن خلال التَّقويم (الحفاظ على صورة وتقدير ذات إيجابيين). إذن إنَّها تعني

"أن يُدرك الفرد ذاته، يبقى مماثل لذاته عبر الزمن، وهي تتشكّل في مقابل الآخر أي عندما يتم الانفصال عن الآخر أو بالتحديد عندما يتم التميّز والتفرد عنه" (CITEAU . J.P et ENGELHARD-BITRIAN . B, ) 44 : 1999).

- الهوية الاجتماعية: مجموع الخصائص والمميّزات التي من خلالها يُعرّف الكيان الاجتماعي الفرد، وهذا يعني أنّه يتعلّق الأمر بإدراك الفرد من الخارج، وداخل الهوية الاجتماعية نجد الهوية الجماعية والتي يمكن تعريفها على أنّها "عدد من الأفراد يُحسّون أنفسهم مترابطين مع بعضهم البعض ولديهم إحساس أنّهم جسم واحد" (CITEAU . J.P et ENGELHARD-BITRIAN . B, 1999 : 44). كما أنّها تتعلّق بالتمثّل الذي تُعطيه الجماعات لنفسها وذلك من خلال ما يُكوّنونها. إنّها "نحن Nous" الذي يتقيّد به كلّ فرد من الجماعة. هي تشتمل في آن واحد على تعريف للوحدة (La communauté): ما هو مشترك لدى الجماعة) التي تُشير إلى "نحن" وتشتمل أيضا على الاختلاف، المعارضة (ما يُميز "نحن" عن الآخرين). "تُعتبر الهوية الفردية غالبا إمّا كنتيجة لاستدخال الانتماءات والهويات الجماعية، وإمّا بالعكس كفاعل (Sujet) يُعارض تلك الهويّات الجماعية والذي يُركّب فردانيته وتميّزه" (TAP . P, 1989 : p5). هاتين الهويتين المتعارضتين أحيانا هما في تفاعل باستمرار وأحيانا متمزجان (مثل الجماعة التي هي في توافق مع زعيمها أو الفاعل الذي يتماهى كليّا مع جماعة الانتماء).

- الهوية الثقافية: يُمكن تعريفها على أنّها سيورة التي بفضلها مجموعة أفراد يتشاركون ويتقاسمون طريقة عيش معيّنة لفهم العالم المحيط، الاستجابة له والتواصل مع أفكار الآخرين وأساليب ردود أفعالهم، والوعي بكيفية تفكير مجموعة أفكار آخرين أو جماعات، وأنّهم يستجيبون ويتواصلون بطريقة مختلفة عنهم نوعا ما. وما يجب الإشارة إليه هو أنّ "الهوية الثقافية تُوضّح وتبرز عندما يكون فرد ينتمي إلى ثقافة معينة ويدخل في تفاعل مع أفراد ينتمون إلى ثقافة أخرى مختلفة" (CITEAU . J.P et ENGELHARD-BITRIAN . B, 1999 : 144).

### 1-3- سيرورة تكوّن الهوية كسيرورة جزئية للشخصنة ( L'Identisation comme processus ) :(partiel de personnalisation)

تعتبر سيرورة تكوّن الهوية (Identisation) باعتبارها تكوّن (Genèse) وتاريخ للهوية الفردية هي إحدى السيرورات الأساسية للشخصنة، التي يُعرّفها P. Tap : "كمجموع مرتّب من السيرورات التي من خلالها الشخص يظهر، يستقرّ، يُعبّر، يُقيّم ذاته، يُوجّه نفسه" (MALEWSKA-PEYRE (H) et TAP . P, 1991 : 64).

تتضمّن هذه السيرورة استعمالاً تلقائياً لميكانيزمات معرفيّة، عاطفيّة، ولها وظيفة تعديل الترابط، الاستمرار والإيجابيّة. داخل مواقف الأزمات أو القطيعة (بين الأشخاص، بين شخصيّة و/ أو مؤسّساتية) يُمكن أن تكون هذه الميكانيزمات غير كافية، وبالتالي يُواجه الفرد لا استقرار لصور الذات ممّا يُؤدّي به إلى الدخول في أزمة هوية. أمّا عندما تظهر الهوية متوافقة ومتكيّفة هذا يعني أنّ سيرورة تكوّن الهوية تكون حاضرة أكثر. إنّ كل من الشخصنة وتكوّن الهويّة "لا يُمكن أن يظهر كنمو يتضمّن فقط تعاقب، تكرار وتعقيد، بل إنّهما سيرورتان منظّمتان لتاريخ متعلّق بقطيعة، اهتزاز، الارتداد إلى الماضي، الرّكود والتّقدم المفاجئين" (MALEWSKA-PEYRE (H) et ) (TAP . P, 1991 : 64).

### 1-4- التنشئة الاجتماعية و الشخصنة (Socialisation et personnalisation):

يولد الفرد داخل مجتمع له ثقافة معيّنة، ويعيش وسط جماعة أين يكون لديه علاقات وتفاعلات اجتماعيّة، يُحاول من خلالها تحقيق التكيّف والاندماج الاجتماعيّين، ويدخل هنا دور التّماهيات، الامتلاك واستدخال كميّات وطرق التّصرّف، المعايير والقيم الخاصّة بمحيطه وبالتالي يندمج ويُنشأ اجتماعيّاً، وهذا ما يجعله يكتسب الثقافة ويعيش في حدودها ولا يتعدّها حتى لا يتمّ تهميشه، ويكون مقبولاً داخل المجتمع. فهو يتربّب، ينمو ويُحقّق ذاته في نفس الوقت الذي يتمّ من خلاله تنشئته اجتماعيّاً ويتقيّد بالآخرين ويمثّل إليهم ويتوافق معهم.

تُعرف التنشئة الاجتماعية حسب Durkheim على أنها "السيورة التي من خلالها يفرض المجتمع على الطفل قواعده ومعايير" (ALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : p49). انطلاقا من التعلّم سواءً كان ضمّنياً أو واضحاً، يجب على الطفل استدخال طرق التصرف، التفكير، المثل العليا والممارسات، الاعتقادات والطقوس المطابقة لأوساطه الحياتية وجماعته التي ينتمي إليها من عائلة ومحيط العمل والأصدقاء. يجب عليه أن يدمج هذه المعطيات الاجتماعية والثقافية في بنية شخصيته، وذلك بالارتباط مع الخبرات التربوية، وبفضل وجود وسائط تتمثل في ممثلين اجتماعيين (Agents sociaux): الوالدين وخاصة المعلمين. وكل ذلك يساهم في تكوين الشخصية القاعدية لديه، والتي عرّفها Linton . R على أنها: "المعيار الذي يشير إلى الشخصية المقبولة، الإنسان المثالي لمجتمع ما" (LINTON . R, 1968 : 114)، بمعنى الشخصية التي تُمثل الثقافة وتحمل مختلف عناصرها. تُشكّل هذه العناصر المشتركة مع بعضها وفي مجملها شكلاً متكاملًا ومندمجًا، الذي يُسمّى بالشخصية القاعدية.

من خلال التنشئة الاجتماعية يفرض النظام التربوي (العائلي أو المدرسي) نفسه على الطفل وذلك بقوة لا تُقهر ولا تُقاوم. ولا يُساهم فقط في نقل الضروريات والمكتسبات الاجتماعية ولكن أيضاً يُخلّد المجتمع. إنّ امتلاك المعطيات الاجتماعية الثقافية يمرّ من خلال "التمثيلات الجماعية" المتنقلة من جيل إلى جيل والتي تمّ قبولها من قِبَل معظم أعضاء المجتمع. لهذه التمثيلات خاصّيتين أساسيتين هما: "إنّها خارجيّة عن الأفراد بحيث أنّها تسبقهم في الوجود، تتفوّق عليهم جميعاً وتخلّفهم، وأيضاً هي إجباريّة بحيث يُؤدّي عدم تطبيقها إلى العقاب" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 55).

تحدث التنشئة الاجتماعية تحت ضغط الجماعات والمؤسسات التي هي مسؤولة عنها، والتي تهدف أساساً إلى البقاء والتنمية. ويُمكن لذلك أن يحدث على حساب الأفراد في حدّ ذاتهم لأنّها تفرض نفسها عليهم. يُمكن في بعض الحالات أن تتضمّن التنشئة الاجتماعية تسوية وتوحيد ممّا يُؤدّي إلى إزالة للشخصية أي لا تُساهم

ولا تُؤدّي إلى الشخصية. ويُمكن تصنيف سيرورة التنشئة الاجتماعية إلى فئتين واضحتين: الأولى وتتمثّل في الإدماج الاجتماعي: "يدخل الفاعل (Sujet) في علاقات وشبكات اجتماعية" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 52). والفئة الثانية الإدماج النفسي للمعطيات الاجتماعية: "إدخال إلى الذات المعطيات الاجتماعية والثقافية" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 52).

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإدماج الاجتماعي الحقيقي لا يتطابق لا مع فقدان الفرد لهويته نتيجة لخضوعه التام إلى المجتمع، ولا مع التميز الفردي أو التفرد الذي يُؤدّي إلى الإقصاء، وإتّما يحدث ذلك في الوسط، بحيث هو يجمع بين الاختلافات والتشابهات الموجودة بين الأشخاص المستقلين والفعالين، وهذا ما يساعد على حدوث سيرورة الشخصية بشكل عادي دون إقصاء للفرد ولا خضوع محيل إلى فقدان الهوية. وبهذا فإنّه لا يمكن للتنشئة الاجتماعية أن تتّضح وتُفسّر دون سيرورة الشخصية، فهما سيرورتان مرتبطتان مع بعضهما. لا يبحث الفرد على أن يتكيّف مع وسطه الاجتماعي، الاندماج فيه، إلا إذا كان لديه الإحساس بالقدرة على تحقيق الذات، ليس فقط عبر إشباع رغباته، ولكن بفضل إمكانية القيام بعمل أو ترك أثر، نتاج، تحسّن أو تغيير جانب من الحقيقة الخارجية سواء المادية أو الاجتماعية باستخدام مشاريعه الخاصة. إذن "إنّ الفرد يُحاول التكيّف ولكن بقصد بلوغ تكامل الذات. إذن ليس كلّ من التكيّف والاندماج غايتين في حدّ ذاتهما وإتّما هما وسيلتين، فالفرد أثناء تنشئته الاجتماعية يبحث عن تحقيق ذاته كشخص" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 54).

وهنا نصل إحدى أهمّ الأفكار التي تحدّث عنها Tap . P وهي أنّ الشخص هو ليس بنية مشروطة، خاضعا، غير فعال وثابت. بداية الشخص غير قابل لفصله عن الحاضر (Présent): هو فاعل-فعال (Sujet-acteur)، الذي لديه مبادرات واقتراحات (يتخذ القرارات من تلقاء نفسه)، يقوم بالاختيار، يُثبت ذاته، يتكفّل بنفسه ويتعاهد ويُنتج، وكلّ ذلك من خلال نشاط مجموعة من العمليات والأعمال. الشخص هو ماضي، تاريخ،

أي ما يُعبّر عن رسوخ وتواصل الهوية، امتلاك وانتماء إلى مجموعات مختلفة، الأخذ بعين الاعتبار التشابهات والاختلافات، والتساؤلات النقدية. لكن ما هو مهمّ هو تنظيم و تحقيق الشخص لإمكانياته أي تحقيق ما باستطاعته تحقيقه، وهذا يحيلنا إلى مصطلح مشروع الحياة الذي سنتناوله بالدراسة لاحقاً. وأخيراً و كما يقول P. Valery : "ما هو أكثر صحّة لدى الفرد وما يُعبّر عنه هو ذاته، هو إمكانيته، أكثر من تاريخه الذي لا يبرز إلا بنقص" (In MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 55).

وكخلاصة لكلّ ما تمّ التطرّق إليه في هذا العنصر فإنّ الشخص هو تأكيد للقيم، التوجّه نحو اتجاه معيّن، وانفتاح على رهانات جديدة، الأمر الذي يُحيل إلى تغيير بعض العادات وتبني طرق عيش أخرى وتحقيق الاستقلالية ولكن كلّ ذلك داخل العلاقات مع الآخرين ومع المؤسسات. لا تتعلّق الاستقلالية بخضوع الفرد لقوانين المجتمع وإنّما تنمو من خلال عمل الشخصية. "لا تُكتسب الاستقلالية إلا في الداخل ولا تُمارس إلا في حضان التعاون" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 52). إنّ كلّ من الصورة التي لدى الفاعل حول ذاته، التقييم الذي يضعه لذاته، الإحساس الذي لديه حول هويته يلعب دوراً أساسياً في تطور ذاته بالعلاقة مع الآخرين، وبلوغ مشروع حياته.

### 1-5- الارتهان و الشخصية (Aliénation et personnalisation):

إنّ مصطلح ارتهان (Aliénation) هو من بين المصطلحات التي تناولها Tap . P بالدراسة، وقد عرّفه انطلاقاً من الشخصية على أنّه نقيض لها. تتضمّن الشخصية سيرورة التميّز (Différenciation)، المقاومة ضدّ الارتهانات والعجز، الابتعاد عن التبعية والصراعات. لا يُمكن للشخصية أن تُسجّل في علاقتها مع الذات أو مع الجسم أو مع الخصائص النفسية الفردية، بل إنّها تنهياً ضرورياً داخل العلاقات الثنائية مع الآخرين، داخل تفاعلات واتّصالات، داخل نسق أخذ الأدوار والتمثّلات، إنّها تتركّب أيضاً من خلال التثقف (Enculturation)، وهي

"مُدركة ليس كاندماج إجباري للذات داخل الثقافة، أو استدخال سلبي غير فعّال للثقافة إلى الذات، ولكن مُدركة كتركيب فعّال ونشط، يتضمّن اختيارات، رفض وصرعات متولّدة عن التحريضات الاجتماعية المتناقضة" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 69)، وهذا ما أشرنا له في العنصر السابق.

إذن لا تقتصر الشخصية على فردية-تكوّن الهوية ولا على التثقف ولا على أنظمة التفاعلات. بل إنّها محاولة متجدّدة دائما لتجميعهم كلّهم، من خلال تكوين أهداف جديدة، مشاريع تغيير الذات، التغييرات في العلاقات مع الأشخاص وفي ضبط وتنظيم مؤسّساتي أي داخل القواعد أو المؤسّسات الاجتماعية أو الثقافية المختلفة. إلا أنّ "هذا السعي من أجل التجميع يُكبّح من خلال الارتهانات التي تعتبر كعائق يحول دون شخصية الفرد والذي يُؤلّد لديه الإحساس بالعجز، التحقير والإنقاص من قيمة الذات، عدم القدرة على تحقيق قدراته وإظهار مكوناته، انحصار وتحديد الحقل الزمني والمكاني، من خلال استئصال وضياع الماضي، عدم القدرة على التصرف بشكل شخصي في الحاضر، استحالة التنظيم والتنبؤ للمستقبل بالنسبة للذات وللآخرين" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 70).

إذا حاولنا تعريف الشخصية انطلاقا من الارتهان فهي تتمثّل في السعي المستمرّ لإزالة الحواجز والتّشخصن من جديد (Repersonnalisation)، المقاومة ضدّ الانشطار الداخلي والارتهانات خارجية المنشأ التي تُحوّل الفرد إلى موضوع (Objet)، حيوان أو آلة، هي في الواقع عكس الارتهان. وفيما يخص هذا الأخير فقد اقترح المختصّ الاجتماعي Seeman خمسة أبعاد من أجل وصف الارتهان: "العجز (Impuissance)، لا تعبير (Dé-signification)، لا نظامية (Anomie)، غرابة عن القيم (Etrangeté aux valeurs)، عدم القدرة على تحقيق الذات (Incapacité de se réaliser)" (In MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 70).

وقد أضاف Tap . P أنّ "الارتهان هو ترك وتنازل وامتناع وفقدان، خروج عن المألوف، نزع الطابع الإنسانيّ (Déshumanisation)، إنّّه تشييء الذات (Chosification du soi)" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 70). الارتهان لا ينطبق فقط في العمل، ولكن في كلّ موقف أين يفقد الفرد إمكانيّات الفعل الخاصّة به وقدراته، الفشل في أن يكون هو ذاته، احتلال هويته الشخصية والجماعية من خلال خضوع واستعباد ذو أصل خارجي. كما يقول Sartre: "انزعاج الشخص يأخذ معناه الحقيقي عندما يتمّ تذكّر أنّه يُترجم مادّيًا ارتهان الإنسان" (In MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 70).

يبقى لنا محاولة معرفة وتحليل أصل الارتهانات وآثارها على مستوى الممثل له (Acteur)، الفردي أو الجماعي. وبالتالي لا يكون هناك ارتهان إلاّ إذا كان الفرد يعيش صراعا، حتّى ولو كان هذا الصراع لا يظهر على شكل أزمة في نشاطاته وروابطه مع الآخرين. هذا الصراع يرتبط مع ظروف موضوعية للحياة، لأنظمة الاجتماعية والثقافية والتعارضات التي يمرّ بها، وأيضا يرتبط بالظروف الذاتية أي المعنى الذي يُعطيه الفرد للارتهان من خلال تصرّفاته، تمثّلاته وطموحاته وآماله. في هذه الحالة لا يكفي أن يعي الفاعل (Sujet) هذه الانقسامات وخضوعه من أجل أن يتمكّن من خفضها والتنقيص منها. بل يجب عليه استخدام نشاطات الإحياء وتغيير البنية الإدراكية ببنية أخرى تكون إدماجية من أجل انسجام كافي لتصرّفاته، إعادة تنظيم تمثّلاته، تجديد أهدافه، المشاركة في التغيرات: "تصدر كلّ هذه النّشاطات عن الشّخصنة والتي تزيد حيويتها داخل العلاقات مع الأشخاص والجماعات" (MALEWSKA-PEYRE . H et TAP . P, 1991 : 71).



## 1-6- شخصنة المرأة في الجزائر (La personnalisation de la femme en Algérie):

وستنطرق هنا إلى شخصنة المرأة في النظام التقليدي و شخصنتها في النظام الحالي:

### 1-5-1- شخصنة المرأة في النظام التقليدي:

إذا عدنا إلى تاريخ مجتمعنا التقليدي فإننا نجد أنّ الفتاة إما لا تدخل المدرسة أو أنّها تدخل للتدريس ولكن تتوقّف بعد بضع سنوات، وهذا لا يزال لحدّ الآن لدى بعض العائلات التقليديّة. يتّسم النظام الاجتماعي التقليدي الجزائري بنمط تربية خاصّ، ويتعلّق ذلك بالتحديد بجنس الطفل: ذكر أو أنثى. إنّ تربيّة فتاة في نظام مثل هذا ترتكز أساسا على تعليمها الأشغال المنزليّة، والتي تُعدّ سلاحا مهمّا لها للتكيّف في المستقبل. في هذا النظام ترتكز التربية على إظهار المكانة والمهمّة الرئيسيّة والحقيقية للفتاة، والتي تتمثّل في بقائها داخل المنزل وتعلّمها كلّ الأعمال المنزليّة. يتمّ تعليم الفتاة منذ صغرها دور المرأة والذي يكمن بالأساس في القيام بالأشغال المنزلية، حيث تبدأ تدريجيا في غسل الأواني، الملابس، تنظيف الأرضيّة، الطبخ ويُمكن أن تتعلّم حرفة معيّنة ولكن شريطة أن تُوجّه إلى تعلّم حرفة تُدْمِجُها إلى الدّاخل مثلا الخياطة. والمسؤول على تعليم الفتاة كلّ ذلك هي الأمّ بالدرجة الأولى وتليها نساء المنزل من أخوات كبيرات أو جدّة، أين تستدخل الفتاة كلّ ما يُساعدُها على الاندماج داخل محيطها وفيما بعد داخل عائلة الرّوج التي ستنتقل إليها، إنّ هذه الأشغال المنزليّة تعتبر كوسيلة تُمكن المرأة من التكيّف مع عائلة زوجها المستقبلية والاندماج معهم قبل كل شيء. في الوسط التقليدي يتوقّف الأطفال من جنس أنثوي عن اللعب في سنّ مبكّرة في حوالي سنّ 9 أو 10 سنوات، أين يتوجّب على الفتاة القيام بأمور أهمّ من اللعب في نظر الرّاشدين. كما يظهر أنّ تعلّم كلّ هذه الأعمال هو من أجل الآخر والأخذ بعين الاعتبار وجهة نظره، فالإنسان بطبيعته يهتمّ بنظرة الآخرين ويُعطِيها أهميّة كبيرة، لأنّ لها دورا في الرّفْع من قيمة الدّات. كما أنّ الفتاة في هذا النظام مقتنعة تماما بدور المرأة الذي هو في الدّاخل فقط، حتى في أحلامها لم تكن تتجاوز الدّاخل بل تبقى

فيه. أما المدرسة فكانت تُدرّكها على أنّها تقوم بوظيفة تربية ويُساعد إدراك هذا الجانب المتمثل في الدور التربوي للمدرسة دون الاهتمام بالجوانب الأخرى في دمج الفتاة نحو الدّاخل أكثر.

في النظام الاجتماعي التقليدي تكون شخصنة المرأة من خلال تعلّم وإتقان الأشغال المنزلية، الزواج والأمومة. تعتبر الأشغال المنزلية أهمّ وسيلة للاندماج مع عائلة الزوج بعد زواجها، وهذا الاندماج يُمكنها من الانسجام مع الزوج نفسه. وهذا لا يكفي لشخصنتها بشكل كافي وبالتالي يكون عليها أن تُصبح أمّاً، حيث يُعتبر الزواج في هذا النظام كبوابة نحو الأمومة، فالمرأة لا يُمكن أن تصبح أمّاً دون أن تتزوَّج، ثمّ عليها التكيّف مع أسرة الزوج حتى تبلغ هدفها تصبح أمّاً، بمعنى الزّواج والتكيّف مع عائلة الزوج هما مرحلتان أيضاً لبلوغ هدف الأمومة. وهنا نلاحظ أنّ للزّواج دوران: إدخال الفرد في جماعة الرّاشدين وإرجاع المرأة أمّاً. وهنا يجب الإشارة إلى أنّ المرأة في المجتمع التقليدي لا تتضايق ولا تشعر أنّها مُرتَهنة (Aliénée). وبالتالي المرأة هنا هي في وضعيّة تأثير ونفوذ (Emprise): "تكتسب وترتّب انطلاقا من ثقافتها وبالتالي تتشخصن تبعاً للحدود التي تمّ وضعها من قِبَل الثقافة ولهذا لا نجد الشعور بالارتهان" (FSIAN . H, 2006 : 98-99).

### 1-5-2- شخصية المرأة حالياً:

تتخذ المرأة حالياً سُبلاً للشخصنة تختلف عن تلك الخاصّة بالمرأة في النظام التقليدي أي أنّها لا تسعى لتحقيق ذاتها من خلال الزّواج والأمومة، وإنّما تنهج طرقاً جديدة. حيث نجد لديها هدف عملي والذي هو مُستمد من رغبة شخصية، كما أنّه غريب عن الثقافة التقليدية. تبحث المرأة من خلال الدّراسة والعمل على الحصول عن مكانة (Statut) اجتماعيّة تُؤكّد من خلالها ذاتها كشخص له فردانيته واستقلالته، وهذا ما يُساهم في شخصنتها. وكلّ هذا يُفضي إلى تركيب هوية أنثوية جديدة، أين يتمّ تكوين صورة جديدة للمرأة الجزائريّة والتي لا تتطابق مع

صورة المرأة التقليدية. ومع كل هذا التغيير في طريقة الشخصية إلا أنه لوحظ من خلال عمل ميداني (1) إلى أن المرأة لا تتخلى عن الزواج والأمومية وإنما يتم تأجيلهما إلى بعد إنهاء الدراسة والحصول على منصب عمل. شريطة أن يقبل هذا الزوج ويتفهم هدفها وتختاره وتوافق عليه هي وليس عائلتها. حاليا تبحث المرأة على أن تكون هي ذاتها وظهر ذلك في رغبتها في العمل للتخلص من التبعية، وكذا التميز: "ما يسمح للفرد بالبقاء هو ذاته، تحقيق ذاته ويصبح هو ذاته (2)، داخل مجتمع وثقافة معينة وفي علاقة مع الآخرين" (HALPERN . C et al, 2004 : 57). كل ذلك يُعبّر عن تكوين هوية جديدة وهي هوية عملية من أجل تحقيق الذات داخل المجتمع. ويقول Tap . P في هذا الصدد: "أن يكون الفرد ذاته يستلزم في الواقع أن يتميز عن الآخرين" (In HALPERN . C et RUANO-BORBALAN . J.C, 2004 : 58).

## 2- مشروع الحياة:

ينمو الفرد داخل ضرورة ممارسة أدوار، وتحمل أعباء ومهام وكذا بلوغ مكان (Place) وتحقيق مكانة (Statut). ويسعى الفرد إلى تحقيق كل ذلك منذ الطفولة وخصوصا المراهقة من خلال تحديد مشروع يحاول بلوغه.

## 2-1- تعريف المشروع:

إن مفهوم مشروع قبل أن يُحقّق على مستوى الواقع يعتبر كسيرورة خيالية تحت الشخص على الخروج من ذاته، من خلال ازدواج زمني للذات، وذلك لخلق تمثّل مُوجّه من خلال الرغبة في أن يصبح آخر (Autre)، التّفكير تبعا لنظام مثلنة (Idéalisation) الذات، الجماعة، المجتمع. فيوجد من جهة التمثّل الذي لدى الشخص عن ذاته ووضعيتها الحالية، ومن جهة أخرى ما يطمح أن يكون عليه في المستقبل، ويكون ذلك من خلال إدراك

(1) دراسة ميدانية حول الشخصية لدى المراهقة المتعددة والمراهقة غير المتعددة.

(2) devenir soi-même و يقصد من ذلك قدرة الفرد على اتخاذ القرارات بنفسه و الاعتماد على ذاته و بصفة عامة هي تحقيق الاستقلالية.

البعد الزمني بمختلف فروعه. يمكن تعريف المشروع على أنه صنف أو شكل من توقع الذات تحت شكل مخطط حياة ينبغي تحقيقه. "مشروع الحياة يبني تعريف الذات التي يُعطيها المراهق لنفسه من أجل تحديد مصيره الشخصي، من أجل أن يندمج داخل جماعة الكبار، داخل جماعة أو وحدة هؤلاء الذين لديهم الطاقة وشرف تحقيق والقيام بآثار بكل حرية أو استقلالية" (FSIAN . H, s.a : p30).

بالنسبة لـ Tap . P حول مفهوم مشروع الحياة فهو يؤكد على "أهمية الحاجات، الرغبات، الدوافع في انبثاق المشروع" (13 : 2007 In CHERIF . H et MONCHAUX . PH). إذ يسعى كل مشروع إلى تحقيق دوافع الفرد باستعمال استجابات مسموح بها ومقدمة من قبل المحيط. يُعبّر المشروع عن اتفاق بين تمثيلات الذات وتمثيلات الحقيقة الخارجية المُعاشة. من وجهة النظر هذه مفهوم المشروع ينصرف نحو اتجاهين حيث تُقدّم هذه الثنائية للمفهوم التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع: الاتجاه الأول ذلك الذي "يتعلق بتأثيرات النماذج المقترحة من قبل الأوساط التي يعيش فيها الشخص" (72 : 1992 SAFONT . C). أمّا الاتجاه الثاني "يرتبط بذاتية الفاعل (Sujet) منذ أن يُدرك كمدمج (Intégrateur). هذا الاتجاه يُدخل الفاعل (Sujet) كفاعل فعّال (Acteur)" (72 : 1992 SAFONT . C).

وكما ذكرنا سابقا حتى يتمّ تحديد المشروع ثم محاولة بلوغه وتحقيقه يجب إدراك البعد الزمني المعاش من طرف الفرد، وهناك ثلاثة أبعاد: الماضي، الحاضر، المستقبل. يُحيل الحاضر إلى فترة وقت عابرة سريعة الزوال، "يتموضع بين الماضي المباشر القريب جدًا والمستقبل المباشر القريب جدًا. يعتمد الحاضر على تجربة الماضي وتوقع إمكانات نشاط جديدة" (70 : 1992 SAFONT . C). أمّا بالنسبة للماضي فيُحيل إلى التاريخ الاجتماعي والشخصي الذي يركز عليه الفاعل (Sujet) من أجل تركيب هويته الشخصية. كما يلعب الماضي دورا مهمًا في تركيب المستقبل والشخصية خصوصا بالنسبة للمراهق، حسب Malrieu فإنّ "داخل خشية الانضمام إلى الحياة الاجتماعية تظهر الذكريات مثل غذاء للحياة الفردية" (71 : 1992 In SAFONT . C). أمّا

Debesse وجد أنّ "المراهق يرى من خلال استحضار الذكريات البعيدة وسيلة للوعي باستمرارية عيشه" ( In : 72 : SAFONT . C, 1992). انطلاقاً من هذه الذكريات يأخذ المراهق معلومات حول ذاته وحول كفاءاته ومهاراته التي تساعده على الإسقاط نحو المستقبل، بمعنى يستمدّ الفرد من طفولته معنى لحياته المستقبلية. فيما يخصّ المستقبل هو توقّع ما سيحدث غداً. يحدث من خلال الاستمرارية والانقطاع مع ما كان موجوداً سابقاً. يضع Malrieu البنات الانفعالية على أنّها مصدر الإحساس بالمستقبل: "إنّه داخل ردّة فعل لفشل أو نجاح يُحدّد الفاعل (Sujet) نهاية فعله أو نشاطه. الانفعال الذي يختبره يشير إلى تحوّل حاسم في حياته، يُجبره على الاستئناف، على إعادة التّوجيه (...)" (In SAFONT . C, 1992 : 71).

## 2-2- الجوانب الوظيفية للمشروع:

يتضمّن المشروع الجوانب الوظيفية التالية:

### 2-2-1- المشروع و التوقّع (Projet et anticipation):

يجدر بنا الأمر هنا توضيح العلاقة بين المصطلحين، فالمشروع هو شكل من أشكال التوقّع للمستقبل. يتولّد عن المسافة التي بين الإدراك الذي لدى الفرد عن وضعيته الحالية والتمثّل الذي يضعه على شكل أُمّية ومخطّط للتنفيذ والتحقق. حسب Boutinet "التوقّع هو بمعنى إظهار القدرة وإمكانية تأجيل مؤقتاً سير الأمور من أجل البحث عن معرفة كيفية تطوير هذا المسار، إذن من أجل السعي لتعديل اتجاه الأحداث التابعة" ( In : 72 : SAFONT . C, 1992).

### 2-2-2- المشروع و التنبؤ (Projet et prévision):

حسب Boutinet "التنبؤ والمشروع هما وجهان توقّعيان للمستقبل، متقاربان ولكن غير قابلين للمطابقة" (In SAFONT . C, 1992 : 72). التنبؤ يرتبط بالحساب الذي من خلاله يتمّ وضع مخطّط للمستقبل القريب والمحتمل أكثر. للتنبؤ جانب منطقي، علمي وإرادي أكثر من المشروع. والعلاقة بينهما أنّ "المشروع يتركز على

هذا التنبؤ ولكن الخيارات التي يتم وضعها لا تسير بالضرورة في مسار هذا التنبؤ" ( : SAFONT . C, 1992 ).(72).

### 2-2-3- المشروع و التخطيط (Projet et planification):

يوجد علاقة بين مصطلح المشروع والتخطيط. هذا الأخير هو في آن واحد التوقع وتنظيم الأفعال في المستقبل. إلا أنّ بالمقابل في حالة المشروع يتعلّق الأمر بنمط تخطيط خاصّ ومتأخّر، الذي يُدخل نوع من المركبات المعرفية مثل معرفة التحقيقات التي يُقيّمها المجتمع. "من أجل القيام بتخطيط يجب أن يكون هناك من جهة أفق زمني ممتدّ في المستقبل ومن جهة أخرى تحكّم في الاندفاعية. بفضل هذا التحكم والسيطرة يُنظّم الفاعل (Sujet) نشاطه بطريقة أفضل" (73 : SAFONT . C, 1992). تتطوّر قدرات التخطيط خلال الطفولة والمراهقة. حيث أنّ بالموازاة مع بروز الهوية الشخصية للطفل فإنّه يتخلّص من الخلط بين الأزمان بعد بلوغها إدراكها، وتدرجياً يصبح قادراً على توقّع المستقبل مما يساعده على إعداد مخطّطات التي ترتبط بنشاطه الحاضر. تنمو القدرة على التخطيط وإعداد المشاريع وكذا تحديد الاستراتيجيات بفعل تقدّم التفكير المنطقي. وقد تمّ إثبات أنّ "فعالية التخطيط تتحسن وتتقدّم في غضون المراهقة، لكنّ مع اختلافات فردية واسعة في النمو المتأثّرة من خلال المعارف وتجارب الحياة" (73 : SAFONT . C, 1992).

### 2-3- العوامل المساهمة في إعداد مشروع:

من أجل أن يقوم الفرد بمشروع معيّن يجب أن تكون لديه القدرة على تمثّل الخصائص المتعلقة بالموقف ومتطلّباته. كما يجب توقّف بالإضافة ذلك قدرات التنبؤ والتوقع. يتعلّق الأمر "بتمثّل مجموع الإمكانيات القابلة للتحقيق على أرض الواقع من طرف الفاعل (Sujet)، من خلال إلغاء الإمكانيات الخيالية، ثمّ توقّع وتمثّل نتائج كلّ إمكانية على حدى. يستلزم ذلك قدرات التخطيط، بمعنى تحديد الأهداف واستعمال استراتيجيات نشاط" (74 : SAFONT . C, 1992). تضمّ استراتيجيات النشاط هذه تمثّل العلاقة: وسيلة-نهاية وتحديد مخطّط

نشاط، وأثناء تنفيذ المخطّط تتمّ العودة إلى تفقّد الروابط وسائل-نهايات الخاصّة بالموقف. لكن "لا يكفي أن يكون الفاعل (Sujet) قادرا على التخطيط والتوقع من أجل إعداد المشروع. وإنما يجب أن يكون لديه دافعا يرتبط بهدف يجب الوصول إليه وتحقيقه. يُمكن أن يكون ذلك مثلا رغبة في تجنّب الفشل، الاحتفاظ بصورة ذات معيّنة، الإبقاء على تواصله واستمراريته" (SAFONT . C, 1992 : 75).

إذن يتّضح لنا أنّ هناك تأثير للمحيط على الفرد في تحديد المشروع والتخطيط له، وهذا ما أكّده Nuttin حيث أشار إلى أنّ "التفاعل الوظيفي فرد-محيط هو الذي يُؤدّي إلى ظهور المشاريع وبالتالي تجهيز وسائل لتحقيقها" (In SAFONT . C, 1992 : 75). كلّ موقف سلوكي يطرح مشكلا للحلّ حيث يتمّ تحديد هدف وتهيئة مخطّط نشاط معيّن، ومن أجل حلّ المشكل "يجب أن يُعاد تنظيم مجموع المعلومات، الإدراكات، الذكريات وذلك على المستوى المعرفي وتبعا لدوافع معيّنة. إنّ إعادة التنظيم هذه للعناصر المخزّنة هي التي توصل إلى المشروع" (SAFONT . C, 1992 : 76).

## 2-4- أنواع المشروع:

هناك ثلاثة أنماط مشاريع: مشروع الحياة، مشروع التوجّه المدرسي ومشروع الإدماج العملي، والتي نجدها بالخصوص في مرحلة المراهقة.

## 2-4-1- مشروع الحياة:

استخدم ودُرس هذا المصطلح من طرف Rodriguez-Tomé و Bariau و ذلك من أجل الإشارة إلى مشروع واسع وطويل المدى مقارنة بالمشروع العملي الذي تنتطرق إليه لاحقا. يتمثّل هذا المشروع في "مشروع ذات" له علاقة بميادين عاطفية وعائلية، إنّّه يرتبط بأسلوب الحياة الذي يُفكّر ويسعى الفرد في تبنيه في السنوات

المقبلة. "يتركب مشروع الحياة على قاعدة المقارنة بين تمثّل الذات والذات المسقطة في المستقبل"  
(SAFONT . C, 1992 : 77).

إنّ مشروع الحياة هو مفهوم تتحد فيه أبعاد فردية، أبعاد اجتماعية وبعد عاطفي كلّها تتداخل فيما بينها لإعطاء مشروع حياة، الذي يشرع الفاعل في تركيبه داخل استراتيجيات تُوازن بينه وبين محيطه للبحث عن معنى، وكذا تفادي التهميش والإقصاء.

## 2-4-2- المشروع العملي:

يرتبط هذا المشروع بالأساس بالتوجيه المدرسي ثمّ العملي، وحسب Boutinet "يتضمّن المشروع العملي نوعا من إدراك الزمن المقبل، الذي من خلاله يتم تحديد الهدف وكذا تحديد الوسائل اللازمة لبلوغه وأيضا معرفة وتفسير الدوافع الكامنة وراء اختيار هذا الهدف" (SAFONT . C, 1992 : 78). وتجدر الإشارة إلى أنّ كلّ مشروع عملي لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب المختلفة، سيكون مشروعاً متقلّباً، ضعيفا وغير منطقي وغير مجدي، وذلك لأنّ كلّ مشروع يسعى إلى تنفيذ دوافع الفرد بالارتباط مع المحيط: "إذن إنّ المشروع هو الذي يُعطي معنى لما يفعله الفرد انطلاقاً ممّا يقصد تحقيقه هو نفسه" (SAFONT . C, 1992 : 78).

وفي هذا الصدد وكما فقد وصف Boutinet مستويين في المشروع العملي هما: مشروع التوجيه المدرسي ومشروع الإدماج. وهو يشير من خلال مشروع التوجيه المدرسي إلى "مشروع قصير المدى، الذي يتعلّق بنمط الدراسة المتمنّاة من قبل المراهق ويتحقّق باختيار إحدى التخصّصات التكوينية" (SAFONT . C, 1992 : 78). وما يُميّز هذا المشروع هو أنّه مرتبط أكثر بتمدرس التلميذ وكذا بالنتائج المدرسية المتحصّل عليها في المسار الدراسي وبالخصوص في مواد معيّنة من أجل التوجيه، ولا يرتبط بشكل كبير بمتنياته ودوافعه وطموحاته. بالنسبة للمسنوى الثاني للمشروع هو مشروع التوجيه العملي ويشير Boutinet إليه على أنّه "مشروع متوسط



المدى، أين يقوم الفرد بتحديد عمل معيّن وأيضا تحديد الوسائل الممكنة لبلوغه" (In SAFONT . C, 1992 : 78).

ابتداء من المرحلة التي تسبق المراهقة إلى غاية بدايتها فإنّ كلّ ما يتعلّق بمستقبل الفرد هو لا يُعبّر عن مشاريع حقيقية وإنّما هي عبارة عن متمنيات وأحلام، ويمكن تسميتها بشبه المشاريع. هذه الأخيرة هي من أجل تحقيق لذة دون الاهتمام بالواقع، إنّها تعتبر مشاريع نمطية متواترة لدى جميع من يمرّ بهذه المرحلة. إذن يكون المشروع العملي هنا غير محدّد، غامض، متعدّد وفي الغالب طفلي: "إنّها مشاريع غير رسمية وزائفة، بمعنى مساهمة الفاعل (Sujet) في إعداد مشروعه الخاصّ هي ضعيفة جدّا. إنّها مشاريع لها مصدر خارجي من خلال التكيّف أو التماهي، دون أن تكون الوسائل والعراقيل محدّدة" (In SAFONT . C, 1992 : 79).

نجد داخل مختلف المجتمعات انطلاقا من حاجاتها وتجاربيها نوعا من التدرّج للمهن المختلفة، وهذا الأخير يضع الفرد أمام اختيار صعب وصراع مضاعف، حيث يُلاحظ لديه تردّدا فيما يتعلّق بصورته الخاصّة (على ماذا أنا قادر؟ لماذا أقوم بذلك؟). يرتبط هذا التردّد لدى الفرد أمام الأعمال —: "أنا (استعداداته، كفاءاته التي يُعرّفها بشكل سيّء، تدرّج رغباته التي لم يبلغها)، وبالمجتمع (على ما هو عليه وعلى ما سيصبح عليه وعلى ما يريد أن يكون). لكنّ في نهاية المطاف يختار ما يساعده على تحقيق ذاته وبالتالي بلوغ تقدير ذات مرتفع" (In SAFONT . C, 1992 : 79).

## 2-5- المشروع، صورة الذات، الشخصية والتنشئة الاجتماعية:

ترتبط صورة الذات بمفهوم الذات حيث أنّها تُمثّل بنية فرعية لبنية الذات الشخصية<sup>(1)</sup> وهي "تعلّق أكثر بالجانب الوصفي، وترتبط بالطموحات، المشاعر والانفعالات، الميولات والمصالح، القدرات والاستعدادات، المزاي

(1) لمفهوم الذات خمس بنيات: بنية الذات المادية وبنية الذات الشخصية وبنية الذات التكيّفية، بنية الذات الاجتماعية، بنية الذات اللاذات.

والعيوب وأخيرا الأنشطة" (CITEAU . J.P et ENGELHARDT-BITRAIN . B, 2003: 156).  
ولصورة الذات علاقة مهمّة مع المشروع، حيث أنّها تلعب دورا مهمّا في التخطيط للمشروع العملي. حيث يتوجّه الفرد نحو اختيار عملي ما تبعا لصورة ذات حاضرة وصورة ذات مستقبلية. كما أنّه يسعى لتجنّب الفشل من أجل الاحتفاظ بصورة جيّدة عن ذاته، وبالتالي فإنّه يتّسم بالانتباه والحذر، يُرتّب ويُنسّق الوسائل إلى النهايات. كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك مواجهة لصورة المهنة مع مثال الأنا، كما أنّ في اختيار الفرد لمهنة معيّنة فإنّه يقوم بالبحث ليس فقط عن موقف يتطابق مع ما هو عليه حاليا، وإنّما أيضا البحث عمّا يسمح له بأن يُصبح ما يتمنّاه: إذن "المهنة هي مُدرّكة كوسيلة تغيير واكتساب سلطات ومقدّرات (Pouvoirs) التي لم يكن يمتلكها سابقا" (SAFONT . C, 1992 : 82).

إذن هناك علاقة بين صورة الذات والمشروع، فهي تعتبر كمنظّمة لسلسلة أفعال تسمح بتحقيق المشروع على أرضية الواقع. كما أنّ في تحديد التوجيهات المدرسية والعملية يتمّ استخدام الصورة التي يضعها المراهق عن ذاته وكذا اختيارات التماهي السابقة الخاصّة به، ليتمكّن في الأخير من تحديد المشروع وبلوغه. حيث في كلّ مرّة يُواجه المراهق عملية توجيه أو اختيار يطرح سؤالا على نفسه: من أشبه أنا؟ في أي اتجاه أتوجّه؟ "في الواقع لا يوجد صورة ذات مرّكبة كليّا التي يُمكنها أن تُساهم في تحديد المهن الجديدة بالتحقيق والتي يُمكن تحقيقها. إنّها في الواقع في هذا التحديد للمهنة أين تتشكّل صورة الذات" (SAFONT . C, 1992 : 82).

كذلك إنّ للمشروع دورا في إعادة بنية الهوية، فالفرد بتحديد مشروع وسعيه لبلوغه وتحقيقه في نهاية المطاف يُساهم في تركيب الهوية من جديد. يتماهي الفرد عند بنية الهوية مع الآخرين، يبحث عن تقويم المشابهات لكي يُعزّز تقديره الخاصّ وترابطه الداخلي، وهنا تتدخل بنية الذات اللاذات أين يستند الفرد إلى الآخرين في تكوين مفهوم الذات. هذا التوجّه نحو الآخرين يحمل انتظارا وتوقّعات، حكما ونظرة الآخرين، "هذه النظرة تصبح مُرتبنة، إذا لم يتمّ إحداث تمييز حاسم ووضعنة التماهيات. كما يُمكن تجاوز هذا الارتهان من خلال

سعي الفاعل (Sujet) إلى تحقيق مشروع معين " (83 : SAFONT . C, 1992)، بمعنى إذا كان هناك تأثير الآخرين كبير على الفرد فهذا يُشير إلى الخضوع إليهم وبالتالي الارتهان، وللتخلص من هذا الأخير يتطلّب منه الأمر تحديد مشروع بشكل شخصي انطلاقاً من الذات والتاريخ والرغبة الشخصيين ومن ثمّ تحقيقه.

بالنسبة للعلاقة بين الشخصية والمشروع فإنّ هذا الأخير يُحرّض الوعي، وذلك من أجل البحث عن فرصة لتحقيق الذات، البحث عن المقدرة (Pouvoir) من خلال النشاط والبحث عن معنى. يستلزم هنا المشروع إعادة البنية المكانية الزمانية لطرق العيش، وكذا إعادة تهيئة بعض الاتجاهات، إعادة النظر في الكفاءات وأنظمة القيم الشخصية دون إهمال وجهة نظر المحيط، حيث تستجيب الرغبة في ممارسة مهنة ما إلى المشاركة المطلوبة من قبل المجتمع. إنّ تركيب المشروع العملي كسعي للاندماج هو عنصر في تركيب الشخصية: "في الواقع عندما يريد الفرد الدخول في ما هو اجتماعي فإنّه يجب عليه تحقيق الاندماج الاجتماعي الذي من أجله يبحث عن تحقيق صورة مثالية لذاته، التي يقوم بها تبعاً للنماذج التي تقترحها أوساط الحياة المختلفة" ( : SAFONT . C, 1992 84)، وهذا ما سنلاحظه عند الإشارة إلى اندماج المرأة في النظام التقليدي وحالياً. وفي المقابل سواءً بالنسبة للمراهق وبالخصوص للمرأة فإنّ "الدخول في مهنة يظهر مثل وسيلة لتحرير الذات من الضغوط والواجبات العائلية، إنّّه يدخل في البحث عن الاستقلالية، التحرر" (84 : SAFONT . C, 1992).

"إنّ المشروع هو سيرورة تطوّر وتوقّع عواقب تحولات التصرفات فيما يتعلّق بشخصية الفاعل (Sujet)" (84 : SAFONT . C, 1992). ولهذا هو أساسي ومهمّ جداً في الشخصية لأنّه يسمح للفرد بتحديد، تدرّج وبرمجة تصرفاته، كما أنّه من خلال التماهي مع المشروع، يصبح في المراهقة كمحاولة من أجل تجاوز لا تنظيم أحاسيس الوحدة والهوية المحدثة من خلال أزمة الهوية: إنّ المشروع هو عامل للشخصية. إذن في هذا المعنى يمكن أن يكون المشروع مُدرّك كسيرورة للشخصية. هذه الأخيرة "لا يُمكنها أن تُسجّل داخل علاقة ذات مع

ذات، إنها تتهيأ داخل العلاقات مع الآخرين، سيرورات بين شخصية، تفاعلات واتصالات، داخل أنظمة أدوار وتمثّلات" (84 : 1992 . C, SAFONT).

بالنسبة للتنشئة الاجتماعية فإنّ المشروع له ارتباط وثيق بتماهيات الفرد مع أفراد ميّطين به يتمتّعون بقيمة، ويشغلون مكانات (Statuts) وأدوار مهمّة ومختلفة، هذا ما يُؤدّي بالفرد إلى امتلاك واستدخال الكفاءات والقدرات، القيم والمعايير الجديدة منهم. وبذلك فهو يُقدّم إمكانات الالتزام داخل أفعال اجتماعية، الانتساب والانتماء إلى جماعات مختلفة والانخراط في تنظيمات، وكنتيجة لكلّ ذلك فإنّ "بفضل المشروع أصبحت التنشئة الاجتماعية نشاطا إبداعيا شخصيا" (84 : 1992 . C, SAFONT).

## 2-6- استراتيجيات المشروع:

عندما يتعرّض الفرد وبالخصوص المراهق إلى مواقف معيّنة فإنّه يسعى إلى إعداد استراتيجيات تكيفية لمواجهة، والتي يمكن معرفة كيفية تهيئتها انطلاقا من دراسة المشروع. وقد وضّحت أعمال Seiffge-Hrenke ثلاث استراتيجيات لتصرّف الفرد اتّجاه مواقف التوتر (86 : 1992 . C, In SAFONT):

- استراتيجيات فاعلة: والتي من خلالها يتمّ البحث عن المعلومة والنصائح.
- استراتيجيات تأملية: يقوم من خلالها الفرد بتقييم الموقف، واستعمال قدرات التأمل والتفكير الخاصة به من أجل البحث عن مختلف الحلول الممكنة.
- الانسحاب: الذي يُمكن اعتباره كخلل وظيفي، أين لا يمكن بلوغ أي حل مباشر آخر.

أمّا Safont فإنّه توصل إلى تحديد ستّ استراتيجيات من خلال الدراسة التي قام بها ( . SAFONT

: 88 (C, 1992) وهي:

- استراتيجيات مستقلة (S. autonomes) وتضم بدورها استراتيجيتين بناءتين وما يميزهما أنّهما تساعدان في البحث عن تجاوز الصراع، وذلك بفضل تنظيم الوسائل والأهداف:

- التعبئة (Mobilisation): حتى يتجاوز الفرد العائق الذي يواجهه ويبلغ هدفه فإنه يبحث ويؤكد على الوسائل اللازمة من أجل الإحاطة بهذا العائق وتفاديه. تُساهم التعبئة في الإبقاء على الهدف بفضل إعادة تنظيم الوسائل.

- التعديل (Réajustement): لا يُعطّل الفرد التعبئة ولكن يُغيّر الهدف.

- استراتيجيات تابعة (S. hétéronomes) وفيها استراتيجيتين حيث لا يجد من خلالهما الفاعل (Sujet) في ذاته الوسائل الضرورية للاحتفاظ بالهدف.

- لامبالاة (Apathie): يُعطّل الفاعل التعبئة ويترك اختيارات الأهداف والوسائل للمصادفة.

- التقليد (Mimétisme): يتمّ البحث عن الأهداف والوسائل واختيارها في النماذج، وذلك من خلال الخضوع والقبول (Moulage).

- استراتيجيات انعكاسية، ضد تابعة (S. réactionnelles, contre-dépendantes) وفيها:

- معارضة (Opposition): وهنا يُركّز الفرد على العائق، ويُهمل الهدف، وبالتالي يُصبح العائق أكثر أهمية من الهدف نفسه. كما أنّه يستجيب للعائق دون محاولة البحث عن الوسائل من أجل تجاوز هذه العوائق. إذن يوجد تعبئة قوية ولكنها مُحوّلة عن الهدف أي تتجه نحو اتجاه آخر غير الهدف، إنّها تحدث من خلال معارضة شخص أو جماعة.

- طوبى أو خيال (Utopie): في هذه الاستراتيجية يكون الهدف باق لكن العوائق تكون منفية والوسائل المحددة من أجل بلوغ الأهداف ليست مأخوذة في الحسبان. يتم التحدث عن تعبئة مثالية (Mobilisation idéaliste). إنها استراتيجيات تعويض وتمرد أو تهرب من الصراع.

## 2-7- مشروع الحياة لدى المرأة في الجزائر (Le projet de vie chez la femme en Algérie):

يرتبط مصطلح المشروع ارتباطا وثيقا بالشخصنة، حيث عندما تتمكن المرأة من بلوغ هدفها وتحقيقه فإنها تُحقّق ذاتها وبالتالي تتشخصن، وكل امرأة ولها مشروع حسب النظام الذي تنتمي إليه سواء النظام التقليدي أو الحالي. وبصفة عامة نجد ثلاثة مشاريع: مشروع دراسي، مشروع عملي، مشروع عائلي، ولكن تختلف أولويتها تبعاً للنظامين، ولهذا السبب سنقدّم فيما يلي كل مشروع حسب النظامين.

### 2-7-1- المشروع الدراسي:

يتضمن النظام الاجتماعي التقليدي مجموعة من التعليمات الاجتماعية التي كان لزاما على الراشد تمريرها إلى الطفل، وهناك تعليمات خاصة بكلّ جنس على حدى. ومن بين هذه التعليمات: بقاء المرأة في الداخل وعدم خروجها إلى الخارج لأنّ هذا الأخير هو فضاء مُخصّص للرجل، عدم إتمامها لدراساتها أو عدم دخولها إلى مدرسة تماما، عدم ترك لها المجال للتعبير عن رأيها، وعدم اتخاذها بعين الاعتبار حتى في الأمور التي تتعلق بمصير حياتها كالزواج، وبالتالي لا نجد لدى المرأة في هذا النظام مشروعا دراسيا ولا عمليا، وإنما نجد مشروعا عائليا سنتطرق إليه لاحقا. لكنّ كلّ ذلك تعيّر تدريجيا حيث أصبحت المرأة حاليا تخرج إلى الخارج، تدرس، تعمل، وأحيانا تعمل أعمالا كانت مُخصّصة للرجال فقط وتُعبّر عن رأيها بحرية.

يشتمل المشروع الدراسي لدى المرأة على أهمية كبيرة حيث تُعدّ الشهادة كضرورة لا بدّ منها. بصفة عامة لدى كلا الجنسين هو يرتبط بنوع التوجيه الذي يُوجّه إليه التلميذ، أين قد يُواجه صعوبات إذا لم يكن التوجيه ذا علاقة بالرغبة الشخصية. ولذلك فإنّه من المهمّ الإشارة إلى الانقطاع الذي يُولّده التوجيه المدرسي عموما والتوجيه

الجامعي خصوصا في تكوين مشروع الحياة الخاص بالطالب والطالبة الجزائريين. إذ يُعتبر التوجيه الجامعي عائقا يحول دون تحقيق طموحاتهما والذي يمنعهم من إسقاط ذاتهما في المستقبل كاستمرارية للماضي. يضع هذا التوجيه الطالب والطالبة في عدم تطابق مع تركيبات كل منهما، التنبؤ والطموحات الماضية ويفرض عليهم التكيف مع صورة ذات جديدة. مع أنّ القيام بذلك أمر صعب إلا أنه تُظهر البنت ميولا للتكيف مع هذه الصورة الجديدة لذاتها بسهولة عكس الولد الذي يجد صعوبة في ذلك. "تقوم البنات ببذل مجهود كبير حتى لا يدخلن في صراع الاختيار بين: الهروب من التخصص المفروض أو الهروب من صورة المرأة في المنزل. ما هو مهمّ هو العمل خارج المنزل، هذا ما يُؤدّي إلى تخفيض إحباطهن أمام تخصص لم يكنّ يرغبن فيه" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 18).

في هذه الحالة فإنّ البعد العاطفي الضروري في تركيب مشروع الحياة هو أكثر نشاطا لدى الفتاة مقارنة بالولد، كما أنّها تُوظّف طاقاتها في الدراسة أكثر منه، ويعود ذلك إلى العوامل التالية: الخروج من التصنيف ضمن الجنس الضعيف، تطمح كلّ طالبة إلى أن تكون مثقفة من أجل تحقيق ذاتها كشخص، حتى تكون اجتماعيا وعمليا مُدركة ككائن غير ناقص مقارنة بالولد، الرغبة في العيش والعمل. كما نلاحظ "وجود دافعية كبيرة للحصول على شهادات عليا وذلك من أجل الحماية والدفاع في حالة فشل الزواج، السعي لتكوين هوية شخصية جديدة. إذن الشهادة هي هدف ووسيلة تحرر" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 19).

تسعى المرأة من خلال الدوافع والأهداف المُراد بلوغها من خلال القيام بدراسات طويلة إلى البحث عن تعديل صورة الأمّ، من خلال البحث وتأكيد أدوار تسمح لها بالدخول في مكانات (Statuts) جديدة: "إنّها داخل سيوررات تركيب نموذج المرأة بإحداث القطيعة مع النموذج الخاص بالأمّ" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 19)، وعموما إحداث قطيعة مع النموذج القديم للمرأة الجزائرية التقليدية.

2-7-2 - المشروع العملي:

من خلال دراسة قامت بها Cherif . H حول المشروع الدراسي والعملي لدى الطلبة والطالبات الجزائريين، وجدت أنّ لدى كلّ من الطالب أو الطالبة نفس الإسقاطات فيما يخصّ العمل في الفضاء العمومي وما يرتبط به من مسكن وسيارة. لكن يُلاحظ وجود صعوبة في إبداء الرأي فيما يخصّ الدور المستقبلي لدى الولد، في حين تُبدي البنت رأيها بسهولة عن المستقبل. فهي ترى نفسها سيّدة أعمال، مهندسة، طبيبة وغيرها. تبني الفتاة حاليا مشروع حياتها حول العمل، قد تُعبّر أخرى عن تناقض في اختياراتها بين الدور العملي أو الدور العائلي. المشروع العملي هو الركيزة التي من خلالها تنتظم الحياة، إنّها في مركز الانشغالات بالنسبة للجميع خصوصا المرأة. وقد أشارت Cherif . H إلى أنّه "تدخل الفتيات في كفاح من أجل تحقيق المشروع العملي ويكون هذا الكفاح ضدّ الآخرين وأحيانا ضدّ أنفسهنّ" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 22).

وخلّصت الباحثة إلى أنّه حاليا الفتاة وبالخصوص في مرحلة المراهقة لا تُدرك إسقاطها داخل المستقبل دون مشروع عملي. تُسقط الفتاة المتمدرسة ذاتها نحو المستقبل، تبعا لرغباتها ومحدّداتها كفاعل (Sujet) يقيم اتفاقات وله أهداف ومشاريع وليس كموضوع (Objet) في جماعة عائلية فقط. إذ أنّ كلّ من الرغبة في حياة عملية ومثلثة صورة المرأة العاملة خارج المنزل يُمثّلان محرّكا مهمّا يُسهّل التكيف مع المواقف الجديدة بالنسبة للمرأة. وبالتالي ما لوحظ على المستوى العملي، فإنّه: "تتماهى الفتيات أكثر مع النماذج الذكورية عندما يتعلّق الأمر بأساتذة رجال، ومع نماذج أنثوية عندما يتعلّق بوجوه عالمية مُبرزات بذلك نجاح المرأة" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 24).

إنّ الهدف الرئيسي من المشروع العملي لدى المرأة هو من أجل الوقاية من مواجهة صعوبات الحياة، ومخاطر الاستقرار الوحيد للمرأة أي الزواج. كما أنّ إسقاط الذات داخل فضاء خارج العائلة من خلال تحديد هدف المتمثّل في مشروع عملي لدى الفتاة يُعبّر عن رغبتها في الاستقلالية، لأنّ التبعية تُؤلّد لديها إحساسا صعبا



ومتعبا بالعجز. إنَّها تبحث من خلال المشروع العملي عن الاستجابة لوضعية نقص الذات، بمعنى آخر إنَّ الوعي بآثار الضعف وانخفاض قيمة مكان (Place) المرأة داخل النظام التقليدي هو الذي يدفع الفتاة إلى محاولة اكتساب كفاءة عملية من أجل التخلّص من وضعية الخضوع والارتهان: "المشروع العملي لأنَّه رغبة في التوسع وتحقيق الذات داخل أدوار وفضاءات تقليديا مخصّصة للرجال، فإنَّه يُغيّر تمثّل المرأة داخل مجتمعنا. إنَّه يضع نهاية لتقسيم الأدوار الذي يُكوّن قاعدة الهوية الجنسية" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 41 : 2007). ومن جهة أخرى عن طريق هذا المشروع تبحث المرأة عن وسيلة التحرّر والتي هي العمل: "هو إحدى الوسائل ويُمكن القول هو الوسيلة الوحيدة لتحرّرها" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 250). إذن يُعبّر المشروع العملي عن الرغبة في الاستقلالية وقد أثبتت ذلك D. Abrous في دراستها أين تقول أنّ: "النساء يقلن: العمل من أجل أن يكنّ مستقلات اقتصاديا... الحاجة للاستقلالية الاقتصادية ورفض الاحتجاز" (ABROUS . D, 1989 : 99).

مشروع الحصول على نشاط عملي ليس محدّدا من قِبل الآخرين وإنّما هو ناتج عن اختيارات شخصية التي تُبيّن الجزء الفعّال للشخص. إنَّه مرغوب فيه بقوة بالرغم من معارضة الآخر، إنَّه يُسجّل الرغبة في امتلاك واستدخال كلّ قوّة الآخر. المشروع العملي هو "فعل الشخصية أين يبحث الفرد عن تكامل الذات والبحث عن تحقيق المكنونات و الإمكانيات الفردية والبحث عن المقدرة (Pouvoir)" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 43).

### 2-7-3- المشروع العائلي:

بالنسبة لهذا المشروع فهو مشترك بين المرأة في النظام التقليدي والنظام الحالي وبداية ستتطرّق إلى المشروع العائلي لدى المرأة في النظام التقليدي، الذي يعتبر مشروعها الوحيد، فهي ليس لديها مشروع دراسي ولا عملي.

في نظامنا الاجتماعي التقليدي يُعتبر الهدف الرئي<سي للفتاة هو الزواج، والذي يتمثل في التقاء فردان من جنسين مختلفين، ويُمكن تعريفه تبعا لهذا النظام على أنه: "ترخيص قانوني للالتقاء الجنسي، وهو يشير إلى مرحلة نفسية اجتماعية في تطوّر الشخص" (FSIAN . H, 2005 : 272).

إذن إنّ أهم مشروع للفتاة في النظام التقليدي هو المشروع العائلي، ولتحقيقه يضع هذا النظام مخطّطا لذلك، حيث يتمّ بداية سحب البنت إلى الداخل قُبيل البلوغ بقليل، ثمّ تعليمها الأشغال المنزلية حتى تبلغ إتقانها لأنّها ستساعدها في الاندماج داخل عائلة الزوج لاحقا، وطيلة هذه المرحلة تهتمّ الأمّ وأحيانا البنت بجمع ما يُسمّى بجهاز العروس (Le trousseau de mariée)، حيث تبدأ بتخبئة أشياء جميلة، أقمشة، ألبسة جديدة، حلي من الذهب أو الفضة. وعندما تكبر الفتاة تقوم بذلك بنفسها وهذا إن دلّ على شيء إنّها مصير كلّ فتاة مُحدّد منذ ميلادها: الزواج. الفتاة التقليدية تبدأ حياتها منذ اليوم الذي تتزوّج فيه، لهذا يتمّ تحضير كلّ شيء بصبر وتأنّ خصوصا فيما يتعلّق بالجهاز: "المهر والجهاز هما الشيئان الوحيدان اللذان تمتلكهما المرأة حقيقة" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 30).

ذكرنا قبل قليل أنّ الزواج يتمثل الهدق الرئيسي لكلّ فتاة في النظام الاجتماعي التقليدي، ولكن في الواقع هو يُمثّل خطوة أساسية لبلوغ هدف آخر أهمّ ألا وهو الأمومة. لا يُوجد دور آخر مخصّصا للمرأة غير دور الأمّ، للمرأة مصير محتوم: كلّ فتاة ستصبح مستقبلا أمّا، وبطبيعة الحال هذه الحتمية لا تكون إلا عن طريق الزواج. "فالزواج هو المرحلة الاجتماعية التي تسمح بالذنوّ وتحقيق المشروع الأمومي" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 39)، إذن الهدف الرئيسي منه هو دخول عالم الأمومة بطريقة شرعية. في هذا النظام لا يُمكن إقامة علاقة جنسية أو إنجاب طفل خارج إطار الزواج. تمتدّ جذور هذا الهدف إلى طفولتها: "هذا المشروع العائلي يربط بالمشروع الإيديولوجي للمجتمع الذي يرى بأنّ كلّ كائن جنسه أنثى له دور وحيد ووضعية اجتماعية واضحة وذلك بالارتباط بخصوصية الجسم" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 88).

مع مجموع التغيرات التي طرأت على النظام الاجتماعي الجزائري فإنها أثرت بالتوازي على وضعية المرأة التي اختارت مشروعاً مغايراً وذو أولوية لما كان متعارفاً عليه في السابق.

إنّ الفتاة ترفع من قيمة الأب عكس الولد يدخل في صراع مع صورته، خصوصاً في المراهقة من خلال إحياء عقدة أوديب. حيث يمثل الأب نموذجاً لإسقاط الذات داخل أدوار في الفضاء العمومي خصوصاً لدى الفتاة. إنّ تماهي هذه الأخيرة مع نماذج في الفضاء العمومي ليس فقط مسموحاً به وإنما هناك تشجيع من طرف العائلة، داخل استعلاء (Sublimation) للنموذج الأبوي<sup>(1)</sup> وغالباً رفض نموذج الأم. يكون هذا الرفض لدى الفتاة التي أمها لا تعمل خارج المنزل و/أو أمية. بالنسبة لها "الأم هي صورة للتبعية الاقتصادية والاجتماعية، الحبس داخل فضاء خاص، الخضوع والرقابة والتّمييز بين الأولاد والبنات" (CHERIF . H et MONCHAUX . 25 : 2007, PH). في المقابل فإنّ "الفتاة التي أمها عاملة لا تُعبّر عن هذا الرفض لأنّ حياة الأم تتمحور حول مشروع عملي" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 25).

في النظام التقليدي كانت الفتاة تتماهى كلياً مع الأم التي كانت تقضي معها معظم وقتها، ولكن حالياً هي لا تتماهى كلياً مع الأم مثل السابق، حيث أنّه بفضل التعليم والعمل هي تبتعد عن نموذج الأم حتى لا تتماثل معها وتقترب أكثر من نموذج الأب وتتماهى وتتشابه معه. وبهذا فهي "تُحاول خلق قطعة من أجل الدّهان نحو فضاء مشترك للأدوار الذكرية والأنثوية. داخل هذه السيرورة تُكوّن هويتها الشخصية وتُعرّف ذاتها في آن واحد من خلال الاختلاف والتشابه مقارنة مع الرجل" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 26).

تنظر الفتاة إلى الوالدين وتُعبّر عنهما بعاطفة ولكنّ في المقابل تريد تحقيق ذاتها داخل نمط عائلة آخر، داخل استمرار لبعض التقاليد وفتية مع البعض الآخر. إنّها تريد تكوين عائلة خاصّة بها فقط، ففي نظرها أصبح

(1) يُقصد بالنموذج الأبوي هو تمثّل أو تصوّر الأب، الذي يشغل منصباً في الفضاء العمومي.

الزواج يخص فقط فردين. الجميع يقول حاليا بأن تكوين عائلة يجب أن يركز على اختيار شخصي للزوج أو الزوجة، وبالخصوص المرأة التي تُعبّر أكثر عن اختيار مرتكز على الحب. إنّ اختيار الزوج بالنسبة إليها يركز على رجل يتفهم عملها، ذلك الذي يعتبرها كشخص مثله تماما، وهذا ما تحقّقنا منه في دراستنا السابقة حول شخصية ومشروع الحياة في المراهقة. لكنّها تجد عراقيل مع بعض المتقدمين للزواج والذين يريدونها أن "تُسقط ذاتها داخل الحياة العائلية أكثر من العملية، ويكون شرطهم غالبا يتمثل في أنّ رعاية وملازمة العائلة هو مركز الحياة إذا كانت تريد العمل" (41 : 2007 . PH, MONCHAUX . H et CHERIF . H). هذا الشرط كان يُطرح سابقا من طرف عائلة الزوج، لكن حاليا الزوج هو الذي يتفاوض في هذا الشرط وشروط عقد الزواج مع زوجته المستقبلية وهذا يؤكّد أنّ الزواج حاليا صار مسألة تخصّ شخصين فقط.

تري المرأة حاليا أنّ اختيار الشريك بشكل إرادي ودون ضغوط هو مركز المشروع العائلي، كما أنّها ترغب في تكوين عائلة نووية (Nucléaire) بعيدا عن العائلة الموسّعة، حيث يسمح ذلك للزوجين بتحقيق ذواتهم خارج قرارات العائلة الأمّ وتحقيق الاستقلالية، وكذا تميل المرأة إلى تحديد واختيار عدد الأطفال الذي تتكوّن منه عائلتها، ولكن يبقى المشروع العملي ذو أولوية مقارنة مع المشروع العائلي، حيث نجد في تعبير المراهقات حاليا العبارة التالية: "الشهادة، العمل، والزواج إذا شاء الله" (41 : 2007 . PH, MONCHAUX . H et CHERIF . H).

إذن بعد التغيّرات التي طرأت على المجتمع الجزائري التقليدي، ومن بين العوامل التي ساهمت في حدوث هذه التغيّرات نجد ظهور التمدّس وتطوّره لدى الفتيات، ممّا أدّى إلى تغيّر حلم الفتاة وأصبحت تدرس خارج المنزل تماما مثل الولد. بالتالي بدلا من حلم الزواج وإنجاب الأطفال، أصبح للفتاة هدفاً أوسع: "أملها في تحقيق ثلاثة طموحات رئيسية بالنسبة لنساء العالم ككل: اختيارها لزوجها، أمومتها ونشاط خارجي تُطالب به كمشاركة في المجتمع" (138 : 2008 . C, LACOSTE-DUJARDIN). وأصبح لهذا النشاط خارج المنزل أولوية وأهمية أكبر.

## خلاصة:

لقد تناولنا في هذا الفصل مفهومي الشخصية ومشروع الحياة وقد تبين أنّ هناك ارتباطا وثيقا بينهما، وذلك تبعا لآراء الباحثين والعلماء. وحاولنا ربطهما بموضوع دراستنا من خلال محاولة توضيح كيف تكون شخصية المرأة في النظام التقليدي والحاليا، كما أشرنا أيضا إلى مشروع الحياة لديها بين الماضي والحاضر والذي تبين أنّه طرأ عليه بعض التغيير وذلك لعوامل عديدة أولها التحوّلات التي حدثت في المجتمع ككلّ.

## الفصل الثالث: المؤنث، المرأة و الأم في الإسلام و في الجزائر

### Le féminin la femme et la mère en Islam et en Algérie

تمهيد.

1- التنشئة الاجتماعية للمرأة في النظام الاجتماعي التقليدي.

2- الانقسام الجنسي: مذكر مؤنث.

3- التدرج الجنسي: تعارض الجنسين.

4- مشروع دراسي، هوية عملية.

4-1- المرأة والمدرسة.

4-2- المرأة والعمل.

5- المشروع العائلي: الزواج والأمومة.

6- عوامل تأخر سن الزواج.

7- أدوار المرأة بين الماضي والحاضر.

8- العذرية هي مكانة للمرأة وضمان للرجل.

9- المرأة في الثقافة العربية.

9-1- المرأة قبل ظهور الإسلام.

9-2- المرأة بعد ظهور الإسلام.

10- الأم في الثقافة الجزائرية الإسلامية.

11- المقدر الأنثوية.

12- المرأة هي أساس التنشئة الاجتماعية.

13- حق المرأة في الأمومة.

خلاصة.

## تمهيد:

تعرضت أوضاع المرأة بصفة عامة في مختلف أقطار العالم إلى تغييرات مختلفة، وشمل ذلك بالتأكيد المرأة في الجزائر التي مرت بمراحل مهمة جدا الأمر الذي جعلها تُمارس أدوارا جديدة عليها، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى معاش المرأة عامة والأم خاصة في الماضي وواقع كل منهما حاليا.

### 1- التنشئة الاجتماعية للمرأة في النظام الاجتماعي التقليدي:

يمر كل طفل خلال مراحل نموه بالتنشئة الاجتماعية (La socialisation)، والتي تُعرف على أنها: "السيورة التي من خلالها يُملي ويُوجب المجتمع على الطفل قواعده ومعاييرها" (MALEWSKA-PEYRE . 49 : H et TAP . P, 1991). ومن أجل أن يندمج ويتكيف الطفل ويُصبح راشدا يجب عليه استدخال (Intérioriser) كل ما يتعلق بالثقافة التي ينتمي إليها من عادات وتقاليد وقيم ومبادئ.

إنّ النظام الاجتماعي الجزائري هو نظام أبوي، والذي يعتمد في تربيته لأفراده وتنشئتهم على الدين بالدرجة الأولى، ويشمل ذلك كلا الجنسين وفيما يلي سنشير إلى الطريقة التي ينتهجها هذا النظام من أجل تنشئة البنت. تبدأ التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة وهنا نلاحظ الدور الرئيسي الذي تلعبه الأم. حيث يقضي الطفل سواء كان ذكرا أو أنثى معظم طفولته الأولى مع أمه ومع جميع نساء العائلة، ولكن فيما بعد يخرج الولد من هذا الوسط النسائي وينتقل إلى الوسط الرجالي. أمّا بالنسبة للبنت، بعد تنشئتها المشابهة في بدايتها لتلك الخاصة بالولد، فإنه يتم إدخال أمور جديدة عليها مما يجعلها تختلف عن الولد. انطلاقا من البلوغ أو قبله بقليل يبدأ إقصاء الولد من جماعة النساء إلى الخارج، فيما يُلاحظ بداية احتجاز البنت في الداخل، والتقليل من الحرية التي تعودت عليها: فبعدها تمتعت بحرية مماثلة للتي كانت للولد فإنه يتم بين ليلة وضحاها منعه من الخروج، حيث أنّ الفضاء الخاصّ بالبنت هو داخل المنزل أمّا الخارج فهو خاصّ بالولد: "بقدر ما تُؤدّي وظائف الرجل إلى الخارج: أي

خارج المنزل، فإنّ قَدَر المرأة هو داخل المنزل" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991 : 211). في هذا السنّ أصبحت البنت تحمل علامات الأنوثة وبالتالي يجب حراستها.

عندما تدخل البنت إلى الداخل، فإنّها تسعى بعدها إلى الحصول على مكان (Place) في المنزل من أجل أن تصبح امرأة، لهذا تمكث في الفضاء المخصّص لها خاصّة إذا لم تكن متزوجة لأنّه: "في النظام التقليدي يُعزّز عليها الاحتجاز مقارنة مع المرأة المتزوجة. على الأب حماية بناته، حتى لو كان غائبا وتأمين احتياجاتهنّ، الأمر الذي يُجنّبهن الخروج للبحث عنها والتعرض للأخطار الخارجية" (LACOSTE-DUJARDIN . C, ) (1991 : 235).

فيما يتعلّق باحتجاز المرأة في الداخل فقد أبدى Rousseau . J.J عن رأيه الذي يؤيّد هذا الاحتجاز سواء كانت المرأة متزوجة أم لا: "يجب على المرأة وحدها أن تتحكّم في المنزل، إنّه حتى غير لائق للرجل أن يستعلم على ما يحدث داخله (...). لكن المرأة من جهتها يجب عليها الاكتفاء بالقيادة المنزلية، لا تهتمّ أبدا بالخارج، تنغلق على نفسها في منزلها (...). أمّ العائلة الحقيقية، بعيدا على أن تكون امرأة عالم، هي تلك التي تنزل في منزلها مثل راهبة داخل دير" (In BADINTER . E, 1980 : 241). إذن من رأيه يظهر أنّه منذ القديم وفي ثقافات عديدة كانت تُحدّد اهتمام المرأة بإدارة أمور المنزل وترك الخارج للرجل، وهذا سنفصل فيه في العنصر الموالي.

تتميّز تنشئة البنت في هذا النظام بأنّها تنشئة منزلية، لأنّ للمنزل مكانة مهمّة في حياتها، حيث يسعى ممثّلو هذا النظام إلى تعليمها منذ صغرها الاهتمام بكلّ ما يتعلّق بالأمور المنزلية، في حين تعتبر المدرسة حكرا على الأولاد فقط. تكون تربيّة البنت في المنزل، حيث تتعلّم الأشغال المنزليّة: الطبخ، التّنظيف، الاهتمام بالإخوة الأصغر، وإذا أرادت العمل فعليها بتعلّم صنعة داخل المنزل مثل الخياطة، غزل ونسج الصوف، وكلّ ما يدمجها نحو الداخل ويُبعدها عن الخارج الذي هو خاصّ بالرجل من أجل كسب القوت. هذا ما جعل البعض يدركونها



على أنّها ضعيفة ولا يُمكنها تحمّل الأعباء مثل الرجل: "عُرفت المرأة منذ بداية حياتها ككائن تابع، إذن ضعيف جدًا وأسفل الرّجل" (28 : DELACROIX . C, 1986)، وواجب هذا الأخير هو تأمين حاجات الأنثى والتكفّل بها.

إذن إن أوّل ما تتعلّمه الفتاة هو كيفية إدارة الأمور المنزلية، فتبدأ منذ طفولتها بالقيام بأعمال بسيطة ثمّ تتطوّر تدريجياً، مثلاً تبدأ بمسح الأرضية، غسل الأواني، ترتيب المنزل إلى أن تصل إلى أهمّ مهمّة: إنّه الطبخ، وتقول Lacoste-Dujardin في هذا الصدد: "تحضير الأكل هو النشاط المهمّ جدًا الذي يعود إلى المرأة تحضيره... المطبخ والطبخ هي من أهمّ الوظائف الخاصّة بالمرأة داخل المنزل و الرجل هو من يؤمّن المواد اللازمة للطبخ وغيرها" (235 : LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991).

كذلك من بين أهمّ نشاطات البنت هو التكفّل بإخوتها الأصغر منها، فهي تعتبر بديل للأمّ داخل العائلة التقليدية، فبالإضافة إلى تعلّم أشغال المنزل فهي تُساهم أيضا في تربية إخوتها: "بالنسبة للفتيات... قبل الزواج يبدآن في تعلّم الأمور المنزلية وتربية الأطفال الأصغر منهنّ سنّا أحيانا" (LACOSTE-DUJARDIN . C, ) (303 : 1991).

إن البنت من خلال ما تقوم به داخل المنزل تبحث عن التطابق (Conformisme) مع الأمّ، كما أنّها ترفع من قيمة المنزل الذي يعتبر كركيزة في حياة المرأة، خصوصا منزلها الزوجي. وقد أشارت Amara . F إلى ذلك: "في المنزل تتطابق الفتيات مع صورة المرأة المثالية (La femme idéale) حسب التقليد (La tradition) الناتج عن المجتمعات الأبوية: نموذج الفتاة المُبرمجة لتصبح امرأة منزل" (AMARA . F, ) (43 : 2004).

من الأمور المهمة التي يتم تنشئة البنت عليها منذ صغرها والتي ترتبط بذلك الاحتجاز في الداخل: إنَّها أهمية الطهارة من خلال الحفاظ على العذرية وأنَّ مصيرها الوحيد هو الزواج والأمومة. وهذه الأخيرة هي أهم وأفضل وأسمى مهمّة لكلِّ امرأة تنتمي إلى النظام التقليدي، حيث أنَّ حياة المرأة داخل منزل الزوجية تبدأ في اليوم الذي تلد فيه أطفالاً وبالخصوص ذكورا، فهي تعتبر المسؤولة الوحيدة عن مصير اسم العائلة واستمراره، ولكن لا يحدث كلِّ ذلك دون عذرية، وفي هذا الصدد تقول Allami . N : "عذرية الفتاة السليمة، عفافها، كمالها الجسمي مهمّة جدًّا للعائلة. كما أنَّ انقطاع غشائها يُعبّر عن انقطاع الجماعة، تعرُّض الفتاة للاعتداء، انفتاحها على العدوانية والهجمات. لهذا يتمّ تحبئة الفتاة في كنف أمِّها، عائلتها، في كنف جدران المنزل" ( : ALLAMI . N, 1988 ) (80)، ولهذا على كلِّ بنت الاحتراس والانتباه لغشائها من أجل ذاتها وأيضاً من أجل عائلتها، وسنفضّل في هذا لاحقاً.

في النظام التقليدي كان استقبال ميلاد البنت لا يحدث مثلما يتمّ استقبال ولد، حيث كان ميلادها يُقبّل ولكن دون فرح عكس ولد، فمراسيم الاحتفال بميلاد مولود تختلف حسب جنسه، فإذا كان ولداً فستكون الاحتفالات كبيرة وتدوم عدّة أيام أمّا إذا كانت بنتاً قد لا تحتفل العائلة وإن كان ذلك فسيكون في حدود معيّنة. فالعائلة التقليدية ترى أنّ الولد يُعني عائلته أمّا البنت تُعني وتَمَلأ عائلة أخرى، ولهذا تُلاحظ ذلك الاهتمام الكبير بالذكر. وقد تحدّثت عن استقبال الولد والبنت Lacoste-Dujardin . C : "إنّ مجيء بنت في الجزائر يحدث في الصمت (...). هي لفت (Un navet) في تلمسان أو قرعة (Une citrouille) في قسنطينة (...). حتى المؤلّدة تحزن عندما تُساعد على ميلاد بنت فقط (...). بالنسبة للأب عندما لا يسمع الزغاريد التي تُوحى بميلاد ولد، فإنّه غالباً ما يذهب ليُخفّف عن نفسه، يتعرّض في المقهى" ( : LACOSTE-DUJARDIN . C, ) (57 : 1985).

بعد الاحتفال بميلاد الطفل حسب جنسه، يعمل أفراد هذا النظام على تعليم كل من الجنسين الأدوار المقترحة. فتتعلم البنت بداية أنها تابعة لجسمها الذي يُمكنها استخدامه عن طريق الإغواء للحصول على كل ما تريد ولكن يجب عليها تفادي ذلك بتحليلها بالحياء. كما يتمّ تعليمها احترام مجموع المعايير والقيم والمبادئ الاجتماعية التي تخص كل تصرفاتها داخل وخارج المنزل، وأنّ الالتزام بكل ذلك يساعدها على الاندماج الجيد داخل المحيط الاجتماعي. أمّا الولد فيتمّ توجيهه لحماية والانتباه لجنسية بنات العائلة، تعليمه العمل من أجل تأمين حاجات نساء المنزل، يجب عليه الانشغال بهنّ وحمايتهنّ من العالم الخارجي. إذن: "إننا إذن أمام حضور النظام الذي يُخصّص و يُميّز الجماعي عن الفردي، والموضوعي عن الذاتي، والأنا الأعلى عن الذات" (DELACROIX . C, 1986 : 28).

هذا فيما يتعلّق بتربية البنات في النظام التقليدي، أمّا في النظام الحالي فإنّه وبعد التغيرات التي طرأت المجتمع الجزائري فإنّ تربية البنت اتّسمت ببعض المرونة والليونة حيث أصبح بإمكانها الخروج والتّمدد وكذا العمل. ولكن بالرغم من كلّ ذلك إلا أنّه لا تزال أفكار الثقافة الأبوية مهيمنة وموجودة داخل اللاشعور الجمعي، أين مثلا يُمنع على البنت الخروج ليلا، وكذا إلزامها بالحفاظ على شرف العائلة من خلال الحفاظ على العذرية، عدم مصادقة الأولاد وإن حدث ذلك فلا يتعدى الزمالة في الدراسة أو في العمل. "كلّ ذلك يُعبّر عن وجود بقايا للنظام الأبوي داخل العائلات الجزائرية" (عيساوي . أ، 2012 : 65). كذلك حتى لو كانت البنت تدرس يجب عليها عند العودة إلى المنزل مساعدة أمّها.

## 2- الانقسام الجنسي: مذكر مؤنث:

إنّ ما يُميّز المحيط الاجتماعي هو وجود مهام معيّنة يتمّ إسنادها إلى جنس معيّن وهي ممنوعة عن الجنس الآخر. وما يُميّز هذا الإسناد أنّه يتضمّن تغيرات واضحة ومختلفة من مجتمع إلى آخر، ومن زمن تاريخي إلى آخر، إلا أنّه يستمرّ بإصرار إلى يومنا هذا. منذ زمن بعيد تمّ التعارف على أنّ المرأة هي التي تلد وأنّها تبقى داخل المنزل،

وذلك تبعاً لخصوصيتها البيولوجية، فالمرأة تتميز بقدرتها على الإنجاب هي التي تُقَيِّدها وتُثَبِّتها في الداخل، في حين تبعاً لما يختصّ به الرجل من القوة من الناحية البيولوجية التي تمنحه إمكانية الابتعاد عن الداخل وتُمكنه من الخروج من أجل توفير كلّ المتطلبات من أجل العيش: "يُعطى للرجل دور رئيسي كُموّن للموارد الخاصّة بالعائلة، والمرأة دورها الرئيسي هو إدارة المنزل وتنظيمه" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 103).

إذن انطلاقاً من التكوين البيولوجي تمّ تقسيم مختلف المهام بين الذكور والإناث، حيث يتمّ توجيه الرجل دور الابتعاد وتأمين العيش من خلال العمل وبذل الجهد البدني، في حين يتمّ توجيه المرأة للمكوث في المنزل ولا تخرج منه إلا للضرورة أو للقيام ببعض المهام البسيطة من أجل المنزل كإحضار الماء أو قطف الثمار، وفي بعض المناطق التي زرتها من بينها باتنة وخنشلة وبشار صرّحت المرأة أنّها يمكنها الخروج من أجل مساعدة الزوج في الحقل أو الرعي، وحتى جني التمر مثلما أدلت به سيّدة من تاغيت. إذن نستنتج أنّ "المهام الموجّهة للرجل تتطلّب جهداً عضلياً وأحياناً تُشكّل خطراً على حياته، في حين تأخذ المرأة دورها اجتماعياً وثقافياً" (LACOSTE- (DUJARDIN . C, 1991 : 234).

إنّ هذا الفصل بين الجنسين شمل أيضاً مكان العيش، حيث هو بدوره كان ينقسم إلى قسمين، قسم ذكوري وآخر أنثوي، وهذا ما تحدّثنا عنه في فصل سابق فيما يتعلّق بالمنزل الكبير، كما كان يوجد غرف منفصلة لكلّ من الجنسين، حتى وقت الطعام يُلاحَظ الفصل بين الجنسين، وهذا لا يزال إلى يومنا وقد لاحظنا ذلك في بعض المناطق خصوصاً تلك التي تقترب من الأرياف وداخل العائلات التقليدية، حيث الرجال والأولاد الشباب يأكلون مع بعض أمّا النساء والأطفال يتناولون الطعام معاً في مكان آخر، وهذا ما أشرنا إليه فيما يتعلّق بالمنزل الكبير والعائلة الأبوية. وبالإضافة إلى الفصل في مكان العيش هناك أيضاً الفصل حتى في التواجد في الخارج مثلاً في الطريق، حيث كان هناك طريق يسلكه كلّ جنس على حدى، والمنبع الذي هو بالدرجة الأولى مكان مؤنث. ومع كلّ ذلك فإنّ المحيط لا يتوانى على حتّ البنت منذ صغرها على الابتعاد عن الجنس الذكوري في كلّ مكان

العيش والطريق والمنبع وحتى من خلال سلوكياتها: "يجب خفض العينين، يجب عليها ألا تبتسم مع الرجال، تجنّب الحديث معهم، وعدم إرسال أي إشارة، عدم قبول أي شيء منهم، ترك لهم مجال للمرور. غالبا ما يكون هناك طريق خاص بالنساء" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 65).

إنّ هذا التمييز بين تمثّل المذكر وتمثّل المؤنث راجع إلى التقسيم في التربية الجنسية، ويبدأ ذلك مبكرا أين تأخذ الألعاب والفضاءات خصائص مُجنّسة (Sexuées)، ويتعلّق ذلك بدور المحيط: "الوالدين يتصرّفون بشكل مختلف حسب جنس طفلهم، هذا التمييز يحدث منذ الميلاد. إنّّه يتعلّق أيضا بالمحيط المادي المخصّص للطفل (اختيار الأشياء واللّعب) وأيضاً يتعلّق بالاتجاهات التربوية والتعليمات الاجتماعية" (LEHALLE . H et ) (MELLIER . D, 2002 : 241). مثلا لو تحدّثنا عن اللعب لدى كلا الجنسين، نجد لكلاّ منهما طريقة وأدوات لعب خاصّة والتي تحمل ألوانا خاصّة بكلّ جنس.

إنّ التقسيم بين الجنسين يكون من خلال ترتيب وتنظيم الأمور، فمثلا نجد داخل المنزل كلّ الأجزاء هي مجنّسة أي تتعلّق بجنس دون الآخر. وحسب Bourdieu . P التنظيم الاجتماعي يميل إلى تأكيد الهيمنة الذكورية، حيث يوجد التوزيع الصارم للنشاطات على كلا الجنسين، ولأماكنهم، لحظاتهم وأدواتهم، وكذا هناك بنية الفضاء التي تحتوي على معارضة بين مكان التجمع أو السوق المخصّص للرجال، والمنزل المخصّص للنساء، أو في الداخل الخاصّ بها. وقد فسّر كل هذا بأنّ: "الاختلاف البيولوجي بين الجنسين، بمعنى بين الجسم الذكري والأنثوي، وبالخصوص الاختلاف التشريحي بين الأعضاء الجنسية، يمكن أيضا أن يظهر كتبرير وتفسير طبيعي للاختلاف المُقام اجتماعيا بين النوع (Genre)، وبالخصوص التقسيم الجنسي للعمل" (BOURDIEU . P, ) (1998 : 24).

في سنّ معيّن يبقى الولد في الفضاء الخارجي ويتمّ إدخال البنت إلى الفضاء الداخلي، وتعليمها كل ما يتعلّق به. وقد كان يقلق أفراد النظام التقليدي على الولد الذي يُمضي وقتا طويلا داخل المنزل وعلى البنت التي

تُفضّل البقاء في الخارج، وهذا القلق هو متواصل حتى يومنا هذا ولكن ليس بنفس الدرجة التي كان عليها سابقا. ومن أجل تفادي ذلك فإنه يتم تشجيع الولد على الخروج خوفا من أن يتخذ عادات أنثوية ويتم تعنيف الفتاة التي تُفضّل الخروج خوفا من تشبّها بالرجل. حيث تُمنع في هذا المجتمع العلاقات التي تجمع كلّ جنس بالآخر، ليس بالضرورة بين البنت والولد ولكن أيضا بين الولد وأمه والبنت وأبيها، هناك طقوس خاصّة للفصل بينهما، والتي لها "وظيفة تحرير الولد من أمه وضمان ذكوريته تدريجيا، وذلك بتحريضه وتحضيره لمواجهة العالم الخارجي" (BOURDIEU . P, 1998 : 43).

في دراسة أنثروبولوجية تمّ الكشف أنّ العمل النفسي الذي تمارسه بعض التقاليد تجعل الولد يتعد عن الاتحاد مع الأمّ، وإثبات هويتهم الجنسية الخاصّة بهم، وكلّ ذلك هو منظّم من طرف الجماعة التي تقوم بمجموعة من الطقوس من أجل التأسيس الجنسي الموجّه نحو الرجولة، والتي تكون على مستوى جميع الممارسات اليومية المختلفة (رياضة، ألعاب ذكورية، صيد، ...)، وكلّ ذلك "يُشجّع على القطيعة مع العالم الأمومي، أين يتمّ استثناء البنات من ذلك، وهذا ما يسمح لهنّ بالبقاء مع الأم باستمرار" (BOURDIEU . P, 1998 : 43). كذلك "إنّ للمرور من عالم المؤنث إلى المذكّر يكون عن طريق مجموعة من الطقوس بدءًا من قصّ شعر الولد إلى غاية الختان" (BOURDIEU . P, 1998 : 44).

### 3- التدرّج الجنسي: تعارض الجنسين:

يوجد في المجتمع القبائلي ترتيب ونظام الجنسية والذي نجده لدى الثقافة العربية كذلك ولدى كلّ مجتمع يتميز بثقافة أبوية، حيث تبقى هنا الاختلافات الجنسية يغمرها مجموع المعارضات التي تُنظّم العلاقات وحيات الأفراد، كما أنّ الصفات والأفعال الجنسية هي مثقلة بالمحددات الثقافية. وقد حاول Bourdieu . P توضيح ذلك: "إنّ توزيع الأمور والنشاطات (الجنسية وغيرها) حسب التعارض بين المذكّر والمؤنث يجد أهميّته الموضوعية والذاتية (...). داخل نظام التعارضات المتماثلة: أعلى/أسفل، فوق/تحت، أمام/خلف، يمين/يسار، مستقيم/منحني،

جافّ/رطب، صلب/لين، (...)، واضح/غامض، خارج (عمومي)/داخل (خاصّ)، إلخ، والتي بعضها يتعلّق بحركات الجسم (أعلى/أسفل، صعود/نزول، خارج/داخل، خروج/دخول)" (BOURDIEU . P, 1998 : 20).

إنّ هذا التعارض أو التناقض لا يتعلّق فقط بالقوّة البدنية أو الأعمال بل إنّهُ يمسّ مجموع سلوكيات النساء أو الرجال وحتى الانفعال. فمثلا يتمّ تعليم الأولاد الصغار مبكراً جدّاً عدم البكاء لأنّه يُميّز البنات والنساء فقط. وبالعكس يتمّ التنديد بحدّة كلّ فتاة تريد أن تكون رجلاً أو تلعب مع الأولاد، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً في عنصر الانقسام الجنسي.

داخل هذا النظام الاجتماعي التقليدي المرأة ليست مختلفة عن الرجل ولكن هي عكسه: الرجل هو الجنس الأعظم والمرأة هي الجنس الأصغر، إنّهُ الأقوى، إنّهُ ضعيف، إنّهُ بارد، إنّهُ ساخنة، إنّهُ أعلى منزلة، إنّهُ أسفل منزلة. إذن ليس الاختلاف هو الذي يُميّز بينهما وإنّما سلبية جنس مقارنة بالجنس الآخر. هذه السلبية هي "نظرية التدرج التي تُوصِل إلى وجود جُنوسَة<sup>(1)</sup> (Genre) أعلى، المُبرّرة لهيمنة وإنشاء خصوصية أحدهما على الآخر، وتفضيل الجنس الذكري على الأنثوي" (FSIAN . H, 2006 :152).

داخل الإيديولوجية الأبوية أدّى هذا التعارض الناتج عن الاختلاف بين الذكر والأنثى إلى ظهور استجابات الريبة والشك والرفض وحتى الخوف من الجنس الآخر وهذا ما أشار إليه FSIAN . H في دراسة له حول الموضوع: الأجنبي الذي هو مختلف يظّهر على أنّه خطر. كلّ مجتمع يُميّز ويُفضّل المذكر عن المؤنث فإنّه يُعبّر عن قلقه اتجاه المؤنث، ويظّهر أفرادهُ تمثّلات تُعبّر عن المرأة: "المرأة سيّئة"، "المرأة ضرورة سيّئة"، "المرأة مصدر اللاتنظيم". إنّها تظّهر كعنصر خطير، عدوّ ضارّ للرجل. كان يُنسب إلى الرجل الذكاء العالي وحُكْم على فطنة المرأة بالغباء والضعف، لكنّها استطاعت إظهار العكس بتطوير وضعيتها في المجتمع. وقد تمّت الإشارة إلى ذلك في مؤتمر أُقيم

(1) يمكن استخدام النوع الاجتماعي أو الجندر كمرادف لهذا المصطلح.

في سنة 1879: "إذا قلنا عن الرجل أنّ لديه الصحة، القوّة العضلية في الورشة، نقول عن المرأة أنّ لديها الضعف، الجمال، اللطافة والحب في المنزل، داخل العائلة. نعم إنّ هنا دور المرأة" ( In GADREY-TURPIN . N, ) 45 : 1982).

وفي الواقع تعتبر المرأة تابعة للرجل وهذه التبعية هي بمثابة قاعدة لتوازن العائلة داخل الثقافة العربية عامّة والجزائرية خاصّة، لأنّها تُعرّف المرأة انطلاقاً من دورها كأمّ متفانية، وفية ومخلصة، خاضعة لكن في نفس الوقت هي أيضاً ناقلة للقيم والأخلاق ويجب كذلك "أن يكون لديها الإيمان، الطبع الجيّد، لكن أيضاً أن تكون جميلة، عذراء، خصبة" (DELACROIX . C, 1986 : 28).

تجدر الإشارة هنا إلى أنّه هناك سمة أخرى تُسبّت إلى المرأة وهي أنّ لديها جنسية غامرة، لا تُسَدّ ومستحيل إشباعها برجل واحد. هذه التمثّلات المكوّنة اتجاه المرأة تشرح ذلك الخضوع الذي تعرّضت له المرأة، أين عمل أفراد المجتمع التقليدي على حراستها تقييدها، تخبيتها والسيطرة عليها. كانت تُحبس المرأة العربية في الداخل، أين وصل الأمر إلى منعها من الخروج، أو حتى تعريضها للختان مثل الذكر وذلك حتى يتمّ التقليل من رغباتها الجنسية، وهذا ما أشارت إليه Elkhayat . Gh في كتابها "Le monde arabe au femin" : إنّ الختان الجنسي الذي تتعرّض له البنات هو مشابه لذلك الخاصّ بالأولاد، والذي فرضه الرجال عليها (...). إنّ الختان يسعى إلى كبح الجنسية الأنثوية، ومحي الأعضاء الجنسية الأنثوية" ( : El KHAYAT . GH, 1988 ) 39-40).

ولكن بالرغم من هذا الاختلاف إلا أنّه هو على عكس ما يُدرّكه الجنس الآخر أنّه مسبّب للقلق، وإنّما هو عامل مهمّ في تطوّر الفرد وفي هذا الصدد يقول Saint Exnery: "إذا اختلفت عنك، بعيداً عن أن أوّديك أو أحرمك، سأرتفع وأعلو" (In FSIAN . H, 2006 : 157). إنّ الاختلاف يُساعد على الاقتراب من الآخر، على اتصال أفضل داخل التشارك والتبادل، ولا يمكن التخلّي عنه لدى مختلف المجتمعات وهذا ما صرّحت به



Mead . M : "يوجد دائما تفريق الذي يتخذ أشكالا متعددة ومتغيرة -وغالبا متناقضة- فيما يتعلق بالأدوار المؤجّهة للرجال والنساء. هذا التمييز هو موجود حتما عالميا" (MEAD . M, 1988 : 13).

#### 4- مشروع دراسي، هوية عملية:

لقد تطرقتنا في الفصل السابق حول موضوع الشخصية ومشروع الحياة لدى المرأة في النظام التقليدي، والنظام الحالي الذي طرأت عليه عدّة تغييرات، وهنا سنحاول التعمّق أكثر من خلال محاولة الإلمام بكلّ الجوانب.

#### 4-1- المرأة والمدرسة:

قدّمت Martin . E تعريفا معرفيا للمدرسة حيث ذكرت على أنّها هي التي: "تنقل كيف فهم الفكر الإنساني العالم" (7-6 : In ALLEMANDOU . A, 2005/2006)، هي تُعدّ المؤسسة الاجتماعية الثانية والمكمّلة للمؤسسة الاجتماعية الأولية التي هي العائلة، التي تُعطي للفرد المعارف التي اتفق عليها المجتمع وتمّ وضعها سابقا. إنّها بذلك تعتبر من أهمّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية. كما يُساهم ضبط الكتابة والقراءة في تحرير الفرد وهذا ما يُسمى التحرّر من خلال المعرفة. يحقّ لكلا الجنسين دخول المدرسة ومتابعة الدراسة إلى نهايتها، وقد نصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ذلك بشكل عام دون تحديد الجنس ولم يخص الرجل أو المرأة بنصّ خاصّ عن التعليم، فجاء في المادة 26 ما يلي:

- "لكل شخص الحق في التعليم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقلّ بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزاميا، وينبغي أن يُعمّم التعليم الفني والمهني، وأن يُيسّر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع، وعلى أساس الكفاءة" (الزحيلي . م، 2008: 113).

- "يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملا، وإلى تعزيز واحترام الإنسان والحريات الأساسية، وتنمية التفاهم، والتسامح، والصداقة بين الشعوب والجماعات العنصرية والدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام" (الزحيلي . م، 2008: 113).

وبالرغم من ذلك إلا أنه في النظام الاجتماعي التقليدي الجزائري المدرسة هي مخصصة للأولاد فقط دون للبنات. إن المدرسة في نظر هذا النظام التقليدي تُخرج الفتاة من فضاءها الداخلي إلى الخارج أي تُبعدها عنه، وهو الفضاء المخصص لها منذ القديم وهذا يتنافى مع بنود النظام الذي يرى أنّ على الفتاة البقاء في الداخل. ولهذا نجد العائلات التقليدية لا تُدخل الفتاة للمدرسة وإن فعلت ذلك فأنّها تسمح لها فقط بتعلّم الكتابة والقراءة، ثم يتمّ توقيفها بحجّة أنّها حُلقت من أجل البقاء في المنزل، والقيام بالأشغال المنزلية، الزواج وتربية الأطفال. بتوقيف الفتاة يُعيدونها إلى الداخل، وإن لزم الأمر على تعليمها فإنّهم يتّجهون إلى تعليمها أموراً تُساهم في إدماجها في الداخل مثل الخياطة. وحتى وإن درست لبضع سنوات فأنّه لا أحد يهتمّ بنتائجها الدراسية لأنّه قد تمّ تحديد مصيرها منذ ميلادها بل وحتى قبل ذلك. أمّا الولد فمن حقّه مواصلة الدراسة لأنّ المدرسة تتواجد داخل الفضاء الطبيعي المخصص له ألا وهو الفضاء الخارجي الخارج.

إذن في النظام التقليدي المدرسة لها جنس: هي من أجل الذكور وليس الإناث. تترك الفتاة دراستها في الابتدائي وقد تستمرّ أحيانا إلى النهائي وتتوقّف. هناك مقاومة من قبل المحيط التقليدي اتّجاه ترك المرأة تُنهي دراستها وتندمج في الحياة العملية، هذا المحيط يرى أنّ ذلك لا يتماشى مع تقاليد أبن يُعتبر الدور الرئيسي للمرأة هو إنجاب الأطفال وتربيتهم، لهذا فإنّ التربية التقليدية تسعى دائما لإدخال الفتاة إلى الداخل ودمجها من خلال إبعادها عمّا قد يجذبها نحو الخارج مثل المدرسة. ووجهة نظر Rousseau . J.J تحيل إلى تأكيده على أنّ مصير المرأة الوحيد هو التحكم في الداخل و ترك الخارج للرجل: "أحبّ ألف مرة فتاة بسيطة على فتاة عالمة و مغرمة بالأدب، التي قد تُحوّل المنزل إلى محكمة أدب أين تكون هي الرئيسة. المرأة المغرمة بالأدب هي وباء

(Fléau) لزوجها، أطفالها، خَدَمِها وكلّ العالم. عظمة عبقريتها تجعلها تستخفّ بدورها وواجباتها كامرأة" ( In )  
. (BADINTER . E, 1980 : 240).

إنّ حرمان البنت من المدرسة كان منتشرًا في مختلف أنحاء العالم، وقد كان للثورة الفرنسية دورًا مهمًا، حيث تعتبر هي التي ساهمت في تطوّر التعليم الأنثوي: عندما شاركت النساء في مظاهرات ثورية كبيرة ساعدنّ ذلك على طرح مشكل الدراسة للعالم ككلّ. في بداية القرن 19م كانت هناك العديد من مشاريع التمدرس الأنثوي محلّ نقاش. وبالفعل أثمرت هذه الثورة بالسماح للمرأة بدخول المدرسة والتعلّم تماما مثل الأولاد، بل وصار حقا من حقوقها، وهنا "صارت المساواة ممكنة بين الجنسين بالرغم من ثقل الإيديولوجيات التقليدية (...). أصبحت النساء المتحرّرات من الهيمنة الذكورية يتمتّعن بالاستقلالية والحرية داخل المساواة مع الرجال" ( GADREY-TURPIN . N, ) (1982 : 45).

منذ سنوات الثمانينات لوحظ تحسّن مهمّ وواضح لمستوى تعليم البنات مقارنة بالأولاد فيما يتعلّق بالدول المتقدّمة، لكن فيما يتعلّق بوضعية المرأة في العالم الثالث وبالخصوص في إفريقيا هي بعيدة نوعا ما عن هذا التحسّن، ما تمّ ملاحظته أيضا لدى هؤلاء البنات في هذا العالم الثالث هو قصر الحياة الدراسية. يعود ذلك أولا إلى ضغط النظام التقليدي، حيث يتصاحب إرسال البنت للمدرسة ببعض القلق والخوف من تعرّضها للمخاطر منها: الخروج من الوسط العائلي وما قد ينتج عنه من تمرد على بنود النظام، الاختلاط مع الجنس الآخر، ولهذا السبب كانت البنت تُسحب من المدرسة مبكّرا جدا وغالبا منذ بداية ظهور علامات البلوغ. وقد تمّ الإشارة إلى ذلك من طرف Talleyrand: "البنات بالاختلاف عن الأولاد يُسحبن من المدرسة منذ سنّ الثامنة، من أجل تلقي التربية التي يُوزعها الأب والأمّ عليهنّ" (DES FORTS . J, 2003 : 242). بالرغم من ذلك فإنّ البنت تُحسّن في المدرسة تكتشف أنّها متساوية مع إخوتها الذكور في حين أنّها تكون خادمة لهم في المنزل، وتعتبر الوسيلة الوحيدة لخروجها من ذلك وتحرّرها هي النجاح في الدراسة.

يعتبر ضغط وتشدد النظام التقليدي أحد أهم العوامل التي تحول دون إرسال البنت للمدرسة، بحجة أنّ هذه الأخيرة تُخرج البنت من فضائها الطبيعي. وهناك عامل آخر يحول دون دخولها المدرسة ألا وهو الضغط المادي: بالرغم من أنّ المدرسة هي مجانية لكن يجب دفع المال من أجل الكتب وغيرها من المستلزمات التي تصبح تدريجياً ومع مرور السنوات مكلفة. وإذا لم تتمكن العائلة من توفير ما يلزم للدراسة لجميع أطفال العائلة وإنّما للبعض منهم فستكون من نصيب الأولاد دون البنات، الأولوية في الدراسة هي للولد.

بعد الاستقلال ونتيجة للعديد من التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، لوحظ ارتفاع تدريجي ومهم في مستوى تعليم البنات مقارنة بالأولاد، ويعتبر عدد الشهادات ونسبة النساء الإطارات كمؤشرات ممتازة لمكانة (Statut) المرأة داخل هويتها الجديدة. حيث أصبح حقّ التمدرس لكلا الجنسين وبنفس الطريقة. فبعدما كانت البنت تدرس فقط في المستوى الابتدائي فقط وتتوقف، فإنّها استطاعت تدريجياً بلوغ التعليم المتوسط ثمّ الثانوي ثمّ بلوغ مستوى دراسي عالي الذي يُمكنها من العمل في المجال الذي ترغب فيه: "نجحت في التسلسل إلى إحدى المهن: المعرفة الأكاديمية. المعرفة، مع شهادة تركز عليها هي اكتساب جديد للنساء لأنّ حتى الآن، ما عرفته النساء من تربية الأطفال ونسج الزرابي أصبح ناقص القيمة ولا يفيد" ( : MERNISSI . F, 1992 : 206). لكن حتى لو كانت الفتاة تدرس يجب عليها عند العودة إلى المنزل مساعدة أمّها في الأشغال المنزلية، وذلك حتى لا تفقد مكانها (Place) في المنزل وتُحقّق الاندماج داخل العائلة التي لا تزال لديها روااسب من النظام الأبوي التقليدي.

في اتجاه معاكس تجدر الإشارة هنا إلى أنّ المدرسة تعتبر من بين العوامل التي أدت إلى ظهور التغيرات في المجتمع التقليدي، وبالخصوص تعليم الفتيات وقد أشار Bourdieu . P إلى ذلك: "من بين كلّ عوامل التغيير، الأهم هي تلك المرتبطة بتحوّل حاسم لوظيفة المؤسسة المدرسية (...). مثل زيادة دخول النساء للتعليم وارتباطه مع الاستقلال الاقتصادي وتحول البنات العائلية" (BOURDIEU . P, 2002 : 123). يظهر هنا

جليًا دور المدرسة في إحداث التغييرات حيث أنّها بوابة للعمل وتحقيق الاستقلالية المادية. ولهذا يُلاحظ ارتفاع مستمر في نسبة البنات المتمدرسات، فمن خلال دراسة أُقيمت في شمال إفريقيا والشرق الأوسط تمّ التوصل إلى أنّ هناك تقدّم لنسبة البنات داخل ميدان الدراسة: "نسبة تدرس البنات مقارنة بالنسبة المئوية لتدرس الأولاد تجاوزت 75% إلى 90% بين 1980 و2000. البنات يقيمن أيضا طويلا في المدرسة" ( In CHERIF . H et ) (MONCHAUX . PH, 2007 : 16).

كما أنّ طموح المرأة لم يتوقّف عند دخول المدرسة والتعليم وإنّما تطوّر إلى الحصول على شهادات عليا، ونسبة ذلك في تزايد مستمرّ: "إنّ عدد النساء الحاصلات على شهادات عليا لا يتوقّف عن التقدّم" ( PIETTRE ) ( . M.A, 1976 : 203 ).

أصبح للمدرسة مكانا مهمّا لدى البنت، كما أنّها تعتبر السبيل الأول لبلوغ مشروع عملي، وأصبح تجاوز امتحان البكالوريا والحصول عليه كوسيلة للتسجيل والذهاب إلى فضاء آخر جديد: إنّ الجامعة. هذا العالم هو الذي سيوصل المرأة إلى تحقيق الشروع العملي وتحقيق ذاتها كشخص وتكوين هوية شخصية، الأمر الذي يُعبّر عن الشخصية: "أصبحت الجامعة هي المؤسسة التي تضمن ترقية واندماج اجتماعيا أكيدا أكثر من الزواج" (CHERIF . H et MONCHAUX . PH, 2007 : 41). سنفصّل في هذا لاحقا.

إذن كخلاصة كان للتعليم في البداية أهمية من حيث أنّه يُساعد المرأة على مساندة زوجها فكريا وتعليم أبنائها، ثمّ أصبح حاليا له أهمية في تحقيق الحرية. إضافة إلى أنّ تعليم البنت كان في البداية يقتصر على تعليمها المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة، ثمّ تطوّر إلى الرغبة في ممارسة مهنة وبالخصوص تكون مؤنّثة، وهذا ما أشار إليه قاسم أمين الذي عمل على تحرير المرأة ودافع عنها بجرأة في زمن كان الحديث عن المرأة، وقد وضع من أجل ذلك كتابا عنوانه: "تحرير المرأة"، وآخر "المرأة الجديدة" الذي دعا فيهما إلى وجوب تعليم المرأة وتحريرها. كما

أنه أكد على أهمية توجهها إلى مهنة التدريس أو الطب وهما مهنتان مؤثقتان: "يُوجد حرفتان أوْد أن تتوجّه نحوهما تربية البنات عندنا، الأولى صناعة الأطفال وتربيتهم، هذه الصنعة هي أحسن ما يُمكن أن تتخذها امرأة تُريد أن تكسب عيشها لأنّها صناعة محترمة شريفة، والمرأة أشدّ استعدادا لها من الرجل وأدرى منه بطرق استمالتهم واكتساب محبّتهم (...). والحرفة الثانية هي صناعة الطب (...). وهنا نقول أيضا أنّ فن الطب هو من الفنون التي تُلائم استعداد النساء الطبيعي" (أمين . ق، 2012: 105).

#### 4-2- المرأة والعمل:

عندما كانت تولد البنت في النظام الاجتماعي التقليدي فإنّ استقبال المحيط لها وبالخصوص الأب كان يحدث في صمت، عكس ما يحدث عند ميلاد الولد أين تظهر عليه علامات الفرحة ويبدأ الجميع في نشر الخبر السعيد. وكلّ ذلك راجع إلى أنّه لم يكن للبنت دورا فعّالا إلاّ أن تُصبح زوجة وبالخصوص أمّاً لولد. ولهذا كانت بمجرد أن تبلغ ويتقدّم أحد ما لخطبتها فإنّ الأب يُزوّجها، بحجّة أنّها مُنتجة إلا في منزل زوجها.

لكنّ مع التغيرات التي اجتاحت الثقافة التقليدية فإنّ المهام التي كانت موجهة لكلا الجنسين طرأ عليها بعض التغيّرات. فبعدما كان كلا الوالدين هما اللذين يدفعان البنت إلى الزواج، أصبحت حاليا يُشجّعانها على الدراسة والعمل، وبالخصوص الأب الذي أصبح يهتمّ بدراسة ابنته ويدعمها حتى أكثر من الأمّ: "أحيانا في بعض الحالات يكون للآباء اهتمام أكثر من الأمّهات ببناتهم، يكونون أكثر وعيا باهتماماتهم، يتصوّرون لهمّ المشاريع الأكثر طموحا" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 244). وتُضيف Zamiti Horchani . M: "الرجال يحلمون بالنسبة لبناتهم أن يعملن أعمالا أكثر كفاءة وأكثر اكتساحا: إطار عالي، أعمال حرة، صاحبة تجارة، صناعة وزراعة" (In LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 244). هذا كلّهُ يدفع البنت حاليا إلى التماهي مع صورة الأب الذي يعمل في الخارج، والابتعاد تدريجيا عن صورة الأمّ الماكنة بالبيت، وبالتالي هي ترفع من قيمة الأب فهو يُعتبر بالنسبة لها نموذجا لإسقاط الذات. أما فيما يتعلّق بالوالدين فإنّه: "إذا كان الأب يعمل

على تشجيع البنت على الدراسة والعمل، فإنّه بالنسبة للأمّ هي عكس الأب فهي تعيش في تردّد بين دفع بنتها إلى الفضاء الخارجي من أجل تحقيق نجاحات فيه، وبين إبقاءها في الداخل واتباع نفس نمط التنشئة الاجتماعية الذي أنشئت عليها هي نفسها، أي تحضيرها للحياة الزوجية والأمومة" (LACOSTE-DUJARDIN . C, ) 140 : 2008).

إذن أصبح بالنسبة للمرأة حاليا بلوغ مكانة في المجتمع وكذا تحقيق الذات يحدثان من خلال العمل وبالخصوص في منصب عالي، وهذا ما أشرنا إليه في فصل سابق حول الطريقة التي تبلغ بها المرأة الشخصية حاليا. إنّ العمل خارج المنزل يجعل المرأة تقضي وقتا أقلّ داخله، وهذا يُؤدّي إلى انخفاض في ذلك التوظيف (Investissement) الذي كان مُوجّها فقط نحو الأشغال المنزلية وكذا الانشغال بكلّ أمور أفراد العائلة، وهذا ما يُساهم في اتخاذ مسافة التي تُعبّر عن تحقيق الذات وكذا تحقيق الاستقلالية ماديا ومعنويا: "إنّه أكيد أنّ النساء يتمتّعن بحرية واستقلالية كبيرة إزاء أزواجهنّ، آبائهنّ منذ عملهنّ في الخارج" (EL SAADAOU . N, ) 368 : 1983). مصدر هذه الحرية بالدرجة الأولى والتخفيض من التبعية للآخر وبالخصوص الأب أو الزوج، وأيضا الاستقلالية الاقتصادية من خلال الحصول على أجر، وهذا ما ساهم في تغيير وضعية المرأة خصوصا فيما يتعلّق باتّخاذ القرارات وتحديد توجّعاتها المستقبلية: "إنّ فعل كسب أجر يُعطي للمرأة إمكانية المشاركة في اتّخاذ القرار" (ABROUS . D, 1989 : 45).

إنّ للعمل مكانة مهمّة لدى المرأة، وفي هذا الصدد قام Joulain . M بدراسة على مجموعة من الطلبة لمعرفة أهمية العمل في حياتهم، و توصل إلى أنّ هناك: "حضورا قويا للعمل في أفكار الطلبة بالنسبة لمستقبلهم (...). عبّروا عن الرغبة في تحقيق ذواتهم من خلال عمل يُرضيهم" (JOULAIN . M, s.a : 149). ولكن من خلال الدراسة التي قمنا بها في 2012 حول الشخصية لدى المراهقات المتمدرسات والمراهقات غير المتمدرسات، توصلنا إلى أنّ الشخصية لدى المراهقة المتمدرسة تكون من خلال تحقيق مشروع عملي بالدرجة

الأولى، ولكنها لا تهمل المشروع العائلي. عبّرت العديد من الحالات على أن الزواج يُعتبر كعائق يَحُول دون تحقيق المشروع العملي الذي هو العمود الذي تتمحور حوله حياة كل بنت ولهذا هي تسعى إلى تحقيقه بكلّ السبل والوسائل المتاحة، وقد "تدخل الفتيات في كفاح ومقاومة من أجل تحقيق المشروع العملي. كفاح ضدّ الآخرين وأحيانا ضدّ أنفسهن" (22 : 2007 . PH, MONCHAUX . H et CHERIF . H). ولكن بالرغم من هذه الأهمية المعطاة للعمل إلا أنّه لم تتخلّ هؤلاء المراهقات عن المشروع العائلي، وهنا احتلّ الزواج والأمومة لديهنّ مرتبة ثانوية بعد الجامعة والعمل. وهذا ما توّصل إليه أيضا Joulain . M: "لكن العمل المُعاش لا كارتهان ولا كعبء هو مُهمّ شريطة ألا يكون كلّ شيء في الحياة" (149 : s.a . M, JOULAIN), وهو يُشير إلى ذلك لأنّه توّصل في عمله إلى أنّ: "العائلة تُكوّن ميدانا حاضرا في مستقبل الطلبة: مشاريع الزواج و الأطفال" (149 : s.a . M, JOULAIN).

إذن تسعى البنت إلى تحقيق هدفها كعاملة وبعدها تنظر في أمر الزواج، ولكن يجب أن يخضع هذا الأخير لبعض الشروط وأولها اختيار الشريك بشكل شخصي، والذي يجب أن يحترم ويُوافق على عمل المرأة ودون تدخّل أي طرف آخر من العائلتين: "تكوين عائلاتهم الخاصّة يُسجّل داخل منظور اختيار شخصي. يوجد هنا تغيير في الأدوار والزواج أيضا في تغيّر أين أصبح يخصّ فقط المعنيين (الزوجين) (...) البنات يُعبرن أكثر عن اختيار مرتكز على الحبّ (...) على رجل يتفهّم عملهنّ. ذلك الذي يعتبرهنّ كأشخاص مثله تماما" (CHERIF . H et 26-27 : 2007 . PH, MONCHAUX). وهذا يحيلنا إلى أنّ المرأة تبحث عن التطابق مع الآخر الذي هو الشريك، إذ أنّ "الفرد يبحث على أن يتطابق مع النظرة التي يعيها له الآخر عن ذاته، من خلال المرأة التي يُوجّهها هذا الآخر له" (21 : 2004 . F, DE SINGLY).



## 5- المشروع العائلي: الزواج والأمومة:

يُمكن تعريف الزواج على أنه عملية اتحاد بين فردين شرعيا وقانونيا، ولكن هذا التعريف لا يتطابق مع تعريفه في النظام التقليدي، حيث يُعتبر اتحادا بين قبيلتين أو بين عائلتين، والهدف الرئيسي منه هو الحفاظ على النسل واسم العائلة، وقد تحدّث Montaigne عن ذلك حيث قال: "لا يتمّ الزواج من أجل الذات (...). يتمّ الزواج من أجل السلالة، من أجل العائلة" (PIETTRE . M.A, 1976 : 171). وهذا يعني أن الفرد لا يُمكنه العي منفردا بعيدا عن العائلة وبالخصوص في النظام التقليدي، حيث يكون مجبرا على الخضوع لقيمها وقواعدها: "مفهوم عائلة هو أولي عن فرد، هذا الأخير ما هو إلا حلقة في سلسلة. اتحاد زوجين كان أولا تحالفا بين منزلين، اندماج لميراثين، تقارب لتقاليد متماثلة، طبقة اجتماعية مماثلة" (PIETTRE . M.A, 1976 : 171). هذا ما يُفسّر عملية اختيار العائلة للزوجة المستقبلية للابن وليس هذا الأخير من يختارها، ونفس الشيء بالنسبة للبنت، ويتمّ هذا الاختيار تبعا لشروط ومواصفات وعلى رأسها تشابه التقاليد وتقارب في الطبقة الاجتماعية وغالبا من الأقارب. إذن العائلة هي من تتكفل بتزويج كلّ من البنت والولد، وبالتالي يكون زواج كلّ منهما مع عائلة أخرى ممّا يُحيل إلى وظيفة الزواج الأساسية في النظام التقليدي: "الزواج له وظيفة أولى هي ضمان استمرار النسل دون تعريض للخطر كمال التراث الأبوي" (SEGLÉN . M, 2004 : 117). وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ زواج المرأة لا يتمّ إلا بموافقة الأب وهذا ما صرّح به Rabelais: "لا يُوجد أيّ قانون في العالم يُرخّص زواج الفتيات دون ختم، رضا وموافقة آبائهنّ" (In PIETTRE . M.A, 1976 : 171)، "زواج البنت يمرّ فقط من خلال قرار الأب الذي يُعلمها بما يجب أن تعرفه. فكرة عصيان وتمرد الفتاة تُظهر هنا غير قابلة للتفكير فيها، لا يُمكنها إلا أن تشكره بطاعة واحترام" (BRAHIMI . D, 1984 : 189).

يُعتبر الزواج في النظام التقليدي كمرحلة يمرّ بها كلّ فرد ذكرا كان أو أنثى، كما أنّه يُمثّل أهمّ عنصر يساهم في الاستمرارية العائلية. يحدث ذلك من خلال مجموعة من القواعد والآليات الاجتماعية، حيث كان الطفل يمرّ

مباشرة إلى مرحلة الرشد دون المرور بمرحلة المراهقة التي لم تكن موجودة في النظام التقليدي، ويكون ذلك من خلال زواج البنت مبكراً جداً، ودخول الولد إلى عالم الشغل، وبذلك تصبح البنت امرأة وزوجة، ويصبح الولد رجلاً مستقلاً مادياً مما يُمكنه من فتح منزل وتحمل مسؤولية عائلة. كما يعتبر الزواج هو الالتقاء الشرعي للرجل والمرأة وهنا تكون الجنسية مشروعة، و تحت سقف منزل الزوجية: "لكنّ المنزل ليس فقط المكان المفضّل لوجود المرأة، المنزل هو أيضاً مكان التقاء الرجل والمرأة، نقطة إنجاز تكاملهما، تجسيد ظاهر للعائلة" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991 : 211).

بالنسبة للمرأة في النظام التقليدي يعتبر مشروع الزواج أهمّ من المشروع الدراسي والعملي: "من خلال الزواج تصل المرأة إلى مكانة (Statut) راشد، تفوز بحق الإخصاب والإنجاب، الطقوس الخاصّة بالتغيرات الاجتماعية التي تُواجهها في هذا المرور من حالة فتاة إلى حالة امرأة متزوجة" (SEGLEN . M, 2004 : 116). إذن دور الزواج هو تمرير الفتاة من منزل أبيها إلى منزل زوجها، وهذا يعني أنّ هناك نقلاً بدنياً لبنت ولكن أيضاً تحوّلاً عميقاً في حالتها ومكانتها (Statut). ويعود الفضل في تمسك المرأة بهذا المشروع إلى التنشئة الاجتماعية التي قدّمها لها المحيط، بحيث جعلها تقوم بتوظيف مهمّ نحو الزواج والأمومة، وقد أشارت Badinter . E إلى ذلك بقولها: "الرجال، المجتمع يُعيدون المرأة إلى الدور الذي لا يُمكن أبداً تركه: إنّه دور الأم" (BADINTER . E, 1980 : 89). كلّ ذلك ساهم في جعل الزواج هدفاً في حياة كلّ امرأة في النظام التقليدي والذي ينتهي بشكل حتمي بأن تصبح أمّاً.

عمل النظام الاجتماعي التقليدي على جعل الزواج مهمّاً في حياة المرأة وذلك من خلال إعطائه قيمة كبيرة جداً، وهذا ما نسّميه بـ"مثلية الزواج"، وأصبحت هي في حدّ ذاتها تعطي نفس الأهمية من خلال عملية الاستدخال. بصفة عامّة تعتبر المثلية هي إحدى الميكانيزمات الدفاعية التي من خلالها يصف الشخص علاقة أو موضوعاً ما بطريقة مبالغ فيها، ويكون الهدف هنا هو حماية الذات من مشاعر العجز وعدم الكفاءة، ممّا يساعده على

الاحتفاظ بصورة كاملة لذاته أو الموضوع الممثلن. "إن الفاعل (Sujet) يُحاول تجاوز صراعاته الانفعالية وعوامل القلق الداخلية أو الخارجية بإسناد إلى ذاته أو آخر أو موضوع ما نوعيات مبالغ فيها" ( : PERRY . C, 2004 : 83). تعتبر هذه المثلة للزواج وسيلة من أجل مواجهة والتخلص من الإحساس بالعجز، وكذمن أجل اتخاذ الزواج كهدف لتحقيق ذاتها وتحقيق الاندماج الاجتماعي.

بالإضافة هي مثلة الزواج هذه هناك عامل آخر ساعد في جعل الزواج أهم هدف لدى المرأة إلا وهو الدين، الذي هو أهم عنصر من عناصر الثقافة والذي تُشتق منه عدة عناصر أخرى. إذ أنه يحتل مكانة مهمة في الدين الإسلامي، حيث حدّد هذا الأخير شروط صحته وقواعده هذا من جهة. ومن جهة أخرى هناك عبارة منتشرة وسط أفراد النظام الاجتماعي التقليدي، والتي تُثبت مدى مثلته: "الزواج هو نصف الدين" ( EL SAADAOUI : 293 : 1983, N)، وجميع أفراد النظام يردّدونها وهذا يوضّح أنّ الزواج محور حياتهم خصوصا البنات، بحيث أنّهم يتزوجون من أجل إتمام النصف الثاني للدين: "المسلمون لا يُكملون دينهم إلا بالزواج، يظهر الزواج كحدث مهمّ جدّا ليس فقط في حياة الأفراد والكيان العائلي ولكن في حياة الأمة ككل" ( EL KHAYAT . GH, : 73 : 1988).

أمّا في النظام الحالي وكما ذكرنا في العنصر السابق أنّ بالرغم من أنّ المرأة تسعى لتحقيق مشروع دراسي وعلمي، وبذلك تحقيق هوية عملية، إلا أنّ دور المرأة في الفضاء الداخلي يبقى حاضرا بقوة، وهذا ناتج عن تلك البقايا من النظام الأبوي التي هي لازالت الراسخة لدى الأفراد. وبالتالي لا تزال العائلة التي لها أصولا تقليدية تُفرض على البنت تعلّم الأشغال المنزلية حتى ولو كانت تدرس أو تعمل، ثم تتزوج لتصبح أمّا: "المرأة لها الحق في ترك منزلها كلّ يوم من أجل الذهاب للعمل داخل مكتب، مدرسة، مستشفى أو مصنع شريطة أن ترجع للمنزل بعد يومها العملي من أجل أن تُنجز واجباتها كأمّ وزوجة (...). في المجتمع العربي يُواصل الأفراد التفكير أنّ النساء خُلِقن من أجل أن يُصيبن أمهات وزوجات، إذن يخدمن عائلاتهنّ ويُرَبِّين أطفالهنّ. كذلك إنّه إلا للضرورة

الاقتصادية داخل المجتمع أو في حُضن العائلة أين النساء لهنّ حقّ البحث عن عمل في الخارج" ( EL : 367 : SAADAOU . N, 1983)، لكن عمل المرأة في مجتمعنا لا يتعلّق بالضرورة الاقتصادية وإنّما أيضا بتحقيق الاستقلالية والذات. إذن بالرغم من تحقيق المرأة لنجاح دراسي وعملي إلا أنّه يبقى من الواجب عليها القيام بالأشغال المنزلية والاهتمام بطلبات والديها أو زوجها والعناية بأطفالها.

## 6- عوامل تأخر سنّ الزواج:

إن كل ظاهرة اجتماعية ترجع إلى عدة عوامل تتداخل فيما بينها ممّا تُؤدّي إلى حدوثها، كما أنّه لا يصح تفسير الظاهرة الاجتماعية بعامل واحد. ولذلك تعددت العوامل ساهمت في تأخر سن الزواج حتى أصبح ظاهرة في المجتمع. وقد اختلفت التأويلات باختلاف الميادين، فمثلا في نظر المختصّين في الدين فإنّ السبب الرئيسي لتأخر سنّ الزواج يرجع إلى البعد عن الدين والتربية الصحيحة، ويستدلّون في ذلك بأن "هذه الظاهرة لم توجد في التاريخ الإسلامي مطلقا، وإنّما ظهرت في هذا العصر، وتعاون على انتشارها البعد عن الدين من جهة، والتأثر بالثقافة الغربية، والغزو الفكري، والتأثر بالبرامج التلفزيونية [من خلال التأثير بوجهة نظر الغرب للزواج]" ( الزحيلي . م، 2008 : 197).

أمّا من وجهة نظر اقتصادية فمن بين العوامل التي أدّت إلى هذا التأخر غلاء المهور وكثرة الأعباء المالية المرافقة للزواج، وهذا يدفع الفرد لبذل الجهد والعمل من أجل كسب المال الكافي من أجل سدّ النفقات، هذا بالنسبة للرجل. وأهمّ عامل والذي نلاحظه لدى كلا من الرجل والمرأة هو "إنهاء مراحل التعليم والدراسة التي يحتج بها الكثير من الشباب الذين يمتنعون عن الزواج بعد العشرين من أجل الحصول على الشهادة والبحث عن العمل، وبعدها جمع المال وكذا تهيئة جميع تكاليف الحياة الزوجية" (الزحيلي . م، 2008 : 198).

فيما يتعلّق بالمرأة فإنها بعدما كانت تستثمر وقتها في الأشغال المنزلية والإشراف على تربية أطفالها، أصبحت تهتمّ بالدراسة والعمل خارج المنزل، بل هذه الرغبة امتدّت للعمل في فضاء عامّ كان مخصّصا للرجال. أدّى ذلك إلى

بروز ظاهرة تأخير الزواج، حيث كانت الفتاة تتزوج في سنّ مبكرة غالبا أقلّ من عشرين سنة، لكن بعد حدوث التغيرات في المجتمع أصبحت تتزوج في سنّ متأخرة من العمر: "السنّ المتوسط للزواج تجاوز 18 سنة بالنسبة للنساء في 1966 إلى 29 سنة في 2002" (SOUABER . H, s.a : 19). هذا التأخير ناتج عن طول فترة الدراسة وبذل جهد كبير من أجل العمل وتحقيق مكانة اجتماعية وتحقيق الذات. و قد سجّل Bourdieu (BOURDIEU : 40 : 1998 . P.) وجود ابتعاد عن الفضاء الداخلي وأيضا سجّل انخفاضا في نسبة الزواج أو تأخيره، وكذا تقليص حجم العائلة من خلال تحديد عدد الأطفال.

#### 7- أدوار المرأة بين الماضي والحاضر:

يعتبر كلّ من الرجل والمرأة قطبين مهمّين في المجتمع، ولكلّ منهما رتبة (Rang) التي من خلالها يُترجم التدرّج في علاقتهما، وكذا لكلّ منهما مكان (Place) داخل المجتمع، بالإضافة إلى دور اجتماعي ثقافي يُمارسه، وهذا لا يعني أنّهما مجرد كائنين بيولوجيين مناقضين لبعضهما. إذن هذا التعارض بين الجنسين هو ذو أصل اجتماعي ثقافي وليس بيولوجيا، حيث من خلاله ومنذ زمن بعيد كان يُعتبر القطب الذكري هو الأهم بالإضافة إلى احتلاله المرتبة الأولى، وما كان يُميّزه أنّه كائن يختصّ بأمور لا توجد لدى المرأة: فالرجل يتميّز بأنّه قوي، ذكي، شجاع ومبدع. أمّا المرأة فكانت تحكم منزلها، تهتمّ بتربية أطفالها وتمثّل للرجل ولقانون الأخلاق المتفق عليه من قبل الجماعة، في حين كلّ ما يتعلّق بالعالم الخارجي من إنتاج، إبداع، سياسة، وغيرها كلّ ذلك يخصّ للرجل. وبالتالي فإنّ ضبط وتناسق التنظيم البدني والتنظيم الاجتماعي لكلا الجنسين يفرض ويُرسخ الأحكام بإقصاء المرأة من بعض المهام التي تتطلّب قوّة وجهدا مثل الحراثة، وتخصيص لها مهامّا منخفضة ومتدنية مثلا جني الثمار والزيتون بمساعدة الأطفال. وكذا تمّ منحها فضاءات خاصّة بعيدة عن تلك الخاصّة بالرجل، فعلى سبيل المثال لم يكن يُسمح للمرأة في النظام التقليدي استخدام الطريق العامّ الذي يسير فيه الرجل، وإنّما كان يُخصّص لها الجانب

الأسفل للطريق أو المنحدر. وعموما وفي المُسَلَّمات الأساسية فإنّ "الاختلافات البيولوجية تبدو أساسا للاختلافات الاجتماعية" (BOURDIEU . P, 1998 : 41).

في النظام التقليدي كانت سيطرة الرجل على المرأة يُعبّر عنها من خلال مراقبة جنسيتها، الإنجاب وكذلك تقسيم الأدوار. كانت تتميز الهوية الذكورية بالقوة، السلطة والسيطرة، و كان كلّ كائن ذكري هو أعلى درجة من الكائن الأنثوي، في حين كانت تتميز الهوية الأنثوية للمرأة التقليدية بالخضوع، الطاعة، العجز أمام سلطة الآخر والتبعية له، البقاء في المنزل، والتوجّه نحو المصير الوحيد المسطّر لها من طرف الجماعي ألا وهو: الزّواج والأمومة، حيث كان ما هو مهمّ في حياة كلّ امرأة هو أن تصبح أمّاً. ويوجد هنا نقطة مهمّة يجب الإشارة إليها ألا وهي أنّ ما هو جماعي تغلب على ما هو فردي. حيث في النظام التقليدي لا يُمكن الحديث عن فرد وحيد، وما هو فردي لا يظهر أبدا بجلاء لأنّه في علاقة دائمة مع الآخرين، ولهذا من أجل يتطوّر الشخص عليه أن يندمج ويتطابق مع الآخرين وفي نفس الوقت يتميّز عنهم لكن في حدود ما هو مقبول في النظام. أي يجب أن يكون هناك توازن لكن "داخل المجتمعات التقليدية، يتغلب ويُهيمن الجماعي دائما على الفردي والقواعد الاجتماعية هي موضوع من أجل التخفيض من حدود حرية الشخص واستقلالته" (FSIAN H, s.a : 1).

لكن منذ الثورة الصناعية، تمّ ملاحظة تطوّر في دور ووضعية المرأة التي تميّزت بتوسّع مضاعف: التحكم في الإنجاب والمشاركة في العالم الاقتصادي جنبا إلى جنب مع الرجل. من قَبَل كانت المرأة تُمارس أعمالا منفصلة ومختلفة عن أعمال الرجل وغالبا داخل المنزل لكن "وضعت المرأة حدّا ونهاية للتقسيم الجنسي في العمل وللمعارضة بين الحياة في المنزل التي كانت مخصّصة لها والحياة العملية المخصّصة للرجل" (FSIAN . H, ) 146 : 2006).

ويعتبر أهمّ عامل ساهم في تطوّر وضعيتها هو: نمو وتطوّر التعليم لدى المرأة، حيث أصبح لديها كفاءات لممارسة أعمال جديدة، أعمال حرة، والتي كانت حكرًا على الرجل فقط. كان الزواج المبكر قاعدة في النظام

التقليدي، أين تمثل دور المرأة في الماضي في الدور الزوجية ثم دور الأم وهذا الأخير هو الأهم، أما اليوم يُظهر العالم العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة تأخيراً لسرّ الزواج لأنّ البنت أصبحت تقضي سنوات طويلة في التعليم، وسنّفصل في هذا ضمن عنصر خاصّ لاحقاً. وبعد الانتهاء من الدراسة تدخل عالم العمل. وما ساعد أيضاً المرأة على التطوّر هو ظهور وسائل تُساعد في الأعمال المنزلية، ممّا جعل ممارستها سهلة وبسيطة وفي وقت أقلّ مقارنة بالماضي، وهذا أدّى إلى انشغالها بأمور أخرى غير الأعمال المنزلية لملأ الفراغ الذي خلّفته هذه الأخيرة. كلّ ذلك أدّى إلى تغيير مكان (Place) المرأة داخل المجتمع، حيث حدث تطوّر في الطريقة التي كانت تُدرك بها هي ذاتها، وكذا الطريقة التي كانت يُدركها بها المحيط. إذن إنّ تغيير تمثّل المرأة وثنائها يظهر أنّه مرتبط مباشرة بنمو دورها كعامل في الخارج، لقد اقتحمت المرأة العالم المخصّص للرجل. وهذا كلّ جعل الزواج في نظرها أمراً ثانوياً ومؤجّلاً في حياتها مع الميول إلى العمل. وحتى عدد الأطفال الذي كانت تتحكّم فيه العائلة الأبوية ككلّ، أصبحت المرأة هي من تُحدّد كم طفلاً ستنجب، وذلك بالإعتماد على استعمال موانع الحمل، وهذا من أجل محافظتها على هويتها الجديدة: ألا وهي الهوية العملية. وهذا يدلّ على صدق ما قالته Tillon . G : "الطريقة الوحيدة لتحديد الولادات دون استعمال العنف يتضمّن إعطاء للنساء أولاً تعليماً، شهادات ثمّ بعد ذلك حقوقاً، أعمالاً" (In TODOROV . T, 2007 : 245).

إنّ ظهور هذه الأدوار الجديدة للمرأة هي مُدرّكة من طرف المحيط كتهديد للحدود الجنسية القديمة التي حدّدها النظام التقليدي. حيث من خلال صيرورة المرأة أستاذة أو دكتورة أو محامية، وغيرها من المهن تماماً مثل الرجل فإنّها بذلك تُحرّض على قلق المشابهة. هذه الأخيرة هي مُدرّكة في آن واحد كتذكير (Masculinisation) للمؤنّث وتأنيث (Féminisation) للمذكر: "المرأة المتحرّرة هي رجل داخل جسم أنثوي، امرأة مسترجلة" (FSIAN . H, 2006 : 176). إنّ المرأة التي كانت في النظام التقليدي تابعة وسلبية وغير فعالة، أصبحت حالياً فعالة وتتمتع بالاستقلالية. ففي هذه العصرية التي اجتاحت العالم العربي، والجزائر خاصة أصبحت المرأة

تمشي في الفضاء العمومي وحيدة، ودون تغطية شعرها، تملك سيارة وحقيبة يد، بطاقة هوية وجواز سفر شخصي، دخلت المدرسة والجامعة، وحصلت على عمل، المرأة نزعت الحجاب وأصبحت تظهر بوجه غريب يُشبه الغرب، وهذا يُحيلنا إلى قول Tillon . G: "أعرف الكثير من العائلات المسلمة التي فيها فتيات المنزل بدّلن الحجاب بالجينز الأزرق وتركن الحرم من أجل اتّخاذ الدغل" (In TODOROV . T, 2007 : 245).

وهذا الحجاب الذي تمّ الإشارة إليه منذ قليل لا يُقصد به ما يتعلّق باللباس فقط وإنّما يضم جوانب أخرى، فهو يتمثّل في حجب المرأة من الخروج وإبقائها في المنزل، وبهذا يُلاحظ تعدّدية في معنى الحجاب، وقد تُمثّل العائلة في النظام التقليدي حجابا للمرأة: "تظهر المرأة مالكة وضامنة لشرف الوطن، المجتمع وعائلتها، بالتالي يصبح تحجّبها ضروريا (...). الحامون للمرأة هم بالدرجة الأولى أقاربها الذكور. حجاب المرأة الأوّل يتمثّل في النسيج الموضوع من قبل الأب، الأعمام، الإخوة، أبناء العمومة" (ALLAMI . N, 1988 : 15).

تجدد الإشارة هنا إلى أنّه بالرغم من التغيّرات التي طرأت على المجتمع الجزائري خاصّة والعالم العربي عامّة في جميع الميادين إلاّ أنّه وكما تقول Mernissi: "النساء العربيّات هنّ غير خائفات من العصرية لأنّ هذه الأخيرة هي فرصة غير منتظرة لتكوين أمر آخر غير التقليد (Tradition) الموجود في الحاضر. هنّ تتعجّلن للاقتراب من الشاطئ أين الحرية هي ممكنة. قرون وهنّ مغلقت عليهنّ، مسجونات ومحجوبات" (MERNISSI . F, 1992 : 197).

## 8- العذرية هي مكانة للمرأة وضمان للرجل:

إنّ أهمّ ما تمتلكه البنت ومن أهمّ ما يتمّ تنشئتها عليه في النظام التقليدي هو المحافظة على العذرية، وهي عبارة عن غشاء البكارة (Hymen) وهو جزء جدّا صغير ورفيق في جسم البنت، وبالرغم من أنّه لا يتجاوز ثلاثة سنتيمترات إلاّ أنّه موضوع اهتمام وانتباه خاصّ داخل العديد من المجتمعات وذلك لأنّه يحمل شرف الفتاة والعائلة ككلّ. ولغرض حمايته يعمل كلّ من الأب والأمّ والإخوة وباقي أفراد العائلة الأبوية على حماية البنت في النظام



التقليدي، وحتى الولد الصغير يُساهم في مراقبة أخته لأنّ المحيط قام بإفهامه أنّ شرف العائلة يتوقف عليها، وحمايته وحراسة أخته تعتبر من أدواره المهمّة، ونجد هذا منتشر في ثقافات عديدة: "في كلّ البحر المتوسط شماله أو جنوبه، عذرية البنات مسألة تخصّ إخوتهنّ وبالإضافة إلى الأخ الأكبر خصوصا" ( : TILLON . G, 1966 ).(113).

إذن يتموضع في هذا الغشاء الصغير كلّ شرف العائلة، وعلى كلّ بنت الحفاظ عليه إلى يوم زواجها، حيث وجود هذا الغشاء ليلة الزواج يُعدّ حماية للسلالة العائلية ضدّ خطر دخول ابن زنا، وذلك لأنّ يتعلّق بحرص أفراد النظام التقليدي على نقاء سلالتهم، وأحسن وسيلة لذلك هو مراقبة البنت والعمل على جعلها تُحافظ على عذريتها، حيث تقوم الأمّ بالدرجة الأولى بتبنيها على ذلك بقولها: "الآن يجب أن تتبهي، أنت كبيرة و الأولاد ينظرون إليك... إذا ذهبت مع الأولاد للمخاطرة بفقدان حمرة الوجه، سيكون دم على فخذيك، إنّه رهيب ألاّ تكوني عذراء" ( : LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 69 ).

أما فيما يتعلّق بالمرأة المتزوجة فيعملون على جعلها خاضعة لزوجها ومخلصة ووفية له. وكلّ ذلك من أجل الوقاية من خطر إنجاب واحتواء طفل غير شرعي داخل العائلة الأبوية، وهذا يمتدّ إلى ثقافات بعيدة، حيث أشار الرومانيون سابقا إلى ذلك بقولهم: "الأب هو دائما غير أكيد، داخل المجتمعات أين الوفاء الزوجي هو أسطورة أو خرافة، الأب ليس متأكدًا أنّه هو أب لطفله. وهنا مأساة الوالد (Géniteur) الشرعي، الذي لديه خوف من أن يُعطي اسم عشيرته أو عائلته إلى ابن زنا" ( : DES FORTS . J, 2003 : 143 ).

إذن دور الغشاء هو ضمان الرجل لأبوتّه لأطفاله، وكذا ضمان النسل النقي أي أنّه في حال فقدانها في علاقة جنسية غير شرعية قد يُؤدّي إلى ميلاد طفل غير شرعي، ولهذا يضمن الزوج بعذرية زوجته السليمة بأنّ أطفالها هم أولاده من صلبه. ولكن بالرغم من تقدّم العلم فيما يتعلّق بإجراء تحاليل الحامض النووي (ADN) للتحقق من نسب الأطفال وإثبات الأبوة من عدمها، إلا أنّ أهمية العذرية ما تزال قائمة إلى يومنا هذا، في الريف

وكذا في المدينة. ولهذا نجد الفتاة تُحتَجَز داخل المنزل ولا تلتقي مع رجال أجانِب عن العائلة، أين يتم فصلها عن الجنس الآخر، كما تُلَزَم بارتداء الحجاب. هذا الأخير هو عبارة عن حماية للمرأة، وفي هذا الصدد تقول Amara . F: "تلك اللاتي يضعن الحجاب لا يتعرّضن لمضايقة الأولاد الذين يُطأطئون رؤوسهم أمامهنّ: محجبة تصبح في نظرهم غير مسموح لمسها" (AMARA . F, 2004 : 48). لهذا نجد أفراد هذا النظام يعملون على حث بناتهم على التّحجّب، كما تذكر Tillon . G أنه كان إجباريا في بداية القرن العشرين في الجزائر على المرأة التحجب وتغطية وجهها. ويختلف ذلك من منطقة إلى أخرى: "في بعض الأوساط التقليدية لا تترك المرأة الحجاب أبدا حتى داخل منزلها. يتضمّن تغطية الشعر والجبهة بعدد من شالات الرأس موضوعين بطريقة نوعية" (ALLAMI . N, 1988 : 77-78).

ويعتبر الدور الرئيسي للحجاب هو الحفاظ على جسم البنت بالدرجة الأولى، فهو في حدّ ذاته حُرمة: "الثقافة الأبوية لا تُحَدِّد إطلاقا جسم المرأة الشابة لأنّه يُحوّل القيم الحقيقية من خلال جلبه لانتباه الآخرين وهو حامل للفتنة" (ADDI . L, 1999 : 72). حيث أن في هذه الثقافة إنّ أهمّ شيء عند المرأة هو الجسم، فعندما تكون بنت لا تخرج بسببه وأيضا تتزوج بسببه: جسمها هو الذي يحمل الطفل ومن خلاله تصبح أمّا، كما أنّ المرأة بيدها شرف العائلة فهي من ترفعه وهي من تخفضه، وما حدث في الماضي من قصص تروي مقدرة المرأة وحيلها جعل المحيط يُكوّن نظرة سلبية عنها وتعميمها على كلّ النساء، مثل رواية جودر في ألف ليلة وليلة والتي سنذكرها لاحقا. و هذه الظاهرة تكاد تكون عالمية، وهي أحيانا تُعامل بعنف بسببه، ففي كتاب لـ Badinter . E تحدّث فيه عن العنف ضدّ المرأة و قارنت فيه بين الشرق والغرب فيما يخصّ التعامل معها تقول: "...كلّ النساء لأتهنّ نساء فإتهن ضحايا للكره والعنف" (BADINTER . E, 2003 : 19).

في حالة ما إذا فقدت البنت عذريتها فإنّها تُلطّخ بذلك شرف واسم العائلة وتحطّ من قيمة أعضائها: حيث يعتبر الأب ربّ عائلة فاشل، والأمّ فشلت في مهمتها التربوية، كما أنّ الابن لم يكن جيدا من جهته ولم يكن

قادرا على حراسة أخته بالشكل المطلوب. أما بالنسبة لباقي البنات في العائلة تُصبح الإشارة إلى كلّ منهنّ على أنّها "أخت تلك الفتاة التي...". ولا تنجو هذه البنت من العقاب الذي وضعه النظام الأبوي التقليدي، الذي يكون غالبا القتل أو حتى النفي، وقد تضطرّ للهروب: "الفتاة التي لا تهتمّ بالحفاظ على عذريتها يجب أن تنتظر قتلها (...). أو زوجها يُطَلِّقها إذا عرف الحقيقة (...). أملى المجتمع الأبوي على الفتاة أنّه يجب عليها البقاء عذراء حتى زواجها أنّ الحفاظ عليها مكافئ لحماية شرف الفتاة والعائلة. فقدان العذرية هو جريمة مُخجِلة التي لا يُمكن غسلها إلا داخل الدّم كما يُقال في البلدان العربية" (EL SAADAOUI . N, 1983 : 81-82).

إذن سمعة كلّ فتاة ترتكز بالدرجة الأولى على عذريتها التي يجب الحفاظ عليها بأيّ ثمن لأنّها تُعبّر عن مكانتها داخل محيطها، ولهذا تسعى للحفاظ عليها بشتى الطرق: لا رياضة ولا حركات فجائية التي يُمكنها أن تُؤدّي إلى انقطاع الغشاء، والفصل بين الجنسين هو ضرورة لا بدّ منها منذ ظهور العلامات الأولى للبلوغ. ويبقى الدليل المادّي على الحفاظ عليها حتى ليلة الزواج هو شهادة العذرية التي يتمّ تسليمها من قبل طبيب مختصّ: "داخل المجتمعات أين تكون تلك الشهادة الطبية جزءا كبيرا من جهاز العروس، إنّها المؤشّر المهمّ جدّا لمكانة (Statut) المرأة [وكذا هي ضمان لشرعية أبوة الرجل لأولاده]" (DES FORTS . J, 2003 : 144). إذن يجب على كلّ بنت الحفاظ عليها إلى غاية ليلة الزواج، ولكن ذلك غير كافي حسب ما صرّحت به El Saadaoui . N: "لا يكفيها امتلاكه، يجب أيضا عليها أن تكون قادرة على أن تنزف بكثرة، وتُلطّخ بشكل واضح الشّرف [قطعة قماش بيضاء] في ليلة الزّواج" (EL SAADAOUI . N, 1983 : 79).

## 9- المرأة في الثقافة العربية:

لقد اختلفت وضعية المرأة العربية قبل الإسلام عن وضعيتها بعد ظهور الإسلام، وفيما يلي سنقدم ملخصاً عن ذلك.

### 9-1- المرأة قبل ظهور الإسلام:

كانت المرأة قبل الإسلام تعيش وضعاً سيئاً يُرثى له، وقد تعرّض للحديث عن ذلك الكثير من المؤلفين الإسلاميين وغيرهم، الذين أشاروا إلى الوضع المشين التي كانت عليه المرأة قبل الإسلام عند مختلف الأمم والشعوب. لقد كانت هناك مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف التي كانت تُكبل حياة المرأة العربية ولم تتمكن من الخلاص من ذلك إلا في الإسلام.

من بين المؤلفين الذين وصفوا حال المرأة قبل الإسلام هو مارديني ع. ر. (مارديني ع. ر.، 2010: 9)، حيث أشار إلى أنّ الرجل كان معروفاً قبل الإسلام بمكانته المرموقة والممتازة في الأسرة والمجتمع، فهو قوام الأسرة، وربما المسؤول عن حياتها ورزقها وأمنها واستقرارها، وهو المكلف بالحرب، والمطالب بالنار والمغرم، وهو المخاطب في كل مسؤوليات الحياة العامة وتبعاتها المتنوعة. أمّا "المرأة فكانت تابعة للرجل، ومنسوبة إليه، ومُسيّرة بأمره، وكان الرجل بالنسبة لها هو المرجع والحكم في مصالحها العامة والخاصة، أي أن الرجل هو كل شيء، والمرأة هي هامش أو ملحق للرجل أو متاع له" (مارديني ع. ر.، 2010: 9).

ما ميّز أيضاً هذه الفترة من الزمن والتي عُرفت بالجاهلية هو كراهية البنات، وقد بلغ الأمر إلى وأدهنّ: "لقد حكى لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع (...) ما كان يحمل الرجل العربي في نفسه من كراهية لولادة البنات، وظهرت لديهم عادة وأد البنات الصغيرات (...) " (مارديني ع. ر.، 2010: 11). حيث أنّ خشية فقدان الشرف والعار جعل أفراد هذا النظام الجاهلي لا يُحبون إنجاب البنات لأنّ شرف العائلة مرتبط بهنّ خصوصاً إذا كنّ كثيرات في العائلة، بل كان يميل الجميع إلى إنجاب الأولاد الذين يحملون الإسم ويتحمّلون المسؤولية ويُشاركون

في الغزو وحماية الممتلكات، والدفاع عن شرفهم وغيرها، أما البنت في نظرهم لا تفيدهم في شيء إلا جلب العار: "ميلاد بنت لم يكن مرغوبا فيه من قبل العائلة (...). الأم في حد ذاتها، من أجل إرضاء كبرياء العائلة تتمنى مجيء ولد (...). كانت تطلب من السحر تحقيق أمانها" (BRAHIMI . D, 1984 : 168).

كما أنه لم يكن في حياة العرب في الجاهلية للمرأة حقًا ثابتًا في الإرث، سواء كانت أمًا أو أختًا أو زوجة أو بنتًا، ولا حق معترب به لها في الكسب أو التصرف بما تملك، بل كان هناك بهذا الشأن تموج وتغير حسب الظروف التي تعيشها المرأة. وأيضا لم تكن الحياة الزوجية قائمة على اعتراف بحقوق أو شركة متبادلة بين الزوجين، فالزوجة كانت موضع الاضطهاد والابتزاز في الجاهلية. وكان الرجل يعمد إلى ما يسمى الحيلة دينية لحرمان الزوجة من بعض المنافع، فمثلا "كان يتخذ الطلاق وسيلة لمضارة الزوجة، وابتزاز أموالها، وحملها على افتداء نفسها، وكثيرا ما كانت قضاء الشهوة والاستمتاع هي الدافع إلى التزوج دون قصد إنشاء كيان أو أسرة فاضلة" (مارديني . ع . ر، 2010: 14).

فيما يتعلّق بتعدّد الزوجات فالرجل الجاهلي كان يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات بدون تحديد العدد، وقد انتشرت هذه العادة في مجتمع الجاهلية بكثرة، وربما جار الزوج على بعض أزواجه كوسيلة من وسائل الابتزاز والمكايدة والمضارة. وتجدر الغشارة هنا إلى أنّ "العدل بين الزوجات كان منسيا تماما من أذهان الأزواج" (مارديني . ع . ر، 2010: ص 19).

إذن هذه هي الحال التي كانت عليها وضعية المرأة في الجاهلية، وهذه هي العادات والتقاليد التي كانت تحاصر المرأة، وإن كان قد وردنا بعض الأخبار التي مفادها أنّ بعض النساء العرييات كنّ يتمنّعن بالقوة، كن مثل الرجل في تحمل المسؤولية، والقيام بالواجبات وممارسة نفوذهن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، إلا أنّ الرجل كان أولا وأخرا هو صاحب البروز والهيمنة وهو الأمر النهائي، ويجب على المرأة الرجوع إليه في كافة الأحوال.

## 9-2- المرأة بعد ظهور الإسلام:

كانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام تعيش في وضع مزربا، عانت فيه هضما لحقوقها، واحتقارا لشخصيتها، واستهتارا بمكانتها، حتى جاء الإسلام، وبدأ عهد جديد في تاريخ المرأة، حيث استعادت من خلاله كرامتها ومكانتها، وحصلت لأول مرة في تاريخها على وجه التحديد على حقوقها المساوية لها بالرجل، وذلك لأن الدعوة الإسلامية والخطاب القرآني شملا الناس جميعا دون تفریق بين الذكور والإناث. كما أنّ القرآن منح المرأة حقوقا وحملها تماما مثل الرجل دون تمييز أحدهما على الآخر، وذلك بالارتباط بالطبيعة التكوينية والبيولوجية. وهكذا "كان الإسلام بالنسبة للمرأة الملاذ والخلص مما كانت عليه من ضعة وامتهان في حياة الجاهلية" (مارديني . ع. ر، 2010: 26).

جاء الإسلام بمجموعة من الأحكام التي تضمّنت منح المرأة كامل حقوقها مثلها مثل الرجل، وأنزلها منزلة محترمة وفيما يلي سنذكر أهمّ ما قدّمه الإسلام للمرأة:

- حق اختيار الزوج، ولا يجوز لوليها أن يزوجهها بغير رضاها، وذلك تبعا لحديث شريف: "لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر" (الزحيلي . م، 2008: 27).

- ويلى الزواج أن تصبح المرأة أمّا وهنا تسمو مكانتها، وتحظى بالتقدير والاحترام، وفي الإسلام "الجنة تحت أقدام الأمهات" (1) (الزحيلي . م، 2008: 27). كما ورد تحريم والتحذير من عقوق الأمّ من خلال الحديث الشريف: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووآد البنات" (2) (الزحيلي . م، 2008: 29). وورد حديث شريف آخر يُظهر تفضيل المرأة: "لو كنت مفضّلا أحدا على لأحد لفضلت النساء على الرجال" (3) (الزحيلي . م، 2008: 29).

(1) هذا حديث مشهور على الألسنة أخرجه النسائي بلفظ "فألزمتها فإن الجنة تحت رجلها" وابن ماجه بلفظ "الرك رجلها فثم الجنة". ص 27

(2) رواه وأخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه الطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعا بلفظ: ساووا بين أولادكم في العطفة، فلو كنت مفضلا أحدا على أحد لفضلت النساء"، قال المناوي: "على الرجال في العطفة" بإسناد ضعيف.

وهكذا يستمرّ تكريم الأم في الإسلام، ولا تزال تتمتع بمكانة سامية، وفي أعلى درجات الاحترام والتقدير، وستتعمق في ذلك لاحقاً.

- حق المرأة في الدراسة وطلب العلم، والوصول إلى أعلى الدرجات العلمية، وتُصرّح النصوص الشرعية بحق المرأة في العلم والتعليم: "إنّ الإسلام يدعو أصلاً للعلم، ويجعله فريضة، [والحديث الشريف يشير إلى ذلك]: "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم" (الزحيلي . م، 2008: 76).

- المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق أمام القانون وفي شؤون المسؤولية والجزاء. وسوى بينهما كذلك في الحقوق المدنية بمختلف أنواعها. ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في هذه الحقوق إلا من أجل "مراعاة كل من الجنسين وأعبائه في الحياة وما يصلح له وكفالة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها" (وافي . ع . ع، 1965: 32).

- منح الإسلام للمرأة الحقّ في العمل وممارسة الوظائف والمهن المشروعة التي تُحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها. ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها و بالدرجة الأولى "لا يُعيقها عن أداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وأولادها وبيتها، أو يكلفها بما لا طاقة لها به" (وافي . ع . ع، 1965: 34). وتمّ منح المرأة حقّ الإرث وكذا حقّ التصرف في ممتلكاتها، الذي ظهر حديثاً لدى بعض الدول الأوروبية: "معظم أمم أوروبا لم يُطلقوا العنان للمرأة أن تتصرف فيما ملكت يدها، إلا ما أدخلته الحكومة الانجليزية، وقليل غيرها من أهل أوروبا، منذ خمسين سنة، من القوانين التي خولت للمرأة فيها شيئاً من ذلك، ولم يكون هذا معروفاً فيهم من قبل" (جاويز . ع، بدون سنة: 117).

- التنديد بؤاد البنات والحث على رعايتهن، حيث كان وأد البنات وهنّ أحياء تحت التراب من عادات الجاهلية التي تنكّر لها الإسلام، حيث كان يلجأ الرجل الجاهلي خوفاً من الفقر والعار إلى دفن ابنته حية تحت رمال

الصحراء المحرقة. ولهذا ندد الإسلام بعبادة وأد البنات وأنذر الفاعلين لذلك، "ولم يقف الأمر عند هذا الحد من التنديد والتحریم والإنذار والوعيد، بل نجد النبيّ في بعض أحاديثه يوصي بالبنات خيرا، ويرشد الناس إلى حسن رعاية بناتهم وأخواتهم" (مارديني . ع . ر، 2010: 32).

- فيما يتعلّق بتعدّد الزوجات وكما ذكرنا فيما سبق أنّ العرب قبل الإسلام كانوا يجمعون في عصمتهم زوجات عديدة بدون تحديد، وكانت الحياة الزوجية والعائلية تتعرض من جرّاء ذلك لصور عديدة من الضرر، وبظهور الإسلام تمّ تحديد عدد الزوجات التي يُمكن للرجل جمعها في عصمته هو أربع زوجات ولكن هذا الأمر هو مشروط بشروط تحمي المرأة: "من بين هذه الشروط العدل، القدرة المادية والجسدية والعاطفية" (مارديني . ع . ر، 2010: 56). وأيضا هناك ضرورات تدفع الرجل لأن يتزوج بأكثر من زوجة، كأن تكون الزوجة الأولى عقيما.

#### 10- الأم في الثقافة الجزائرية الإسلامية:

يُلاحظ داخل الثقافة العربية عامّة والثقافة الجزائرية خاصّة خوف وقلق وبغض<sup>(1)</sup> اتجاه المرأة، وهذا ما يُؤدّي إلى رفضها، ووضعها تحت الحراسة المستمرة وضبط كلّ ما يحيط بها. ولكن يكون هذا كلّ عندما تكون بنتا صغيرة أو امرأة متزوجة ولكن بمجرد ما تصبح هذه المرأة أمّا، فإنّ الحديث في خصوصها يتغيّر ويصبح معظما. حيث يتمّ إدراكها هنا بخصائص وصفات جنسية أقلّ، وتصبح مُدرّكة أكثر داخل مكانة (Statut) الأم. وهذا يعني مدى تعظيم النظام التقليدي للأمّ وإلى غاية الزمن الحالي أين نجد جميع فئات المجتمع تحترم الأمّ، وهذا كلّ يمتدّ ليجد جذوره في الثقافة الإسلامية التي كان لها تأثيرا كبيرا على الثقافة الجزائرية الأصلية ألا وهي الثقافة الأمازيغية. ومن بين الدلائل على تقدير الثقافة الإسلامية للأمّ نجد الحديث الشريف التالي: "يا رسول الله من أحقّ بحسن

(1) هذا على لسان ما جاء به المفكرون الأجانب عندما درسوا المجتمع الجزائري أمثال: Bourdieu. و Tillon . G و Lacoste Du Jardin .P





223 : M, 1990)، بمعنى أي فرد يأتي إلى هذا العالم عليه أولاً المكوث مدّة من الزمن داخل جسم امرأة، وهذه العبارة في حدّ ذاتها تُعبّر بالإضافة إلى المكسب الرمزي عن المقدرة الأنثوية.

ويتعلّق المكسب الرمزي أيضاً بالمكانة المعطاة لها في الثقافة الإسلامية بصفة عامّة و الدين الإسلامي بصفة خاصّة، كما جاء في القول المأثور: "إنّ الجنّة تحت أقدام الأمّهات" ( . BOUZAR . D et KADA . S, 2003 : 177). لهذا نلاحظ في مجتمعنا بالخصوص أنّ الأمّهات يُنجن العديد من الأطفال للاستفادة من هذا المكسب الرمزي، ويواصلن في الإنجاب ما دُمن لم يجدن اهتمامات أخرى يتوجّهن إليها والتي تُرضي نرجسيّتهنّ. إذن للإنجاب أهمية كبيرة بالنسبة للمرأة، وبالخصوص في النظام التقليدي حيث "الأمومة تُحيل إلى الاندماج الاجتماعي في حين العقم يُحيل إلى التهميش وتقدير اجتماعي منخفض. إنّ المرأة التي تموت أثناء الولادة هي مثل الشهيد الذي يموت في الجهاد" (FSIAN . H, 2006 : 219). وتقول Balzac في هذا الصدد: "امرأة دون طفل هي تشوّه في التكوين (Monstruosité)، نحن لم نُخلق إلا لنكون أمّهات" ( In BADINTER . E, 1980 : 251)، ولهذا تسعى كلّ امرأة عامّة والتي تنتمي إلى النظام التقليدي خاصّة إلى أن تصبح أمّاً.

في النظام التقليدي تعتبر المرأة ضعيفة وأقلّ درجة من الرجل وهي خاضعة وتابعة له، ولكن بواسطة الأمومة تنتقل من هذه الدرجة الدنيا إلى درجة عليا أين تصبح هي المسيطرة على الرجل وصاحبة سلطة ومقدرة. وموضوع مقدرتها (Pouvoir) هو ابنها عندما يكبر، وهذا ما يُفسّر ميول المرأة في النظام التقليدي إلى إنجاب الولد أكثر من إنجاب البنت. فالولد يضمن للأُمّ شرعية مقدرتها وسلطتها، وهنا يتوضّح أنّ "الزواج ليس هو الهدف في حدّ ذاته وإنّما هو السبيل من أجل تصبح المرأة أمّاً لرجل والذي يُعدّ هدفاً ضخماً بالنسبة لها" (LACOSTE-) (DUJARDIN . C, 1985 : 68).

يُمكن هنا الإحالة إلى رأي S . Freud الذي تحدّث عن وجود لدى البنت الصغيرة رغبة في الحصول العضو الذكري (Envie de pénis)، لأنّها تُحسّن بالنقص مقارنة بالولد الذي يمتلكه، بالتالي تُخفّف من ذلك أثناء المرحلة الأوديبية من خلال مشروع الحصول داخل الذات على عضو ذكري الذي يكون له شكل رمزي على هيئة طفل، أي أن تلك الرغبة تتغيّر ويحلّ محلّها الرغبة في الحصول على طفل. لهذا نلاحظ البنت الصغيرة تُقلّد دور أمّها أثناء اللعب، إنّها بذلك تستدخل دور الأمّ وهذا هو الجانب الاجتماعي للحب الأمومي، كما أنّ للمحيط والثقافة دورا في الرفع من قيمة الأمومة. إذن إنّ إنجاب طفل إلى هذا العالم هو الذي يُعطي لأُمّه مكانة أمّ، وهو الذي يُوقد مشاعر الأمومة التي لديها، وبالتالي إنّها هو الذي يجعلها أمّا. يكون ذلك منذ أن تحمل به، أين يُمكن اعتبارها أمّا وتُضيف F . Dolto: "الطفل يُحوّل راشدين اثنين إلى والدين. يُمكن القول أنّ الطفل هو الذي يصنع والديه" (DOLTO . F et DOLTO-TOLITCH . C, 1989 : 65).

إنّ سلطة ومقدرة الأمّ لا تشمل فقط في كونها تتحكّم في إدخال الأب في العلاقة الرمزية مع ابنه، لكن هي تشمل كذلك العمل على جعل كلّ تعلق عاطفي لابنها بامرأة أخرى غيرها يفشل، إذ أنّ في النظام التقليدي لا يُمكن للابن تفضيل امرأة أخرى على أمّه. وإن قام بذلك فسيدرك بسلبية. في حين أنّ حب الابن لأُمّه وإعطاء براهين عنه يُعدّ أمرا مهمّا ومُستحبّا كثيرا. وحتى تتمكّن الأم من جعل أي تعلق عاطفي غيرها يفشل فإنّها تعتمد بالدرجة الأولى على تشويه صورة المرأة في نظر ابنها من خلال إعطاء صورة سلبية عنها، وأنّها مصدرا للعار والفضيحة والتعاسة، وأنها مشؤومة وهي التي تُدير الرّجل عن المسار الصحيح، وتُبعده عن عائلته. بعد هذا الوصف السلبي المُخفّف لقيمة المرأة يستدخل الابن ذلك، لأنّ من نقل ذلك إليه هو شخص موقر وذو سلطة أخلاقية كبيرة والتي هي نفسها امرأة. كتب G . Roheim: "هنا أين الأمّ هي قريبة، العلاقة مع المرأة هي بعيدة" ( In 217 : FSIAN . H, 2006). إنّ الدافع الكامن وراء قيامها بذلك هو قلقها من إمكانية انفصالها عن ابنها، لأنّه مصدر مقدرتها وسلطتها وكذا هو الضامن لقيمتها ومكانتها (Statut). لهذا في النظام التقليدي الأمّ هي التي

تختار الزوجة المناسبة لابنها، حسب الشروط والمعايير التي تُحددها بنفسها. وإن عارض الابن أمه إذا أرادت أن تُزوجه بفتاة لا يريدتها فإنّ للأمّ وسائلها التي تفرض بها سيطرتها، حيث لا يُمكنه أن يتزوج دون حضورها معه ومرافقتها له، ففي النظام التقليدي لا يُمكن لعائلة البنت تزويج ابنتهم دون حضور عائلة الرجل وبالخصوص والديه.

قبل أن تبادر الأمّ بالخطبة يجب أولاً أن تكون قد التقت بالبنت المصودة سابقاً وغالباً ما يكون ذلك في حفل زفاف وبالخصوص في الحمام التقليدي أين ترها عارية لمعرفة إذا كانت بشرتها بيضاء، ثديها، قوّة البنية، ثمّ معرفة أصولها الاجتماعية. وهذا يعني أنّ ما هو مهمّ لاختيار العروس هو الجانب البدني أين يُمكن للأمّ الافتخار بأنّ لديها عروساً جميلة وقوية ثمّ الاهتمام بجانب الأصول العائلية والاجتماعية والطبقية.

في حالة ما إذا أُعجب الرجل بامرأة جميلة واختارها كزوجة دون الأخذ بعين الاعتبار رأي أمه، فإنّ هذه الأخيرة ستعمل على إبعاده عنها بشتى الطرق لتُثبت أنّه لا يوجد من يُعيد عنها ابنها. أمّا بعد الزواج فإنّ الأمّ تتوجّه لتشجيع ابنها على الهيمنة على زوجته، وهذا ما يسمح لها بالافتخار برجولة ابنها، بالإضافة إلى أنّه إذا كان للابن قيمة فإنّها هي أيضاً تتمتع بنفس القيمة بطريقة غير مباشرة. وتجدر الإشارة هنا إلى اهتمام الأمّ بمراقبة زوجة الابن تُراقبها بنفسها وذلك من أجل دفعها للقيام بدورها على أكمل وجه ككّنة ثمّ كزوجة وأمّ. وهنا يتّضح أنّ الهيمنة ليست مُمارسة من طرف الرجل على المرأة وإنّما "هناك هيمنة للمرأة على امرأة أخرى باستعمال مقدرة الرجل من أجل إثبات ذاتها وتطوير وضعيتها" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 122)، وهنا نكون أمام ما يُسمى بالمقدرة الأنثوية والتي سنشير إليها فيما يلي.

## 11- المقدرّة الأنثوية (Le pouvoir féminin):

إنّ مصطلح مقدرّة<sup>(1)</sup> (Pouvoir) يُستعمل في معاني متعدّدة، "قريبة من القدرة، التأثير، الهيمنة أو [السيطرة]، السلطة" (GAY . T, 2010 : 131). وهناك مقارنة علائقية تُعتبر أنّ المقدرّة "هي ليست مثل مادّة ولكن كعلاقة اجتماعية التي من خلالها فرد أو جماعة يُمارس مقدرّة على فرد أو مجموعة أفراد" (GAY . T, 2010 : 132).

يوجد ثلاثة أنواع من المقدرّة: "قدرة قَبَلِيّة (Tribal)، مقدرّة دينية، سلالية<sup>(2)</sup>، وهي تعمل مجتمعة ومتداخلة فيما بينها، ولا يُمكن لأحدها أن يكون مستقلا عن الآخرين" (DJEGHLOUL . A et al, 2001 : 149).

يُوجد لدى المرأة ما يُسمّى بالمقدرّة (Pouvoir)، ويتجلّى ذلك من خلال عدّة جوانب سنذكرها فيما يلي.

المرأة هي لوحدها من تتحكّم في تحديد عدد الأطفال الذين ترغب في إنجابهم، وهذا ما أشارت إليه Badinter . E بقولها: "تصبح أبا إذا أردت أنا، عندما أريد أنا"<sup>(3)</sup> (BADINTER . E, 2003 : 12). حيث المرأة لم تعد كالسابق تُجبر على الإنجاب لعدم توفّر الوسائل وإنّما أصبحت هي من يُقرّر الإنجاب ويحدّد عدد الأطفال، وذلك بالاعتماد على وسائل منع الحمل. وقد أثبت لنا الميدان ذلك، حيث صرّحت إحدى الحالات التي قمنا بمقابلات معها بما يلي: "أنجبت طفلتين، ورفض زوجي أن أنجب من جديد، وقد كان يستعمل الواقي الجنسي ويجبرني على تناول حبوب منع الحمل ليتأكد من عدم وجود احتمالية الحمل،

(1) استخدمنا مصطلح مقدرّة كترجمة لكلمة Pouvoir، لأنها أنسب من كلمة قدرة التي هي بالفرنسية capacité، أو سلطة التي هي autorité، أو سيطرة وهيمنة التي هي Domination.

(2) متعلّقة بالسلالة الحاكمة.

(3) «Tu seras un père, si je le veux, quand je le veux», In BADINTER (E), 2003, op.cit, p12.

ولكن توقفت عن تناول الحبوب خفية عنه، وخرّبت له الواقي بإبرة، وهكذا حملت مجدداً وأنجبت طفلة أخرى"، هذا يعني أنه للمرأة مقدرة تُمارسها على الطرف الآخر.

كما أنّ بالرغم من حراسة المرأة من طرف العائلة ومراقبتها من أجل الحفاظ على شرف العائلة، إلا أنّها هي وحدها من تتحكّم في ذلك أيضاً: "على كلّ حال إذا أرادت المرأة فعل السّوء، إنّها ستجد دائما الوسيلة لفعله" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 158). ولا ضير في أخذ مثال عن ذلك بالرجوع إلى EL Khayat . GH في كتابها (EL KHAYAT . GH, 1988) Le monde arabe au féminin حيث تحدّثت عن أسطورة متداولة في المغرب العربي ألا وهي أسطورة الطفل النائم (L'enfant endormi) في بطن الأمّ في الجزائر، أو في الندي في المغرب الأقصى، والذي يُمكن أن يبقى مدّة تتجاوز فترة الحمل الطبيعية، ويمكن أن يستيقظ في أي وقت ويُتابع نموّه ويخرج إلى هذا العالم. لكن في الحقيقة هذه الأسطورة ما هي إلا وسيلة دفاعية ابتدعتها المرأة من أجل حماية المرأة، وصدّقها الرجل، وتقول EL Khayat . GH: "يجب التوضيح بأنّ الطفل النائم هو ابن زنا حملت به المرأة خارج روابط الزواج، وهذا العرف هو طريقة من أجل عدم إقصائه من الجماعة، وذلك لصلابة القوانين الاجتماعية والقبلية التي قد تصل حتى إلى قتل المرأة، رجمها أو نفيها" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 117). كانت تخصّ هذه الأسطورة المرأة المتزوجة بالدرجة الأولى، فالبنت العذراء إذا حملت فهذا يعني أنّها أجمرت وفقدت شرفها، أمّا المتزوجة فلا أحد يشك فيها، وكانت تحدث غالبا عندما يكون الزوج متوفيا لأكثر من تسعة أشهر، أو يكون في السجن أو مهاجرا. وهذا كذلك يدلّ على مقدرة المرأة على فعل أي شيء من أجل حماية نفسها.

وأضافت لـ EL Khayat . GH أنّ في النظام التقليدي، أنّ المرأة تحصل على مقدرة وهيبة ووقار عندما تكبر في السنّ، وبالخصوص بعد بلوغ سنّ اليأس، أين تتخلّص من المراقبة ويصبح بإمكانها الخروج من منزلها وزيارة كلّ سكان القرية، وعلى الرجال احترامها، وحتى الأخذ برأيها وبالخصوص في مسألة الزواج: "كانت هذه

المرأة الكبيرة في السنّ تجول بين بيوت القرية تُساهم في تزويج البنات، فمثلا عندما تسمع بفتاة قد بلغت تُدخلها في قائمة البنات الجاهزات للزواج" (EL KHAYAT .GH, 1988: 95).

من جهتها C Lacoste-Dujardin أشارت في كتابها *Des mères contre les femmes* (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 )، إلى أنّ في النظام التقليدي ما يُواجه ويفرض أمورا على المرأة ليس الرجل وإنما المرأة، التي هي من تُساهم في تحديد مصيرها، بل وإنّها تُحبّد إنجاب الولد على إنجاب البنت، بحجّة أنّ "البنات لا يلعبن دورا إنتاجيا إلا عند أزواجهنّ" (LACOSTE-DUJARDIN .C, 1991 : 299). كما تُعدّ "البنت في الواقع هي عبء على والديها، هي ليست منتجة إلا بالنسبة لعائلة زوجها، إنهم يُربونها، يُؤكّلونها من أجل أن يستفيد منها آخرون" (LACOSTE-DUJARDIN .C, 1991 : 303).

كما أنّ المرأة في النظام التقليدي كانت تبلغ مكانة وتحصل على المقدرة انطلاقا من إنجابها للولد وليس بالبنت، وقد أشرنا إلى ذلك في العنصر السابق حيث ذكرنا أنّ الابن هو مصدر مقدرة الأمّ عندما يكبر، حيث يُصبح لديها مقدرة اتجاه الرجل وذلك انطلاقا من فكرة أنّه حتى تخرج إلى هذا العالم وتُصبح رجلا (...) يجب أوّلا البقاء تسعة أشهر داخل جسم المرأة" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 223). لا يمكن للابن في النظام التقليدي أن يُعارض أي أمر تفرضه الأمّ عليه حتى لو كان يتعلّق بنجاحه، فمثلا لو رغب في السفر وإنهاء دراساته في الخارج فإنّها ستعارضه بأنّها سوف لن ترضى عنه، وهذا يجعله يتراجع عن حلمه.

وتظهر مقدرتها أيضا في اختيار زوجة ابنها ومراقبتها. وهنا نكون أمام علاقتين مهمّتين الأولى هي العلاقة أمّ - ابن والثانية هي أخ - أخت. حيث "تكون وظيفة الأمّ في النظام التقليدي هو توظيف مقدرتها (Pouvoir) لمراقبة تصرف كَنَّتِها وتوجيهها فيما يخصّ القيام بأعمال المنزل والاهتمام لأمر زوجها وأطفالها" (LACOSTE- 109 : DUJARDIN . C, 1985). وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه في النظام التقليدي تنظر الأمّ إلى زوجة الابن كمنافسة لها تريد إبعاد ابنها عنها وهذا راجع إلى تلك العلاقة القوية بين الأمّ والابن. أمّا فيما يخصّ العلاقة أخ -

أخت والتي تحدّث عنها (FSIAN H, 2006) في دراسته فإنّ الأمر مختلف نوعا ما، هنا تكون العلاقة أفقية أخ - أخت وليست عمودية أم - ابن، ولكن لا يُمكن إنكار أنّ للأخت أيضا موقفا منافسا اتّجاه زوجة الأخ وليس فقط الأمّ وهذا سائد في الثقافة العربية الإسلامية على وجه التحديد، أين تُمارس الأخت مقدرتها على زوجة الأخ.

## 12- المرأة هي أساس التنشئة الاجتماعية:

تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة، ثم يأتي دور الروضة، والمدرسة، ثم جماعة الأقران، وتشارك المرأة بشكل فعّال وبدرجات متفاوتة في هذه المؤسسات. من خلال التنشئة الاجتماعية تقوم المرأة بعملية التربية التي تحمل معنى الاصطلاح والتهديب، ويقول ابن حجر: "التربية هي القيام على الشيء وإصلاحه" (الزحيلي . م، 2008: 33).

تعتبر التنشئة الاجتماعية في الأسرة هي الأساس والبنية القاعدية، وهي تعتبر كذلك المرحلة التربوية الحاسمة التي تنفرد بالطفل وتربيته في السنوات الأولى التي يتحدد فيها مستقبله، وتتكون من خلالها شخصيته، حيث قال أحد المربين: "إن عوامل شخصية الانسان تتحدد في السنوات الخمس الأولى في حياته، وإنّ التربية في مرحلة الطفولة تُحدد معالم الحياة (...)"، وترتكز عليها كلّ المقومات، لذلك اتّجه الإسلام إلى العناية بالأطفال ورعايتهم" (الزحيلي . م، 2008: 33). يقول في هذا الصدد قاسم أمين: "يكون الرجل في كبره كما هيئته أمّه في صغره" (الزحيلي . م، 2008: 33). ويقول السباعي مصطفى: "... إنّ الأمّ إمّا أن تجعل من ابنها رجلا، وإمّا أن تجعل منه شريرا، وإمّا أن تجعل منه مغفّلا" (موسلمال . س.م، 2012: 76). وأضاف أيضا أنّ الأمّهات هنّ خاليدات في التاريخ: "... الأمّهات اللاتي ولدن وربّين عظماء والعالمات والمخترعات، سيظلّ يذكرهنّ التاريخ ما بقي إنسان يقرأ التاريخ" (موسلمال . س.م، 2012: 76).



وتكون المرأة، وفي الغالب الأم هي القائمة على هذا الدور، وهي تعتبر العنصر الحاسم في حضانة الطفل الوليد وفي الرضاعة التي تلبى من خلالها حاجته للغذاء، والعطف والحنان، ويسعد الطفل في حضنها، ويرتبط بنديها، ويأنس بقربها وحملها. ويقول شكسبير: "لا يوجد في العالم بأسره أنعم من حضن الأم، ولا وردة أجمل من ثغرها" (الزحيلي . م، 2008: 34).

إنّ الأم هي في نفس الوقت مدرسة، ترعى الأطفال، وتربي رجال المستقبل، وتنشئ الأجيال، وكما قال نابوليون بوناپرت: "إنّ اليد التي تهزّ السرير بيمينها تهزّ العالم بيسارها" (الزحيلي . م، 2008: 34). وحتى لو انشغلت الأم، أو تخلت أو فُقدت، فالبدل الوحيد لها هو امرأة تكون مرضعة، وحاضنة ومربية، وراعية، ومسؤولة. وإذا انتقلنا من البيت إلى الروضة أو الحضانة، ثم المدرسة، فالنساء هن العنصر الوحيد لتربية ورعاية الأطفال الناشئين ذكورا وإناثا في العالم أجمع. وبعد التطور الحالي فإنّ كلّ من المدارس الابتدائية، وحتى المرحلة الأساسية، قد تمّ تأنيتها بالكامل في بعض البلدان، لتكون المرأة متفردة بالعمل في هذه المرحلة في معظم البلدان. وانطلاقا من هذا المنطلق الفطري والواقعي قرّر الإسلام منح حق الحضانة أولا وقبل كل شيء إلى المرأة، ابتداء من الأم، فالجددة، فالأخت، فالعمة، فالخاله وهكذا (الزحيلي . م، 2008: 35).

### 13- حق المرأة في الأمومة:

الأمومة هي إنجاب طفل إلى هذا العالم، وهي تتمثّل في كلّ ما تُعطيه الأم لطفلها من دفء عاطفي ورعاية شخصية، وذلك انطلاقا من العلاقة الثنائية أم-طفل. ويعتبر حق الأمومة متفرّع عن حق الزواج المقرر شرعا، والمطلوب طبيعيا، وهو أحد الجوانب الرئيسية في حقوق الأسرة، والذي له دورا مهمّا في لمّ شملها، وصيانة أعضائها. ويقترن حق الأمومة مع حق الأبوة، لأنّ الأب والأم هما ركنا الأسرة، وهما الشريكان في إنجاب الأولاد، وفي الرعاية والتربية. ولكن النصوص العالمية والاتفاقات الدولية اقتصرت على حق الأمومة فقط، ورعاية حق النساء وتكريم الأم، ومساواة المرأة بالرجل، وذلك لأنّ دور الأم في تنشئة الطفل مهمّ ومرهق في غالب الأحيان، ولأنّ الفرد

في طفولته يكون أكثر حاجة إلى الرعاية والعناية من الأم من أي وقت آخر أو شخص آخر، ولامتداد الأمومة لفترة الحمل الخاصّة بالمرأة، ولأنّ الأمّ تغذي وليدها من جسمها وغذائها. في حين منح "الإسلام حق الأبوين معا أولاً، ثمّ أفرد الأمّ بنصوص خاصّة، واحترام زائد، وتبّه على مجال تفردتها عن الأب" (الزحيلي . م، 2008: 133).

أما فيما يتعلّق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان فجاء بعبارة متواضعة وبسيطة، أكّد فيها على رعاية الأمومة، ولم ينطق بكلمة عن الأب، فنصّت الفقرة الثانية من المادة 25 منه على مجرد قولها: "للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين" (الزحيلي . م، 2008: 137). وجاءت الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام 1966م فنصّت على حق الأمومة بفقرة مستقلة من المادة العاشرة منه، فقالت: "وجوب منح الأمّهات حماية خاصّة خلال فترة معقولة قبل الولادة، وبعدها ففي خلال هذه الفترة يجب منح الأمّهات العاملات إجازة مدفوعة، أو إجازة مقرونة بمنافع مناسبة من الضمان الاجتماعي" (الزحيلي . م، 2008: 137).

### خلاصة:

إنّ من خلال هذا النصّ أنّ للمرأة مكانة مهمة وبالخصوص عندما تصبح أمّاً، حيث تكتسب مقدرة وسلطة على المحيط وكان هذا في النظام التقليدي، وذلك قبل أن يدخل التعليم والعمل في حياتها، أين لاحظنا تغيّرات واضحة على وضعيتها، وهذا ليس في المجتمعنا وحسب وإنّما في مختلف المجتمعات في العالم.

## الفصل الرابع: الأمومة والممارسات الأمومية

### La maternité et les pratiques maternelles

تمهيد.

1 - مصطلحات قاعدية.

1 - التفاعل.

1-1- بدايات الاتصال.

1-2- الكفاءة، القواعد الحسية في التفاعلات.

1-3- تفاعل ملاحظ.

1-4- تفاعل إستهامي.

2- الأمومة وعاطفتها.

1-2- الأمومة.

2-2- العاطفة الأمومية.

3- التعلق.

4- الحرمان العاطفي.

1-4- تعريف الحرمان العاطفي.

2-4- عياديا.

5- الأبوة.

II- تفاعل الطفل مع الراشد: العلاقات بين الشخصية المبكرة.

1 - العلاقة التفاعلية أم-طفل.

1-1- اتصال أحادي العلاقة.

1-2- اتصال متعدّد العلاقات.

2- تفاعل الطفل مع راشدين آخرين غير الأم.

1-2- مشكلة النظرية والمصطلح.

2-2- الأعمال التجريبية الأولى حول التفاعلات خارج أمومية.

2-3- العلاقة التفاعلية الثلاثية أب-أم-طفل: الثالث العائلي.

خلاصة.

## تمهيد:

لقد اهتم العديد من العلماء بالعلاقة أم-طفل، فنجد على رأسهم Freud . S، وقد بدأت الدراسات حول هذه العلاقة لدى صغار الحيوانات، حيث اهتم Lorenz بسلوكيات متابعة الأم أو البديل من طرف صغير الحيوان. وفي نفس المجال هناك الملاحظات الخاصة بالرضع الصغار والتي تم وضعهم داخل شروط تجريبية من طرف العالم الأمريكي Harlow الذي ساهم في تأسيس نظرية التعلق الاجتماعي لصغير الحيوان أو الرضيع الإنساني. إن الحاجة إلى التواصل الاجتماعي، التعلق بالأم لهما صلة وطيدة بإشباع الحاجات الأولية (مثل الحاجة إلى الأكل)، وذلك يعتبر خاصية فطرية للإنسان أو الحيوان. وفي هذا الصدد أشار Bowlby إلى أنه: "يُمكن ملاحظة ودراسة الطفل الصغير بنفس دراسة صغار الحيوانات لأنه في هذه المرحلة لا يتكلم وسلوكه ليس شفهيًا" ( . In GUIDETTI :10 M et TOURETTE . C, 2002). ومن هنا اكتسبت الدراسات المُقامة على صغار الحيوانات أهمية من خلال محاولة ملاحظة نتائجها لدى صغار البشر، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى مختلف الدراسات حول العلاقة أم-طفل وكذا تفاعلات هذا الأخير مع وجوه أخرى غير الأم، ولكن قبل ذلك سنتطرق إلى بعض المصطلحات القاعدية.

## 1- مصطلحات قاعدية:

فيما يلي سيتم عرض أهم المصطلحات التي تتعلق بموضوع هذا الفصل.

### 1- التفاعل:

لقد أُقيمت العديد من الدراسات حول التفاعل، ومن بين الدراسات الأولى نذكر اثنين منها هي:

- المقاربة النسقية وكان الهدف الرئيسي منها هو فهم ثم معالجة الحالة داخل العائلة.

- دراسات حول العلاقات بين الأم والطفل.

هنا سنحاول التركيز على التفاعلات بين الرضيع وأمه، حيث منذ العديد من السنوات كل الدراسات والملاحظات التي أقيمت على المواليد الجدد والرضع، كشفت على أنه لا يمكن اعتبار الرضيع كتركيب سلبي غير فعال يحتاج طيلة الوقت إلى العناية الأمومية، لكن بالعكس هو شريك فعال في العلاقة وقادر على التوجيه والتأثير: "الرضيع هو كائن لديه قابلية للحساسية لكن أيضا هو شريك لديه كفاءة جلية" ( : MARCELLI . D, 1999 ).(42).

### 1-1- بدايات الاتصال:

الاتصال هو عملية تجميع ونقل المعلومة بطريقة شفوية أو غير شفوية، واللغة ما هي إلا جانب فيه، ولكن ليست أقل أهمية من الاتصال. تكون الاتصالات الأولى للرضيع مع محيطه غير شفوية، وتنتج من خلال ردود فعل واستجابات لمثيرات بينه وبين الراشد. في أثناء التفاعل يتوجه كل شريك أو طرف نحو الذي يُرسل إليه رسائل مهما كانت طبيعتها شفوية و/أو غير شفوية (إشارية، خاصة بوضعية الجسم، بصرية، سمعية، شمعية، ذوقية)، وبالتالي السلوكيات التفاعلية هي موجهة اجتماعيا ومرسلة بشكل متبادل: "الرضيع في الواقع يستعمل كل قدراته الحسية من أجل الدخول في علاقات مع المحيط الاجتماعي" ( : GUIDETTI . M et TOURRETTE . C, ) 64:2002).

### 1-2- الكفاءة، القواعد الحسية في التفاعلات:

إن مصطلح الكفاءة ظهر حديثا في الدراسات النفسية للرضيع يُشير إلى القدرة النشطة التي لديه لاستعمال استعداداته الحسية الحركية من أجل الاستجابة أو محاولة الاستجابة لمحيطه، وقال Brazelton في هذا الصدد: "يولد الرضيع بوسائل ممتازة من أجل الإشارة إلى حاجاته والتعبير عنها وعن امتنانه للمحيط، إلى درجة أنه يمكنه اختيار ما ينتظره من والديه أو دفع ما لا يُريده عن طريق وسائل قوية حتى لا يتم تشكيله مثل الطين، أنا اعتبره ككائن له قوة كبيرة جدًا" (In MARCELLI . D, 1999 : 42).

اقترح Bruner تصنيف الأشكال التي تُبرزها الكفاءة من خلال: "أولا: أشكال مُنظمة وضابطة للتفاعلات مع الأعضاء الآخرين من نفس النوع من جهة، وثانيا: أشكال مُشاركة في التحكّم والسيطرة على المواضيع، المعدّات والأدوات وتسلسل الأحداث بترتيب مكاني وزماني من جهة أخرى" (In MARCELLI . D, 1999 : 456). وكان النوع الثاني للكفاءة موضوعا للعديد من الدراسات، وذلك بفضل التسجيل السمعي البصري.

إذن تعتمد العلاقات الأولى للرضيع مع محيطه على كفاءاته الحسية والحسية الحركية، التي يمكنه استعمالها منذ الميلاد. ولكن هذه الكفاءات والقدرات تتطلّب ظروفًا من أجل تطورها، حيث يتفق العديد من الباحثين على أنّ هناك أهميّة للمبادلات العاطفية والاجتماعية التي تُحيط وتُحکم نموّ وتطوّر القدرات المتنوعة، وقد أشار Bruner إلى ذلك بقوله: "حتى يستطيع الطفل اتباع تدرّج النموّ ومعرفة كيفية التصرف، يجب أن يُؤمن روابط اجتماعية كافية، نمط تكفّل عاطفي، حيوي ودون ذلك لا يتقدّم" (In MARCELLI . D, 1999 : 43).

وأخيرا إنّ اكتساب اللغة يكون ضمن سيرورات الاتصال: "من خلال الاتصال حتى وإن كان بشكل غير شفهي يتعلّم الطفل الكلام، يتعلّم الطفل التحدّث باللغة التي يسمعها في محيطه" (GUIDETTI . M et ) (TOURRETTE . C, 2002 : 66).

سنحاول في العناصر اللاحقة التعمّق أكثر في هذه القدرات والكفاءات التي يمتلكها الطفل والتي تساعده على التفاعل مع أمّه، والتي تُؤدّي إلى تكوين علاقة تفاعلية.

### 1-3- تفاعل ملاحظ:

إنّ الجسر الرابط بين الكفاءة في مقابل المواضيع والأشياء، وبين الكفاءة التفاعلية بمعنى قدرة الرضيع على المشاركة بنشاط في تفاعل اجتماعي، يُمكن أن يتواجد في مفهوم "المنطقة الدنيا للنمو" ( Zone proximale du développement ) لـ Vigotsky: هذه المنطقة "هي البعد بين مستوى النموّ الحالي بما يُمكن تحديده

من خلال الطريقة التي يحل الطفل ويُواجه بها مشكلاته لوحده، ومستوى النمو الممكن تحديده بالطريقة التي يحل الطفل ويُواجه بها المشاكل عندما تتم مساعدته من قبل الراشد أو يتعاون مع أطفال آخرين أكبر منه" ( In MARCELLI . D, 1999 : 44). ونذكر كمثال عن المنطقة الدنيا للنمو: حركة التأثير بالأصبع، وكيف أنّ الفهم المتوقع للأم يُعطي معنى لهذه الإشارة أو الحركة من طرف الطفل، إنّهُ المعنى الذي يُنظّم بشكل ثانوي ترميز هذه الحركة. في هذه المنطقة الدنيا من النمو فإنّ كفاءة الرضيع وكفاءة الأمّ يمكن ممارستها بخلق تأثير لتعزيز متبادل عندما أحدهما ينضمّ إلى الآخر، ويحدث الاضطراب ولا انتظام لسلوك أحدهما أو الآخر عندما لا يكون هناك اتفاق بينهما، وقد قال Brazelton في هذا الصدد: "عندما يحس الشريكان أنّهما يُراقبان بالتبادل حالة انتباههم، فإنّهما يتعلّمان التعرّف والتأثير وينتج عن ذلك المعاملة بالمثل أو التفاعل العاطفي" ( : In MARCELLI . D, 1999 : 44).

هذا التفاعل السلوكي تمّ رصده في وضعيات عديدة من بينها الحوار العضلي بين الأمّ والرضيع: الطريقة التي تحمل بها الأمّ الرضيع، وتهيئته من أجل الرضاعة. تمّ التركيز حاليا على الطبيعة الدورية لهذا التفاعل، وبالخصوص في حالات اليقظة والانتباه والانسحاب، ويُساهم هذا في المراقبة والضبط والحفاظ على الحالات الفيزيولوجية الداخلية، وتسمح تدريجيا للرضيع بتضمين سلسلة من الرسائل الأكثر تعقيدا، ثمّ يصبح ما قام بتضمينه جزءاً من جدولته الخاص بالتفاعل السلوكي والعاطفي، وبصفة عامة استجاباته وردود أفعاله. أمّا إذا كان هناك غياباً أو إفراطاً في الاستجابة من طرف الشريك، فإنّ ذلك يرفع بشكل معتبر فترات الانسحاب، ويذهب إلى غاية تشوّش وعدم انتظام تصرفات الرضيع: "زيادة التنبيه تُحرّض على الانسحاب، وهذا نلاحظه جيّداً لدى الرضع الذين يكونون حسّاسين مثل الخدج الذين وُلدوا قبل الأوان. وأيضاً عدم الاستجابة الأمومية<sup>(1)</sup> تحثّ على حالة من الفوضى وانسحاب عالي لدى الرضيع" (MARCELLI . D, 1999 : 44).

(1) الأمّ تحتفظ بوجه صامت وغير متحرك لمدة 2-3 دقائق نحو الرضيع.

من جهة الرضيع يتميّز التفاعل من خلال كفاءته وقدرته على الاتفاق مع التصرفات الأمومية والتشكّل طبقاً لها، ومن جهة الأمّ يتميّز التفاعل من خلال قدرتها على اختيار سلسلة من تصرفات الرضيع وإعطاءها معنى عن طريق التوقّع. وقد أشار إلى ذلك Brazelton بقوله: "عندما يعمل جيّداً هذا النظام من المعاملة بالمثل فإنّ الطفل ينشغل بالمعلومة الضرورية من أجل متابعة نموّه. في كلّ مرّة يتعلّم مهمّة جديدة ويستقبل ردود فعل من محيطه فإنّ ذلك لديه تأثيراً والمتمثّل في تجديده داخلياً" (In MARCELLI . D, 1999 : 44).

إنّ قدرة الأمّ على إعطاء معنى لتصرّف الرضيع من خلال التوقّع، وكذا توقّع ردود فعله هي تتعلّق بشكل كبير بمكان في ما قبل الشعور واللاشعور، وهو مكان تُخصّصه الأمّ لرضيعها، ليس فقط الطفل الواقعي الذي هو بين ذراعيها وإنّما أيضاً الرضيع الاستهامي الذي يشغل خيالها، وهذا ما يؤدّي إلى التفاعل الإستهامي الذي سننطرق إليه فيما يلي.

#### 1-4- تفاعل إستهامي:

هناك عدد من الباحثين أمثال Lebovici، Kreisler، Cramer الذين حاولوا وضع تركيب بين عدد من المعطيات المأخوذة من الملاحظات حول التفاعل أمّ-طفل والنظرية التحليلية. واحدة من تلك المحاولات طرحت إشكال المرور من الملاحظة الخارجية إلى حقل تحليل المحدّدات النفسية الداخلية. في هذا التفاعل الإستهامي اقترح Lebovici نموذجاً للفهم، والذي يأخذ في الحسبان الملاحظات المباشرة أمّ-طفل والشبكة الإستهامية النفسية الداخلية، والذي يُنظّم ويُعطي معنى لهذا التفاعل. حسب Lebovici: "لأنّ الرضيع هو صورة من الصور الوالدية، ولأنّ المواضيع الداخلية المبتدعة من طرف الطفل هي مُشكّلة من طرف هذه الصور، فإنّ من خلال الإنتاجات الإستهامية للأمّ يُمكن تحديد وضبط كلّ العناصر التي تندرج ضمن ما وصفناه تحت اسم تفاعل إستهامي". (In MARCELLI . D, 1999 : 45).



إنّ كلّ من Cramer و Kreisler عرّفا التفاعل الإستهامي من خلال "خصائص التوظيفات (Investissements) المتبادلة بين الأمّ والطفل: ماذا يُمثّل الطفل للأمّ والعكس؟" (In MARCELLI . D, ) 45 : 1999).

يجب على الملاحظ أن يكون واعيا بأنّ داخل التفاعل أمّ-طفل هناك العديد من الرضّع: رضيع واقعي، رضيع إستهامي، رضيع خيالي، تتداخل فيما بينها، وأنّ هذه التداخلات يُمكن أن تُسهّل أو تُعيق الكفاية والتفاعل العاطفي بين الأمّ ورضيعها. يتعلّق الطفل الإستهامي بطفل الرغبة في الأمومة، هو ناتج مباشرة عن الصراعات الليبيدية والنرجسية للأمّ، بمعنى أنّه مرتبط بالصراع الأوديبي الأمومي. أمّا الطفل الخيالي هو الطفل المرغوب فيه، إنّهُ يركّز على الحياة الإستهامية للشئانية أمّ-أب. بالنسبة للطفل الواقعي هو الذي يتفاعل بشكل ملموس، وهو الحامل لرصيد جيني وكفاءات خاصّة، هو سريع التأثير بالإستهامات الأمومية والدخول في صداها: هذا الصدى يجعل الطفل يستجيب، وهذا ما يُساعد الأمّ على إعطاء معنى محدّدا لتصرّفات رضيعها، هذه الأخيرة هي مجرد ردود فعل لإستهامات الأمّ، ثمّ تستجيب الأمّ له بناءً على هذا المعنى المفترض من قبلها. بالتالي انطلاقاً من هذا الفعل التفاعلي تنظم الحياة الإستهامية للأمّ والرضيع: "التفاعلات المبكرة تُحرّك وتُعبئ الإستهامات الأمومية التي هي نفسها تُؤدّي إلى نموّ للحياة الإستهامية لدى الرضيع" (MARCELLI . D, 1999 : 45).

وكخلاصة إنّ دراسة الروابط بين الرضيع الإستهامي، الرضيع الخيالي وما يُؤلّد سلوكيات الرضيع الواقعي يسمح بتقييم وفهم العلاقة التفاعلية أمّ-طفل. عندما تُشبع الروابط الرغبات وتُسكّن أخرى يكون للتفاعل كلّ الفرص من أجل أن يصبح ثريا ومنبّها لكلا الطرفين.

## 2- الأمومة وعاطفتها:

تعتبر الأمومة أهمّ هدف بالنسبة لكلّ جنس أنثوي، كما أنّ العاطفة الأمومية هي عبارة عن غريزة تميّزها عن الجنس الآخر.

## 2-1- الأمومة:

إنّ دافع الأمومة من أشكال السلوك التي تُعتبر ذات صفة شاملة، ولكن مع اختلاف في قوّة وأهميّة هذا الدافع بالنسبة للثقافات المختلفة. إذ ثمة شعوب كثيرة تحترم المرأة تبعاً لخصوبتها، وتحترم المرأة العقيم، وبالنسبة للبشر فإنّ حبّ الأمّ ذو صبغة عاطفية خاصة، واعتبارات أخلاقية متأثرة بالبيئة والثقافة. ويُميّز البحث النفسي الاجتماعي الرغبة في إنجاب الأطفال من الرغبة في العناية بهم، فهما دافعان متميزان حيويًا، ولكنهما على صلة قوية فيما بينهما وهو الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول: "بالدافع السابق للأمومة للدلالة على الرغبة في إنجاب الأطفال، والدافع اللاحق للأمومة للدلالة على الدافع للعناية بالأطفال" (شروخ . ص، 2010: 121).

وحسب دراسة أُجريت على الفئران، فإنّ دافع الأمومة، في كلّ حال هو أقوى الدوافع. ولكنّه يُضعف بمقدار ما تشيخ الأمّ، وبمقدار ما يكبر الصغار عمرا، كما يضعف حينما يُحال بين الأمّ وصغارها مدة أربع ساعات مباشرة بعد إجراء التجربة ويتربط معه ميل البحث عن الصغار، الذي يزول عمليا -عند الفئران- بعد اليوم الخامس والعشرون من تاريخ الولادة. وحسب يونغ فإنّ الصغار ضروريون لنشاط الغدة الثديية، نشاطا حرًا وسليما. فهم يُخلّصون الأمّ من تورّم الأثداء بتراكم الحليب فيها، ويستمر ذلك حتى يُنظم الصغار، وفي ذلك تفسير رغبة الأمّ في العودة إلى صغارها وخلاصة القول أنّ "لا أساس فيزيولوجيا للميل السابق للأمومة، في حين أنّ الميل اللاحق للأمومة أساسا فيزيولوجيا يقوم على التغيرات التي تحدث في عضوية الأمّ نتيجة الحمل والولادة، وهو أمر شائع لدى الحيوان، دون أن يكون شاملا. وفي كلّ الأحوال فإنّ فعالية هذا الدافع متأثرة بالبنى الاجتماعية وشروطها" (شروخ . ص، 2010: 122).

أما بالنسبة للأمّ في عالم البشر فإنّ الدافع للأمومة يرتبط بالرغبة في الإنجاب، إلا أنّه من الصعب إعطاء تعريف واضح لمفهوم الطفل المرغوب أو غير المرغوب، فأحيانا عدم الرغبة هذا يُمكن أن يكون استجابة لخوف من عدم المقدرة على تحمّل المسؤولية، وعلى أن تكون أمّا سيئة، والطفل الذي يكون مرغوبا فيه يُمكن أن يكون استجابة

إلى إنكار لاشعوري لعدم الرغبة. هذا يقود إلى ساعة الحقيقة والتي تكون عندما "يمتزج ويتحد الطفل الذي يطلب والأم التي تستجيب، بحيث تجد في استجاباتها تلبية لحاجات لاشعورية مرتبطة بالعتاء والاستقبال" (AJURIAGUERRA . J, : 858).

## 2-2- العاطفة الأمومية:

غالبا ما تتحدّث عن العلاقة أم-طفل كما لو أنّ الرضيع يعرف الأمّ على أنّها أمّ. في الواقع الرضيع هو تابع لفاعل (Sujet) الذي هو حامل لواجب محدّد مرتبط بالتقاليد والطقوس، ونشاط يُمارسه هذا الفاعل من أجل أن يُساهم في تحسين معاش الطفل ويؤثّر فيه، لكن هذا النشاط المتمثل في الرعاية الأمومية، والذي يكون أحيانا آليا، ليس منفصلا عن الاتصال العاطفي والودّي، والذي من خلاله يكتشف الطفل الراعي الذي يقوم برعايته، وفي نفس الوقت يُعبّر هذا الراعي الذي هو في الغالب الأمّ عن مشاعره وأحاسيسه. في الأيام الأولى من الحياة تكون هذه العلاقات معقّدة ومركّبة، حيث أنّ هذا الرضيع الذي هو موضوع رعاية يُمكن أن يُحسّ بالرضا أو بعدم الرضا، وتلك التي تقوم بالرعاية تبحث في عاطفتها على ما يُسمّى بالحبّ الأمومي. وهنا يُمكن القول أنّ كلّ طرف منهما يكتشف الطرف الآخر، وقد يكون هذا الاكتشاف مباشرا، وقد يكون فيه تضايقا من خشية سوء التصرف خصوصا فيما يتعلّق بالأمّ، فهذه الأخيرة لا تعرف بعد لغة وتعبير الرضيع. ولكن بالرغم من ذلك واستنادا إلى يقينها ومعرفتها وكذا استجابات الطفل، يُؤدّي بها ذلك إلى خلق حوار الذي يتمّ من خلاله التعبير عن الحب، وذلك على شكل حوار جسدي أين يستمدّ كلّ من الأمّ والطفل المتعة بذلك. وهذا يُؤدّي بنا إلى أنّ: "اكتشاف كلّ طرف للآخر قد يكون متأخرا، لكن من خلال ما يحمله الطفل للأمّ والرضا الذي يُظهره لها يكون فعّالا ومبدعا وخالقا للحبّ الأمومي" (AJURIAGUERRA . J, 1974 : 858).

قام Winnicott . D.W (1945) بالإشارة إلى النّمّو العاطفي الابتدائي، الذي درس من خلاله التجارب والخبرات الأولى للرضيع مع الأمّ حيث قال: "من زاوية الطفل وثندي الأمّ (لا أوكد ولا أدعي أنّ الثندي هو أساسي

كوسيلة لتمرير ونقل الحب الأمومي)، فإنّ للرضيع حاجات غريزية وأفكار افتراضية، والأمّ لديها ثدي ومقدرة على إنتاج الحليب بالإضافة إلى فكرة أنّها تحب أن تُهاجم من قبل رضيع جائع. لا تُحدث هاتان الظاهرتان علاقة الواحد بالآخر إلا في لحظة أين الأمّ والطفل يكون لهما معاش مشترك. إنّ الأمّ بحجة نضجها وقدرتها البدنية، يجب عليها أن تكون عنصرا للتسامح والتفهم، بحيث هي التي تُحدث الوضعية التي تُؤدّي إلى الرابط الأوّل الذي يُنشئه الطفل مع موضوع خارجي، الموضوع الذي هو خارج عن الذات من وجهة نظر هذا الطفل الصغير. هذه السيرورة هي بالنسبة له مثل خطّين يأتيان من اتجاهين متعاكسين، يُمكن أن يتقاربا الواحد من الآخر، إذا تداخلا يكون هناك لحظة وهم، جزء من تجربة التي يمكن للطفل أن يعتبرها إمّا هלוوسة خاصّة أو كأمر ينتمي إلى الحقيقة الخارجية" (WINNICOTT . D.W, 1971 :20). ويُضيف "...) العناية الأمومية والتكفل ودعم الأنا تسمح للطفل بأن يعيش وينمو ويتطوّر بالرغم من أنّه ليس قادرا بعد على ضبط والتيقّن من أنّه يوجد الجيّد والسيّء داخل المحيط" (WINNICOTT . D.W, 1971 :33). إنّ هذه العلاقة الثنائية تعتبر فيها الأمّ هي القطب الفاعل بشدّة، بحيث يُمكنها فهم وترجمة أي صوت وأي حركة تصدر عن الطفل، وهذا ما يجعله ينمو ويتطوّر. وكلّ ذلك يرتبط بما يُسمى بالحاجة للأمومة أو الدافع الأمومي.

من أهمّ ما يُبرز حاجة الأنثى إلى الأمومة هو أنّ كلّ أنثى بلغت سنّا معيّنة تُعتبر وجودها ناقصا ما لم تُنجب رغم ما تعرف من مشقة الحمل وألم الوضع وعبء الحضانة والتربية، ورغم الوهن والضعف والإعياء أثناء الحمل وما يصيب جسمها من تعب أو مرض لكون الجنين برحمها يتطور وينمو على حساب جسدها وقواها. ولولا ما التركيب النفسي للأنثى المتميّز من خلال المزاج اللين لما تحمّلت مختلف تلك الأعباء ولما أقدمت على تحمّل مسؤولية كهذه: "فبالعاطفة تمنّت الأمّ الأمومة وترقّبت الوضع وتحمّلت مشقة الحمل وتفانت في الإرضاع واضطلعت بمهمة الحضانة" (كركر، ع، 1985: 174).

من أجل كلّ ذلك قدّر القانون تعبها وجعل الأم أحق بالحضانة من الأب وخصّها بالرعاية والتقدير، ولفقت مختلف الديانات السماوية والوضعية نظر الانسان حتى يرضى أمه ويُقدرها حق قدرها ويدرك قيمة عملها وينتبه إلى حبّها وعاطفتها ويتمتع بإحساسها ويتفهّم حقائق وجوده وتنشئته. وأهمّ ديانة دعت لطاعة الأمّ وحبّها هو الإسلام، حيث يقترن الإحسان للوالدين بطاعة الخالق. وقد تعدّدت الروايات حول طاعة الوالدين واختلفت الألفاظ غير أنّها تنفق كلّها على تقديم مكانة الأمّ وإعطائها الأولوية في الاهتمام والتقدير. ونستخلص ممّا سبق أنّ "شدة العاطفة عند الأمّ هي عاطفة ناضجة مكتملة تُجرّد الأمّ من حبّ الذات لتقوم بكلّ الأعباء عن طواعية لصالح وليدها (...)"، وتتفانى في السهر عليه والقيام برعايته حقّ الرعاية" (كركر. ع، 1985: 149).

### 3- التعلّق:

تمّ تأسيس نظرية التعلّق في 1950 من طرف المحلّل النفساني الإنجليزي J. Bowlby. وفيما يلي سيتم توضيح مضمونها.

حسب S. Freud إنّ تعلّق الرضيع بأمّه يعقب إشباع حاجاته الغذائية من طرف أمّه، إذن هو ثانوي. تتركز النزوة الليبيدية على الوظيفة الحيوية للغذاء (حاجة أولية) ثمّ تتمايز. أمّا بالنسبة لـ Bowlby فهو يتبنى وجهة نظر مختلفة تماما، حيث يُؤكّد على أنّ "حاجة التعلّق لدى الرضيع بأمّه ترتبط بحاجة فطرية (...)" هذه الحاجة تصبح حاجة أولية تماما مثل الحاجات الأخرى" (In GUIDETTI . M et TOURETTE . C, ) (76: 2002). إذن نظرية التعلّق الإنساني لـ Bowlby الحديثة عن تلك الخاصّة بـ Harlow حول التعلّق الحيواني تتعارض مع النظرية الفرويدية بافتراض أنّ الفطرية وصدارة هذه الحاجة الاجتماعية، وبإظهار إلى أي مدى الرضيع هو فعّال في إقامة هذا الرابط. من جهته يعتبر Wallon "الطفل كائن اجتماعيا منذ الميلاد، ويكوّن تدريجيا هويته عن طريق العلاقات مع الآخرين" (11: 2002, In GUIDETTI . M et TOURETTE . C, )، وبالتالي هو يسير في نفس اتجاه Bowlby.

عُرفت نظرية التعلّق في فرنسا في 1970 بفضل الطاولة المستديرة التي كان يُنظّمها Zazzo . R وعلماء النفس وأطباء العقل والمحلّلين النفسانيين وعلماء السلوك، وأبرزت هذه النظرية تطوّرًا نظريًا مهمًا والذي أدّى إلى إعادة النظر في إحدى المسلّمات المركزية في النظرية الفرويدية. هذه النظرية وُضعت في السنوات التي تلت الحرب داخل سياق خاصّ، لأنّه في هذه الفترة كانت هناك أبحاث حول الحرمان العاطفي الناتج عن انفصال الأطفال عن أمهاتهم. ومن بين هذه الأبحاث ما قدّمه كلّ من: Spitz . R ، Burlingham . D ، Freud . A (والذي قدّم عملا ذو قيمة حول الحرمان العاطفي والاستشفاء)، Roberston . J ثمّ Bowlby . J. في نفس الحقبة تطوّر تيار لعلم السلوك بعد أعمال Lorenz حول ما سمّاه "البصمة" وهي "الآلية التي من خلالها صغير الحيوان يبدأ بمتابعة أمّه (أو كلّ موضوع يكون موجودا عند لحظة الميلاد ومتحرّك) في الدقائق والساعات التي تلي الميلاد" (In GUIDETTI . M et TOURETTE . C, 2002 :76).

لاحظ باحثين آخرين في علم السلوك الطريقة التي يتشبّث بها صغار القردة بأمهاتهم، في البداية يكون ذلك بشكل ثابت، ثمّ بعدها لا يلجؤون لأمهاتهم إلا بين الحين والآخر كقاعدة أمنيّة عندما يكونون خائفين أو متعبين. وبهذا لقد أشاروا إلى التوازن الدينامي الذي ينشأ بين درجة الاستقلالية والحاجة إلى الأمن بالنسبة للرضع إزاء أمهاتهم. كانت أعمال Harlow حول ردود فعل صغار القردة عندما يتمّ فصلهم عن أمهاتهم عند ميلادهم، وعندما يتمّ وضعهم في وضعية منعزلة متغيّرة، مع أنماط مختلفة من البدائل الأمومية: "عند مقارنة سلوك صغار القردة الذين استفادوا من بديل أمومي لّين ومرن (شيفون، وبر) أو صلب، والتي تمنحهم الحليب أو لا، فإنّه لوحظ أنّ الصغار تمضي كلّ وقتها تقريبا مع الأمّ من الوبر حتى ولو أنّها لا تُطعمهم، وحتى لو أنّ الأمّ الصلبة تُطعمهم" (In GUIDETTI . M et TOURETTE . C, 2002 :77).

وإن كانت هذه التجارب تطرح مسألة شرعية الاستدلال بين الحيوان والإنسان، إلا أنّ Harlow استخلص من كلّ ذلك أنّ: "الحاجة إلى التواصل البدني (اللمسي، الجلدي) هي حاجة أولية، فطرية، وعادة ما يتمّ إشباعها

من طرف الأم، أو يُمكن إشباعها من طرف بدائل لديها نفس نوعيات التواصل" (*In GUIDETTI . M et* :77 :TOURRETTE . C, 2002). بالنسبة له "المتغيّر الأولي للتعلّق هو الطمأنينة وراحة التواصل، والمتغيّرات الأخرى: الحرارة، الرضاعة، الحركة، كلها هي متغيّرات ثانوية، وأهمية كلّ منها هي نسبية تتغيّر حسب سنّ صغير القرد" (*In GUIDETTI . M et TOURRETTE . C, 2002 :77*).

في نهاية الحرب العالمية الثانية تكفّل Bowlby بالقيام بتقرير حول الصحة العقلية للأطفال دون عائلات، الذين استفادوا من ظروف مادية جيّدة، الذين أظهروا نموًا مضطربًا مشوشًا. لخصّ في تقريره كلّ الأبحاث الأخرى حول نفس الموضوع، وأظهر أنّ بالرغم من الاختلافات المرتبطة بالبلدان وأنماط المؤسسات المتكفّلة بالأطفال، وكذا سنّ الأطفال... إلخ، إلا أنّ كلّ التحاليل التقت من أجل وصف حالة المحنة والضيق والانزعاج النفسي التي يتواجد فيها هؤلاء الأطفال المنفصلين عن أمهاتهم، والذين استفادوا من العناية والرعاية، ومن شروط غذائية وصحية مرضية. كذلك زار العديد من المؤسسات، ولاحظ العديد من الأطفال وكانت خلاصته أنّ: "ما هو أساسي في نموّ الطفل الصغير هو علاقة مستمرة وحرارة مع أمّه (أو مع بديل أمومي ثابت)" (*In GUIDETTI . M et* :77 :TOURRETTE . C, 2002).

في نفس الحقبة ودون أن يضطلع كلّ من Bowlby و Harlow على أعمال بعضهما، نشر كلّ منهما مقالًا مهمًا حول خلاصات أعمالهم وأهمية ما أسماه Bowlby بالتعلّق الذي يخصّ الرضيع البشري، وما أسماه Harlow بالحب والذي يخصّ صغار الحيوانات. فالتعلّق من وجهة نظر Bowlby يعرفه من خلال "وظيفته التي هي الحفاظ على القرب مع فرد آخر أو إعادة إنشائه إذا كان في خطر" (*In GUIDETTI . M et* :77 :TOURRETTE . C, 2002). وقد وصف لنا خمسة أنماط سلوكيات تُؤدّي إلى التعلّق في الإصدار الأول للنظرية هي: "المصّ، القبض، الصراخ، الابتسامة، وعندما يصبح قادرا سلوك متابعة موضوع تعلقه" (*In* :77 :GUIDETTI . M et TOURRETTE . C, 2002). كلّ هذه السلوكيات لها وظيفة الحفاظ على

القرب بين الطفل والشخص موضوع التعلق. في إصداره الثاني لنظريته ذكر أنّ: "تلك الأنماط الخمسة للسلوكات لها أهمية كبيرة، لكن هي مندمجة في أنظمة أكثر تعقيدا" (In GUIDETTI . M et TOURRETTE .). (C, 2002 :77).

#### 4- الحرمان العاطفي:

كان الحرمان العاطفي موضوعا لدراسات عديدة في سنوات 1940-1960، حيث نجد Bander . L، Spitz . R، Despert . L، في الولايات المتحدة الأمريكية، Kend، Bowlby في بريطانيا، Aubry . J، David . M في فرنسا، وكلهم اهتموا بهذا الموضوع المتمثل في الحرمان من الرعاية الأمومية.

#### 4-1- تعريف الحرمان العاطفي:

إنّ الحرمان العاطفي متعدّد من حيث الطبيعة والشكل، ولا يُمكن تعريفه بطريقة فريدة من نوعها لأنّه يجب الأخذ في الحسبان التفاعل أمّ-طفل من ثلاثة أبعاد: "عدم كفاية التفاعل بسبب غياب الأمّ أو البديل الأمومي، عدم استمرارية الصلات والروابط وهذا ما يُسبّب انفصالات أيّا كانت الأسباب والدوافع، عدم انتظام وتفاوت يعود إلى نوعية الحمل أو المشاركة الأمومية (مثلا أمّ فوضوية، لا يُمكنها حدس ما يحتاجه الطفل ولا يُمكن توقّع ردود أفعالها)" (MARCELLI . D, 1999 : 456). وانطلاقا من هذه النقاط الثلاث سنُقدّم لاحقا الجدول العيادي.

#### 4-2- عياديا:

لا يوجد دلالات مرضية أو أعراض خاصة للطفل في وضعية حرمان عاطفي ما عدا الجدول الذي قدّمه Spitz . R تحت إسم الاستشفاء (Hospitalisme).



- أعراض الحرمان من خلال عدم الكفاية: الاستشفاء والحرمان الجزئي:

قام Spitz . R في عمله بمقارنة النمو النفسي العاطفي لمجموعتين من الأطفال. من جهة مجموعة أطفال لأمهات منحرفات داخل مؤسسات عقابية، حيث كلّ أم بالرغم من انحرافها أو مرضها فإنّها تهتمّ بطفلها خلال اليوم بمساعدة ممرضة. من جهة أخرى مجموعة أطفال في ميتم، حيث تُقدّم لهم الرعاية الصحية والغذائية دون أدنى خطأ، لكن هناك نقص في كلّ أنواع التواصل الإنساني الحميمي خلال جزء كبير من اليوم. أسفرت النتائج على أنّ الاستجابة بداء المستشفيات لوحظت لدى مجموعة الأطفال الثانية، ولم يظهر ذلك في المجموعة الأولى إلا بعد الانفصال عن الأمّ. ذكر Spitz . R هنا ثلاث مراحل: "مرحلة البكاء (Pleurnichement)، مرحلة التحسّر (Gémissement)، فقدان الوزن وتوقّف النمو، مرحلة الانسحاب ورفض الاتصال، المؤدّي إلى جدول اكتئاب اتكالي (Dépression anaclitique)" (In MARCELLI . D, 1999 : 457).

تعرّض Spitz . R للانتقاد من قبل أطباء الأطفال الذين قالوا أنّه من الممكن أنّ هؤلاء الأطفال كانوا مصابين بأمراض معيّنة، ومع ذلك فإنّ لدراسته أهمية، حيث حاليا معظم المؤسسات التي تتكفّل بالرضع أصبحوا واعين بمخاطر الحرمان العاطفي: "تمّ بذل الجهود من أجل تحديد عدد المتدخلين اتجاه نفس الطفل من أجل تحفيز، تكثيف وتسهيل التواصل الأمومي" (MARCELLI . D, 1999 : 457). وقد تمّت ملاحظة وجود الحرمان الذي يكون داخل العائلة، وهنا يكون الاستشفاء جزئيا.

- أعراض عدم استمرارية الروابط: الانفصال:

يبقى انفصال الأمّ عن الطفل حدثا متواترا بكثرة في ظروف الحياة الحالية، وقد وصف Bowlby ثلاث مراحل للاستجابة إلى الانفصال:

- مرحلة التصريح والاعتراض (Phase de protestation).

- مرحلة خيبة الأمل (Phase de désespoir).

- مرحلة الابتعاد (Phase de détachement).

وقد تمّ تفسير ذلك كما يلي: "التصريح: تعبير عن الألم والمعاناة، خيبة الأمل: مظهر الاكتئاب والحداد،

الابتعاد: عمل نفسي للدفاع وإعادة البناء" (In MARCELLI . D, 1999 : 459).

تكون ردّة الفعل هذه حادّة بشكل خاصّ لدى الطفل ذو 5 أشهر إلى 3 سنوات، إنّ تكرار الانفصالات تكون ضارة جدًا لأنّ الطفل يُنمّي بسرعة حساسية وقلق مستمرّ ودائم، والذي يُترجم من خلال تبعية مفرطة اتجاه محيطه، وهذا ما سمّاه Bowlby استجابة التعلّق القلق. كما نلاحظ عندما يطول الانفصال ما يلي: "توقّف متواتر للنموّ الانفعالي والمعرفي مع انخفاض في حاصل النمو والذكاء. اضطرابات وتشوّش: هشاشة كبيرة تجعله عرضة للإصابة بالعدوى والأمراض المتواترة، اضطرابات نفسية جسدية مثل فقدان الشهية العصبي، تبوّل لاإرادي، اضطرابات النوم. أعراض واصفة للاكتئاب. بالنسبة للطفل الأكبر سنًا نجد صعوبات التكيف في المدرسة" (MARCELLI . D, 1999 : 459).

- أعراض الحرمان بسبب عدم الانتظام وتفاوت: العائلات-المشاكل:

إذا كانت آثار غياب العلاقة أو الانفصال أم-طفل معروفة بشكل واضح وجليّ، فإنّ حاليًا هناك انتباه مُوجّه إلى العائلات التي تعيش في ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، وكذا العائلات التي يكون فيها مخاطر الإصابة باعتلال بدني وعقلي منتشرة بكثرة لدى الأطفال. وفي هذا الصدد أُقيمت العديد من الأبحاث، وقد تمّ التوصل إلى ما يلي: "إنّ فئة السكان الأكثر خطرا هي التي تتكوّن من أطفال تربّوا وترعرعوا في بؤس حادّ وشديد وطويل المدى" (MARCELLI . D, 1999 : 460).

إنّ هذه العائلات وإن كانت لا تتشابه في كلّ الأمور إلا أنّها تشترك في بعض المميزات نذكر منها: البؤس الاجتماعي المستمرّ، الاندماج العملي لربّ العائلة يكون غير مستقر باستمرار، يتميّز تاريخ الزوجان بالعديد من الانقطاعات والاتحادات الجديدة والتي تكون عابرة، بمعنى انفصال الوالدين ثمّ عودتهما للعلاقة من جديد، الإدمان على الكحول، تتميّز العلاقات بين الراشدين بالعنف، وجود فقط وجوه أمومية (جدّة، أمّ وأطفال)، أو وجود وجوه ذكرية تشغل غالباً مكاناً داخل المنزل بسبب البطالة أو استشفاء، نادراً ما يكون للأطفال نموّاً عادياً، هناك العديد من الإخوة والأخوات حيث الفارق بين الولادات يكون قصير جداً، العديد من حوادث الولادة. في الطفولة الأولى تكون مظاهر وأعراض الحرمان الجزئي منتشرة، وأحياناً تُهيمن مظاهر التعلّق القلق. وكخلاصة لما سبق ذكره فإنّ "في كلّ الحالات تكون الأعراض الجسمية والحرمان من الرعاية في المركز الأول، بالرغم من أنّه يبدو الرضّع أنّهم يستفيدون من روابط عاطفية كافية" (MARCELLI . D, 1999 : 461).

بالإضافة إلى ما سبق ذكره والذي يخصّ الطفولة الصغرى، فقد لوحظ لدى الطفل في سنّ التمدرس وجود لغة مضطربة ومشوشة مع تأخّرات في بعض الأحيان: اضطرابات النطق، فقر القاموس اللغوي،... كذلك وجود صعوبات معرفية، ولوحظ أنّ الكثير من الأطفال ينتمون إلى فئة التأخّر الذهني الخفيف (حيث درجة حاصل الذكاء تقع بين 55-85)، في حين يكون النموّ في البداية عادياً. ومع التقدّم في السنّ تظهر اضطرابات سلوكية والتي تكون منتشرة بكثرة، يُلاحظ أحياناً كفّ و/أو انسحاب مع اتجاهات مضادة للمجتمع. وكنتيجة يُلاحظ "الفشل الدراسي، لا يكون هناك انتشار للذهان الطفولي والعصاب، وجود اضطرابات سلوكية، الاندفاعية والمروء إلى الفعل، هناك كذلك خطر الهامشية، الانحراف، السيكوباتية، انخفاض تقدير الذات، غياب مثال الأنا" (MARCELLI . D, ) (1999 : 461).

5- الأبوة:

إنّ اهتمام الأب بالأولاد لدى الطير واضح، فكثير منه يبقى مع الأنثى مدّة طويلة زمن البيض، ويُساعدُها في بناء العش، ويحمل الغذاء للصغار، ويُدافع عن الأمّ فترة الحضانة. وأمّا ذكور الثدييات، في الغالب لا يهتمون بالذرية، مع وجود بعض الاستثناءات، حال الأب الشمبانزي الذي يُساعد على رعاية الصغير ويُسلّيه، ويُدرّبه ويحميه، ويُقدّم له الغذاء، وهذا "يُقدم قرينة على شيء من التشابه بين بعض الحيوان والأسرة البشرية" (شروخ . ص، 2010: 124).

وإذ لم يقدر أحد بعد على اكتشاف أساس بيولوجي قادر على تعليل دافع الأبوة، يُمكن القول مع مالينوفسكي بأنّ "الثقافة تُجبر الأب على حماية المرأة الحامل، وعلى مشاركتها الاهتمام المسبق بالطفل، ثمّ متى دُفع إلى ذلك، يُفصح عن اهتمام كبير وعواطف حقيقية اتجاه ولده. فالثقافة تُنشئ الحب الأبوي وتُكيّفه" (ورد في شروخ . ص، 2010: 123).

وحسب أوتوكلينبرغ الذي لديه وجهة نظر في هذا الصدد فإنّ: "الجماعة تفرض على الرجل واجب الاهتمام بأطفاله كنوع من تسديد ثمن الحقوق التي له على امرأته. وعليه فإنّ دافع الأبوة لا يتّصف بالثبات الكامل، ولا بالشمول الكلّي، ما دام الطلاق لدى قبيلة النايار الهندية المحاربة يعقب الزواج مباشرة، لأنّ المحاربين لا يجب أن تُثقل كواهلهم بعبء النساء والأطفال، وبعد الطلاق للمرأة أن تُعاشر من شاءت من الرجال، ويبقى الأولاد لها وحدها" (ورد في شروخ . ص، 2010: 123). وهو حال استثنائي، وكذلك واقع مؤسّسة "الأزواج المحترمين" في الهند، والزواج الأعلى بين الطبقات، وما يحدث عندما لا يقدر الأب على دفع المال اللازم لتزويج ابنته ممن يُناسبها طبقيا، فيُزوجها من زوج محترف عنده عدد من النساء يطوف بينهنّ بصورة دورية، فيما يتبع الأولاد أمّهم وأسرتهما تبعية تامة، ولكن مع فقدان الأساس البيولوجي لدافع الأبوة لا يُمكن القول دافع الأبوة هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة الانسانية. وأمّا تعليل وجود الميل إلى الأطفال عند الرجال كما عند النساء، فيمكن أن يكون "نتاج أهمية الأولاد في الثقافة، أو نتاج القيمة الاقتصادية للأولاد، أو نتاج الصفة الدينية لهم، حال الصين التي يكون وجود الأولاد ضرورة لتأمين خلود

آبائهم. أو قد يكون الدافع الأبوي نتاج ما يُقدمه للأب من برهنة على شدة حيويته، فمن الثابت أنّ عدم القدرة على الإنجاب أكثر إجحالا للرجال منه للنساء، في حين أنّ لا إهانة في بعض الثقافات للمرأة أعظم من القول لها بأنّها عاجزة عن إنجاب الأولاد" (شروخ . ص، 2010: 124).

## II- تفاعل الطفل مع الراشد: العلاقات بين الشخصية المبكرة:

إنّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولى، ومن بينها العائلة، الروضة، وغيرها تُعتبر كوسط أو من وجهة نظر Wallon . H: "مجموع، كلّ دائم ومستمرّ للظروف التي تتبّعها كينونات فردية" (-MALEWESKA In PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :75)، أو هي تُعتبر كمجموعة أو "اجتماع لأفراد لديهم روابط حيث يُوكّل ويُسنَد إلى كلّ فرد من هؤلاء دوره (Rôle) ومكانه (Place) داخل المجموع" (MALEWESKA-PPEYRE In PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :75). وهنا سيتمّ الإشارة إلى العلاقات بين الشخصيات، وهي علاقات يُعبّر عنها داخل تفاعلات مباشرة قابلة للملاحظة والقياس تبعا لمدة وتواتر السلوكات. كما سنحاول في هذا العنصر عدم الاقتصار على إطار العلاقة الثنائية أم-طفل، وإنّما سنتطرق إلى ميدان أقلّ دراسة ألا وهو التفاعلات مع راشدين غير الأمّ وهم: الأب، المريية، عاملة في الروضة وغيرهم. وما يهّمنا بشدة هو دراسة العلاقة طفل-أب التي لم تلق اهتماما كبيرا ولم تُدرس مثلما دُرست العلاقة الثنائية أم-طفل. إنّ لظهور هذه العلاقة الجديدة أب-طفل أثره على العلاقة الأولية أم-طفل، بحيث ساهم ذلك في تغيير الأدوار والمهام. ويُقصد بأنّها علاقة جديدة بمعنى أنّ الأب أصبح يتفاعل مع الطفل مبكرا وليس مثلما كان في السابق ينتظر إلى حين يبلغ استقلالية مبدئية ليتفاعل معه، لم يكن الأب يتدخل في الثنائية أم-طفل إلا بعد مرور سنتين أو ثلاث سنوات، وسيتمّ تفصيل ذلك لاحقا.

### 1- العلاقة التفاعلية أم-طفل:

وهنا المقصود الأمّ البيولوجية التي من المفروض أنّ تُقدّم الرعاية للطفل وفيما بعد ستتمّ الإشارة إلى الأمّ البديلة. بالرغم من أنّه من الصعب في المواقف الاعتيادية للحياة القيام بتفريق بين مواقف الاتصال أحادية الطرف

ومواقف الاتصال متعدّدة الأطراف، إلا أنّه يظهر لنا أكثر فعالية وأهمية التفريق بين سجّلين أين يكون التركيز إمّا على قناة اتصال منفصلة أو بالعكس على مجموع القنوات الحاملة للمعلومة المتبادلة بين الشركاء في التفاعل.

### 1-1-1- اتصال أحادي العلاقة (Communication univiatique):

سيتمّ البدء هنا بالمواقف التي تتطلّب تدخّل الأجهزة الحواسية بالتقارب (مثل الشّم واللمس)، فيما بعد سيتمّ الإشارة إلى المواقف التي يُمكنها أن تكون عن بعد (البصر والسمع).

#### 1-1-1- الاتصال الشّمّي:

هناك العديد من الدراسات المنجزة التي تكشف على أنّ الشّم هو العنصر المحدّد لتعلّق الصغير بأمّه، ممّا يُحيل إلى نموّ الطفل واندماجه الاجتماعي. هذه الدراسات حول الشّم لدى المولود الجديد (3 و 10 أيام) كشفت على أنّ الرضيع قادر على معرفة وتمييز رائحة أمّه (رائحة الإفرازات العرقية ورائحة الحليب) عن رائحة أمّ أخرى، لأنّه يدور نحو الجانب الذي يختاره. كما أنّ الرضع الذين بالرغم من أنّهم يتغذون بالرضاعة الاصطناعية خلال الأسبوعين الأوّلين من حياتهم إلا أنّهم يُميّزون بين رائحة ثدي الأمّ مقارنة مع رائحة ثدي امرأة أخرى (سواء كانت تُرضع أم لا) خلال هذه الفترة. أمّا بالنسبة للأمّهات فهنّ يعرفن رائحة الرضيع منذ 2 أو 3 أيام، وقد تنخفض هذه القدرة في حالة اكتئاب ما بعد الولادة أو خلل هرموني: "إنّ عدم معرفة الأمّ لرائحة طفلها منذ الميلاد تتعلّق بقصر مدّة تواصلها معه بعد الميلاد مباشرة أو انعدامها، في حين الأمّهات اللاتي استفدن من تواصل طويل مع الرضيع في لحظة الميلاد فقد تمكّن من التعرّف على رائحته، بالإضافة إلى أنّ لديهنّ أداءات عالية" (GUIDETTI . M et TOURETTE ) :65, 2002, C).

منذ 1877 قام Darwin بالإشارة إلى انجذاب الرضيع لرائحة الثدي، وهذا ما أذى حاليا إلى فهم وتوضيح دور الروائح الأمومية. كانت الملاحظة العلمية الافتتاحية حول هذا الموضوع من قِبَل العالم الإنجليزي Mac Farlane، حيث في 1975 وضح أنّ الرضع حديثي الولادة تمّ تعريضهم إلى سدادات غاز مشبعة بروائح للتمييز

بينها، أظهروا نوعين من الاختيارات أو التفضيلات: "من جهة رائحة الأمّ (الإفرازات الدهنية والعرقية وحليب الثدي) بدلا من غياب الرائحة في سدادات محايدة، من جهة أخرى، رائحة الأم بدلا من أم أخرى مرضعة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 21). كان معيار التمييز هنا يتمثل في إدارة الرأس بشكل نشط نحو المصدر المفضّل، تُقدّم السدادتين معا بشكل تلقائي وعفوي، كلّ واحدة في جهة بالقرب من الوجه حيث يكون الرضيع نائما في المهده. هذه القدرة على تمييز الروائح الطبيعية لدى الرضيع يتمّ اكتسابها حسبما أشار إليه Mac Farlane "منذ اليوم السادس من الحياة، ويصبح التفضيل بشكل خاصّ واضحا في 8 إلى 10 أيام" (In LE CAMUS . J, 1985 : 21).

هذه النتيجة تمّ تأكيدها من قبل باحث آخر هو Schaal . B (1981 و 1983)، حيث أنّ معيار التمييز لم يكن إدارة الرأس ولكن كان أهمية حركية الرأس والأطراف العلوية، وكان قياس مدى الحركات بمساعدة جهاز مسجّل. حسب هذا الباحث فإنّ الأمور تسير كما لو أنّ "الرائحة الأمومية لها بالنسبة للمولود الجديد خاصية مهدّئة، وكما أنّ هذه الحساسية والتمييز يدوم إلى سنّ متقدّمة جدا (بين سنتين إلى ثلاث سنوات لنسبة كبيرة ومهمّة من الأطفال، بين ثلاث سنوات إلى خمسة سنوات بالنسبة للثلث من هؤلاء)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 21). وبهذه الخاصية المسكّنة للروائح الأمومية استطاع الطبيب العقلي Cyrulnik . B الاستفادة منها واستعمالها في علاج الأطفال الذين يعانون من أرق ليلي.

إنّ مجموع الأعمال حول تماهي الطفل مع روائح أمّه تؤدّي إلى الاعتقاد بأنّ قدراته المبكّرة هي في خدمة الحفاظ والإبقاء على الحياة: إنّها تُسهّل البحث والإمساك بثدي الأمّ. ونفس وجهة النّظر هذه جعلت Schaal . B ينظر إلى الشّم كمرّكبٍ للتعلّق: "إنّ معرفة رائحة الأمّ تُثير لدى الرضيع استجابات الراحة والسعادة (تعبير وجهية مبتسمة ومنبسطة) التي يُمكن أن تؤدّي في المقابل إلى سلوكات المحبة والعاطفة من طرف الأمّ" (In LE CAMUS . J, 1985 : 21).

## 1-1-2- الاتصال اللمسي الحسي الحركي:

من بين الكفاءات العديدة التي يمتلكها المولود الجديد الإحساس والحركة، حيث يستجيب بالحركة أثناء تعبيره عن حاجاته أو تعرّضه لمثيرات بصرية أو سمعية أو لمسية مثلا. وهنا يجب أن نشير إلى أنه توجد فروق فردية هامة من رضيع إلى آخر، في درجة النشاط الحركي وخاصة قابلية ردّ الفعل للمثير. كما أنه لا يُمكن الفصل بين قناة التواصل اللمسية عن القناة الحسية الحركية، وذلك بحجّة التفاعل الذي يُميّزهما أثناء عملهما في مختلف المواقف الأمومية. وانطلاقا من ذلك يُمكن تمييز ثلاث مراحل في نمو الطفل في هذا الجانب حسب دراسة Le Camus J. :

أ- فترة ما قبل الولادة:

عندما يكون الطفل موضوع رغبة والدية وكذا تعهد لاشعوري للوالدين بالحفاظ على وجوده، فإن ذلك سيساهم في تكوّن البنية القاعدية للرباط وذلك عن طريق تلك المثيرات التي يستقبلها الجنين، واستجاباته عن طريق الحركة التي تشعر بها الأمّ وكذا يُمكن تصويرها ورؤيتها بفضل الفحص والكشف فوق صوتي (échographie). من ضمن هذه المثيرات هي تلك المتعلقة بالتوازن، اللمس وحتى السمع الذي سنتطرق إليه لاحقا.

كشفت علماء الأعصاب والفيزيولوجيا حاليا أنّ: "الجنين هو حسّاس للمثيرات الدهليزية<sup>(1)</sup> التجوييفية الناتجة عن تنقل أو حركات الأمّ المستقبلية، حسّاس للمثيرات اللمسية الناتجة عن اللمس العاطفي<sup>(2)</sup>، حسّاس للمثيرات السمعية التي تكون ناتجة عن النشاط العضوي (التنفس، الهضم، الجهاز الدوري)، ومن خلال الإصدار الصوتي للأمّ" (78: MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991). قد تكون هذه المساهمات العلمية نسبية، كما أنه ينقصها التسلسل الزمني لظهور تلك الاستجابات الأولية للجنين، إلا أنّ هذه المرحلة هي بمثابة

(1) لها علاقة بدهلز الأذن والأذن الداخلية.

(2) الذي هو متعلّق بالتفاعلات والعلاقات العاطفية الإنسانية.



"مرحلة اتحاد فيسيولوجي تُهيئ الطفل للتغذية وإقامة الأوتار الأولية للتعلق مع الأم" (MALEWESKA-) :78 (PPEYRE . H et TAP .P, 1991).

إذن يُعرف منذ زمن بعيد أنّ الجنين حسّاس للرسائل اللمسية التي تمرّ عبر جدار بطن الأمّ المستقبلية. لكن حديثاً فقط بدأ الاهتمام بالطريقة النسقية والمنظمة لأسلوب الاتصال هذا. بهذا الصدد أكّد F. Weldman على أنّه من الأفضل إقامة نوع من الحوار العضلي الحركي (Tonico-cinétique) بين الأمّ - وأيضاً الأب إذا وافق على ذلك - والطفل الذي سيولد. وقد أشار إلى مصطلح مهمّ يتعلّق بذلك ألا وهو "Haptonomie" (In LE) : 22 (CAMUS . J, 1985)، وهي كلمة يونانية تنقسم إلى Hapsis وتعني لمس، و Nomos وتعني قاعدة، وبذلك معنى المصطلح هو قاعدة اللمس أو علم اللمس والتواصل: "علم اللمس أو الإحساس في بُعد الحميمي العاطفي (ليس شبقياً)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 22). يحسّ الجنين بواسطة هذا اللمس الحار والإيجابي بالأمن الذي يُؤدّي إلى تكوين البنية التحتية والقاعدة الأساسية قبل الولادية للتعلق العاطفي. في نفس الوقت تكتسب الأمّ معرفة نشاطات واستجابات رضيعها المستقبلي (الجنين). يتعلّق الأمر هنا بـ: "تبادل يُؤثر على الشريكين دورياً وبالتناوب أو معاً، حيث يكون كلّ منهما في موقف المُعطي والمُستقبل (LE CAMUS . J, 1985 : 22).

ب- فترة أثناء الولادة وبعدها مباشرة:

إن الولادة هي نهاية للحياة الجنينية وتعتبر كذلك مرحلة عبور إلى الحياة الدنيا، وحينها لا يكون هناك القدرة على معاينة ومشاهدة المظاهر الأولى لسلوك التعلق، إلا أنّ المختص في طب الأطفال يُمكنه ملاحظة هذا الحدث الذي يُجسّد المصير المزدوج والمشارك للرابطة أمّ-طفل، وطبعاً هي ملاحظة أولية يُقدّم من خلالها توقّعا. لحسن الحظ أنّه تمّ بذل جهود كبيرة من أجل جعل هذا العبور أقلّ صعوبة وتكليفاً بالنسبة للأمّ والطفل على السواء، لكن وكما يقول Nemet (1987): "إذا كانت هذه اللحظة يتمّ عيشها بأقلّ ألم مقارنة مع ما كان في السابق على أنّها أمر فضيع وأنّها نهاية العالم ولا يُمكن تحمّلها، إلا أنّه بعيد ليتمّ عيشها كتمجيد وتعظيم ونهاية لمهرجان" (In

78: (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991). والمقصود هنا أنّ انقطاع الحبل السري والانفصال المحتوم الذي لا مفرّ منه الذي يحدثه الميلاد يظهر كصدمة خصوصا بالنسبة للمولود و كضيق للأمّ، وهذا ما يُمكننا من فهم المحللين النفسانيين مثل: Rank . O سابقا و كذلك بعده Haag و Marc عندما اعتبروه جميعا أنّه مُولّد لقلق لا يُمكن تخيّل له لدى الرضيع.

إن الساعات والأيام الأولى من الحياة هي مهمّة وتحتلّ مكانا حاسما وفاضلا في تفعيل وتنشيط سيرورة التعلّق. يوجد عادة تمييز لعنصرين: العنصر الأول شَمّي والذي تمّ توضيح واستبيان قدرة المولود الجديد وأمه على معرفة بعضهما من خلال حاسة الشّم. والعنصر الثاني لمسي.

في نفس الاتجاه الفكري، طالب مختصون آخرون في أمراض النساء والتوليد بأن يُتبع الميلاد بتواصل طويلة المدّة بين المولود الجديد والأمّ. لقد نادى Leboyer .F (1974) بما يُعرف بـ "الميلاد دون عنف"، والذي يتضمّن تخفيف المثيرات الخارجية (ضجيج، ضوء) والتأخّر في ربط الحبل السري، ويُتبع التواصل جسم-جسم الذي كان في المرحلة السابقة بالتواصل بشرة-بشرة الذي يبدو مُطمئن ومُهدئ للمولود.

يوضع المولود الجديد لبضع لحظات فوق بطن الأمّ قبل أن تقوم الممرضة بتحميمه أو الأب إذا رغب في ذلك في حوض دافئ الذي سيُساهم في تهدئته واسترخاءه. وانطلاقا من هذه الفكرة الأخيرة قام كلّ من . Odent و M Baux . R (1975) في مدينة تولوز الفرنسية بعمليات ولادة في حوض الحمام: "الهدف من ذلك هو خلق ظروف استقبال هادئة وأقلّ صدمة أو غير صادمة لهؤلاء الذين عليهم ترك الهدوء الذي يتواجد بالوسط السائل قبل الولادة، ومواجهة حقائق وسط هوائي بعد الولادة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 23). وقد قام . Odent M (1984) بتطبيق تجربته هذه على أكثر من 100 حالة ولادة في حوض حمام، وكانت النتائج التي توصل إليها: "آثار إيجابية ومفيدة للأمّ والمولود على حدّ سواء" (In LE CAMUS . J, 1985 : 23). دون إهمال العمل

على ضمان للرضيع متابعة ومراقبة طبية جيّدة، وكذا بذل الجهد لتخفيف آثار صدمة الميلاد، ولهذا يوصي أطباء الأطفال بالتواصل المتكرّر بشرة-بشرة بهدف تسهيل سيرورة التعلّق التي تُوحّد الأمّ بالمولود الجديد.

ومن أجل هذا الغرض قام كلّ من Klaus .M.H و Kannel .J.H (1983) بإعطاء دليل لفوائد هذا التواصل المكثّف من خلال مقارنة سلوكات الرعاية لمجموعتين من الأمّهات، فتبيّن أنّ هؤلاء الأمّهات اللاتي استطعن إبقاء الرضيع بجانبهنّ في الساعات والأيام الأولى التي تلت الولادة فإنّهنّ "ظهرن فيما بعد مواسيات وملاطفات للطفل مع زوال بوادر القلق لكلّ من الأمّ والطفل" (In LE CAMUS . J, 1985 : 23). وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أنّ " لقاء الأمّ وطفلها لا يقتصر على عملية شَمّ متبادل ولا على الدخول في تواصل لبشرتين، ولكن دخول عالم البشر-عالم الرغبة، اللغة، الثقافة- يمرّ أولاً عبر تفاعل كائنين" ( . MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :79).

ج- فترة ما بعد الولادة:

بعد الأيام الأولى التي تلي الميلاد يتمّ الدخول في مرحلة نموّ، الأمر الذي يُحيلنا إلى دراسات المُضطّرين حول الأمومة، من بينهم Herman (1972) الذي وضع مصطلح التمسك (Agrippement) والذي يقصد به التعلّق، Winnicott . D.W (1975) الذي وضع مصطلح "معالجة باليد/ إمساك (Holding/ Handling)، و Anzieu. D (1974) واضع مصطلح "أنا-بشرة" (Moi-peau)، وغيرها من الأعمال.

إنّ من خلال التكلّف الجسمي والتعامل اليدوي اللطيف والهادئ يستمدّ الطفل الإحساس بالأمن والثقة: "هذه العاطفة يُحسّ بها الطفل بفضل عمل المستقبلات الجلدية عند اللمس، الاستقبالات الذاتية الحسية الحركية (الأحاسيس الصادرة عن الجسم والدالّة عن الوضع والحركات والتوازن،...) (LE CAMUS . J, 1985 : 23).

إنّ هذا الحوار بين الراشد الذي يقوم بالرعاية والرضيع الذي يتلقى الرعاية هو ما تحدّث عنه Ajuriaguerra، ووصفه بالمنشّط العضلي من أجل الإشارة إلى الرسائل التي تمرّ عبر حركية الشريكين. وهذا الحوار هو ما يسعى مؤيّد الحمل الظهرى أو بطني<sup>(1)</sup> على جعله متواترا ومستمرا، كما أنّ هذا الحوار هو ما يُريد تعزيره وتقويته هؤلاء الذين يُنادون بالرسالة المثيرة للنشوة للرضع أمثال Leboyer . F (1976) و Stacke .B (1981). من جهته Brazelton .T.B (1984) أكّد على هذا الحوار بل ونصح بـ"إطالة مدّته - من أجل الأطفال الخدّج بالخصوص - بالطلب من الأمّات إعادة إنشاء من خلال الممارسات الأمومية غطاء وغشاء الذي يحتوي ويحمي ويُغلف المولود تماما مثلما كان جنينا أثناء حياته داخل الرحم" (In LE CAMUS . J, 1985 : 23).

هناك دراستين تجريبيتين أُقيمتا لتأكيد وإثبات ما سبق ذكره: وهما لكلّ من Widmer-Robert-Tissot C. في 1981، و Robin . M في 1983. الدراسة الأولى أثبتت أنّ الرضّع الذين يبلغون شهر إلى ستة أشهر قادرون على تمييز أمّاتهم عن أمّ أجنبية من خلال الطريق الوحيد المتاح لديهم في التجربة ألا وهو "معالجة باليد/ إمساك" (Holding/ Handling)، حيث يُحملون بصمت وفي الظلام، الرضّع يستشعرون استجابات وضعية الجسم والحركية التي تتغيّر مع الشخص المتفاعل: ظهور وضعية جسم في اندماج ونشاط البحث ما بين شهر إلى شهرين، وضعية إسناد في السنّ الموالي في حالة التفاعلات مع الأمّ، وظهور حركات تهيج واستثارة واتجاهات مراقبة الوضعية الحركية بكثرة في حالة التفاعلات مع أجنبية. وهذا يعبر على أنّ "الإمساك والمعالجة الأمومية لهما أثر مُهدّئ الذي يُضاعف ويُوكّد أثر الرائحة المطمئن" (In LE CAMUS . J, 1985 : 24).

الدراسة الثانية سمحت بإعادة إنتاج للتواصل اللمسي والمعالجة باليد في موقف شبه طبيعي، المتمثّل في التغذية بالرضاعة. أُقيمت الملاحظات على 42 ثنائي أم-طفل (أقلّ من أسبوع) و 19 ثنائية أم-طفل خديج (أقلّ

(1) أي حمل الطفل على الظهر أو البطن بحيث يكون جسمه ملامسا لجسم الأم.

من شهر)، حيث استطاع الباحث تمييز سبع فئات للتواصل اللمسي منها: أشكال تواصل نفعية التي تظهر بشكل متواتر لدى الذكور والإناث على حدّ سواء، وأشكال تواصل ليست ضرورية إطلاقاً في التغذية (لمس اليدين والوجه، التقبيل) هي نادرة ومتواجدة بالخصوص لدى الإناث. وحسب Robin .M "هذا النموذج التعاملى للأمهات يتعلّق بمحاولة الاطلاع واكتشاف جسم الطفل، التمتع بالتواصل الجلدي بدلا من البحث عن اتصال حقيقي" ( In LE : 24 : CAMUS . J, 1985).

### 1-1-3- الاتصال البصري:

إنّ الرؤية تبدأ في العمل بشكل جيّد بعد الميلاد، وتنمو وتتطوّر بسرعة نتيجة لنضج الأعضاء والأعصاب. يرى المولود الجديد جيّداً وبوضوح لكن مع نقص في المواءمة (Accommodation)، يتتبع الأشياء التي تتحرّك ببطء، وتكون لديه القدرة على تتبّع موضوعاً ملوّناً، تثبيت النظر على شكل ذو بنية مثل الوجه أكثر من تركيزه على أشياء ملوّنة بلون واحد. وقد حاول بعض الباحثين محي دور الرؤية في تأسيس التفاعلات من خلال تصوير الطريقة التي يستجيب ويتفاعل بها الرضيع مع الشخص الذي يحمله، ويكون التصوير في الظلام عن طريق كاميرا تحت حمراء. لاحظ C . Wdmer-Robert-Tissot (1981) في هذه الظروف أنّ الرضع يستعملون المعلومات الخاصة بالطريقة التي يُحمّلون بها بين الذراعين من أجل التمييز بين أمهاتهم ونساء أخريات، حيث نجد بين الرضيع وأمه التداخل والاندماج الجسمي الضيق، خاصة في الأسابيع الأولى، لأنّه فيما بعد يضبط الرضيع بشكل فعّال المسافة بين الجسمين: نحو حوالي 5-6 أشهر، حيث يصبح يعتمد على جسم أمّه من أجل الابتعاد قليلاً وتوسيع مجال بصره، في حين منذ الأشهر الأولى يُمكن ملاحظة تجنّب التواصل عندما يتواجد الرضيع بين ذراعي امرأة أجنبية عنه. كما أنّ الإصدارات الصوتية للرضع لا تكون نفسها في حضور أمهاتهم أو حضور نساء أخريات: "تكون الإصدارات الصوتية أكثر ثراءً، أكثر تشكّياً عندما يكونون بين ذراعي أمهاتهم" ( In GUIDETTI . M et ) :66 : (TOURRETTE . C, 2002).

كذلك من ضمن الدراسات والأعمال المهمة حول الاتصال البصري أم-طفل يُمكن ذكر أعمال Robin M. (1981)، وقبلها دراسة Robson . K.S الذي منذ 1967 تحدّث عن التواصل "عين-عين" ( Contact œil-œil)، والتي تمّ تطويرها في فرنسا من طرف فريق البحث لـ Ajuriaguerra الذي اقترح في سنوات 1969 و1970 التمييز بين "نظرة الإبصار" (Regard vision) ذات نظام بالأساس حواسي و"نظرة سحر" ( Regard sortilège) ذات نظام بالأساس علائقي. ضمن دراسة لـ Robin . M حول 32 ثنائي تمّ تصوير السلوك التلقائي لديهم وذلك داخل مصلحة الأمومة بباريس، وكان الهدف هو إيضاح الجانب التفاعلي في الحوار: "لقد سجّلنا تبادلات بصرية بوضوح التي حدثت نتيجة لمثيرات أمومية. بعض الأمهات نجحن من خلال قوة رغبتهم في الإثارة والتحريض على انفتاح عيني الطفل. ولكن بالمقابل بعض الأطفال أظهروا نشاطا بصريا قويا أدى إلى ردود أفعال واستجابات أمهاتهم: تحت تأثير نظر مولودها الجديد تنحني الأمّ نحوه وتبدأ في التحدّث إليه (...)" ( In LE : 24 : CAMUS . J, 1985). هذا يحيل إلى أنّ سلوك الأمّ يقتدي ويتشبهه بسلوك الطفل، وسلوك الطفل يقتدي بسلوك الأمّ كاستجابة لمثيرات بصرية تنتهي باتصال بصري.

#### 1-1-4-الاتصال السمعي:

من بين قدرات الرضيع هي التوجّه نحو الصوت الإنساني مع التعبير عن تفضيله لصوت أمّه، وفيما يلي سنشير إلى هذه القدرة قبل وبعد الولادة.

#### أ- فترة قبل الولادة:

في هذه المرحلة يُمكن الإشارة إلى الأعمال والدراسات التي تناولت إدراك الجنين للأصوات والضجيج الذي تُصدره الأعضاء الداخلية للأمّ والتي أُقيمت من طرف كلّ من Busnel . M.C و Granier-Deferre . C (1983)، وكذا يمكن الإشارة إلى الاستخدامات والتطبيقات التي تمّ ممارستها بعدما تمّ الكشف عن هذه القدرات

السمعية، حيث تم استعمال صوت ضربات القلب من أجل تهدئة الرضع المتهيجين ومساعدتهم على النوم ، وأقيمت هذه الدراسة من طرف Murooka.

هناك دراسات وأبحاث حالية حديثة حول إدراك ومعرفة الصوت الإنساني: "إنه أكيد أنّ الجنين يُدرك دون تشويه إيقاع وتنغيم صوت الأمّ (أو تلك الخاصة بشخص خارجي)، إنه من المحتمل أنّه يستطيع تخزين في ذاكرته جمل، موسيقى أو غناء، حيث يتبناها أو يتماهى معها بعد الميلاد" (LE CAMUS . J, 1985 : 25).

ب- فترة بعد الولادة:

إنّ مؤلفات D. Anzieu (1976) حول "غلاف صوتي لنا" وكذلك مؤلفات J. Mehler (1976) حول تمييز الصوت الأمومي من طرف الرضيع، كلّها كان لها دورا وتأثيرا بل ويمكن القول أنّها كانت بمثابة نقطة الانطلاق للدراسات اللاحقة، ونذكر من بينها البحث الذي قام به كلّ من D. Josse و M. Robin (1981) حول مميّزات وخصائص الخطاب الأمومي في غضون الأشهر الأولى من الحياة. بعد تسجيل وتحليل التبادلات التي حدثت أثناء عملية تبديل وتلبس الرضيع، فإنّ الباحثان توصّلا إلى الخلاصة التالية: "في غضون السنة الأولى، خطاب الأمّهات يتركّب بالأساس من إصدارات قصيرة لكلمات منعزلة وإنتاجات صوتية غير دالّة<sup>(1)</sup> (محاكاة صوتية<sup>(2)</sup>)، تعجبات، تنغيمات مقلّدة لتنغيم الطفل، ألعاب صوتية مبتدعة من طرف الوالدين)، بعض الجوانب (النبرة، المبالغة، تصويّنات متكرّرة) تُعرف بالاتصال الإيمائي-الحركي وتُدعّمه" (In LE CAMUS . J, 1985 : 25).

فيما بعد بيّن الباحثون من فريق J. Le Camus أنّ ذلك الخطاب ليس لديه وظيفة تمرير ونقل المعلومات أو تعليم الكلام، ولكن له وظيفة المصاحبة اللحنية التي تتماشى مع الرعاية الجسمية. وأضافوا: "إنّ لغة الوالدين

(1) بمعنى ليست لها دلالة لغوية.

(2) كلمة يحاكي صوتها صوت الشيء الذي يتم وصفه.

خلال هذه الفترة يُمكن أن تكون أغنية التبادلات الجسم<sup>(1)</sup>، الحوار العضلي الحركي، الذي يُوحّد بين الشريكين " (LE CAMUS . J, 1985 : 25).

كذلك من خلال دراسة أُقيمت على المواليد الجدد أثبتت أنّ للرضيع منذ الأيام الأولى القدرة على التعرّف على اللغة التي تتكلّمها الأمّ، وذلك عندما تتمّ قراءة له نصّ بلغتين مختلفتين، حيث تكون إحداها لغة الأمّ. كما أنّه إذا لم تكن كلتا اللغتين هي لغة الأمّ فإنّه لا يستجيب أبدا بنفس الطريقة التي يستجيب بها للغة الأمّ. كلّ هذه القدرات التي يمتلكها المولود الجديد جعلت Brazelton يخرج بخلاصة مفادها أنّ "الرضيع فعّال (Actif) في تأسيس تفاعلاته وهو يُشجّع الراشد على تغيير سلوكه" ( In GUIDETTI . M et TOURRETTE . C, ) (2002 :66).

#### 1-1-5- اتصال من منطلق ذوقي:

إنّ أسلوب الاتصال هذا لم يتمّ دراسته مبكّرا مثل أساليب الاتصال سابقة الذكر، وإنّما تمّ الاهتمام به حديثا فقط، وهو اتصال غير لفظي يعتمد على الدّوق، وقد تحدّث عنه Chiva . M (1983) في أحد مقالاته، سنتطرق إليها لاحقا.

من خلال العديد من الدراسات تبين أنّ الرضيع يُظهر تمييزا بين الأذواق الأربعة القاعدية: المالح، الحلو، الحامض والمرّ، وكلّ مذاق منها يرتبط بإيماءة وجهية خاصّة. هذه الأخيرة يتمّ تأويلها من طرف المحيط ويُعطىها قيمة دلالية، وهذه الحاسّة لها علاقة بالتبادلات بين الأمّ والطفل: "فالمذاق الذي تعود عليه في بطن أمّه والذي يمرّ إليه عبر الحليب يُحبّذه أكثر من أي مذاق آخر، إضافة إلى القدرة على تمييز مذاق حليب الأمّ عن حليب أمّ أخرى" (GUIDETTI . M et TOURRETTE . C, 2002 :65 )

(1) بمعنى أنّها تُصاحب الحوار الجسدي أثناء تغيير الملابس مثلا.



من أجل دراسة تكوّن الذوق وعلاقته بتركيب الشخصية قام J. Le Camus وفريقه بمتابعة 34 طفل من أصول فرنسية في غضون السنتين الأولتين من الحياة. تمّ فحص هؤلاء الأطفال الرضّع في منازلهم في حضور على الأقلّ أحد الوالدين وعموما كانت الأمّ. كان الهدف الأوّلي ملاحظة كيفية تطوّر الاستجابة الناتجة عن مثيرات ذات طعم، والتي هي استجابة انعكاسية وهذه الأخيرة هي التي وصفها Steiner في 1973 بـ "منعكس ذوقي-وجهي". وكانت النتائج في هذه الدراسة أنّ: "التعابير الوجهية الانعكاسية تختلف حسب المثير (ملح، حلو، حامض، مرّ) لكنّها تبقى متماثلة من فرد لآخر بالنسبة لنفس المثير" (LE CAMUS . J, 1985 : 26).

كانت الفائدة من هذه الدراسة هي أولاً: توضيح اختلاف الاستجابات للتنبيه لدى الأطفال، حيث منذ الشهر السادس وأحياناً منذ الشهر الرابع يتميّز كلّ طفل عن الآخرين من حيث وضوح وحدّة تعابيره الوجهية، وثانياً توضيح التحوّل التدريجي من منعكس ذوقي وجهي إلى اتصال مع الآخر. ويُمكن تمييز ثلاث مراحل في هذا التطوّر: "في الستة أشهر الأولى، تكون الاستجابة بنمط آلي بحيث كلّ تنبيه يُثير إيماءات وجهية واضحة ولكن لا تتصاحب إطلاقاً بالصراخ أو البكاء، غير متباينة وليست مُوجّهة إلى أحد ما. ثمّ بعد حوالي تسعة أشهر وأربعة عشرة شهراً تناقص الاستجابة وتتغيّر وتعتدل، وتبدأ في الاندماج داخل مجموع الإيماءات الوجهية للطفل. في الأخير، بعد ستة عشرة شهراً يحدث تغيّر قابل للملاحظة حيث بدلاً من تحمّل الموقف فإنّه هو الذي يُبادر بالقبول أو الرفض، هذا يُمثّل التحوّل من البيولوجي إلى النفسي" (LE CAMUS . J, 1985 : 26).

فيما يلي سنتّم الإشارة إلى الوصف الذي قدّمه Chiva . M في هذا الصدد حيث يقول: "يلاحظ استعمال اختياري ومقصود من طرف الطفل لإيماءاته، فالمذاق سواء كان مستحسنًا أم لا، يمكنه إحداث إيماءة وجهية، لكن هذه الأخيرة ظاهراً تكون غير متناسقة مقارنة مع المنبه. يُظهر الطفل تشويهاً مبالغاً فيه أحياناً، إلى غاية استجابات منفصلة، يُكرّر إيماءاته الوجهية باستمرار وبنفس الحدة ويوجّهها ويكون الهدف محدداً وواضحاً: تفهّمه من طرف الغير" (In LE CAMUS . J, 1985 : 26).

هذه الدراسة حول الاتصال من منطلق ذوقي لها قيمة وهي تُوضّح ظاهرة المرور من الطبيعة إلى الثقافة: تماما مثل الصراخ والابتسامة.

## 1-2- اتصال متعدّد العلاقات (Communication multiviatique):

تمّ تقديم هذا المفهوم بشكل واضح من طرف الباحث J. Cosnier منذ 1974، ويُقصد به وجود عدّة قنوات اتصال مع عدّة أشخاص من المحيط. قام هذا الباحث بجلب انتباه المختصين في اللسانيات حول أهمية الجوانب غير اللفظية للاتصال الثنائي، وأكثر خصوصية حول أهمية الإيماءات والإشارات الحركية. كما امتد بحثه إلى دراسات تجريبية عديدة، وبالخصوص على المستوى الذي يهتمنا من خلال تحليل ظاهرة تعدّد القنوات أثناء تطوّر الطفل.

من خلال تصوير أطفال في موقف استقبال سلبي (عرض رسوم متحركة) وفي موقف تفاعل تلقائي (مقابلة نصف موجهة)، استطاع J. Cosnier (1977) "تحليل أشكال الإشارات الحركية التي يُنتجها الطفل الصغير جدّا بكثرة (إشارات تعبيرية، أسطورية، تقليدية، توخّدية)، وانخفاض التفرغ الحركي الذي يظهر في حدود أربعة أو خمسة سنوات" (In LE CAMUS . J, 1985 : 27).

يوجد دراسات كان الهدف منها معالجة الاتصال متعدد العلاقات أو القنوات داخل مواقف خاصة ومُحدّدة بنشاط (تغذية، تغيير، حمام،...)، وهناك دراسات أخرى هدفها يهتمّ بالاتصال داخل مجموع مواقف التي تُؤدّي إلى تفاعل الطفل مع أمه.

## 1-2-1- دراسة المواقف الخاصة:

في حوالي العشرينية الأخيرة كان هناك العديد من الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة الاتصال المتعدّد القنوات أثناء النشاطات الخاصة التي تُقرّب الرضيع من أمه. وعلى مستوى هذا الميدان بدأت في الظهور أعمال فريق

Le Camus، وهذا أدى إلى تمييز أربعة سلاسل لمواقف اعتيادية في الحياة: الوجبة، التغيير، الإمساك (Holding)، الحمام.

أ- موقف التغذية:

إنّ النشاط الحيوي للرضيع تمّ دراسته من أوجه مختلفة، وهنا سيتمّ تحديد ذلك بتوضيح جوانب التفاعلات السلوكية في حالة الرضاعة الاصطناعية بالرضاعة وفي حالة الرضاعة الطبيعية من الثدي.

فيما يتعلّق بالوجبة التي تُعطى بالرضاعة سنستند إلى العمل الذي قدّمته I. Lézine ومساعداتها Cortial C. و Robin.M، وكان ذلك في مصلحة الأمومة في إحدى نواحي باريس، حيث قامت الباحثات بمضاعفة الملاحظة المباشرة لتصرفات الأمهات والرضع (كانت الملاحظة بالعين المجردة في هذه الدراسة) وتسجيل إيقاع الامتصاص. عدد العينة المدروسة يتكوّن من 72 ثنائية: "إمّا أمّهات لأول مرّة وعددهم 33، أو أمّهات للمرّة الثانية (أي إنجاب طفل ثاني)، والرضع كانوا من كلا الجنسين (32 بنت و40 ولد). عدد من الثنائيات تمّت متابعتهم طيلة أسبوع الإقامة في مصلحة الأمومة، وثنائيات أخرى لم تتمّ رؤيتهم سوى مرّة واحدة" (J. In LE CAMUS, 1985 : 28). كان وصف المظاهر والاتجاهات الأمومية انطلاقاً من ثلاثة معايير (الاتجاه الجسمي للأمّ، ألفاظها، تقنيات رعاية الطفل)، أمّا الملاحظات العيادية تعلّقت بكلّ الفئات الثلاث (أمّهات بمظهر صارم، أمّهات بتصرفات غير مترابطة ومشوشة، أمّهات باتجاهات مرنة ومنسجمة)، وتمّ الاحتفاظ بالمعطيات المهمّة المفيدة حول تأسيس التفاعل في أثناء التجارب الغذائية الأولى. بداية تمّ ملاحظة تنافر وعدم مطابقة بين الإيقاعات الخاصة بالطفل والتسهيلات أو الإرغام الممارس من طرف الأمّ وكان ذلك لدى الإناث أكثر من الذكور، وكان بشكل أكثر لدى الأمّهات لأول مرّة (كنّ قلقات أكثر) مقارنة مع الأمّهات لثاني طفل. يبرز أيضاً أنّ "بعكس ما هو موجود في عالم الحيوان لا يظهر أنّه يوجد نموذج فطري لاتجاهات الأمومة لأنّ القليل فقط من الأمّهات لأول مرة اللاتي يجدن على الفور وبطريقة مرنة ومهارة الحركات التي يجب حمل الرضيع بها، التعامل معه يدوياً، العناية به، تهدئته وإشباع حاجاته

بطريقة مباشرة ومشجعة" (28 : In LE CAMUS . J, 1985). وإذا حاولنا توضيح ما سبق فإنّ تعلق الأمّ بطفلها يظهر كبناء تدريجي وليس أبدا كمظهر لغريزة معروفة، وقد تمّ التأكيد في النهاية على أنّ هناك ثلاثة عوامل تلعب دورا مهمّا في تأسيس العلاقات المتبادلة الابتدائية: "شراهة أو نهم الطفل، نشاطه البصري والإمكانات العضلية الحركية لكلا الشريكين" (28 : In LE CAMUS . J, 1985)، ونخرج بخلاصة من هذه الدراسة ألا وهي أنّ: "الاتفاق بين الرضيع والأمّ يتخذ وقتا للتكوّن، وغالبا ما يكون مليء بسوء التفاهم والخلافات" ( : LE CAMUS . J, 1985 : 28).

هناك دراسة أخرى أُقيمت على التفاعل في غضون الرضاعة الطبيعية من الثدي من طرف كلّ من Cukier و F - Memeury و I . Lézine و Ajuriaguerra في مستشفى في باريس<sup>(1)</sup>. ضمّت عينة الدراسة 77 ثنائية تمّ تصويرهم مرتين أو ثلاث مرات، وكانت الأمّهات اللاتي تمّ اختيارهنّ أمّهات لأول طفل، وكان هناك 45 بنت و32 ولد. وكانت النتائج بداية ترتبط بتوضيح نموذجية ووضعية الرضاعة التي تكون من خلال تناسق معيارين اثنين هما تصرف الأمّ وقابلية ردّ فعل الطفل: "وضعية جسم الطفل ملائمة تُفضي إلى وجبة هادئة، هذه الوضعيات الملائمة تُكفّل الأمّ جهدا لتسمح بوجبة مُرضية للطفل، وضعيات غير ملائمة تجعل التكيف المتبادل مستحيل" (29 : In LE CAMUS . J, 1985). لكن في حالة الرضاعة الاصطناعية بالرضاعة لا يوجد بالضرورة ملائمة مباشرة لكلا الوضعيتين سواءً للأمّ أو الطفل.

ب- موقف التغيير أو التبديل:

إنّ فريق I . Lézine اختار دراسة موقف آخر خاصّ ومميّز بحياة الرضيع، إنّه يتمثّل في التلبس أو بمعنى آخر التغيير (يشمل الملابس والحفّاظ): ضمّت العينة 25 طفل موضوعين في روضة، 13 بنت و12 ولد تمّت متابعتهم منذ سنّ ثلاثة أشهر إلى غاية عشرة أشهر، حيث تمّ تصويرهم بمسجّلة تلفزيونية في اللحظات التي تقوم

(1) مستشفى Porte royal .

فيها الأمّ (أحيانا الأب) بنزع ملابس النهار الخاصة بالروضة واستبدالها بملابس المدينة كما يُسمّونها، يبدأ المشهد في نهاية النهار داخل قاعة لتغيير الملابس، حيث يتمّ وضع الطفل فوق طاولة التغيير. كانت النتائج كالتالي:

بداية لقد تمّ "تأسيس قائمة لإشارات الاتصال، وذلك من خلال توضيح ما هو رمزي في التسجيلات (التوقّف عند الصورة كل 15 ثانية)، وقد تمّ الاحتفاظ بالسلوكات الخاصّة بالطرف الأول أو الآخر لكلا الشريكين، والتي أدّت إلى إطلاق تحوّلات حسّاسة اتجاه الآخر سواء فيما يتعلّق بالتنشيط والتفعيل أو الكف" (In LE CAMUS . J, 1985 : 29).

من جهة الراشد تضمّن القاموس خمسة فئات: "إيماءات، إصدارات شفوية، التواصل مع جسم الطفل، استعمال موضوع (Objet) من أجل إقامة أو توقيف علاقة مع الطفل، استعمال حركية الطفل للتنشيط أو الكف من أجل إمّا إقامة أو الحفاظ أو توقيف الاتصال" (In LE CAMUS . J, 1985 : 29). أمّا من جهة الطفل: "الإيماءات، إصدارات شفوية، البحث عن التواصل مع جسم الراشد، استعمال أو تقليب موضوع معيّن، استعمال الحركية أو القوّة المحرّكة في الاتصال، النظر، نشاط فمي، وتفريغ حالات الضغط والتوتر" (In LE CAMUS . J, 1985 : 29). إنّ هذا العدد المرتفع للفئات المذكورة سابقا ينمّ عن فرصة تحليل الثراء والتعدّد في الكيفيات والطرائق المتعلّقة بمواقف الحوار.

كما لاحظ فريق البحث كذلك أنّ: "كمية التبادلات بين الطفل والراشد تبقى في تزايد إلى غاية سبعة أشهر، في الشهر الثامن يكون هناك انخفاض خفيف لعدد التبادلات (اختلاف ناتج عن تحوّل نشاط الطفل)، في تسعة أشهر يُلاحظ تقدّم وتدرّج الذي يبلغ حدّه الأقصى في عشرة أشهر" (In LE CAMUS . J, 1985 : 30).

كما تمّ الاهتمام بطبيعة الإشارات المرسّلة من أجل تلقين التبادل أو ما يُسمى بالإصدار أو من أجل الاستجابة، فلاحظ أنّ بالنسبة للراشد كانت الإشارة اللفظية هي الغالبة في الإصدار وفي الاستجابة، أمّا بالنسبة

للطفل فإنّ النظر هو الذي كان مهيمنا في كلا الحالتين (الإصدار والاستجابة). ومن أجل تركيب وتلخيص هذه النتائج، سنقوم بعرض ما هو مهمّ وأساسي في خلاصة قَدَمها فريق البحث: "الطفل في البداية يُحرّك إشارات من أجل أن يتواصل مع الراشد الذي لديه القدرة والاستعداد للابتعاد، إنّه يختبر لذّة ومتعة أن يُحمَل، أن يُلمَس في أماكن مختلفة في جسمه، وبتعزيز قليل لهذه المتعة فإنّه سيبحث على من يزوّده بعروض مهمّة والتي تدور حوله، ثمّ استعمال الراشد كركيزة ودعامة لحركاته أو كوسيلة للحصول على موضوع (Objet)" ( : 1985 . J, In LE CAMUS . 30).

ج- موقف الإمساك (Holding) والمعالجة باليد (Handling):

من خلال أثر أعمال Winnicott . D.W و Ajuriaguerra . J فإنّه قام باحثان من فريق Le Camus وهما J . Plandard و S . Héry بدراسة الاتصال متعدّد القنوات في أثناء حمل الطفل (Portage) أو المعالجة باليد أي رعاية الطفل (الإطعام والتغيير والمداعبة) التي تسبق وتلي وقت الحمام. هناك ثنائيتين تمّ متابعتهما خلال أربعة أشهر داخل المحيط العائلي الاعتيادي: أمّ لأول مرّة سنّها 28 سنة وولدها سنّه أربعة أشهر، والثنائية الثانية أمّ لأول مرّة أيضا تبلغ من العمر 24 سنة وولدها سنّه خمسة أشهر. الثنائية الأولى تمّ ملاحظتها في بداية فترة ما بعد الظهر، والثنائية الثانية في نهاية فترة ما بعد الظهر. كانت مدّة حصص الملاحظة تتغيّر حسب الأيام، بين 10 و 30 دقيقة، وكل ثنائية تمّ ملاحظتها 17 مرّة، بمعدّل حصّة في الأسبوع، خلال أربعة أشهر من البحث النشط. وخلاصة هذا العمل كانت: بعد إنشاء قائمة سلوكية خاصّة بكلّ من الشريكين (جمعت اختبارات وأسئلة وبنود خاصّة بكلّ أمّ وبكلّ طفل، وخاصّة بأربعة أشهر من الملاحظة) أراد الباحثان أوّلا معرفة كيفية تطوير بشكل كمّي إنتاج ثلاث فئات المحصية في 17 حصّة: نظر وإيماءة نحو...، إصدارات صوتية في حضور...، تواصل مع...، ويُمكن أخذ مثال الثنائية الثانية التي يُمكن تقديم من خلالها إثباتات مهمة: "إذا قارنّا أهمية القناة اللمسية الحسية الحركية مع القناتين الاثنتين الأخرى، نلاحظ أنّ طيلة الأشهر الأربع من الملاحظة فإنّها هي القناة الأكثر استعمالا لدى الأمّ والأقلّ لدى

الولد" (31 : In LE CAMUS . J, 1985). فضلا عن ذلك، عند محاولة متابعة الرابط بين القناتين الاثنتين الآخرين، يتم إدراك أنه لدى كلا الشريكين التبادلات اللفظية تصير نسبيا عديدة مقارنة مع التبادلات الإيمائية-البصرية انطلاقا من الحصة 12 (الشهر الثامن للطفل الثاني): يحدث ذلك كما لو أنّ الحوار السمعي الصوتي يتقدم بجلاء الحوار البصري. في الحالة المدروسة، لوحظ وسُجّل أيضا أنّ ارتفاع السلوكات الصوتية/اللفظية لا تترافق لدى الأمّ الثانية بتراجع للسلوكات اللمسية-الحسية الحركية: "إذن يحدث الأمر كما لو أنّ ما بين خمسة وتسعة أشهر، الحوار العضلي يبقى باستمرار موظّف أو مستثمر من طرف الأمّ (رغما عن تذبذبات وتقلّبات صغيرة من حصّة لأخرى)" (31 : In LE CAMUS . J, 1985).

قام الباحثان مع كلّ ثنائية باختيار الحصة الأخيرة من الشهر من أجل القيام بتحليل للتبادلات أثناء وحدة تصويرية مدّتها ثلاث دقائق والتي كانت بعد الحمام ومنذ بداية التغيير. "أثناء تلبسها لطفلها دون النظر إليه، تتكلم الأمّ بشكل تعجّبي وتُظهر موضوع (Objet) لطفلها، هذا الأخير لا ينشغل بأمّه، هذه الأخيرة تُطلق الموضوع داخل الحوض من أجل جلب انتباه الطفل. عندما لا تتمكّن من ذلك، تنظر إلى يديها، دون الانشغال للحظة واحدة بالرضيع الذي يُواصل الاستمتاع وحيدا. ولكن بسرعة ترجع للحديث من جديد مع الطفل الذي يبقى أصمّا لتحريضاتها والتماساتها. عندما تبدأ بتلبسه وهو ينظر إليها وإلى ما تفعله يبدأ بالتأوّه والتشكّي بلا مبرّر. فورا تستجيب له الأمّ بالكلام خلال عشرة ثواني لكن الطفل يعود للعب بالموضوع (Objet)، (...) الولد يستدير نحو أمّه التي تقوم بتلبسه وينظر إلى ما تفعله، الطفل يحاول الدوران والعودة نحو الحوض. تستجيب الأمّ فورا من خلال إصدارات صوتية، وفورا يُوقّف الطفل تصويته ويهتمّ بالحوض، في حين تُواصل الكلام خلال عشرة ثواني أخرى" (In LE CAMUS . J, 1985 : 31). هذا ما قدّمه الباحثان كمثال لإحدى الأمّين من الدراسة التي قاما بإجرائها.

د- موقف الحمام في المسبح:

ما سنقدمه في هذا العنصر هو غير متاح في مجتمعنا ولكن ارتأينا إلى ذكر ما ورد من دراسات حول الممارسات الأمومية والعلاقة أم-طفل وفقا للأبحاث التي قام بها فريق البحث لـ J . Le Camus في فرنسا. لقد تم إنشاء في هذا البلد الأخير نادي "الرضع السباحين" الذي من خلاله استطاع هذا الفريق الاهتمام ببنية وتطور التفاعلات أم-طفل في وسط مائي.

تم في هذه الدراسة متابعة ثنائيات عديدة في السنة الأولى من حياة الأطفال، حيث أُجريت ملاحظة بالعين المجردة من قبل كلٍّ من Azema . C و Derribère . P (1981)، وكذلك تم استعمال آلة تصوير من أجل إنجاز فيلم وثائقي تحت عنوان "من التبعية نحو الاستقلالية" المعد من طرف C. Deplly و S. Torregrosa (1982). في الحالة الأولى كان "الرضع من جنس ذكري تراوحت أعمارهم بين 3 أشهر و 26 يوم، وكذلك 5 أشهر و 28 يوم وذلك في الحصة الافتتاحية" (33 : In LE CAMUS . J, 1985). في الحالة الثانية كانت تتعلق "بفتاة صغيرة تبلغ من العمر 4 أشهر و 9 أيام عندما بدأت ملاحظتها" (33 : In LE CAMUS . J, 1985)، و كل طفل من هؤلاء كان مُرافقاً بأمه وكان حضور الأب استثنائياً.

كانت الفائدة من هذه الدراسة ترتبط بالتطور العصبي-الحركي للطفل الصغير المستفيد من الرعاية المباشرة من طرف أمه وغير مباشرة من طرف منشط في النادي (سعى الباحثان إلى جعل الطفل يكتسب تدريجياً وضعية عمودية داخل الماء ثم القدرة على التوجه في كل الاتجاهات، وأخيراً الدفع والسير بوسائله وإمكانياته الخاصة). سمحت هذه الأبحاث بتوضيح قائمة السلوكيات الأصلية التي تتمثل في الوسائل المعتادة للاتصال (النظرات، الإصدارات الصوتية واللفظية، الإيماءات الحركية، التواصل الجسدي) والتي تواجدت في السياق المائي، إلا أن هذا الأخير لا يخلو من موقف الغرابة وتوقع الخطر، الأمر الذي يُؤدّي إلى الإفراط في سلوكيات الطمأنينة والتهديئة التي تعتمد بالدرجة الأولى على الحوار اللمسي-الحسي-الحركي والحوار السمعي-البصري: "الرضيع بحاجة إلى التهديئة



والطمأنة والتشجيع وشدّ العزم من خلال التواصل بالنظر، بالصوت، اليد وحتى جسم أمه، وهذه الأخيرة تظهر منتبهة إلى إيماءات، حركات، إصدارات فموية-حلقية لطفلها" (In LE CAMUS . J, 1985 : 33). كما أنّ الماء واللوازم والمعدات الموضوعة تحت تصرف الثنائيات<sup>(1)</sup> كلّها تحثّ أيضا على سلوكات الاتصال من خلال الموضوع المتعدّد: "اللعب بالماء (الرشّ، التبليل بالماء، تغطيس جزء من الجسم)، اللعب داخل الماء (بواسطة عوامة (Bouée)، ساعدة (Brassard)، بساط وأشياء عائمة، مسباح (Palme)، مزلقة (Toboggon)، ...)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 33).

هناك فائدة أخرى لهذه الدراسة وهي مهمّة وتتمثّل في السماح بمتابعة سيرورة الانفصال/التفردية (Séparation/individuation)، التي تُميّز التطوّر المبكّر للطفل داخل ظروف خاصّة المتعلقة بحوار لعبي داخل وسط مائي. كانت الملاحظة غير متواصلة (من أسبوع لأسبوع) وقصيرة المدّة (امتدّت الحصّة من عشرات الدقائق في البداية وحوالي ساعة تقريبا في نهاية الفترة الخاصّة بها)، لكن امتدّت الوحدة التصويرية لمدّة أطول كفاية (5 أشهر لكلا الولدين، 14 شهرا للبت) من أجل استخراج خلاصات أساسية وجوهرية. بالإضافة إلى التعاقب المتكرّر لسلوكات الطمأنة/الحماية والاستكشاف/المراقبة عن بعد التي تُميّز كلّ حصّة، حيث كان الاهتمام مُنصبّ على تقدّم وارتقاء الطفل إلى الاستقلالية: "كلّما تعزّزت ثقة الأمّ في طفلها كلّما تعزّزت ثقة الطفل في أمّه (وفي ذاته كذلك)، وكان المراد تطوير علاقة ثنائية من التبعية المتبادلة إلى غاية الاستقلالية الكاملة تقريبا" (LE CAMUS . J, 1985 : 33-34).

من بين ما لوحظ في هذه الدراسة هو وجود قلق أولي لدى الشريكين، الذي اختلف وتنوّع في حدود واسعة النطاق تبعا لطبيعة الروابط التي تُوجّد الأمّ والطفل خلال الأشهر الأولى من الحياة الهوائية وتبعا للرفاهية المائية (تبعا للوسط الهوائي والمائي)، بالنسبة لكلّ الحالات كانت الحصص الأولى معاشة في حالة من اليقظة والتنبّه الزائد،

(1) نقصد بالثنائية : أم-طفل

الفضول المقلق، وحتىّ الفهم والإدراك الذي يبدو في تصرّفات الاقتراب الجسمي والتنبيه الحسي المفرط أو الاستثارة الحسية الزائدة. على مرّ الأسابيع يرتفع البعد العلائقي، يُلاحظ تناقص مراحل التواصل الحميمي التي كانت متواترة قبلاً، انخفاض عدد قنوات الاتصال وكذا السبل الحسية الخاصّة بالاقتراب والدنو، تدرجياً يتحرّر الطفل من الحضور اليقظ للأمّ من أجل الوصول إلى حالة من الاستقلالية الجسمية والحركية. يُلاحظ في الأخير انفتاح الثنائية شيئاً فشيئاً على المحيط المتمثّل في الأشياء والأشخاص (الثنائيات الأخرى المتواجدة في المسبح): "هنا في الهواء الطلق يكتسب الطفل تواجداً منفصلاً مؤقتاً. كما يصبح الحمام المسبح نشاطاً ممتعاً ومشتركاً، حيث يلعب الطفل لوحده أو مع مرافقين صغار مثله، في حين تنشغل الأمّ بالحديث مع أمّهات أخريات مع ممارسة حراسة متقطعة ومتناوبة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 34).

#### 1-2-2- دراسة التفاعل المستمر :

هناك العديد من أطباء الأطفال والمختصين في مجال نمو الطفل الذين أثروا حقل المعرفة حول العلاقة أمّ-طفل، وذلك من خلال تقديم الملاحظات وتحليل السلوكيات التفاعلية، وهذا ما أثبت أنّ الرضيع يستقبل الرسائل الآتية من المحيط أو من داخله ويستجيب لها مبكراً جداً، فهو كائن فعّال بحيث إصداراته تجعل الأمّ تُشكّل وتُكيّف سلوكها حسبما يرغب فيه الرضيع، وهذا يُشير إلى أنّ العلاقة الثنائية أمّ-طفل هي علاقة تأثير وتأثر.

#### أ- إبتكار كفاءة الاستقبال والاستجابة:

وإنّ كُنّا أشرنا إلى هذا في عنصر سابق إلا أنّنا نريد الذهاب أبعد من ذلك، فالمولود الجديد حيّر وأدهش العلماء والباحثين لاستقباله للرسائل، ولإبتكار استعداداته لالتقاط، دمج، معالجة وتخزين المعلومات التي يُرسلها له من يعتني به. ومن بين العلماء الذين اهتموا بتوضيح ذلك ودراسته نذكر: Stern . D، Schaffer .R، وكذا إسهامات كلّ من: Meltzoff . A.N، Sander . L.W، Condon . W.S، Brazelton . T.B.

منذ أن أسس Brazelton . T.B سلّمه الخاصّ بتقييم التصرفات أثناء وبعد الولادة مباشرة (1973) إلى غاية مراجعته للمعارف حول الإبداع في التفاعل (1982 و 1983)، فإنّه قام بالمساهمة بقوة في إظهار أنّ المولود الجديد لا يُمكنه أن ينحصر في مرّكب المنعكسات البدائية الكلاسيكية (الخاصة بمرحلة الطفولة الأولى). ضمّ هذا السلم "27 بند سلوكي، البعض منها يكشف درجة ونوعية ردود الفعل الخاصّة بتوجّه الرضيع استجابة لمثيرات بصرية وسمعية (...)، وأخرى حول ردود الفعل العضلية عندما يتمّ حمل الرضيع أو تحريكه (...)، وأخرى أيضا تخص ردود الفعل التي تستند إلى اليقظة (...)، إلى المزاج (...)، إلى الهدوء والسكينة (الذي يكون إمّا عن طريق الغير أو بشكل ذاتي)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 35). هذا السلم الذي تمّ استخدامه من طرف البعض في المراكز بالولايات المتحدة الأمريكية يُشكّل أداة تقييم التي ساهمت في إحداث ثورة في مجال نمو الطفل، لأنّه "في التراث العصبي وكذا السيكلولوجي لم يكن هناك اهتمام بالنمو وكيفية حدوثه إلا بعد الدخول في الوظائف على المستوى القشري في الدماغ بمعنى بعد ثلاثة أشهر" (LE CAMUS . J, 1985 : 35).

في نفس السياق قدّم باحثان من جامعة Boston وهما Sander . L.W و Condon . W.S كشفًا آخر، حيث قاما بفحص 16 رضيعا منهم 14 كان سنهم 12 ساعة إلى 48 ساعة، وأظهرا من خلال ذلك أنّ المواليد الجدد في اليوم الأول أو الثاني قادرون على الاستجابة إلى كلام الراشد من خلال إظهار بشكل متزامن ردود فعل حركية لأجزاء مختلفة من الجسم. كما أنّ تكبير الأفلام المصوّرة سمح بالكشف أنّ: "الألسنية التزامنية<sup>(1)</sup> التفاعلية تنتج عند جعل الرضيع يسمع كلاما إنسانيا (الذي يصدر عن مسجّل صوتي أو عن شخص في حدّ ذاته، سواء فيما يتعلّق باللغة الإنجليزية أو حتى اللغة الصينية)، لكن لا يتمّ ملاحظة ذلك إذا تمّ استبدال الحديث بأصوات منعزلة أو ضوضاء وأصوات ضرب منتظم أي ذو إيقاعات منتظمة. هذه القدرة للاستجابة إلى الكلام الإنساني ليست دائمة، كما أنّها تتطلب درجة عالية من اليقظة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 35).

<sup>(1)</sup> synchronie مجموع الظواهر اللغوية التي تشكّل نظاما معينا في فترة محدّدة من تطوّر لغة ما.

نشير أخيرا إلى أعمال Meltzoff . A.N حول التقليد المبكر (Imitation précoce)، الذي كشف في أواخر السبعينات أنّ المواليد الجدد الذين يبلغون بين 12 إلى 21 يوم يستطيعون إنتاج إيماءات الراشدين من "إخراج اللسان" أو "رسم دائرة بالفم". ويُعتبر هذا التقليد تنظيما أو مجموعة من الإيماءات أنتجها نموذج متميز عن الرضيع وأعاد هذا الأخير إنتاجها، ويكون ذلك بشكل عفوي وعاطفي، وهذا كلّه يعني أنّ هناك رسالة واستجابة. قدرة الرضيع هذه على إعادة إنتاج الإيماءات المنتجة من طرف الراشد تم إبرازها في أعمار مبكرة جدا من طرف Dunkeld . J (أقل من أسبوع) أو Amiel-Tison . C و Altami . E (45 دقيقة)، وأيضا من طرف Zazzo R . الذي منذ 1945 اكتشف ظاهرة التقليد الحسي الحركي بعد الولادة مباشرة لدى ابنه: "في 1945 اكتشفت للمرة الأولى باندهاش أنّ ابني، الذي يبلغ 21 يوم، يُقلدني عندما أخرج لساني. أقول باندهاش لأنّه علمت في السابق أنّ ذلك غير ممكن قبل سنّ 3 أشهر (...)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 35-36).

ب- أهمية نشاط الطفل:

إنّ للمولود الجديد القدرة على رد الفعل، ويتفاعل مبكرا جدا مع المحيط من خلال الرسائل التي يعيها إلى شركائه بفضل نشاط عفوي، الذي سنقوم بحصره وذكر كفاءاته وطرقه وكذلك شدته. سنُعطي لمحة تركيبية لهذا النشاط بالاستناد على تأليفات Brazelton . T.B و Stern . D، لكن قبل ذلك سنشير إلى مفهوم حالة (Concept d'état). إضافة إلى قابلية ردّ الفعل فإنّ نشاط الطفل مضبوط بشدة ودوريا بما يسمى حالة الطفل (Etat de l'enfant)، بمعنى مستوى اليقظة والاستثارة التي يتواجد بها الطفل. هناك العديد من التصنيفات المقترحة، من بينها تلك الخاصة بـ Wolff . P.H أو Prechtl . H.F.R و Benteima . D.J، وسنقدّم هنا وصفا مختصرا جدا وأكثر حداثة لـ Brazelton . T.B. ميّز هذا الأخير بين أربع حالات هي:

\* النوم العميق: "يكون التنفس منتظم وعميق، جفن مغلق بثقل، ظهور هزة قصيرة لمدة قصيرة تُؤدّي إلى تحريك جزء من الجسم (...)", تتحرّك الأصابع عشوائيا، لا الضوضاء ولا التغيرات المفاجئة في الإضاءة تبدو مزعجة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 36).

\* النوم الخفيف: "يكون التنفس غير مستقرّ، تارة متقطّع وتارة أخرى منتظم، ونلاحظ عليه تدخّلات صغيرة عشوائية لحركات المصّ. يُلاحظ تحبّط وتحرك للجفون، يُمكن رؤية العينين تتحركان بنشاط وحيوية للأعلى والأسفل ومن جانب إلى آخر (...). يكون الرضيع في الغالب متهيج من خلال هزات مقارنة بالنوم العميق (...). إذا تمّ التحدّث معه بهدوء أو تمّت ملامسته بلطف ينتقل عموما إلى حالة أكثر يقظة. إذا قامت الأمّ بتهدئته وأرجحته يبدأ في الاستقاز" (In LE CAMUS . J, 1985 : 36).

\* حالات الإنذار (Etats d'alerte): وهذا الجمع يدلّ على أنّ ذلك يختلف حسب الدرجة من حالة لا نشاط ولا فاعلية لليقظة (حيث تكون العينين مفتوحتين، وجه ساكن غير متحرك، مظهر الرضيع يُشير إلى حاجته للمحيط) إلى حالة النشاط اليقظ (وتكون العينين مفتوحتين، حركات تمسّ كلّ الأطراف)، وإلى غاية البكاء والهيجان. أسند Brazelton . T.B العديد من الوظائف إلى البكاء: "من جهة يُساعد الرضيع على الانعزال عن العالم الخارجي (دور الحماية)، ولكن أيضا يُنادي على استجابات وردود فعل محدّدة للأشخاص الذين يهتمّون بالرضيع (دور الالتماس والتحريض). ويقوم بتفريغ الطاقة التي يُحتمل أن تُؤدّي إلى ردود فعل غير منتظمة ومشوشة (دور التنفيس)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 36). وبطبيعة الحال إنّ الإنذار عند الاستقاز هو الأكثر ملاءمة لتنظيم والتحكّم في سلوكات الاتصال التي تمّ ذكرها سابقا.

\* التعوّد (Habituation): إنّ مجيء الرضيع خاضع لقدرته على مقاومة المنبهات التي تُجبره على ردود فعل التي تستلزم الكثير من الأنظمة أو الأجهزة الفيزيولوجية غير الناضجة. تسمح له هذه القدرة على الرفض والمقاومة بحماية نفسه من المنبهات المُشوشة والمزعجة: "قدرة الرضيع في يومين أو ثلاثة أيام على التلاؤم مع العالم الذي يُحيط به

من خلال الميكانيزم المتمثل في التعود هو مدهش فعلا. هذا الاستعداد على إقصاء ما لا يُريد الاهتمام به يمنحه كل الحرية لاختيار المنبهات التي يُريد الاستجابة لها" (In LE CAMUS . J, 1985 : 37).

إذن اعتمادا على هذه التشكيلة من حالات الوعي تأخذ النشاطات-الرسائل الخاصة بالرضيع مكانها، وهنا يُمكن الإشارة إلى أربعة كفاءات التي تُميز نشاطاته وقدراته.

بالرغم من أنّ هذه القدرات غير ناضجة بعد، إلا أنّ الوسائل التي يُعدها الطفل من أجل التنبيه وتشكيل استجابات المحيط هي معتبرة في الأيام والأسابيع الأولى من الحياة الهوائية<sup>(1)</sup>. يقوم الرضيع بالاستجابة للوجه الإنساني والذي يُعتبر أكثر أهمية من أي مثير بصري آخر، وفي حدود الأسبوع السادس يُصبح قادرا على "تثبيت ومتابعة وجه أمه (...)" التي يكون لها ولأول مرة إحساسا على أنّ طفلها ينظر إليها، بل وأكثر ينظر إليها في عينيها" (LE CAMUS . J, 1985 : 37). كما أنّ في نهاية الشهر الثالث يُصبح الطفل قادرا على "متابعة أمه بالعينين عندما تتعد وتتحرك داخل الغرفة" (LE CAMUS . J, 1985 : 37).

لقد تحدّثنا سابقا عن التمييز البصري للوجه الأمومي، وأهمية التواصل عين-عين في الأيام الأولى والأسابيع التي تلي الميلاد، كما أنّ الرضيع لا يقتصر مبكرا على استقبال وتسجيل الاستجابة بعينه ولكن أيضا يُميز ويختار ويستثير سلوكيات الاستجابة لدى الآخرين.

هناك كفاءة أخرى للنشاط ألا وهي حركات الرأس، حيث تأخذ هذه الأخيرة أهمية خاصة جدًا لأنّها تكون مُفسّرة من طرف الأمّ. قام Stern . D (1981) بوضع جدول يضم ثلاث وضعيات أساسية: أولا في الوضعية المركزية "ينظر الطفل إلى وجه أمه ، ووجهه يكون مقابلا لوجه أمه أو إلى الجانب قليلا فقط. رؤيته في هذه اللحظة

(1) بعدما كان في حياة مائبة في الرحم.

نقريّة (Fovéale) (وظيفة هذا النوع من النظر تحليل مفصّل ومحدّد للمنبّهات البصرية) " ( . In LE CAMUS . J, 1985 : 37).

الوضعية الثانية تسمح بالرؤية المحيطية: "لا ينظر الطفل لأّمه مباشرة، ولكن يُمكنه رؤيتها من طرف العين، يكون رأسه مُوجّهًا من 15° إلى أقلّ من 90° بالنسبة إلى وجه أمّه. هنا ليس للطفل رؤية نقريّة ولا يُمكنه تمييز مظهر وشكل سمات وجه أمّه، ولكن لديه رؤية محيطية. لقد أهمل إدراك الأشكال لكن احتفظ بذلك الخاصّ بالحركة، السرعة والوجهة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 37).

الوضعية الثالثة تتمثّل في "إهمال كُليّ للتواصل البصري، وهذه تحدث عموماً عندما يُدير الرضيع رأسه أكثر من 90°، أو عندما يخفض رأسه للأسفل أو عندما يقوم بهما معاً. في هذه الوضعية يفقد إدراك الأشكال والحركات" (In LE CAMUS . J, 1985 : 37).

كلّ واحدة من هذه الوضعيات لها وظيفة دلالية محدّدة: النظر للأّم في العينين هو دعوة لها إلى علاقة ضيقّة محصورة، النظر للجانب هو علامة مبهمّة حاملة للغموض، إدارة الرأس إلى الجانب هي تقريبا دائماً تُفسّر كإشارة للهروب أو النفور، وخفض الرأس هو كذلك سلوك فعّال للتجنّب وتوقيف الحوار. وعلى مرّ الأشهر، يظهر تنظيم آخر مُولّداً ومخلفاً إشارات وعلامات أكثر تعقيداً، والتي لا تغفل الأمّهات المتيقّظات عن تفسيرها وتأويلها، والتي من خلالها تستجيب بأشكال ومظاهر متنوّعة أكثر وأكثر. لقد تطرقتنا سابقاً من خلال معالجة الاتصال اللمسي الحسي الحركي إلى أنّ نشاط الإصدار للطفل الصغير لا يتحدّد فقط بإنتاج وضعية الجسم وحركات الرأس: "وضعية الجسم التي يتبنّاها الطفل عندما يكون محمولاً (بالاستناد، الابتعاد أو الالتحام) والحركات التي يُؤدّيها (سواء في اتجاه الابتعاد أو الاقتراب) تُشكّل كلّها سلوكات سيميائية (Sémiotiques) التي تدمج وتستخدم استجابات الأم" (LE CAMUS . J, 1985 : 38).

بالنسبة لإنتاج الإشارات والعلامات المرتبطة بوضعيات وحركات الذراعين واليدين وحتى الأطراف السفلية فإنّه وإن كنا لمّحنا إليها سابقا، إلا أنه يبقى هناك نقص في الاهتمام بها ودراستها دراسة منهجية ومعتمّقة من طرف العلماء.

يجدر بنا هنا أيضا الإشارة إلى أهمية النشاط الإيمائي والمتمثّل في التعبيرات الوجهية. يعلم الجميع منذ ما قدّمه Darwin أنّ الانفعالات الأساسية للمولود الجديد (المتعة، تدمّر واستياء، غضب، سعادة، حزن وكآبة، نفور وكره) تتميّز من خلال نماذج إيمائية التي تُعطيها الأم دلالة وفي الغالب استجابة معيّنة. كما أنّ التعبيرات المبكّرة الأكثر تعقيدا (Stern . D) تحدّث عن الحيلة، الفطنة، دعاية تقطيب الوجه) تكون واضحة ويتمّ فكّ رموزها من طرف الأمّ أو من يحلّ محلّها كبديل، كما يتمّ استدخالها إلى الذات لتصير مميزات وخصائص مبكّرة في تكوين شخصية الطفل (مثلا ميزة هادئ، قلق، متهيّج، محبوب، عنيد، سيء،...). من بين كلّ هذه النماذج الخاصّة بالتعبير، تصبح الابتسامة خارجية المنشأ (أي التي تحدث نتيجة لمنبهات خارجية) بسرعة وسيلة للاتصال التي يعرف الرضيع مواقف استعمالها: "نحو ثلاثة أشهر، يستخدم الرضيع الابتسامة من أجل استشارة استجابات لدى الآخرين (ابتسامة، كلام، تصرّف الأمّ)، يُقال أنّه اكتسب وظيفة أدائية" (LE CAMUS . J, 1985 : 38).

وما دمنا تحدّثنا عن الابتسامة فلا يجب إهمال الضحك الذي وإن لم يحضر عند الميلاد، ولا يبدو أنّه مرتبط بمنبهات داخلية، إلا أنّه يخضع للتطور التدريجي: "إنّه أوّلا استجابة إلى منبهات لمسية في حوالي 4-6 أشهر، إلى منبهات سمعية في حوالي 7-9 أشهر، إلى منبهات بصرية في حوالي 10-12 شهر، لكنّه أيضا سلوك أداتي" (LE CAMUS . J, 1985 : 38).

لقد تمّ دراسة بالتساوي مع ما سبق ذكره تعبير الانزعاج (Déplaisir)، ولاحظ Stern . D أنّ هذه الحالة لا تظهر منذ البداية كذلك وإنّما بشكل تدريجي، وتتمثّل هذه الحالة في: وجه منقفل، عبوس وتقطيب الحواجب الذي يزداد تدريجيا، ثمّ بعدها تنغلق العينان إلى النصف وأعلى الخدين يرتفع ويحمرّ، الشفة السفلى ترتجف، وتكون



الشفتان مسحوبتان إلى الخلف عندما يتم فتح الفم، ثم زوايا الفم تنخفض والرضيع يذرف الدموع. وسواء تعبير المتعة أو تعبير الانزعاج فإنهما يتطوران "من طور منعكس داخلي المنشأ بعد الولادة مباشرة إلى غاية طور سلوك أداتي مروراً بطور وسيط الإطلاق من خلال ظواهر خارجية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 39).

إن استحضار مصطلح البكاء يدفعنا للحديث عن كيفية أخيرة للنشاط التعبيري إنها الصراخ. هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط وظائف الصراخ المعتادة للطلب والمناداة وترجمة الحاجات (حيث يوجد نموذج<sup>(1)</sup> من أجل تحليل أصل هذا الصراخ، مصدره، المنشأ، والذي من خلاله نستطيع تمييز: صراخ الميلاد، صراخ الألم، صراخ الجوع، صراخ الاستمتاع،...)، لكن أيضاً يجب الأخذ بعين الاعتبار الوظيفة المنظمة والمعدلة داخل التفاعل، حيث تم إظهار أنّ طبيعة الاستجابات الأمومية هي تتأثر بتواتر ومدّة صراخ الرضيع. في هذا الصدد كشف كل من Bell . S.M و Ainsworth . M.D.S على أنّ: "انتظام وتناسق وسرعة استجابات الأمّ تسير في المستوى نفسه مع انخفاض تواتر ومدّة البكاء عند الرضيع" (In LE CAMUS . J, 1985 : 39). وبهذا يبدو أنّه من الممكن لـ"إمساك" (Holding) غني وحنون والتميّز بالخصوص بسرعة الاستجابة الأمومية للصراخ أن يؤدي إلى الإنماء لدى الأطفال طرقاً للاتصال أكثر ثراءً وتنوعاً، ويجعلهم أقلّ تبعية، وأقلّ تطلّبا إلى نهاية السنة الأولى: "بالرغم من أنّهم يستمتعون حين يكونون محمولين، إلا أنّهم بالمقابل هم قادرون على ترك أمّاتهم واكتشاف المحيط بطريقة مستقلة" (LE CAMUS . J, 1985 : 39).

ج- إجبارية ضبط العلاقة الثنائية كنظام مطابقة (Obligation d'appréhender la dyade comme un système d'ajustement):

يولد الطفل ومعه القدرة على استقبال وإرسال الرسائل، ولهذا يجب دراسة هذا الجانب داخل شبكة مزدوجة الاتجاه التي تُشكّلها العلاقة الثنائية، والتي هي في الغالب العلاقة أم-طفل، وفي بعض الأحيان أب-طفل، وقد أشرنا

(1) وُضع من طرف O. Wasz-Hockert.

سابقا إلى المواقف الدقيقة والمنتظمة المرتبطة بالاتصال أحادي القناة أو متعدّد القنوات. حاول العديد من الباحثين تنظيم ومنهجة هذه السيرورة الخاصة بالتسوية والمطابقة (أي تطابق طرفي الثنائية) من خلال اقتراح مفاهيم: التبادل والتفاعل من طرف Brazelton . T.D، التفاعل الاجتماعي والرقص من طرف Stern . D، الخطابة (Interlocution) من طرف Schaffer . S، الإمساك (Holding) والمعالجة باليد (Handling) من طرف Winnicott . D.W تفاعل أم-طفل من طرف Ainsworth . M.D.S. وسنفصل هذا فيما يلي:

\* Brazelton . T.B أكد أنّ "المولود الجديد يُشكّل ويُقولب (Modeler) الراشدين الذين يحيطون به تقريبا بمقدار لا يسجلونه هم أنفسهم"<sup>(1)</sup> (In LE CAMUS . J, 1985 : 39).

لا يُمكننا أبدا اعتبار المولود الجديد كأنّه فاقد للحسّ والشعور، فوضوي ولا يتوقع ما قد يحدث، فبعد ملاحظته تبين كما لو أنّه مُجهّز لردود الفعل المتوقّعة ولكلّ المنبّهات الآتية من الخارج، تكون هذه المنبّهات إقنا إيجابية (إذن هي مناسبة للفاعل Sujet)، أو سلبية (وبالتالي غير ملائمة). الفرضية التي انطلق منها هذا العالم هي أنّ "ردود الفعل الخاصّة بالمولود الجديد يُمكن أن تُشكّل استجابات الراشد من أجل تأسيس نظام ردّ الفعل وهو ما يُسمّى بمفعول ارتجاعي مشترك. (...) هنا يكون هناك اندماج لإعطاء حاجة المفعول الرجعي المتماثل والخاصّ بكلا الشريكين في العلاقة الثنائية والد-طفل" (In LE CAMUS . J, 1985 : 39-40).

أشار Brazelton . T.B كذلك إلى كيفية حدوث ما يسمّى بالقبولة<sup>(2)</sup> للشخصية المقابلة للمولود الجديد ولذاته كذلك. كما أعطى العديد من الأمثلة عن الحوارات الشفهية، الإيمائية، وضعية الجسم، الحركية، بين الأمّهات وأطفالهنّ. ولهذا الغرض تحدّث عن "ضرورة احترام الأمّ للحاجات الدورية للانتباه والانسحاب لرضيعها" (In LE CAMUS . J, 1985 : 40).

(1) يُقصد بذلك أن الراشد لا يتمكّن من قولبة الرضيع بنفس المقدار الذي يفعله هذا الأخير.

(2) يقصد بها صنع وتشكيل النموذج الذي يستجيب حسب ما يرغب به الطفل، وكذا صنع نموذج لردود فعله.

\* Stern . D ثابر على ملاحظة وفهم التفاعلات الاجتماعية المبكرة، "المبادلات بين الشخصيات الاعتيادية والمشاركة التي تتأسس بين الطفل وأول شخص منحه الرعاية والانتباه خلال الستة أشهر الأولى من الحياة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 40). لقد جمع الأحداث التفاعلية من خلال تسجيلات في شريط فيديو في منازل المشاركين، وكذلك من خلال أفلام لمدة 16د مجرّدة صورة بصورة، سمحت هذه الأداة بتحليل الأهداف، البنيات ووظائف العلاقة أم-طفل. هذا التفاعل الاجتماعي تم وصفه أولاً كمواجهة وجه لوجه، أين يكون الهدف المباشر منه هو المتعة وتحقيق لذة: هذا الهدف يتم بلوغه شريطة أن النوعية، الكمية ومدّة المنبّهات يكون مُحافظ عليها من طرف الشريكين في حدود ما هو أفضل، ويكون من خلال اكتساب نظام لردّ الفعل المتبادل، والمثال المناسب هنا هو اللعب، واللعب الاجتماعي الذي يكون من خلال حركات لا تتطلب لا لعب ولا قواعد صارمة ومُلزِمة. هذه الفترات من اللعب "تتفرّع إلى وحدتين قصيرتين التي تلي إحداهما الأخرى: وقائع متكوّنة من سلسلة مظاهر ومواقف اجتماعية، حيث يخضع انتشار هذه الأخيرة لدى ثنائي معين لإيقاع الحركة ودرجة السرعة المتوقّعة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 40). بعد ذلك تلي اللحظات التي لا حركة فيها وهي فترات راحة وصمت التي تسمح بإعادة تكيّف التفاعل من جديد. ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ هذه المبادلات تخضع إلى ضبط وتنظيم زمني معقّد للغاية.

إنّ أغلبية حركات وإثارات الأمّ والطفل التي تكون خلال تفاعل لعبي تمتدّ إلى بضع أجزاء من الثانية (من 0.3 إلى 1 ثانية)، وإنشاء الإشارات والحركات يُمكن أن يحدث حسب نموذج مباراة تنس، بمعنى سلسلة من المثيرات-استجابات، و/أو نموذج رقصة الفالس (رقص دائري Valse)، حيث الكلّ يعرف الخطوات والموسيقى عن ظهر قلب ويُمكنه التحرك في نفس الوقت مع الآخر: "القدرة على تقييم وتوقّع الفواصل الزمنية تُحدّد مختلف سيرورات التفاعل الممكنة ولها ارتباط أكيد مع ذلك" (In LE CAMUS . J, 1985 : 40).

يُمكن للأُم والطفل الابتعاد عن الوصلات الخاصة بسلسلة المثيرات-استجابات وتجنّبها، وفي بعض الأحيان يُنشئان معا وصلات تتطلّب معرفة سابقة لأوانها، أو تنطوي على توقّع للتدفّق السلوكي للطرف الآخر. إنّ أغلبية السيرورات الاجتماعية التفاعلية تُؤدّي إلى حركة دقيقة ومنتظمة ومضبوطة خاصّة بالأخذ والردّ بين نماذج التفاعل المختلفة، وذلك بشكل يُبقي التيار التفاعلي دون توقّف وانقطاع. حاول Stern . D الكشف عن طبيعة ومدى قدرات الطفل على التوزيع الزمني للمهام المطلوب تنفيذها، القدرات التي تسمح له بالمشاركة في السيرورات المعقّدة للمبادلات مع المحيط، وكذا تكوين تمثّلات ذهنية داخلية التي تتركز عليها العلاقة: "إنّ المجموع المنظّم من التفاعلات هو الذي يُساهم في توليد الصورة الذهنية المستمرّة، تمثّل الشخص الآخر الذي تستند عليه العلاقة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 41).

إنّ المرور من تفاعل إلى علاقة يبقى غامضا، لكن Stern . D أشار إلى المفهوم الذي يُمكن أن يُساعد في إدراك كيفيات وطرق هذا المرور: إنّه مفهوم وحدة السيرورة بين الشخصية ( Unité de processus interpersonal ). وحدة السيرورة هذه هي ليست بالضرورة أصغر وحدة التي يُمكن أن يَنشُج داخلها حدث تفاعلي دينامي مع بداية، وسط ونهاية. هذه الوحدة تتكوّن من ثلاثة عناصر: تجربة حسية للاستقبال (مع طُرقها المختلفة)، تجربة حركية للنشاط الخاصّ بالرضيع، التجربة العاطفية المرتبطة بالانتباه، الاستثارة والهيجان والانفعال. إنّ وحدات السيرورات تُستدخّل بطريقة منعزلة في البداية، وتدرجيا تترايط من أجل تكوين "تمثّلات أكثر اتساعا وأحسن تنظيما، إنّها الشبكات التي تُعرف بما نسمّيه في المعتاد علاقة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 41).

\* Schaffer .R لم يبتعد عن ميدان التفاعلات أمّ-رضيع، لكنّه اقترب بالخصوص من الرعاية والعناية الأمومية الممنوحة. وهنا سوف لن نقدّم تحليلا للإسهام الذي قدّمه هذا العالم للمعرفة الخاصّة بسلوك الرضيع أو الأمّ باعتبارهما فردين متميّزين ومنفصلين، وإنّما سنذهب مباشرة إلى المفهوم الذي يهتّمنا بالخصوص وفي المقام الأول

ألا وهو الرعاية أو العناية الأمومية (Les soins maternels). وهنا يتم الاهتمام والتأكيد على الحوار الشفهي، وعلى تزامن الصور والأصوات مع استجابات كلا الفاعلين (Sujets): الأم والطفل.

إنّ الطفل وما يُولد به منذ الميلاد من تنظيم وتناسق لأفعال المصّ، البلع، التنفس، يجب عليه أن يندمج بسرعة مع طرف آخر الذي هو الأمّ غالباً، إنّ تلك الوحدة الدينامية هي التي من المفروض أن يُكوّنها كلّ رضيع وكلّ أمّ جيّدة كفاية في أثناء التجارب الأولى للعناية. بعد استذكار أنّ الرضيع يمتلك تكيّف سابق فطري من أجل التفاعل مع الآخرين، حدّد Schaffer . R جوانب بنيوية (جهاز المصّ، الرؤية) وجوانب وظيفية (بالخصوص الإيقاعات السلوكية المبكّرة التي وضّحها W . Condon) لهذا التجهيز من أجل القول أنّ "الإيقاعات الفطرية تأتي بسرعة لتتعدّل من خلال عوامل خارجية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 41). هذا يُعبّر على تأثير الممارسة التي تمّ التطرق إليها من طرف Brazelton T.B و Stern . D، وكذا يُعبّر عن تجربة الحوارات التي تأسّست من خلال تعاقب الأدوار أثناء موقف اللعب الاجتماعي، الرضاعة، الحمام أو التعلّم (مثل الدراسة التي قام بها Kaye . K على رضّع يبلغون 6 أشهر: تفادي حاجز من أجل الحصول على لعبة). كلّ هذا لا يكون بشكل دقيق ومتناسق في البداية، وتعود للأمّ الوظيفة الرئيسية كمنظمة ومعدّلة وضابطة للتبادلات: "إنّها هي التي تنتظر الرضيع حتى يصمت ويدخل في حالة راحة ليكون بعدها التفاعل" (In LE CAMUS . J, 1985 : 41-42).

لا يبلغ الرضيع الحوار الحقيقي إلا بالتعلّم التدريجي للمبادلة<sup>(1)</sup>، وكذلك القصدية، بمعنى القدرة على إرسال إشارات من أجل إدخال شركائه المحيطين به في التفاعل، وليس فقط التعبير عن حالات انفعالية. في هذه النقطة اقترح Schaffer . R أفكاراً لوصف "التقنيات التفاعلية للأمّ"، ووضّح ذلك بقوله: "منذ البداية يكون الرضيع جاهزاً

(1) بمعنى قابلية التبادل للأدوار (ظاهرة تمّ دراستها من قبل Brunner . J ضمن ألعاب اللغة في نهاية السنة الأولى).

لللقاءات الاجتماعية لكن يتعلّق ذلك بأتمه التي تبني هذه اللقاءات بطريقة تساعد وتشجع النمو إلى أقصى حدّ ( In )  
42 : (LE CAMUS . J, 1985). إنّها تستعمل ستة أنواع من التقنيات هي كما يلي:

- تقنيات الطور: بعيدا عن المراقبة والمتابعة، وفرضها تعسفا على الطفل تحرس الأم بشكل مستمرّ نشاطاته بطريقة  
يُمكنها اختيار لحظة تدخّلاتها الخاصّة بالتزامن الدقيق مع نشاطاتها.

- تقنيات تكيفية: تستجيب وتتصرّف الأم كما لو أنّ الرضيع لا يستطيع خلال وحدة من الزمن امتصاص إلا أجزاء  
صغيرة جدّا من المعلومة مقارنة مع الراشد، وكما لو أنّه بحاجة لوقت أكثر من أجل معالجة كلّ واحدة منها قبل  
استقبال التالية.

- تقنيات تسهيلية: تترك الأمّهات بشكل متواتر لأطفالهنّ المبادرة في التفاعلات، ويتركنهم يختارون الاتجاه، في  
حين هنّ أنفسهنّ يكتفين بالمتابعة وتقديم المثير الذي يعتبرنه مناسبا لنشاطات الرضع، ومناسبا للأهداف التي يتوقّعنها  
عنه ويتبنّان بها.

- تقنيات توضيحية: تترك الأمّ بداية للطفل الحرية في تعيين ما يهتمّ به لحظتها، وبعدها تتدخل في نفس السياق  
الذي يتواجد فيه الطفل لتوضّح له هذا الأمر الذي هو مهتمّ به. إنّها تتركه يختار الموضوع (Objet) بنفسه ثمّ تقوم  
هي بالتعليق عليه، وصفه وشرحه.

- تقنيات تمهيدية: بالرغم من أنّ الطفل غالبا هو الذي يبدأ التبادل، إلّا أنّه يوجد دائما ظروف أين الأمّ لسبب أو  
لآخر هي التي تأخذ المبادرة، مع أنّ سلوكها هو مرتبط بالسلوك الخاصّ بالطفل وليس مفروضا عليه تعسفا.

- تقنيات المراقبة: يوجد قطعا مواقف أين يكون من الضروري للأمّ الفرض أكثر على الطفل، مثلا عندما ترغب هي  
في أن يقوم الطفل بشيء ما الذي لا يقوم به هو بنفسه، أو بالعكس، توقفه عن القيام بأمر تعتبره الأمّ غير مرغوب  
به.

بالرغم من أنّ الأمّ تستخدم التقنيات الأكثر فاعلية ونشاطا، إلا أنّ العلاقة التي تربطها برضيعها ليست مبنية على نموذج السيّد والعبء: "تتصرّف الأمّ كشريك برتبة عليا، هي صاحبة الخبرة، الأكثر قوّة والأكثر وعيا، لكن كلّ ذلك بالتكّيّف مع سلوك الطفل" (In LE CAMUS . J, 1985 : 42).

في النتيجة ابتعد Schaffer . R بوضوح عن المخطط التقليدي للتنشئة الاجتماعية-المذهبية<sup>(1)</sup>، فالنسبة له: "التنشئة الاجتماعية هي مسألة ذات معنى مضاعف، ليس معنى واحد مثل التربية، هي بالأساس مسألة مشتركة وجماعية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 42).

\* Winnicott . D.W اهتمّ بالانشغال والاهتمام الأمومي الأولي، وأنّه يجب على الأمّ بلوغ مرحلة مهمّة من الإحساس المفرط من أجل فهم رضيعها، كما أعطى قيمة خاصّة للاهتمامات والرعاية الأمومية، والتي من خلالها يتمّ حماية الطفل، وقد قدّم مصطلحين مهمّين بهذا الخصوص وهما: الإمساك (Holding) والمعالجة باليد (Handling). وقد أشار إلى أهمية المحيط بالنسبة للطفل وبالخصوص الأمّ، فهو يرى أنّ: "الحاجة لمحيط جيّد، مثالي ومُطلق في البداية، يصبح بسرعة نسبيا. الأمّ الجيّدة العادية تكون جيّدة كفاية. إذا كانت جيّدة كفاية فإنّ الرضيع يصبح قادرا من خلال نشاطه العقلي على أن يهدأ ويتغاضى عن نقائص أمّه. إنّ النشاط العقلي للطفل يُحوّل محيط جيّد كفاية إلى مثالي، بمعنى يحوّل النقص النسبي للتكّيّف إلى تكّيّف ناجح. إنها قدرة الفهم للرضيع التي تسمح للأمّ ألا تكون مثالية إلى درجة مطلقة" (In AJURIAGUERRA . J, 1974 : 857-858).

بالنسبة لهذا الباحث إنّ الإشباع هو الذي يقتل الرغبة ويقضي عليها، ويُمكن أن يُلغي الموضوع (Objet)، وهذا هو السبب الذي من خلاله لا يكون الرضّع سعداء دائما، عكس ما يُعتقد في العموم أنّ وجبة جيّدة تكون مُشبعّة لهم، حيث يجب على الأمّ أن تعرف بالحدس طريقة الاستجابة إلى كلّ حاجات طفلها عندما يأتي إلى هذا

(1) أي غرس العقائد والتوجيه.

العالم، ولكن يجب عليها أيضا أن تتعلم كيف تنفصل وتبتعد عنه، وأن تستجيب بشكل أقل إلى حاجاته حتى لا تشبعه وترضيه فوق الحد المطلوب للإشباع، وبذلك تسمح للذات بالتكوّن والعمل. داخل العائلة النووية تعتبر الأمّ أو بديلها كمغذّ ومُطعم لا غنى عنه إطلاقا بالنسبة للطفل، والأمّ العادية "هي التي تقبل الطفل كثمرّة طبيعية، تُطعمه من أجل أن يكبر ويتكامل جسمه، تصبح تابعة له لفترة من الزمن والتي يكون هو نفسه تابعا لها بل وبحاجة إلى هذه التبعية، وتحضّره لاحقا للاستقلالية من أجل أن يُنجب هو كذلك بدوره" ( In AJURIAGUERRA . J, 1974 : 858).

\* Ainsworth . M.D.S اهتمت بدراسة التعلّق والذي يخصّ الحبّ الأمومي وذلك اقتداء بالعالم Bowlby . J. وسنحاول هنا التطرّق إلى ما هو أساسي في الأعمال التي قدّمها هذه عالمة، حيث سنبدأ بتحليل نماذج التصرف الملاحظ في موقف تجريبي وفي موقف عائلي. إنّ إجراء دراسة حول "موقف غير مألوف" (انفصال واجتماع الثنائية أم-طفل) سمح مؤخرا بتمييز ثلاث مجموعات من الرضع من عمر السنة حسب الوضعية التي يشغلونها على مستوى سلّم أمن/قلق، وفيما يلي سنذكر هذه النماذج الثلاثة:

- رضع المجموعة B: تميّز عناصر هذه المجموعة بكونهم: "يستعملون أمهاتهم كقاعدة للأمن، والتي انطلقا منها يقومون باكتشاف واستطلاع المحيط أثناء الفترات والأحداث التي تسبق الانفصال، سلوك التعلّق لديهم يميّز بالقوّة خلال لحظات الانفصال، بحيث يُلاحظ انخفاض في الاكتشاف، وظهور الضيق والانزعاج والاستغاثة، أمّا أثناء الاجتماع من جديد يلتمسون التواصل، الاقتراب والحوار أو أيّ تفاعل كان مع أمهاتهم وينجحون في ذلك" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43).

- رضع المجموعة C: يُلاحظ لديهم "ميل لإظهار علامات القلق حتى خلال الفترات قبل الانفصال، يُثير الانفصال لديهم ضيقا حادًا، ثمّ عند الاجتماع يظهرون متناقضين مع أمهاتهم وفي الوقت نفسه يبحثون عن التواصل والتفاعل وينجحون في ذلك" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43).



- رضّع المجموعة A: أما هذه المجموعة فهي مختلفة عن المجموعات الأخرى، بل إنها متباينة ومتناقضة معها حيث: "نادرا ما يكون خلال فترات وأحداث الانفصال وأثناء فترات الاجتماع، يتجنبون الأمّ، مع سلوكيات متنوّعة وممزوجة بالتواصل والابتعاد، أو قد يتجاهلونّها تماما" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43).

هؤلاء الأطفال المنتمين للنمط الهادئ والمطمئن B والنمط القلق C و A تمّت متابعتهم في البيت خلال سنتهم الأولى، وساعد ذلك في جمع الملاحظات التالية:

إنّ أمّهات الأطفال ذوي تعلق آمن وهادئ (المجموعة B) يُظهرون طيلة السنة الأولى قابلية ردّ الفعل للإشارات الصادرة عن الرضّع، التي هي متباينة وأكثر حساسية مقارنة بما تمّت ملاحظته لدى أمّهات الرضّع ذوي تعلق قلق (المجموعة A و C). وقد أشارت هذه العالمة إلى أنّ: "قابلية ردّ الفعل هذه تجعل الطفل قادرا على تشكيل توقّعات أساسية، التي تُساعده على تعديل أو تغيير استجاباته الخاصة اتجاه الأحداث، سواء كانت داخلية أو خارجية. تدريجيا، يُكوّن هذا الطفل تمثّلا مستدخلا لأمّه حيث تكون موجودة وجاهرة للاستجابة لإشاراته، وهنا يتواجد عمق شعوره بالأمن" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43).

بالعكس الرضّع الذين تتجاهل أمّهاتهم الإشارات، أو يستجبن بشكل متأخر أو بشكل غير ملائم، ليس لديهم هذه القاعدة للشعور بالأمن: "لا يعرفون ما ينتظرونه منه، بالتالي يكونون قلقين" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43)، بمعنى ليس لديهم القدرة على توقّع ردّ فعل الأمّهات. وهنا نستنتج أنّه من المحتمل أنّ الاختلافات في نوعية التعلق للرضّع العاديين تكون منسوبة لسلوكيات الأمّ، وفي المقام الأول إلى "قابلية ردّ الفعل لديهنّ اتجاه الإشارات المبعوثة من طرف الأطفال" (In LE CAMUS . J, 1985 : 43).

المصطلح الثاني الذي اهتمت به Ainsworth . M.D.S يُعالج أنساق التفاعل أمّ-طفل، حيث وضّحت أنّ الأبحاث الحديثة هي تقوم حول الموقف وجه-لوجه. واتباعا لـ Bowlby قامت هذه الباحثة بمنح أهمية حاسمة

للتفاعلات المتضمنة للتواصل الجسدي، ومن جهة أخرى الخلفيات الحتمية الثقافية، حيث تتدخل هنا الثقافة في تحديد كيفية الاهتمام بالطفل ورعايته، وبرهنت عن كل هذا بقولها: "الاستجابة الأكثر تواترا والأكثر فعالية لبكاء الرضيع في غضون السنة الأولى هو أخذه وحمله بين الذراعين" (44 : In LE CAMUS . J, 1985)، وقد صرّحت بأسفها على إهمال دراسة الموقف الغذائي كسوق تفاعلي وهنا قد تجاهلت دراسات كل من Lézine . I و Ajuriaguerra . J.

كانت الخلاصة التي استخلصتها Ainsworth . M.D.S من أعمالها كما يلي: "نتائجنا لا تسمح لنا بمنح أهمية سائدة لأحد أنساق التفاعل على الآخر: التغذية، تواصل جسدي ضيق، وجه لوجه أو حتى موقف بكاء الرضيع. كل تفاعل يمنح للرضيع فرصة تعبئة توقّعات الأم، وفي الأخير إيجاد طريقة أو نموذج وظيفي للأم موجود وحاضر ومستجيب. في الواقع نتائجنا تشير إلى أنّ الأم ذات قابلية ردّ فعل جيّدة للإشارات داخل سياق واحد تميل لأن تكون لديها في جميع السياقات الأخرى" (44 : In LE CAMUS . J, 1985).

المصطلح الآخر الذي اهتمت به الباحثة هو ذلك الخاص بالاستجابات عند الانفصال، حيث توصلت إلى أنّ هناك علاقة بين التعلّق واكتشاف واستطلاع المحيط، وقد لاحظت ذلك أثناء موقف اللعب بين الثنائي أم-طفل، وقد خرجت بالنتيجة التالية: "إنّ التعلّق والاكتشاف يتماسك أحدهما بالآخر، عندما يكون سلوك التعلّق نشطا بشدّة، يكون للرضيع ميل للبحث عن القرب والدنو من التواصل أكثر من الاكتشاف، عندما يكون سلوك التعلّق منخفض الشدّة، إذن هنا يكون حرّا من أجل الاستجابة لإغراء وجاذبية ما هو جديد. كما أنّ حضور وجه التعلّق، وبالخصوص عندما يكون هذا الوجه مُدركا على أنّه حاضر وقابل لردّ الفعل، فإنّه يجعل الرضيع منفتحا على المثيرات التي يُمكنها أن تُنشط الاكتشاف (...). تسهيل وتشجيع نموّ تعلّق آمن يُسهّل نموّ ثقة سليمة وسوية بالذات" ( In LE CAMUS . J, 1985 : 44).

منذ زمن بعيد، تمّ اعتبار أنّ المعيار الرئيسي لقوّة التعلّق هو حماية الطفل في حالة غياب طويل للأمّ لكن حالياً تمّ تحديد خصائص ردّ الفعل بالاعتماد على السياق. إنّ احتمالية ظهور اعتراض وقلق الانفصال ينخفض في الظروف الثلاثة التالية: في حالة ترك الطفل لأمه بشكل إرادي من أجل الذهاب للاكتشاف بعيداً، حالة الطفل الذي يُترك مع شخص هو نفسه وجه تعلّق، في حالة أين يكون الانفصال يحدث داخل وسط مألوف في المنزل مثلاً. وبالعكس حدّة الضيق والاستغاثة تزداد مع خاصية إجبارية الترك، ومع كذلك غرابة الشخص الذي يحلّ محلّ الأمّ، أو تلك الأماكن التي يحدث فيها الانفصال. فضلاً عن ذلك هناك تأثير لعامل مدّة الانفصال: "يمكن أن يكون الرضّع ذوي تعلّق آمن قادرين على تحمّل الانفصالات القصيرة جدّاً مع لامبالاة، في حين يصبحون في حالة ضيق كبيرة في الانفصالات الطويلة، بالخصوص عندما يتمّ استيادتهم لدى أشخاص غير مألوفين داخل محيطات غير مألوفة" (LE CAMUS . J, 1985 : 44).

من بين العوامل الأخرى التي تلعب دوراً مهمّاً في الآثار والعواقب الناتجة عن الانفصال، نذكر الظروف المؤدية للانفصال، نوعية استقبال الوسط البديل، النمو والتجربة السابقة للطفل المنفصل، وكذلك يرتبط بالفترة التي تمّ فيها الانفصال، حيث الأشهر الأولى من الحياة هي طور نسج الرابط مع وجه التعلّق، في حين السداسي الثاني يكون الرابط مُقام، فيعيش الرضيع الانفصال بضيق في السداسي الثاني أكثر ممّا قد يعيشه رضيع في الأشهر الأولى. وفي هذا الصدد قامت H. Houzet-Laborne بدراسة وضّحت من خلالها أنّ هناك تغيّرات وفروق فردية بين الأطفال فيما يتعلّق بردود الفعل قصيرة المدى نحو الانفصال، وكان ذلك من خلال ملاحظة سلوك 10 أطفال يتردّدون على دار الحضّانة: تمّ اكتشاف أنّ بالنسبة لهؤلاء الأطفال البالغين أربعة أشهر إلى سنتين، والذين يتمّ إحضارهم إلى هذا المكان لأول مرّة، لا تكون طبيعة ردود أفعالهم بالضرورة متطابقة لدى الجميع، ولا موافقة للمخطّط الذي وضعه J. Bowlby مُحدّداً فيه نموذج ردود الفعل. وقد تمّ تأسيس سلّم لحدّة ردود الفعل مع تحديد البنود

السلوكية التي تتعلّق بالمستويات الثلاثة، وضَمَّ هذا السَلَم: "ردود فعل قويّة، ردود فعل خفيفة، غياب لردود الفعل" (In LE CAMUS . J, 1985 : 45).

لوحظ كذلك أن كلّ واحد من 10 أطفال استطاع أن يتّصف بأحد النماذج الثلاثة المذكورة سابقا حول ردود الفعل: "ثلاثة أطفال من نمط A، و طفلين من نمط B، وخمسة أطفال من نمط C" (In LE CAMUS . J, 1985 : 45).

وبهذا الذكر لدراسة Ainsworth . M.D.S حول كفاءات وآثار التعلّق والتفاعل أم-طفل، سنحاول فيما يلي التطرّق إلى تفاعل الطفل مع الراشدين الآخرين غير الأمّ، وكذا مسألة التعلّقات المتعدّدة.

## 2- تفاعل الطفل مع راشدين آخرين غير الأمّ:

سنقدّم في هذا العنصر الأعمال التجريبية التي أُقيمت حول الموضوع ولكن قبل ذلك سنعرّج بداية على النظرية وضبط المصطلح.

### 2-1- مشكلة النظرية والمصطلح:

يعتبر هذا العنصر بمثابة توضيح قبل التطرق إلى تفاعل الطفل مع من يُحيطون به غير الأمّ.

#### 2-1-1- الأبوة، الأمومة: الغموض الواجب إزالته:

إذا تحدثنا عن الطفل والأمّ فنحن لا نفكّر فقط في الأمّ الطبيعية أو البيولوجية، لكن نفكّر في الشخص الذي غالبا ما يكون من جنس أنثوي، والذي يمنح الرعاية والعناية الاعتيادية المتعلقة بالبقاء وحفظ الحياة: غذاء، حمام، حمل ومعالجة باليد، مبادلات شفوية، ألعاب، استراحة،....

من أجل ظروف ودوافع عديدة ومتنوعة، يتمّ إيداع المواليد الجدد والرضع عامّة لدى أمّهات بديلات اللاتي يُوفّرن الرعاية للطفل: إعطاء الثدي، أو الرضاعة، الحمام والعناية المعتادة. ويكون ذلك إمّا لفترة قصيرة من الزمن

داخل دار الحضانة أو المنزل العائلي، أو لوقت مُطوّل نتيجة مثلاً استشفاء الأم، وفاتها أو تبنيه من طرف عائلة ما. في هذا السياق كان هناك قديماً تمييز بين: "أمّ" الدم (تلك التي تُعطي الحياة)، وأمّ "القلب" (تلك التي تُعطي الحب)، مع ملاحظة أنّ بعض الأطفال يُمكن أن يكون لديهم الأمّين معاً، وأنّ الثانية بإمكانها تعويض الأولى والحلول مكانها (مثال: الأطفال المتبنين نتيجة لموت الوالدة، أو تركهم والتخلي عنهم) (LE CAMUS . J, 1985 : 46).

حاليا يُفضّل استعمال مصطلحات الأمّ البيولوجية (التي تحمل الطفل)، والأمّ الراعية (التي تقدم الرعاية والعناية). لكن هذا التعدّد لم يمنع اتفاق العلماء حول مصطلح الأمّ ودورها، حيث أجمعوا على أنّ الأمّ هي: "كلّ شخص من جنس أنثوي يقوم برعاية الطفل، كما أنّه يُمثل شريك للطفل، ويكون مسؤولاً عن الاهتمام بالطفل وتربيته لمرحلة ممتدّة، وباختصار هي من يُقدّم الرعاية الأمومية" (LE CAMUS . J, 1985 : 46).

منذ بضع سنوات أُعيد طرح مسألة الأدوار لكلا الوالدين، وكذا تمّ الاهتمام بمصطلح الدور داخل المجتمع الثقافي، ومصطلح الوظيفة داخل الدينامية العائلية. فعلى مستوى "الأدوار" العائلية والتي تمّ الاتفاق عليها كأداب، أخلاق، طبائع وممارسات وتطبيقات، هي حالياً بصدد الدخول في تغييرات حسّاسة جدّاً، وذلك تبعاً لمتغيّر السنّ، الأصل الاجتماعي والوسط الجغرافي والثقافي للزوجين. وتوضيح ذلك قام فريق البحث لـ Le Camus . J ببحث على عينة تضمّ 423 ثنائية (أب وأمّ)، في مدينة تولوز، وكان أطفالهم منخرطين في روضات، وتأكّد لهم أنّ "الأب هو من يرعى الطفل ويعتني به بنسبة لا تتجاوز 20%" (LE CAMUS . J, 1985 : 47).

وفي بحث قام به مركز CREDOC في ديسمبر 1983 على عينة تتكوّن من 2000 فرد توصل إلى أنّ نسبة 63.7% من الفرنسيين "كلّ المهام بلا تمييز تُنجز من طرف المرأة أو الرجل" (LE CAMUS . J, 1985 : 47)، و6.4% فقط "كلّ المهام مفروضة على المرأة" (LE CAMUS . J, 1985 : 47) (في 1978 كانت

النسب 60.6% و 8.2%)، بمعنى في حدود خمس سنوات زاد تشارك الوالدين في ممارسة المهام، وانخفض ما كان مفروضاً على المرأة القيام به بمفردها.

لقد لوحظت تحولات على مستوى الضوابط، القواعد، القيم، التمثيلات، طرق العيش، التي ترتبط بتوزيع المهام المنزلية، هذا ما أدى إلى قابلية تبادل الأدوار وتعاكسها، حيث تعمل الأم في الخارج، الأب عاطل يتكفل برعاية الطفل في المنزل. إنها ظاهرة اجتماعية مهمة ومعقدة، والتي ظهرت سابقاً في المجتمعات الغربية، وانشرت في مجتمعنا الجزائري مؤخراً بشكل واضح، وهذا ما سنفصل فيه في دراستنا هذه.

على مستوى "الوظائف" الأمومية والأبوية، وتبعاً للقضايا المطروحة والمناقشات والدراسات حولها أظهرت عن تعريضها هي كذلك إلى تطوّر في الذهنيات. هنا كذلك ودون الدخول في التفاصيل، نجد مواقف لمحلولون نفسانيون الذين يُناضلون بحماسة وبحجج وبراهين ضدّ الاستبعاد التقليدي للأب في غضون الطفولة الصغرى، على عكس ما كان متداولاً في الفكر التحليلي الأصلي، وكذا مطالبتهم بدخوله مجدداً وبشكل مبكّر جداً في الثالوث العائلي. ومن بينهم هؤلاء Olivier . C التي تتأسّف على أنّ "النموذج الفرويدي يضع بلا تمييز الرضيع الذكر والرضيعة الأنثى في وضعية اتحاد واندماج مع الأم في حين الأب في موضع الغائب، بل وحتى الغريب" (In LE : 47 : CAMUS . J, 1985). هي ترى أنّ في هذه السيورة الأولية خسارة مضاعفة: من جهة تثبيت صورة أبوية غير حاضرة مع عدم توقّر إمكانية تواجده، ومن جهة ثانية حصر الصراع الأوديبي في مأساة مزدوجة للثنائي أم-طفل. حسب هذه المحلّلة ذات التوجّه النسوي (féministe): "يحدث الكلّ بشكل أفضل للمصير النفسي الجنسي للولد والبنت بدلا من كونهم سوى أطفال Jacaste، مواجهة من أوّل مرّة الوجوه المعاكسة والمكملة للأمّ والأب معاً، المهتمين ومشغولي البال بمصير أطفالهما" (In LE CAMUS . J, 1985 : 47).

بالنسبة لـ This . B فتأسّفه على استبعاد الأب قبل، أثناء وبعد ميلاد الطفل لا يتصاحب بإعادة ذكر ما يرتبط بالدينامية الثالوثية الموضوعية من طرف Freud . S والمدعّمة من طرف Lacan . J بل هو يرى أنّه "يجب

إدخال الأب داخل الحركة الثالوثية في أقرب وقت، لأنّ الأب المتميّز عن الوالد، لديه وظيفة رئيسية عليه أن يؤدّيها إزاء الأمّ وإزاء الطفل على السواء" (In LE CAMUS . J, 1985 : 48). أمّا فيما يتعلّق بما يُمثّله الأب بالنسبة للأمّ: "الأب هو ذلك الذي تعتمد عليه، ذلك الذي تحبّه وترغب فيه" (In LE CAMUS . J, 1985 : 48). أمّا بالنسبة للطفل، "الأب هو ذلك الذي يحب، الذي يتعرّف على الطفل كفاعل (Sujet) لرغبة أكثر من كونه موضوع (objet) مُنتج" (In LE CAMUS . J, 1985 : 48). وأضاف بالحديث عن الأب قائلاً: "الأب الذي يقوم بإعطاء اسمه، ذلك الاسم الخاصّ بأسلافه من الناحية الأبوية، ذلك الرجل الذي يُصرّح بالطفل [أي يُسجّله باسمه]، سيجد نفسه في مسؤولية مشتركة لهذا الطفل أمام القانون (...). مسؤول مشترك يُقصد بها أنّه مسؤول مع زوجته عن هذا الطفل: يتكفّل بتربيته، بمعنى مساعدته ليصبح رجلاً أو امرأة، قادراً ومسؤولاً هو كذلك" (In LE CAMUS . J, 1985 : 48). وهذا يُوضّح ضرورة تعاون كلّ من الأب والأمّ على تربية الطفل منذ البداية، بمعنى دخول الأب في علاقة تفاعلية مبكّرة مع الطفل مهمّة جدّاً لنموّ أفضل.

## 2-1-2- مشكلة التعلّق المتعدّد:

من أجل الاقتراب من مفهوم التعلّق المتعدّد وفهمه فإنّ أفضل منهجية لذلك هي ربطه بالنمو، وهذا ما قام به R. Schaffer. إنّ النمو الاجتماعي-العاطفي المبكّر يحدث من خلال ثلاث مراحل رئيسية. أوّلاً ينجذب الطفل نحو الأفراد الآخرين الذين يُميّزهم عن العناصر الأخرى داخل الوسط، وينجذب نحو الذين هم مفضلين لديه. ثم بعد ذلك، يتعلّم التعرّف على الوجه الأمومي ككائن إنساني مألوف، والغرباء يُدرِكهم كمجهولين. في الأخير عند حوالي 6 أو 8 أشهر (هذا السنّ يختلف حسب عوامل عديدة)، يصبح قادراً على تكوين تعلّق دائم، ذو مغزى ومعبر مع بعض الأشخاص المحدّدين، والتي انطلاقاً منهم يبحث عن المرافقة ويلتمس الانتباه، في حين يرفض مرافقة الأشخاص الغريبين، يطمئن لوجود الأمّ ولا يقبل البديل: "إنّها الفترة التي يكون فيها الأفراد المقربين لديه غير قابلين

للاستبدال، وكذا غياب الأمّ يشعر فيه الطفل بالانزعاج والضيق والقلق، ويزداد تأثره بالانفصالات المؤقتة أو النهائية"  
(In LE CAMUS . J, 1985 : 49).

اختلف العلماء حول التعلّق الوحيد بالوجه الأمومي أو البديل المستقرّ وبين التعلّق المتعدّد أي مع الأمّ وأفراد آخرين، ولكن هنا يُمكن طرح سؤال مهمّ يخصّ كلا وجهتي النظر هذه: مع من يقوم الطفل بتشكيل تعلّق بمجرد ما يصبح قادرا على ذلك؟

أول عنصر للإجابة: عكسا لاعتقاد Bowlby . J الطفل لا يقتصر على رابط وحيد، بل يُمكن أن يتعلّق بالعديد من الأشخاص. بمجرد ما يبلغ الطفل طور تشكيل التعلّق، فإنّه يكون قادرا على الحفاظ على العديد من روابط التعلّق في نفس الوقت، ويصعب تحديد عدد هذه الروابط وما تشير إليه كلمة "عديد". منذ 1964 لاحظ كلّ من Emerson . P و Schaffer . R خلال دراسة دقيقة أنّ نسبة الأطفال في العينة المدروسة والتي لها أكثر من تعلّق والمُحافظة عليه تبلغ 29% نحو سنّ 7 أشهر، و87% نحو سنّ 18 شهرا. بلغ عدد روابط التعلّق "خمسة أو أكثر" لدى 10% من الأطفال الصغار جدّا، وحوالي 30% لدى أطفال أكبر من ذلك. إذن هنا "لا يُمكن الحديث لا على الاحتكار الإجباري<sup>(1)</sup>، ولا على العدد الكبير: هناك انتقائية" ( : In LE CAMUS . J, 1985 : 49).

العنصر الثاني للإجابة: كلّ علاقة يُقيمها الطفل مع الشريك لا يُمكن اعتبارها كعلاقة تعلّق. من خلال ما قدّمه Harlow الذي أشار إلى "الأنظمة العاطفية"، يُمكن التحدّث عن أنماط العلاقات لدى الطفل البشري: يوجد اختلافات كميّة في الرابط الذي يُوجد ويربط الطفل مع أمّه وأبيه، جدّيه، إخوته وأخواته، رفقاءه في اللعب في الروضة،

(1) بمعنى فرض أحد المحيطين ذاته على الطفل والانفراد بإقامة رابط التعلّق معه فقط.



الجيران. يُمكن قبول فكرة أنّ: "الحب الذي يظهره الرضيع لا حدود له، ولكن هذا لا يدلّ على أنّه يحمل للجميع نفس العاطفة أو يُحبّهم جميعا بنفس الشدّة" (LE CAMUS . J, 1985 : 49).

العنصر الثالث للإجابة: ويرتبط بوجود تدرّج، وأنّ هذه التعددية في روابط التعلّق لا تُعيق التدرّج، فكما تحدّث J . Bowlby و Ainsworth . M.D.S عن الوجه الرئيسي للتعلّق: "يُمكن للرضيع في آن واحد أن يُحقّق متعة، إحساس بالأمن مع جميع وجوه التعلّق لكن تحت ظروف معيّنة (مثلا مرض، تعب، توتر)، فإنّه من المحتمل أن يُظهر تفضيلا واضحا لإحدى تلك الوجوه" (In LE CAMUS . J, 1985 : 49). وبطريقة أخرى أعطى R . Schaffer تعريفا مع أنّه لم يتعمّق في دراسة الأمومية<sup>(1)</sup> (Maternalisme) مقارنة بزميلته Ainsworth . M.D.S، حيث قال: "يُمكن أن تتغيّر طبيعة التعلّق من فرد لآخر، بدءًا من التركيز الحصري على الوجه الأمومي إلى التوزيع بين العديد (...)، الأمّهات هنّ بدون شكّ وبامتياز في أحسن وضعية من أجل ممارسة تأثيرهنّ على نمو أطفالهنّ، لكن الجارة أو الأخت الكبرى يُمكنهما كذلك ترك بصمة قوية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 49-50). هذا يعني أنّ في كل الحالات الأمّ الوالدة هي موضوع التعلّق الأوّل زمنيا، بحيث يكون هناك تكوّن قبل ولادي للتعلّق وبعد الميلاد يتطوّر، في حالة غيابها يكون وجه التعلّق بديلها الذي يتكفّل برعاية بالطفل والاهتمام بشؤونه وتلبية حاجاته، دون إغفال النظر عن بعض روابط التعلّق الأخرى التي يُقيمها الطفل مع باقي أفراد الأسرة، الروضة أو الجيران ويكون ذلك حسب تدرّج.

إنّ قبول فكرة أنّ الطفل يُمكنه بقوة وملاءمة تعدّد وجوه التعلّق وكذا وجه رئيسي حتى لو كان متجسّدا من خلال رجل، هذا لا يعني أنّه لا يتعارض مع المبدأ البيداغوجي الذي يتطلب أفراد معيّنين للقيام بذلك من جهة، ومن جهة أخرى لا يعني أيضا قبوله لعدم استمرارية الشركاء في محيطه: من الممكن ألا يعترض الطفل على العناية ذات مظهر موحد، ولكنّه يحتاج إلى عناية مستقرّة ومنتظمة. يتطلب الأمر بالنسبة له عالم يستطيع توقّع ما سيحدث فيه،

(1) يقصد بها نزع الأم لفرض تسلّطها بحجّة الحماية.

خاصة فيما يتعلّق بالأفراد الذين يراهم كلّ الأيام. أمّا عندما يلتقي الطفل بأمّ عابرة والتي لن يراها مجدّداً، يُمكن توقّع أنّ الشحنة العاطفية التي يستثمرها في التفاعل ستكون أدنى: "الرضع بحاجة لأن يكونوا منتمين داخل علاقة حب" (LE CAMUS . J, 1985 : 50).

## 2-2- الأعمال التجريبية الأولى حول التفاعلات خارج أمومية:

وإن كانت الدراسات التي تناولت التفاعلات مع مختلف الأشخاص المحيطين بالطفل غير الأمّ قليلة إلا أنّها تُوضّح نوعاً ما طبيعة هذه العلاقات، وفيما يلي سنتطرّق إلى العلاقة التفاعلية أب-طفل، وكذا إلى مختلف الدراسات المُقامة حولها، ثم سنشير إلى العلاقات التفاعلية مع أشخاص آخرين غير الأمّ والأب.

### 2-2-1- العلاقة التفاعلية أب-طفل:

لقد حظيت العلاقة أب-طفل باهتمام العديد من العلماء من مدارس مختلفة، لكنّها لم تبلغ في الاهتمام حدّ العلاقة أمّ-طفل، التي شهدت العديد من الدراسات. وسنحاول هنا الإشارة إلى الدراسات التداخل الموضوعي للأب خلال مرحلة النموّ والتي من وجهة نظر بعض العلماء مثل Freud و Wallon عبّروا عنها أنّها مرحلة خارجة أو بعيدة عن الأب أو أنّها مرحلة تتعلّق وتخصّ قبل كلّ شيء وبالدرجة الأولى الأمّ وطفلها، وبمعنى آخر يُلاحظ للأب الوظيفة الرمزية للسلطة أكثر من تأثيره ودوره في الحضور المبكّر.

أ- فترة قبل الولادة:

الأمّ هي التي تحمل (أب حامل يظهر على المستوى الاستهامي فقط)، ومعها يُقيم الجنين حوارات بدائية، أولية خلال التواجد داخل الرحم كما ذكرنا سابقاً. وكما هو معروف يُشارك الأب بشكل اختياري في انتظار الطفل وتوقّعه، "فتكون إمّا مشاركة لاشعورية التي تُترجم أحياناً من خلال أعراض سيكوسوماتية، وإمّا تكون مشاركة واعية التي يُعبّر عنها من خلال فرص المرافقة في العلاقة الثنائية أمّ-جنين: اجتماعات، نقاشات منظمة في إطار التحضير للولادة، الزيارات الطبية للطبيب المختص في أمراض النساء والتوليد والذي يُستعمل فيها التصوير بالصدى

(Echographie) " (81: MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991)، كما يُلاحظ اهتمام الأب بالأمّ الحامل ومحاولة مثلا لمس بطنها لتحسس حركات الجنين، يُشارك كذلك في شراء حاجياته قبل ميلاده، اختيار اسمه وغيرها، هذا فيما يخصّ الملاحظات التي جمعها كلّ من Tap و Maleweska-Ppeyre . H في كتابهما في فرنسا. أمّا في مجتمعنا فكلّ ذلك لم يكن موجودا في النظام التقليدي، وذلك لأنّ المرأة الحامل كانت تقضي معظم وقتها مع نساء العائلة اللاتي كنّ يهتمن بها حتى موعد الولادة على يد امرأة من القرية المختصة في التوليد. ولكن بعد حدوث تغيّرات على مستوى النظام الاجتماعي، فإنّه أصبح الزوج يُشارك زوجته في الحمل، ووقد عبّرت بعض الأمهات التي تقابلت معهنّ عن حضور أزواجهنّ في الاستشارات الطبية، وقد لاحظنا ذلك أثناء زيارتنا للعديد من المختصين أثناء القيام بالدراسة التطبيقية. كما عبّر أحد الأزواج أنّه يشعر بالتعب عندما تكون زوجته حاملا كما لو أنّه هو من يحمل الجنين، وأيضا يتوتّر كثيرا عند اقتراب موعد الولادة.

ب- الفترة أثناء الولادة وبعدها مباشرة:

يُلاحظ حاليا في العالم الغربي أنّ الأب أصبح فعّالا عند ميلاد طفله على عكس ما كان في السابق (حيث أصبح بإمكانه الحضور مع الزوجة أثناء الولادة، قصّ الحبل السري، تحميم المولود،...) (1)، ولكن يُؤكّد المنظّرون والباحثين أنّ "هذا الحضور لا يكون فعّالا وذا أهمية إلا إذا كان نابعا من رغبة الأب أو الأمّ" (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991: 82). وحسب ما ذكره Tap . P أنّ في فرنسا مشاركة الأب أصبحت طقس (Rite) من الطقوس التي لا بدّ منها وواجبا: "حسب البحث الوطني المقام من طرف مؤسسة Louis Harris في 1987، 72% من الأفراد الذين تمّ سير آرائهم أكّدوا حضورهم ومشاركتهم أثناء ولادة أطفالهم" (In MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991: 82)، في حين في الجزائر وبالتحديد في الولايات

(1) هذا في البلدان الغربية أما في بلدنا فلم يصل الأب بعد إلى إمكانية الحضور في عملية الولادة إلا إذا كان عاملا في مجال الطب أو التمريض.

التي تمّ القيام فيها بالدراسة التطبيقية لم يتمّ تسجيل أي حالة حضر فيها الأب عملية الولادة، ويبقى هذا نسبيا ويحتاج إلى دراسة معمقة حوله.

إنّ هذه المشاركة للأب لها آثار على اتجاهاته بالخصوص وعلى ذهنيته، كما لها آثار إيجابية من حيث تهدئة وطمأنة الأمّ. وما هو ملاحظ في الدراسات الغربية الحالية أنّ الأب تسلّم بالتدريج وبشكل أكثر تواترا دور التكفل ورعاية زوجته وطفله في الفترة الأخيرة من الحمل والمرحلة التي تلي الولادة مباشرة، الدور الذي كان سابقا خاص بقربياته من النساء (الجدّة، العمة، الأخت الكبرى، ...). وهذا ما تمّ ملاحظته أيضا في دراستنا هذه والذي سيتمّ التفصيل فيه في الفصل التطبيقي. إنّ هذا التدخّل المبكّر للأب له قيمة رمزية مهمّة جدا: "المولود الجديد مقبول ومرغوب فيه ومُتبنّى من طرف زوج عائلي، وليس فقط من طرف الأمّ" (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :82).

ج- فترة ما بعد الولادة:

أقيمت العديد من الدراسات في الولايات المتحدة حول موضوع مشاركة الأب في رعاية الأمّ والرضيع بعد الميلاد مباشرة، وكذلك هناك العديد من الدراسات الفرنسية حول ذلك نذكر منها: دراسة Hurstel الذي أشار إلى الآباء الذين يُمارسون أبوتهم، وأوحى إلى التمييز والتفريق بين الممارسات المعزولة التي كانت موجودة في أسلوب الزواج التقليدي، والممارسات المسجّلة في الأسلوب الزواجي المُصاحب أو المرافق. كما تمّ إثبات أنّ في فرنسا "عدد كبير من الآباء ( ما بين 44% إلى 62%) صرّحوا أنّهم أنجزوا لوحدهم في الغالب مجموعة من المهام كتغذية الأمّ والطفل، التنظيف، ... " (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :83). وهناك دراسة أخرى أُقيمت في مدينة تولوز الفرنسية على مجموعة من الآباء لأطفال منخرطين في روضة، حيث كشفت أنّ مشاركة الآباء في الرعاية هي منتشرة حاليا: "أكثر من 40% من بينهم أكّدوا أنّهم تكفّلوا بالأمّ وقاموا ببعض المهام التي هي من اختصاص الأمّ كإعطاء الرضاعة، التغيير للطفل، تنويم الطفل في الليل، أخذه إلى الطبيب" (In

83 : (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991). وسنفضّل أكثر في هذه الدراسات في العنصر

الموالي.

## 2-2-2- الدراسات المقامة حول التفاعل أب-طفل:

لقد أعطى Schaffer . R أهمية دنيا لجنس الأمّ، وأثبت أنّ دور الأب داخل العائلة هو يتعلّق بما حدّده وقرّره هو وزوجته أن يكون. أحيانا تكون الضرورة هي التي تُحتّم وتفرض الطريقة التي يتصرّف ويستجيب بها الوالدين، وأحسن مثال على ذلك عندما يكون الأب بدون عمل يتكفّل بالمنزل والأطفال، في حين زوجته تعمل في الخارج. لكن هناك عامل آخر يلعب دورا مهمّا ذكره Schaffer . R، ألا وهو الخصائص الشخصية التي تُحدّد ذلك: "بعض الآباء بسبب طبعهم ومزاجهم يستطيعون العمل وتقديم ما هو أفضل للطفل، ويُمكن أن يكونوا أحسن أمّهات حتى من زوجاتهم، وفي المقابل، بعض النساء يستطعن تحقيق نجاح وريح أفضل من أجل العيش حتى أفضل من أزواجهنّ" (In LE CAMUS . J, 1985 : 50).

إنّ هذا الرأي يرتبط بالمجتمع الذي قام فيه Schaffer . R بدراسته، وهذا لا ينطبق على مجتمعا تماما، ولكن هناك بعض الجوانب التي تنطبق خصوصا تلك التي تتعلّق بالاهتمام بالطفل وهذا ما سنفضّل فيه في الدراسة التطبيقية لاحقا. من جهة أخرى لا يُمكن مشاركة الرأي لهذا الباحث بشكل تامّ فيما يتعلّق بتساوي الدرجة والقوة وقابلية تبادل الأدوار للوالدين، بحيث يحلّ أحدهما محلّ الآخر، لأن ذلك لا يُمكن أن ينطبق على الجميع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فكرته قد تُؤدّي إلى اللاهوية<sup>(1)</sup> (Non-Identité) الجنسية للرجل والمرأة، ولهذا لا يجب التعميم. وهنا يكون من الأفضل إحالة النظر إلى فكرة Le Camus التي يُشير فيها إلى الاختلاف والتكامل بين

(1) وهنا نقصد الهوية بكل أنماطها: الهوية الشخصية، الاجتماعية والثقافية التي توكل إلى كل من المرأة والرجل الأدوار الخاصة بهما.

الوالدين: "كلّ من الأب والأمّ مختلفين عن بعضهما، ولكن في نفس الوقت كلّ منهما يُكمّل الآخر" (LE CAMUS . J, 1985 : 50).

- لقد قدّم Le Camus . J في مرجعه مجموعة من الخلاصات لدراسات أُقيمت في أمريكا في السنوات الأخيرة حول هذا الموضوع وسنحاول أن نذكر أهمّها. ونبدأ بالباحث M . Yogman (1985) الذي قام بدراسة التشابهات والاختلافات بين تفاعلات الرضيع مع أمّه و/أو مع أبيه، والذي وصف التفاعل مع الأب على أنّه بدني أكثر، وأكثر استشارة للطفل من التفاعل أم-رضيع: "إنّ اللعب الأبوي هو بصفة عامّة منبّه، منبّه (قويّ)، محرّك، مثير، ومشوش أكثر للرضيع" (83: 1991 . P. TAP . H et MALEWESKA-PPEYRE). كانت الدراسة من خلال مقارنة النمطين الاثنين للتفاعل خلال اللعب وجها لوجه لدى ست ثنائيات تمّت متابعتهم أسبوعان من كلّ شهر، وكان السنّ يتراوح بين شهر و 6 أشهر. كشف هذا الباحث بالخصوص على أنّ: "الألعاب البصرية كانت أكثر تواترا مع الأمّهات، وبالمقابل الألعاب اللمسية (سحب الذراعين من أجل جلوس الرضيع، طبخة على المنطقة المحيطة بالفم، الحث على حركات الساقين كما لو أنّه يقود دراجة،...) كلّها تُميّز التفاعل مع الأب" (In LE CAMUS . J, 1985 : 51).

هناك أعمال أخرى لكلّ من Clarke-Stewart . ، Lamb . M ، Parke . R.D ، Power . T.G ، التي أكّدت أنّ في أعمار متقدّمة أكثر (من 8 أشهر إلى 24 شهر) يحتفظ الآباء بميولهم نحو ألعاب بدنية (رفع الرضيع في الهواء، جعله يقفز على الركبتين،...)، ودون استعمال وسيط للعب من أشياء أو لعب. من جهة أخرى ركّز Brazelton . T.B على اختلافات إيقاع التفاعل، فالرقص مثلا مع الآباء يصبح خفيف الحركة أكثر، وكذلك أكثر نشاطا ورشاقة، ومثيرا أكثر، كما سمحت له ملاحظاته التي سجّلها من التأكّد من أنّ الآباء هم أكثر ميولا إلى تنبيه الطفل وإثارته برفع إيقاع التفاعل معه، وتوصّل أيضا إلى أنّ الأب الشاب يُحبّ عموما دغدغة ومداعبة الطفل أو إعطائه ضربات صغيرة في أماكن مختلفة من الجسم، غالبا الخدّين حتى يتمّ جعله أكثر قابلية لردّ الفعل

ومستجيبا أكثر. مع مرور الوقت "يقوم الطفل بتمييز جلي أكثر فأكثر بين والديه. إذا كان مع أبيه، فإن كل جسمه هو الذي يستجيب وتكون قابلية ردّ الفعل، وحركاته تكون غير مترابطة أكثر" ( : In LE CAMUS . J, 1985 ).(51).

وأخيرا نتطرق إلى دراسة J . Kestemberg الذي تناول بالبحث مفهوم النماذج العضلية-الحركية المرتبطة بالوالدين، وقد فرّق بين الإمساك (Holding) الأبوي والإمساك (Holding) الأمومي: "بشكل متواتر يأخذ الآباء مولودهم الجديد إلى أطول من قامتهم، في حين الأمّهات يُقربونه من ثديهنّ أو من وجههنّ. الآباء هم أكثر ميولا من الأمّهات في حمل الرضيع والإمساك به بشكل يكون فيه وجهه ينظر إلى الأمام، أو بشكل يكون جسم الرضيع ممدّدا على ركبتيهم. يشعر الرضيع بأنّ الأب هو فعّال أكثر وعدواني، أكثر عنفا، وأكثر جرأة مقارنة بالأمّ، وهنا الأب يُفضّل استقلال وعدوانية الرضيع" ( : In LE CAMUS . J, 1985 : 51 ).

- هذا الذكر للنوعية العلائقية يقودنا للمرور من مخطط التفاعلات السلوكية إلى التأثيرات الممتدة إلى النمو النفسي-الجنسي-الاجتماعي والمعرفي، وكما هو معلوم أنّ للأب دورا مهمّا في تفتح الهوية الجنسية للطفل. هناك العديد من الأعمال التي تهتمّ بإظهار أنّ الآباء لا يتعاملون بنفس الطريقة مع الأولاد والبنات. وقد تبين أنّ: "المواليد الجدد من الذكور يظهرون أنّهم يستقبلون الآباء بالتصويت والتواصل اللمسي أكثر من الإناث، في الأسابيع الأولى والأشهر الأولى، كما أنّهم يستفيدون زيادة من المنبهات والمثيرات سواء أثناء الغداء أو اللعب، في حدود السنة يُحافظون على الألعاب البدنية أكثر" ( : LE CAMUS . J, 1985 : 51 ).

هذه التصرفات المختلفة للآباء اتجاه أطفالهم من كلا الجنسين ترتبط ارتباطا وثيقا بالتمثلات الاجتماعية والقيم والمبادئ التي تخصّ المفاهيم: مذكر ومؤنث، فالمحيط الاجتماعي والثقافي يُوجّه كلا الوالدين وخصوصا على كيفية التعامل مع الولد أو البنت من أجل تنشئة كلّ منهما. على المستوى الاجتماعي-العلائقي يظهر أنّ الأطفال المتعودين على تواصل مكثّف ومتوسّع مع الأب يميلون لأن يكونوا أكثر لطفًا وظرافة وأكثر اطمئنانا وأمنا اتجاه

الغرباء، مقارنة مع الأطفال الأقل إشباعاً من حضور الأب. يُوضّح لنا هذا أنّ درجة اشتراك الأب في تربية الرضع، ولو بجزء بسيط على الأقل، تُحدّد درجة الطمأنينة والأمن، وهذا ما تحدّثت عنه Ainsworth . M.D.S عندما عالجت تجربة "الموقف الغريب".

على المستوى المعرفي يظهر أنّه من الممكن إثبات أنّ السيرورة العلائقية مع الجنس المماثل (أب/ولد، أمّ/بنت) تكون أفضل من السيرورة العلائقية مع الجنس المغاير، حسب Pedersen . F.A (1979) فإنّ: "اشتراك الأب يُؤدّي إجمالاً إلى تأثير إيجابي على حاصل النمو الحركي والمعرفي للأولاد" ( In LE CAMUS . J, ) (1985 : 52)، وقد توصل إلى ذلك من خلال دراسة عدد من أطفال يبلغون خمسة إلى ستة أشهر. وفي نفس الاتجاه سار Levy-Shifl (1982) من خلال دراسته على أطفال يبلغون سنتين وستة أشهر إلى سنتين وعشرة أشهر الذين أظهروا أنّ: "غياب الأب يُؤثّر على الذكور في سيرهم نحو النضج النفسي، وذلك نتيجة لغياب نموذج التماهي" (In MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :83).

وبالرغم من كلّ هذه المعطيات حول التفاعل والعلاقة أب-طفل، فإنّه يجب تقديمها بتحفظ لأنّها ليست سوى البداية، وبالخصوص في مجتمعنا، فإن كانت أوروبا وأمريكا تناولت هذا الموضوع بالدراسة في سنوات السبعينات والثمانينات فإنّه في مجتمعنا هو حديث الدراسة والبحث بل وحديث الظهور كذلك.

يرى Le Camus . J أنّ درجة اشتراك الأب في نشاطات العناية بالطفل تُحدّد الاختلافات الحساسة في السلوكات الحركية، الفضائية العلائقية للأطفال الصغار، وذلك بعد قيامه في 1989 بدراسة في تولوز تتمحور حول مقارنة بين مجموعتين، تتكوّن كلّ مجموعة من 17 طفلاً متباينين ومتعارضين في مستوى مشاركة الأب في الرعاية والاهتمام بالمولود، وسمح ذلك بتسجيل وملاحظة أنّ الرضع الذين استفادوا من رعاية مزدوجة من الأمّ والأب معا يتصرّفون بشكل مختلف عن الرضع الذين تلقوا الرعاية من أحد الوالدين الذي يكون في الغالب الأمّ لوحدها: "لقد أظهروا حيوية حركية أكثر، سلوكات تعلق أكثر نضجاً اتجاه المساعد الراعي لهم، سلوكات علائقية أكثر ثراءً وتنوعاً



(كانوا أكثر انتماءً ويلعبون ألعاب المصارعة) اتجاه رفقاتهم في اللعب في الروضة" (-) In MALEWESKA .(PPEYRE . H et TAP .P, 1991 :84).

كما يرى ويُؤكّد على أنّ السياق العائلي الأكثر ملاءمة هو الذي يكون فيه الأب والأمّ يتشاركان ويتقاسمان ليس فقط نشاط الأمومة ولكن أيضا الوظائف الوالدية. كما أشار إلى أنّ: "الشخصنة الجيدة وخصوصا الهوية الجنسية القوية لها فرص أفضل لتحدث عندما يكون للطفل استفادة من وجه تعلق رئيسي من جنس أنثوي، ووجه وسيط من جنس ذكري" (LE CAMUS . J, 1985 : 52).

لا يُمكن إنهاء هذا العنصر دون الإحالة إلى العمل الذي قدّمته معالجة نفسية كندية، والذي يفيد في التحليل لإحدى الحالات في الجانب التطبيقي، إنّها Clerk . G، وهي صاحبة مفهوم "التعلق بالزوج الوالدي" (Attachement au couple parentale)، وهنا تقصد تعلق الطفل بالثنائي أب/أمّ كفردين منفصلين عنه ومتحدّين مع بعضهما. وقد عرّفت التعلق "كرباط بين شخصين والذي يجمع العلاقة الموضوعية والعلاقة الأمنية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53)، وهي تصف تطوّر الرباط عبر ثلاث مراحل. في البداية إنّ إشباع الحاجات الحيوية هو الذي يُعتبر أساسيا ومهمّا، والشخص الذي هو عنصر أو عامل فاعل ليس لديه أي أهمية. في 3 أشهر تأتي مرحلة الرباط المشخصن (Lien personnalisé) المتميّز من خلال إسناد مكانة (Statut) خاصّة إلى الشخص الذي يُشبع الحاجات، حيث يكون حضور هذا الشخص مطلوبًا، ويسعى الطفل للبحث عنه، لكن مع ذلك يقبل الطفل تدريجيا أطفالا آخرين. مع حوالي 18 شهرا، ومع دخول الوظيفة الدلالية السيميائية (الرموز والعلامات) وعلى الخصوص اللغة، يفقد الرباط خاصية التبعية البدنية ويُمكن وصفه بالرمزي. يحدث هذا التغيّر من خلال معرفة الآخر أكثر، ومن خلال معرفة ذاته، يكون الآخر موجودا تحت شكل صور وحتى أفكار ومفاهيم. في حوالي 6 إلى 7 سنوات، يُدعم ويُوطّد الرباط بين الشخصي (Interpersonnel) (أي مع الشخصيات الأخرى).

هذا الأخير "يستمرّ في التطوّر والتحوّل بالخصوص في المراهقة بحيث أنّه يُمكن أن يتواجد إزاء أشخاص لكن أيضا إزاء جماعة، مؤسّسة، إيديولوجية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53).

إنّ الفائدة من هذا العرض الخاصّ بالرابط العلائقي الثنائي الابتدائي يُبين سرعة دخول أشخاص آخرين في العلاقة، وكذا يسمح بفهم دور الزوج الوالدي في تطوّر وامتداد التعلّق، وكذلك بنينة وصياغة الجانب النفسي. وقد حاولت Clerk . G بناءً على تجربتها العلاجية تأكيد أنّ: "الطفل بحاجة إلى زوج والدي الذي يُقدّم له منذ الطفولة الصغرى المبادئ الأساسية لتنشئته الاجتماعية، وتحوّل التعلّق من مستوى متعي (أي تحقيق المتعة) ومتمركز حول الذات إلى مستوى غيري (...)" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53).

## 2-2-3- التفاعل مع وجوه التعلّق البديلة والمتناوبة:

تمّ التعرّض لهذه المسألة من قِبَل الباحثة Ainsworth . M.D.S ومن قِبَل Schaffer . R، ولكن هذا الأخير تطرّق للموضوع بصفة تلميحية فقط، حيث صرّح أنّه: "يُمكن للطفل التفاعل مع بديل في غياب الأمّ" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53)، وهذا يعني أنّه. وأشارت الباحثة Ainsworth . M.D.S إلى أنّ الأبحاث حول أوجه التعلّق غير الأب والأمّ غير موجودة تقريبا، وهذا أدّى إلى طرح أسئلة جديدة مثل: هل يتعلّق الرضيع بجليسة الأطفال أو بأشخاص آخرين في دور الحضّانة؟ وقد حاول مجموعة من الباحثين الإجابة عن ذلك من بينهم Fleener (1973)، Riciutti (1974)، Farran و Ramey (1977)، حيث صرّحوا أنّ ذلك: "يُمكن أن يحدث لكن في هذه الأثناء وجه الأمّ يحتفظ بالأفضلية" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53).

كما أشارت الباحثة Ainsworth . M.D.S أنّه من المهمّ القيام بدراسات وأبحاث حول سلوك الرضع والأطفال الصغار اتجاه مربيّات الأطفال، أوجه التعلّق، داخل بيئة بديلة. وحول نفس الموضوع قام Le Camus . J وفريقه بأبحاث حيث توصلوا إلى أنّ: "الوجه المساعد المدروس في الروضة أو في المدرسة الأمومية كان تقريبا مُعتبرا كعنصر من مجموع تفاعلي، واستثنائيا كشريك في وضعية ثنائية" (LE CAMUS . J, 1985 : 54).

## 2-3- العلاقة التفاعلية الثلاثية أب-أم-طفل: الثالث العائلي:

إنّ الأهمية المعطاة للعلاقة أم-طفل في السنوات الأولى أدت إلى تقليص من دور الأب داخل الإطار العائلي. إنّ في غضون السنة الأولى يكون حضور الأمّ أو الوجه الأمومي لا غنى عنه وضروريا جدّا من أجل تكوين الإدراكات الأولى، وابتداءً من السنة الثانية يحمل الأب مبدأ الواقع والتعدّد<sup>(1)</sup> الضروريين. هنا من المحتمل أنّ ذلك لا يحدث دون صراع لأنّ النضج الإدراكي يسمح للطفل برؤية أنّه ليس وحيداً مع الموضوع الأمومي، وأنّ الأمّ منشغلة وتهتمّ بآخر، وهكذا يصبح الأب منافساً بالرغم من أنّ الطفل يُمكنه أن يجد تعويضاً ومكافأة من خلال الحب الذي يحمله له الأب" (AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859).

إذا افترضنا أنّه يوجد تعلق اختياري للبنات نحو أبيها والولد نحو أمّه، الذي يظهر بشكل واضح في المرحلة الأوديبية، فإنّ هذا يعني أنّه يوجد تبديلات وتغييرات مهمّة في أسلوب العلاقة الثلاثية قبل سنّ خمس سنوات. والأب هنا لا يستجيب فقط من خلال فعل مباشر نحو الطفل ولكن هو يُمثّل نقطة مرجعية خلفية في الفضاء العائلي. حسب Winnicott فإنّ وجود الأب ضروري في المنزل: "في البداية من أجل مساعدة الأمّ للإحساس بأنّها جيّدة في جسمها وسعيدة في فكرها، ثمّ من أجل التكفّل بالسلطة، وذلك من أجل تجسيد القانون والقواعد التي تُدخلها الأمّ في حياة الطفل وحتى لا تكون هي في نفس الوقت مصدراً للحب والقوّة، وأخيراً الأب ضروري من أجل الطفل بسبب صفاته الإيجابية وعناصره التي تُميّزه عن الآخرين من الرجال" ( : AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859).

هناك أعمال كثيرة حول الأب والتي تمنحه كواجب: الحماية، المعرفة، السلطة، الرجولة،... وكلّ الأمور المضمنة في الدور الذي وكله إليه المجتمع، وهو لا يكون غائباً في السنوات الأولى من حياة الطفل بل يكون حاضراً، حيث يكون له دوراً خلال الصراع الأوديبى. هناك انطباع على أنّ الأب ليس لديه الحق في أن يمنح طفله الحب

(1) يقصد بالتعدّد هنا هو وجود شخص آخر تهتم به الأمّ غير الطفل ألا وهو الأب، وهذا ما على الطفل إدراكه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقبل الطفل وبشكل صريح الحب الأمومي ويُمثله (Idéaliser)، ولا يُعبر الاهتمام إلى الحب الأبوي كحبّ مباشر يُعبّر عنه الأب للطفل ودون وسيط يحمله إليه (المقصود بالوسيط هو الأمّ في الغالب)، بل الحب الأبوي يتمّ نقله للطفل من قبل الأمّ بطريقة غير مباشرة. بالنسبة للطفل الأب هو: "وجه حاضر، مختلف عن وجه الأمّ، يظهر في أوقات محدّدة وثابتة نوعا ما، حامل لتشجيعات ومكافآت مختلفة، وجه مُنتظر لأنّه في الغالب غائب، مطمئن لأنّه لا يتدخّل في إشباع الحاجات بحيث تكون المتطلبات لا يمكن إشباعها إلا من طرف الأمّ" (AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859).

يعتبر الأب وسيطا بين الفضاء العائلي الداخلي والفضاء الخارجي الذي يقضي فيه وقتا طويلا، بل ويكون حاملا لما يحتويه هذا العالم الخارجي، كما قد يكون الأب بمثابة قدوة للطفل يقتدي بها، وهذا ما أشار إليه Bauer . J.P بقوله: "عندما لا تعمل الأمّ، يكون الأب هو الرابط مع العالم والمجتمع بصفة عامّة، وخلفه ترسم وتترأى الحقيقة الخارجة عن العائلة. من خلال دور الأب وتدخل مجموعة من الآليات الأخرى المعقّدة يُمكن أن يصبح الأب مثلا للآنا بالنسبة للطفل، هو دور صعب لأنّه في مرحلة معينة من نموّه يتضمّن تعارض وممنوعات" (In AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859). نهاية هذه المقولة وضّحها S . Freud في إحدى مقالاته حيث قال: "يكون ما هو رئيسي في النجاح الذهاب أبعد ممّا وصل إليه الأب وكما أنّه دائما ممنوع تجاوز الأب كذلك" (In AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859). أمّا إذا حاول الابن تجاوز الأب فيُسمّى ذلك تمرّدا وعصيانا، ولكن من ناحية أخرى أشار S . Freud إلى أهمية أن يكون الفرد هو نفسه (Etre soi-même)، وأن يُشكّل تاريخا لنفسه وغيره: "إنّه مثير للسخرية الافتخار بالأسلاف، الأفضل أنا أفضل أن أكون أنا سلف، جدّ" (In AJURIAGUERRA . J, 1974 : 859)، وهنا المقصود أن يكون هو السلف أن يكون قدوة للأجيال التالية عوض أن يكون هو تابعا لأجيال سابقة.

على مستوى الوضعية الثلاثية نتحدّث دائما تقريبا عمّا يحمله الوالدين اتجاه الأطفال وليس عمّا يحمله الأطفال للوالدين. من خلال ميلاد الطفل الذي هو يُمثل آخر بالنسبة للأب ولكن في نفس الوقت يُمثله هو ذاته فإنّه يعني أنّ الوالد يتحوّل ويُولد من جديد في هذا الآخر الذي يُمثله هو ذاته والذي هو الطفل. يتوضّح لنا ذلك من خلال التماهيات، فالطفل هو نسخة من الوالد أو بديله، وما يُقدّمه الوالدان للطفل ليس ما كانا عليه في السابق، ولكن أيضا انعكاس ما أصبحوا عليه الآن بعد مجيء الطفل. تتركب شخصية الطفل من خلال سيرورات التماهي. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه: "من الصعب التحدّث عن التماهي خلال المرحلة التكافلية، لكن أثناء مرحلة التفرّد يُحاول الطفل القيام بتجزئة وتقسيم ما يعرضه الأب وما تعرّضه الأم، وذلك تبعاً لما يُقدّمه كلّ منهما وتبعاً لدور كلّ منهما" (AJURIAGUERRA . J, 1974: 860).

إنّه ليس من السهل على الطفل التماهي مع هذا أو ذلك من والديه بشكل واضح، لأنّه كمثال لو تفحصنا العلاقة مع الأمّ فإننا نجد تناقضا لدى الأمّ فهي في آن واحد جيّدة وسيّئة، وبالتالي سيكون نفس الحال مع الأب بطريقة أكثر غموضا، فهو الأب الذي يُعطي أو يرفض، إنّه أيضا الأب الذي يأخذ من حب الأمّ، ومع التحوّلات الاجتماعية التي طرأت حاليا فإنّ التمييز والتفريق بين الأدوار ليس واضحا كفاية. من وجهة نظر كلاسيكية يتماهي الولد منذ صغره وفي سنواته الأولى مع الأب: "هذا التماهي الذي هو في آن واحد بناءً ومعيارياً يجعل منه في ظروف عائلية عادية رجلاً تبعاً لصورة النموذج الأبوي، وما تحمله له الأمّ وما يأخذه منها هو بالأساس تعلّم الحب" (AJURIAGUERRA . J, 1974: 860-861).

## خلاصة:

يعتبر هذا الفصل من أهمّ الفصول، بحيث تناولنا فيه الممارسات الأمومية، وقد تطرّقنا فيه إلى مختلف الدراسات التي أقيمت حول الأمومة والممارسات الأمومية، وكذا العلاقات التفاعلية بين الطفل والأمّ، والطفل والأب، والطفل ومختلف أفراد المحيط الذي يعيش فيه من عائلة أو روضة، أو مربية. لم يكن بوسعنا الاختصار في هذا الفصل لأنّه ارتأينا أنّ ذكر كلّ هذه الدراسات هو مفيد من أجل إثراء البحث العلمي.

## الفصل الخامس: منهجية الدراسة

تمهيد.

### 1- الدراسة الإستطلاعية:

1-1- مكان الدراسة.

1-2- مدة الدراسة.

1-3- حالات الدراسة.

1-4- أدوات الدراسة.

1-5- نتائج الدراسة الاستطلاعية.

### 2- الدراسة الأساسية:

2-1- مكان الدراسة.

2-2- مدة الدراسة.

2-3- حالات الدراسة و مواصفاتها.

2-4- أدوات و تقنيات الدراسة:

2-4-1- قصة الحياة.

2-4-2- المقارنة.

خلاصة.

## تمهيد:

يتضمن هذا الفصل المتعلق بمنهجية الدراسة جزئين أساسيين، حيث يتمثل الجزء الأول في الدراسة الإستطلاعية والتي سنعرض فيها المكان الذي تمت فيه الدراسة الإستطلاعية مع تحديد المدة والأداة المستخدمة من أجل استطلاع الميدان. أما الدراسة الأساسية خصت العناصر التالية: إنتقاء مكان الدراسة، مدة الدراسة، حالات الدراسة وأدوات البحث.

### 1- الدراسة الإستطلاعية:

وتتضمن هذه الدراسة ما يلي:

#### 1-1- مكان الدراسة:

تمّ القيام بالدراسة الإستطلاعية في مجموعة من من المدن الجزائرية: تلمسان، سعيدة، وهران، بجاية، الجلفة، ورقلة، غليزان، سطيف، جيجل، باتنة، تيزي زوز، سكيكدة، سيدي بلعباس، ميله، حيث تنقلنا إليها شخصياً<sup>(1)</sup>. تمّ توزيع هذه الشبكات في أماكن مختلفة منها: الشوارع، الحدائق، المطاعم، مكاتب مؤسسات، الجامعات.

#### 1-2- مدة الدراسة:

بدأت دراستنا الإستطلاعية من حوالي سبتمبر 2012، إلى غاية نوفمبر 2016، وقد كنا نبدأ بمسح لعينة من كل مدينة بعدها نحدد الحالات التي سنعمل معها في الدراسة الأساسية، بمعنى ان الدراسة الاستطلاعية كانت

(1) ما عدا مدينة الجلفة وميلة، أين تمّ الاعتماد على بعض الزملاء لمثلها.



تسبق الدراسة الأساسية في كل مدينة كنا نزورها. وفي الأخير قمنا بحساب النسب المئوية التي تتمثل أهميتها في تقديم نظرة شاملة وفكرة عامة فقط، وهي لا تمثل دراسة إحصائية بأتم معنى الكلمة.

### 1-3- حالات الدراسة:

قمنا بتوزيع 100 شبكة ملاحظة على الأمهات الماكثات في البيت و 100 شبكة على الأمهات العاملات في مختلف القطاعات: قطاع الصحة، التربية والتعليم، الشباب والرياضة، التعليم العالي والبحث العلمي، القطاع الخاص، واللاتي كنّ يشغلن مناصب مختلفة تدرّجت من إدارية إلى مسؤولة، إلى تاجرة، من عاملة نظافة إلى باحثة، من ممرضة إلى طبيبة. وقد حاولنا أيضا أن نملاها داخل إحدى قطاعات الأمن ولكن لم نتمكن من ذلك لحساسية القطاع حسب الردّ الذي تلقيناه من خلية البحث العلمي والاتصال من أمن الولاية. لم نحدد السن وكذا لكلا لمجموعتين ولم نحدد المستوى الفكري والثقافي والاقتصادي لهما. بالنسبة للشبكات التي تمّ حساب نسبها المئوية هي 50 شبكة من كلّ مجموعة، حيث تمّ إلغاء بعض الشبكات التي كانت ناقصة أو هناك بعض الشبكات التي لم يتمّ استرجاعها أصلا. بعد الحصول عليها كلّها تمّ حساب عدد كلّ خانة من كلا المجموعتين، وبعدها تمّ حساب النسب المئوية.

### 1-4- أدوات الدراسة:

تمّ الاعتماد في الدراسة الاستطلاعية على شبكة الملاحظة، وهي وسيلة من أجل جمع المعلومات عن طريق الملاحظة غير المباشرة، حيث تعدّ علينا القيام بالملاحظة المباشرة، وذلك لأنّ موضوع الدراسة وما يجب جمعه عن طريق الملاحظة يتطلّب العيش مع العينة المدروسة طيلة فترة النمو، وهذا صعب تحقيقه لكبر عدد العينة وطول المدة. في إعداد هذه الشبكة تمّ الاعتماد على أعمال J. Le Camus الذي وضع شبكة ملاحظة خاصّة بالأب، وقمنا بتحويلها إلى شبكة خاصّة بممارسات الأمّ وتدخّل الأب في بعض المهام، وقد ساعدتنا هذه الشبكة

في تدعيم الدراسة العيادية. تضمّ كلّ شبكة بين 60 و62 بند، والتي تتمثل في مواقف تتعلّق بالممارسة الأمومية والعلاقة التفاعلية أم-طفل وأيضا العلاقة أب-طفل، وعلى الأمّ ملاء الإجابة التي تتدرّج من إطلاقا إلى غالبا.

تم الاعتماد أيضا على الأسلوب الإحصائي الذي يهدف بالأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة، ويكون ذلك من خلال "قياسات من الطراز الترتيبي (ordinales) مثل: أكثر من أو أقلّ من، أو عددية وذلك باستعمال الحساب" (أنجرس . م، 2006 : 100). إنّ هذا الأسلوب هو عبارة عن استخدام الطرق الرقمية في معالجة وتحليل البيانات، وإعطاء التفسيرات المنطقية المناسبة لها، ويتمّ ذلك عبر مراحل هي: "جمع البيانات الإحصائية عن الموضوع، عرض هذه البيانات بشكل منظمّ وتمثيلها بالطرق الممكنة، تحليل البيانات، تفسير البيانات من خلال تفسير ما تعنيه الأرقام المجمّعة من نتائج" (بن واضح . ه، 2016 : 38).

يتضمن الأسلوب الإحصائي عدّة مقاييس إحصائية التي يتمّ استخدامها في إطار هذا المنهج منها المتوسط الحسابي، المنوال، والمعدلات والجداول التكرارية والنسب المئوية. وهذه الأخيرة التي اعتمدها في دراستنا، حيث قمنا بوضع شبكة ملاحظة خاصّة بكلّ مجموعة من الأمّهات، وتمّ ملؤها من طرفهن، هذه الشبكة لم تُعرض على التحكيم لأنّها ليست استمارة من أجل القياس، وإنّما هي مجموعة من النقاط التي يُفترض على الباحث ملاحظتها بشكل شخصي، ولكن لعدم توفّر الظروف، وضيق الوقت، تمّ توزيعها على الأمّهات من أجل ملئها.

## 1-5- نتائج الدراسة الاستطلاعية:

كانت النتائج المتوصل إليها كما يلي:

### • تأويل نتائج شبكة الملاحظة الخاصة بالأم الماكثة بالبيت:

عندما نتحدث عن الأمّ الماكثة في البيت فهذا يُحيل تفكيرنا إلى أنها نموذج للأمّ في النظام الاجتماعي التقليدي، التي كانت تقوم بتسيير شؤون المنزل والوقوف على كلّ كبيرة وصغيرة فيه، ولا تتعدّى حدوده إلا للضرورة القصوى. وكما يقول المثل الشعبي المتداول في النظام التقليدي أنّ البنت أو المرأة تخرج في حياتها من المنزل ثلاث مرات: "للرّاة ثلاث خرجات في الحياة، عندما تُولد من بطن أمّها، تخرج نحو زوجها ثمّ تخرج نحو المقبرة" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 73).

في النظام التقليدي يعتبر الدور الرئيسي للمرأة هو داخل بيتها، وهو العمل المقدّس الذي يتفق مع الوظيفة الفطرية والاجتماعية التي حُلقت من أجلها، بل وهو في النظام التقليدي عبادة عظيمة وفيها أجر كبير، ويظهر هذا الدور في أربعة جوانب وهي: "الجانب الزوجي وهو بتحقيق الطمأنينة الزوجية وواجبات وحقوق الزوجة اتجاه زوجها، الحمل والإنجاب وما يتبعه من الرضاعة والحضانة، تربية الأولاد وخاصة في الصغر والسنوات الأولى للولد وتكون الأمّ منبعاً للحنان (...)" (الزحيلي . م، 2008: 259). وهذا الدور هو الذي "يملاً فراغ المرأة ويُحقّق شخصيتها ومكانتها في المجتمع" (الزحيلي . م، 2008: 260).

أقيمت شبكة الملاحظة هذه لحساب النسب المئوية للممارسات الأمومية وما إذا طرأت تغيرات على العلاقة أم-طفل لدى الأمّ الماكثة بالبيت. ولو حظ بعد حساب النسب المئوية (الملحق 1)) أنّ الأمّ تقوم بمهامها المتمثلة في رعاية الطفل والاهتمام به بنسبة عالية في الغالب وكثيراً، وبهذا فإنّها تقوم بالممارسات الأمومية التي هي منوطة بها والتي تعارف المجتمع التقليدي على أنّها من مهام الأمّ وحدها، ولهذا نلاحظ ارتفاعاً في النسب تقريبا

في كل ما يتعلّق بالمهام التي تُؤدّيها الأمّ من تغذية، تنظيف وتغيير، الاحتضان، والمواساة وكل ما يندرج تحت الرعاية الأمومية. وحتى الفكر النفسي التحليلي الأصلي<sup>(1)</sup> حتّ بقوة على التسليم بأنّ التغذية، الحرارة والتواصل الجسدي، الحب، هي كلّها من مهام الأمّ الوالدة (أو البديل لها من نفس الجنس)، أمّا الأب فهو الحامل للقانون والكفيل بالسلطة، بالتالي فإنّه: "تُسند الدينامية في هذه النظرية إلى الوجه الأمومي والأطوار قبل أوديبيّة تكون أطوار طفولية-أمومية" (LE CAMUS . J, 1985 : 46).

وفي نفس السياق أشار كلّ من Bowlby و Ainsworth في ضوء ما يُعرف حاليا بالتكوّن التعاقبي التفاعلي إلى أنّ: "رابط الطفل بأمّه لا يكون مُعطى، وإنّما يتكوّن (حيث يبدأ لا شك خلال فترة الحمل) وهذا ما يجعل الأمّ أكثر تفاعلا مع الطفل مقارنة مع الأب" (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991:77). ويضيف Bowlby: "باختصار، التعلّق والأشكال الأخرى للروابط هي علاقات تنمو مع الوقت تُسح عن طريق تتابع وتناسق التعارفات، اللقاءات والانفصالات" (MALEWESKA-PPEYRE . H et TAP .P, 1991:77).

إذن الأمّ في هذه المجموعة تقوم بممارساتها على أكمل وجه وكما حدّدتها الثقافة التي تنتمي إليها من جهة، ومن جهة أخرى لأنّها وجه التعلّق الأوّل الذي يتعلّق به الطفل، وبالتالي فإنّه يحتاج إليها بالدرجة الأولى لتلبية حاجاته البيولوجية والعاطفية.

وإن حاولنا معرفة ما إذا كان الأب يُساهم في مساعدة الأمّ، فنلاحظ أنّه يقوم بذلك بنسب قليلة جدا مقارنة مع الأمّ، فمثلا في تغيير الحفاظ نجد 4% غالبا و 0% كثيرا، وكذلك إدخاله للمرحاض بنسبة 0% غالبا و

(1) ومن بين المحللين النفسانيين الذين أيدوا هذا الرأي أولا Freud . S، ثمّ بعده Freud . A، Klein . M، Winnicott . D.W، Mahler . M، Spitz . R.

2% كثيرا. أيضا فيما يتعلّق بالتحضير الرضاعة 4% غالبا و 0% كثيرا، وإعطاء الرضاعة 4% غالبا و 4% كثيرا، ولكن هذا الانخفاض ساهم فيه عامل آخر غير أنّه مهمّة خاصّة بالأمّ ألا وهو الرضاعة كانت غالبا طبيعة لدى الأمّهات الماكثات بالبيت، فالأمّ الماكثة بالبيت تميل إلى الرضاعة الطبيعية لأنّها تقضي معظم وقتها إلى جانب الطفل. ولكن هذا لا يعني عدم مشاركة الأب في الاهتمام بالأطفال بل بالعكس حتى الأمّ الماكثة بالبيت يُساعدوا الأب في مهامها الأمومية ولكن بنسب منخفضة جدّا، لاحظنا ارتفاعا طفيفا فيما يتعلّق بتحميم الطفل حيث يُساهم الأب في ذلك بنسبة 8% غالبا و 10% كثيرا، وهذا يعبر على تفاعل الأب مع الطفل في سنّ مبكّر. كما نجده مثلا يُطعمه بنسبة 26% غالبا، أخذه إلى النوم بنسبة 18% غالبا و 6% كثيرا، يستجيب له في الليل بنسبة 20% غالبا و 24% كثيرا، ويواسيه عندما يبكي بنسبة 22% غالبا و 26% كثيرا، يحضنه قبل النوم بنسبة 44% غالبا و 20% كثيرا، يحمل الأب الطفل مرارا في اليوم بنسبة 24% غالبا و 16% كثيرا، يغطيه في الليل بنسبة 26% غالبا و 30% كثيرا، يُعطيه الدواء بنسبة 14% غالبا و 16% كثيرا، عندما يعود من العمل يقضي معه بعض الوقت بنسبة 26% غالبا و 36% كثيرا، يشاهد معه التلفاز بنسبة 40% غالبا و 10% كثيرا، يبقى مع الأب في المنزل عند ذهاب الأمّ لزيارة الأهل بنسبة 24% غالبا و 10% كثيرا. إذن الأب يُساعد الأمّ الماكثة في البيت ولكن في جوانب محدّدة وذلك تبعا للنسب المتحصّل عليها، إذ يبقى الدور الأساسي يعود للأمّ. وبالتالي نسجّل هنا تعيّرًا طفيفا أين الأب أصبح يتدخل في العلاقة الثنائية أمّ طفل وتكوين العلاقة الثلاثية الفعلية أب-أم-طفل. هذا يشير إلى حدوث تغيّرات داخل العلاقات التفاعلية وداخل العائلة والمجتمع، حيث في الماضي لم يكن الأب تدخّل في الاهتمام بالطفلاً والتفاعل معه إلى بعد أن يكتسب استقلالية أولية مثلما أشارت إليه مدرسة التحليل النفسي أنّ الأب: "لا يتدخّل إلا بعد نعومة الأظافر، حيث يكون الطفل قد اكتسب استقلالية ابتدائية وتجاوز مرحلة المهيد، وفي الفترة التي تظهر فيها اللغة المنطوقة، وهو يكون في هذه الحالة كعنصر فاصل للعلاقة الثنائية أمّ-طفل" (LE CAMUS . J, 1985 : 46).

لاحظنا كذلك فيما يتعلّق بنوم الطفل مع والديه داخل نفس الغرفة، فإنّه هناك نسبة 44% غالبا و32% كثيرا من الأطفال ينامون مع الوالدين، وهذا ما كان شائعا في النظام التقليدي أين يتشارك الطفل الغرفة مع والديه حتى يكبر، في حين نسبة 14% غالبا و14% كثيرا من الأطفال الذين ينامون بمفردهم وهذا ما لم يكن موجودا في نظامنا التقليدي، وإن دلّ على شيء إنّما يدلّ على التغيرات الطارئة على النظام الاجتماعي. وهذا سنفصّل فيه لاحقا.

إذن انطلاقا من هذه النسب المئوية لشبكة الملاحظة الخاصة بالأمّ الماكثة بالبيت نستنتج أنّ الأمّ هي من تهتمّ بشكل أكبر بالطفل، وذلك سيرا على خطى الأمّ في النظام التقليدي أين يُربّى الأطفال داخل النسق النسائي العائلي إلى أن يكبر الولد قليلا ويخرج ويدخل في تفاعل محدود مع الأب، في حين تُربّى الفتاة تربية منزلية. إنّ المرأة بطبعها هي خاضعة لعاطفتها ويظهر ذلك عندما تصبح أمّاً، أين تمنح المولود كلّ وقتها وجهودها واهتمامها وتقدّم له الأفضل دائما حتّى على حساب زوجها والآخرين، وهذا ما يُلاحظ من خلال هذا الجدول على العموم.

#### • تأويل نتائج شبكة الملاحظة الخاصة بالأمّ العاملة:

منذ زمن بعيد كان لكلّ من الجنسين الذكر أو الأنثى مهام خاصّة به ترتبط بجنسه ومقدرته البدنية والعقلية، وكان لكلّ منهما أسلوب حياة حدّته ثقافته التي ينتميان إليها. ومن المهام التي كان يُكلّف بها الذكر كانت حسب السنّ والمكانة (Statut)، فعندما يكون طفلا يتمثّل دوره في حماية البيت، حراسة أخواته البنات، إذ أنّ "الإخوة يشعرون غالبا أنّهم مطالبون بمهمّة حراسة أخواتهم" ( : LACOSTE-DUJARDIN . C, 1992 )، وعندما يكبر يُساعد والده في العمل خارج المنزل. كان يدخل في نهاية الطفولة مباشرة في مرحلة الرشد من خلال العمل والزواج وتحمل المسؤولية، ليُصبح أبا ويكون له دورا في توفير متطلبات عائلته، وهذا ما أشار إليه

Nini . M-N في مقال له حيث يرى بأن "داخل نظامنا الاجتماعي والعائلي التقليديين يصل الفرد إلى مكانة (Statut) راشد منذ البلوغ مباشرة، وخصوصا من خلال تأشيرة الزواج" (NINI . M.N, 2000 : 451).

أما الأنثى عندما تكون طفلة يتم تجهيزها للمرحلة الموالية أو للمكانة الموالية، التي هي المصير الحتمي لكل فتاة: الزواج وبالخصوص الأمومة، حيث تقوم بمجموعة من الممارسات التي تكون مقتصرة عليها فقط كالاتمام بالطفل، إرضاعه، إطعامه، وتحميمه وتغيير ملابسه وغيرها من الممارسات الأمومية إلى أن يبلغ مرحلة الاستقلالية والاعتماد على الذات، حيث يتدخل الأب في العلاقة الثنائية أم-طفل في السن الذي يصبح على الولد الدخول مع أبيه إلى الحمام وليس مع أمه لأنه أصبح واعيا. وهناك من يرى أن تدخل الأب يكون بعد الختان (Circumcision) حيث يتم ضمّ الولد إلى مجموعة الرجال وهنا يبدأ الابتعاد عن الأم ويكون ذلك في حدود سنتين إلى ثلاث سنوات.

في شبكة الملاحظة هذه وضعنا بنود تتمثل في الممارسات الأمومية وما مدى قيام الأم العاملة بتنفيذها، وما إن كان هناك تغييرات في ممارسة الأم للمهام التي كانت موكلة إليها لوحدها، حيث نلاحظ مثلا نسبة الرضاعة الاصطناعية أعلى من الطبيعية (الملحق (2)) حيث نجد في هذه الأخيرة 22% غالبا و 38% كثيرا في حين الارضاعة الاصطناعية نسبة 38% غالبا و 32% كثيرا. كما أنّ الأم هي التي تُحضّر الرضاعة ولكن لاحظنا أيضا مساهمة الأب في ذلك ولو بنسبة 8% غالبا و 10% كثيرا، ويُعطيهما للطفل بنسبة 8% غالبا و 14% كثيرا. كما يُشارك الأب في ممارسات أخرى مثل يُطعمه بالملعقة بنسبة 14% غالبا و 6% كثيرا، تغيير الحفظ بنسبة 10% غالبا و 6% كثيرا، ويدخله المرحاض بنسبة 6% غالبا و 8% كثيرا، يقوم بتغيير ملابسه 10% غالبا و 10% كثيرا، يعطيه الدواء 16% غالبا و 8% كثيرا، وهي إن كانت نسب لا تتجاوز النصف ولكنها تُعبّر عن مدى مساهمة الأب في مساعدة الأم العاملة، الأمر الذي يُحيل إلى تأثير التغييرات التي طرأت على النظام الاجتماعي. إنّ نسب مشاركة الأب ترتفع في مهام أخرى مثل يسكت الأب الطفل عندما يبكي بنسبة 22% غالبا و 34% كثيرا، يحمله مرارا في

اليوم بنسبة 16% غالبا و18% كثيرا، يأخذه للنوم بنسبة 20% غالبا و20% كثيرا، يحضنه قبل النوم بنسبة 26% غالبا و32% كثيرا، يواسيه بنسبة 20% غالبا و44% كثيرا، ينام بجانبه 18% غالبا و20% كثيرا، ويُغطيه في الليل بنسبة 14% غالبا و24% كثيرا. فيما يتعلّق بنوم الطفل مع والديه فإنّه ينام معهما بنسبة 40% غالبا و34% كثيرا، وينام بمفرده بنسبة 14% غالبا و16% كثيرا، وهذا يُشير إلى أنّه حتى الأم العاملة تحتفظ بنوم الطفل معها في الغرفة بأعلى نسبة، ولكن في الحلات التي ينام لوحده فهي تُؤكّد على تأثيرا التغيرات الحاصلة في المجتمع.

وما شدّ الانتباه أكثر أنّ الأب أصبح يتدخّل في العلاقة الثنائية (Dyade) أم-طفل في مرحلة مبكرة في حياة الطفل، بحيث يُساهم ويُشارك في رعاية الطفل والاهتمام به تقريبا مثل الأمّ فنجدّه يُرضعه بالرضاعة، يُطعمه بالملعقة، يُغيّر له الحفاظ، يُحمّمه ويُغيّر له ملابسه، صار الأب يأخذه إلى النوم، يحضنه، يواسيه عندما يبكي، يُغطيه في الليل، ويستجيب له عندما ينادي في الليل. وبهذا تلك العلاقة الثنائية تركت المجال للعلاقة الثلاثية (Triade) أب-أم-طفل أو ما نُسمّيه بالثالث العائلي الواقعي. وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على وجود تغييرات طرأت على المجتمع، والتي بدورها أثرت على أدوار الأب والأمّ داخل العائلة، بحيث أصبح كلّ منها يقوم ببعض الأدوار والمهام التي كانت موكّلة إلى الآخر، فالمرأة عامّة والأمّ خاصّة خرجت من الفضاء الداخلي الذي كان مخصّصا لها إلى الفضاء الخارجي الخاصّ بالرجل والأب من أجل العمل إمّا لإعالة العائلة أو تحقيق الذات والاستقلالية، وبالمقابل الرجل أو الأب دخل إلى الفضاء الداخلي حيث لاحظنا من خلال هذه الشبكة أنّه يقوم بممارسات كانت خاصّة بالأمّ فقط والتي تتمثّل في رعاية الطفل ولكن بدرجة أقل مقارنة مع الأمّ، والنسب المئوية تُؤكّد ذلك.

إذن نلاحظ أنّ هناك تغيير على مستوى العلاقة أب-طفل التي أصبحت تبدأ في مرحلة مبكرة، وهذا جديد وهامّ جدا لأنّها غيرت الطقوس والعادات داخل العائلة، حيث صار يقوم بممارسات أمومية لمساعدة الأمّ العاملة.



هنا نكون قد توصلنا تقريبا لنفس النتائج التي توصل إليها J. Le Camus من خلال الدراسات والبحوث التي قام بها مع فريقه حول نفس الموضوع، حيث توصل إلى أنّ: "مكان (Place) الأم في مقابل الطفل يميل إلى الانخفاض، في حين مكان الأب (البيولوجي أو التربوي) يميل للزيادة والتطور" ( : LE CAMUS . J, 1985 : 47). وبالتالي إذا طرأت تغييرات على مستوى المكان فهذا يعني أنّ الأدوار كذلك يمسّها التغيير، وهذا ما حاول Le Camus وفريقه إثباته: "شيئا فشيئا أصبحنا نلاحظ الآباء المستقبليين يُرافقون باهتمام زوجاتهم الحوامل، آباء جددا يُشاركون بنشاط في فعل ميلاد الطفل (في العيادة الخاصة على الأقل)، (...) ويُساعدون في نشاطات الرعاية والعناية والتربية مبكرا جدا" (LE CAMUS . J, 1985 : 47). كما أننا قد وصلنا إلى نتيجة قريبة من تلك التي توصل إليها عمار . ع في دراسته حول العلاقة التفاعلية أب-طفل، بل ودراستنا هي مكتملة لدراسته، حيث توصل إلى أنّ الأب أصبح يدخل في تفاعل مبكر جدا مع الطفل والنتائج التي توصلنا إليها تُشير إلى ذلك وتؤكد.

هذا كله يعني أنّ مكان الأم داخل العائلة الجزائري طرأ عليه تغيير نتيجة لمساهمة الأب في الاهتمام بالطفل، وهذا كله ناتج عن اكتساب الأم لهوية جديدة ألا وهي الهوية العملية. وهذه الأخيرة هي نتيجة لدخول المرأة للمدرسة وسعيها إلى تحقيق ذاتها وشخصيتها داخل فضاء بعيد عن فضائها الداخلي من خلال العمل. إذن يُؤدّي كلّ من المدرسة ثمّ العمل إلى الابتعاد عن كلّ ما هو متعلّق بالمنزل، وقد أشار Bourdieu . P إلى ذلك: "... التحولات العميقة التي عرفها الوضع الأنثوي، خاصّة داخل الفئات الاجتماعية المفضّلة: إنّها مثلا زيادة بلوغ التعليم الثانوي والعالي والعمل المأجور ومن خلاله بلوغ الحقل العمومي، كلّ ذلك أدّى إلى أخذ بُعد اتّجاه المهام المنزلية ووظائف الإنجاب (مرتبطة بتقدم والاستعمال المُعمّم لتقنيات مانعة للحمل وتقليص حجم العائلات) مع خصوصا تأخير سنّ الزواج والإنجاب" (BOURDIEU . P, 2002 : 22).

## استنتاج عام:

لاحظنا أنّ هناك اختلافات مبدئية بين ممارسات الأمّ الماكثة في البيت والأمّ العاملة، حيث أنّ هذه الأخيرة تعتبر ممارستها أقلّ من الأمّ الماكثة بالبيت، الأمر الذي جعل الأب يتدخل في العلاقة أمّ-طفل ويُساهم في الاهتمام بالطفل على عكس الأمّ الماكثة بالبيت، حيث لاحظنا أنّها تقوم بمعظم الممارسات الأمومية، وإن تدخل الأب فإنّه يتدخل في أمور بسيطة جدًّا. مثلا لاحظنا مساهمة الأب في تحضير الرضاعة وذلك بنسبة 8% غالبا و 10% كثيرا، ويُعطيها للطفل بنسبة 8% غالبا و 14% كثيرا في حالة الأمّ العاملة، وهذا لم يكن موجودا في الماضي ولا حتى في الجدول الخاصّ بالأمّ الماكثة بالبيت حيث لوحظ أنّ نسبة تحضير الأب للرضاعة هي أقلّ وهي تُمثّل نسبة 4% غالبا و 0% كثيرا.

كما وجدنا في الجدول الخاصّ بالأمّ العاملة الأب يُغيّر الحفاظ بنسبة 10% غالبا و 6% كثيرا، وكذلك يُدخله إلى المرحاض بنسبة 6% غالبا و 8% كثيرا، في حين في الجدول الخاصّ بالأمّ الماكثة بالبيت تغيير الأب للحفاظ كان بنسبة 4% غالبا و 0% كثيرا، وإدخاله للمرحاض بنسبة 0% غالبا و 2% كثيرا. وهذا يُوّكد وجود تغييرات على مستوى مكان الأمّ وأيضا على مستوى الدور، وذلك نتيجة لخروج الأمّ للعمل، وقيام الأب بشغل الفراغ الذي خلفته بخروجها. وأخيرا نلاحظ تقاربا في النسب بين الأمّ والأب وبين الجدول الأول والثاني فيما يتعلق بأخذ الطفل إلى الروضة أو المدرسة وإرجاعه منهما وكذا زيارة الطبيب والنزهات وكذا شراء حاجياته. وهذا يُشير إلى اشتراك كلا الجنسين في فضاءات كانت في الماضي تخصّ أحدهما فقط. مثل الخارج الذي كان فضاءً خاصًا بالرجل فقط، ولكن نتيجة للتحوّلات أصبح يشترك فيه كلا الجنسين.

إذن من خلال هذه الدراسة المسحية المبدئية يتّضح لنا تعرّض النظام الاجتماعي التقليدي إلى تغييرات، والتي مسّت العائلة ومكان الأمّ ودورها، الأمر الذي أدّى إلى تغيير في دور الأب بحيث أصبح يتفاعل مع الطفل في سنّ مبكّر، وستأكد من ذلك في الدراسة الأساسية.

## 2- الدراسة الأساسية:

وتتضمن هذه الدراسة أيضا ما يلي:

### 2-1- مكان الدراسة:

تمّ القيام بالدراسة الأساسية في مناطق مختلفة من الجزائر: تلمسان، تيزي وزو، سكيكدة، سعيدة، وهران، غليزان، باتنة، جيجل، سطيف، مديّة، خنشلة، إليزي، غرداية، بشار، النعام، معسكر، ورقلة، بسكرة، تبسة، مستغانم، تيارت، أدرار، حيث تمّ إجراء مقابلات مع أفراد من مختلف الأعمار من كلا الجنسين، وذلك من أجل توضيح مدى تأثير التغيرات الاجتماعية على مكان وأدوار المرأة بصفة عامّة والأمّ بصفة خاصة. ومن بين هذه العينة اخترنا حالات الدراسة. أُجريت المقابلات مع الأمّهات في أماكن مختلفة فمنهنّ من تمّت معهنّ المقابلة في منازلهنّ ومنهنّ من تمّت معهنّ المقابلة في الجامعة أو أماكن عملهنّ.

### 2-2- مدة الدراسة:

دامت الدراسة الأساسية من حوالي سبتمبر 2012، إلى غاية نوفمبر 2016، حيث كما ذكرنا سابقا أن هذه الدراسة كانت تأتي بعد الدراسة الاستطلاعية المقامة في كل مدينة على حدى.

### 2-3- حالات الدراسة و مواصفاتها :

قمنا باختيار مجموعتين من الأمّهات، تضمّ المجموعة الأولى عشر أمّهات مآكثات بالبيت وتضمّ المجموعة الثانية عشر أمّهات عاملات في قطاعات مختلفة. ثمّ انتقينا خمس حالات من كلّ مجموعة كنموذج عن بقية الحالات، حيث لاحظنا بعض التشابه في القصص. قمنا بشرح الهدف من الدراسة للأمّهات وقبلنا إجراء المقابلة معهنّ.

## 2-4- أدوات و تقنيات الدراسة:

تمّ الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج العيادي، وكانت الأداة المنتقاة من أجل العمل مع الحالات هي قصّة الحياة وهي تعتمد على المقابلة والملاحظة العياديتين وفيما يلي سيتمّ تقديم هذه الأداة. بعد ذلك سيتمّ القيام بمقارنة بين مجموعتي الدراسة.

### 2-4-1- قصة الحياة (Récit de vie):

بحثنا هذا هو مكان الأم والممارسات الأمومية داخل العائلة الجزائرية، أين سيتمّ التّطرق إلى الحديث عن ماضي الحالة، حاضرها وتوقعها للمستقبل من خلال البحث في شخصيتها ومشروع حياتها. وبما أنّ الموضوع لا يُمكن تطبيق اختبارات فيه فإنّه كان من الأفضل اختيار طريقة كيفيّة، وبالتالي الوسيلة التي ارتأينا أنّها الأنسب في دراسة هذا الموضوع وتحليله هي قصة الحياة (Récit de vie). أين نقوم بدراسة السيرة الذاتية لكلّ حالة، بحيث يُمكننا تتبّع مسار حياتها وذلك من خلال العودة إلى مراحل العمر التي مرّت بها.

#### أ- التعريف بقصة الحياة:

ظهرت قصة الحياة في العلوم الاجتماعيّة منذ حوالي 20 سنة. كان التّعبير المخصّص لهذه الوسيلة قبلا هو "تاريخ الحياة" وهي ترجمة حرفيّة للتّعبير الأمريكيّ "Life history". إنّ التّرجمة الفرنسيّة كانت واسعة لأنّها لم تسمح بالتمييز بين التّاريخ المعاش من قبل الشّخص والقصة التي يُمكنه سردها بناء على طلب باحث وفي وقت معيّن من حياته. قصّة الحياة لا تشمل إجباريّاً كلّ تاريخ الحياة للعميل. في الواقع يُمكن تحديد ذلك بسرد جزءا من أحداث من حياته فقط، من أجل الكشف عن أمور داخلية لديه، علاقاته مع الآخرين، وأفعاله داخل نسق اجتماعيّ خاصّ. وتعرّف قصّة الحياة على أنّها: "شكل خاصّ من المقابلة-مقابلة سرديّة- التي من خلالها الباحث يطلب من شخص ما بأن يروي (على شكل قصّة) حياته أو جزءا من حياته" ( : GALLIGANI . S, 2000 ) (22). و يُعرّفها D. Bertaux : "هناك قصّة حياة منذ وجود وصف على شكل سرديّ لجزء من تجربة

معاشة" (In GALLIGANI . S, 2000 : 22). ويُضيف قائلا: "تُعطي قصّة الحياة وصولاً إلى الذاتية والمجموع الذي تُكوّنه تجربة حياة (...). قصّة الحياة تُعطينا مجموعاً مُعبّراً، ليس فقط عن الدّاخل ولكن عن الكلّ" (In GALLIGANI . S, 2000 : 22).

أما في نظر Chanfrault Duchet فإنّ قصّة الحياة هي: "نتاج إجراء إجماليّ و متماسك الذي من خلاله يتموقع السارد في وضعيّة حوارية" (In SANTIAGO-DELEFOSSE . M, S.A : 15).  
أما بالنسبة لـ Chabrol هي: "تقنية مقابلة تقريبا موجهة التي تتميز من خلال خاصيتها المتوسّعة. مسار المقابلة يكون نادرا واضحا، غالبا شبكة أحداث تترك أثرا على الفاعل (Sujet)، على معيشتها، المدلولات التي يُعطيها" (In SANTIAGO-DELEFOSSE . M, S.A : 18).

وحسب Trognon: "قصّة الحياة، مثل كلّ مقابلة هي نتاج تفاعل خطابيّ بين فاعلين (Sujets) يتعلّق بشبكة رمزيّة، خياليّة و واقعيّة معقّدة، لغويّة و خارج لغويّة" (In SANTIAGO-DELEFOSSE . M, S.A : 19).

يكون سرد القصّة من أجل إعطاء معنى، وتشتمل هذه القصّة في آن واحد على: حالة قصديّة من قبل بطل الرواية، وعنصر من الثقافة. وقد اخترنا قصّة الحياة كأداة للدراسة وجمع المعلومات لأنّها ظهرت تتكيّف مع الثقافة المحليّة، فيما يتعلّق بالجانب التقليدي فيها. كما تُناسب موضوع دراستنا، فقد أشار Polkinghorne إلى أنّ: "الهوية الشخصية والفكرة التي لدينا عن ذاتنا تتحقّق من خلال تعبير سردي. الذات ليست شيئا إحصائيا أو مادّة وإنّما هي عبارة عن أحداث عاشها الشخص داخل وحدة تاريخية، التي تشتمل ليس فقط على ما كان عليه الشخص ولكن أيضا تتضمّن توقّعات لما سيكون عليه مستقبلا. يعود نحو الماضي على ضوء الحاضر، وأيضا القدرة على إسقاط الذات نحو المستقبل والحديث عن المشاريع" (In SANTIAGO-DELEFOSSE . M, S.A : 24). فالشخص تنكشف هويته عندما نسمح له بسرد تاريخ حياته، وبالتالي تسمح له إعادة النظر في

أفعاله بتحقيق شكل جديد للكشف عن الذات. إذن تمثل الذات الذي هو على شكل قصّة يسمح بجعل إدراك الذات والحقيقة أكثر قابلية للفهم.

### ب- طريقة إجرائها وأدواتها:

قصّة الحياة في بحثنا هذا تعتمد على مقابلة البحث التي هي على نقيض المقابلة العيادية. هذه الأخيرة القصد منها هو تشخيصي وعلاجي، أما مقابلة البحث لا تستجيب إلى طلب المريض ولكن تستجيب إلى السعي لتكوين معارف علمية من قبل الباحث. يتمّ إعلام الأشخاص المراد العمل معهم قبلا بموضوع وهدف المقابلات التي يتمّ فيها سرد قصّة الحياة الخاصّة بكلّ منهم. يكون ذلك اختياريا أين يُمكن أن يتكلّم المبحوث عن خبراته المعاشية وهو فقط من يُقرّر ذلك، إذ يجب أخذ موافقته. كما يضمن الباحث للمبحوث أنّ كلّ ذلك يكون في سرية تامّة مع إخفاء المعلومات التي قد تُشير إليه.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ قصّة الحياة لا تكون فقط بين الباحث والمبحوث بل يُمكن أن تكون بين صديقين. لكن يُمكن التمييز بين قصص الحياة المُنتجة داخل إطار مقابلة البحث وتلك التي تظهر داخل حديث بين الأصدقاء. في الحالة الأولى تُسجّل القصّة داخل علاقة أين يكسب الباحث ثقة المبحوث، ممّا يُؤدّي بهذا الأخير للإدلاء بأسراره ويكون هنا الهدف هو الكشف عن الذات وإثراء المعرفة العلميّة. أمّا في الحالة الثانية فهي مجرد حديث غير مُوجّه من أحد والهدف منه التّواصل من جهة وحاجة الفرد لآخر يستمع إليه من جهة أخرى. "الباحث يبحث عن الإمساك عبر حديث المبحوث بالطريقة التي من خلالها يُركّب المبحوث أو يتمثّل بها موضوعا أو ظاهرة معيّنة. إنّ ذلك يجعل المبحوث في علاقة مع ذاته و مع تجربة على شكل كلمات"

( : CARCASSONNE-ROUIF . M, SALAZAR ORVIG . A et BENSALAH . A, 2001 )

(117).

ومع ذلك فإنّ الاعتماد على هذه الوسيلة في البحث يعود بالفائدة في آن واحد على الباحث من جهة وعلى المبحوث من جهة أخرى: "قصص الحياة هي إثراء متبادل: في آن واحد من أجل الباحث في توجيه بحثه و كذلك من أجل الفاعلين (Sujets) الذين يُظهرون حاجتهم لأن يُسمَع إليهم، لاعترافهم وتفهمهم" (SANTIAGO-DELEFOSSE . M, S.A : 24).

يُخدم حديث الباحث الذي هو في وضعية الاستماع البحث وترتيب وتنظيم القصّة هو متعلّق بتدخّلاته فهو يُوجّه باستمرار سير الحديث، حيث نادرا جدّا أين تكون الأحداث متسلسلة حسب التسلسل الزمني. ولهذا سُنّاعده شبكة المقابلة والملاحظة التي حضّرها مُسبقا في ضبط التسلسل الزمني. كما أنّه يُمكن للباحث انطلاقا من الحوار ومن عدد معيّن من الأحداث المذكورة من الماضي، أن يُعيد تركيبها حسب تسلسلها الزمني، كما يُمكنه الكشف عن التوتر الذي لم يُعبّر عنه السارد أثناء عرضه للأحداث وذلك من خلال استعمال الملاحظة، إذن تعتمد القصة الحياة بالأساس على الملاحظة والمقابلة:

#### • الملاحظة العيادية:

يقصد بالملاحظة العيادية أن يسجّل الباحث الأحداث، والوقائع كما هي موجودة بالفعل دون أن يتأثر بآراءه الشخصية، أو خبراته أو افتراضاته أو معتقداته. ويقف من الوقائع التي يلاحظها موقفا حياديا، و يتم ذلك عن طريق توظيف حواس المختص النفسي. وفي دراستنا هذه يتم ملاحظة التوتر الذي لا يعبر عنه المبحوث، والذي قد يُلاحظ على شكل: تغيير في نبرة الصّوت، لون البشرة، حركات الجسم، طريقة الجلوس، فترات الصمت.

• المقابلة العيادية:

- هي عبارة عن موقف فيه تفاعل بين شخصين هما المختص النفسي و العميل، و فيها يتم تبادل المعلومات والآراء و تستهدف حث العميل على الحديث بصورة تلقائية و صريحة و نجد ثلاثة أنواع من المقابلة:
- المقابلة الموجهة: و يطرح فيها المختص النفسي أسئلة معدة مسبقا من أجل الحصول على معلومات.
  - المقابلة غير الموجهة: يترك الفرد يتكلم بحرية قدر الإمكان مع تشجيعه و مراقبة ردود فعله ومقاومته ونظام دفاعه.
  - المقابلة نصف الموجهة: هي تسوية بين الصيغتين السابقتين (بارو . ف و دورون . ر ، 1997: 125). وقد اعتمدنا في دراستنا على المقابلة نصف الموجهة وغير الموجهة.
- كما أن سواء مقابلة البحث وحتى المقابلة العيادية المتعلقة بالتشخيص أو العلاج فإنّ العلاقات مع الآخر ومع حديثه وتجربته المٌحوّلة إلى كلمات تكون مرسومة بشكل مُحدّد مُسبقا. بمعنى لا يدخل الباحث في الحوار مع المبحوث ولا يطلب منه سرد قصة حياته إلاّ إذا قام الباحث بتحضير شبكة المقابلة وشبكة الملاحظة. وهذا ما اعتمدنا عليه في المقابلات التي قمنا بها، حيث قمنا بتحضير شبكة مقابلة خاصّة بالأُمّهات الماكثات بالبيت، وأخرى خاصّة بالأُمّهات العاملات. وتتّلى شبكة المقابلة في تحديد مجموعة من النقط المتعلقة بموضوع البحث والتي سيتمّ التطرّق إليها أثناء المقابلة التي يكون خلالها سرد قصّة الحياة. وتجدر الإشارة إلى أنّه في بداية المقابلة يُطلب من الحالة قصّة حياتها وكلّ ما تتذكّره عبر مختلف المراحل منذ الطفولة إلى يومنا هذا، وذلك دون تدخّل الباحث، إلا إذا لاحظ أنّها لم تتطرّق لنقطة معيّنة من شبكة المقابلة التي حضّرها، عندها يطرحها عليها على شكل سؤال. وفي عملنا هذا قمنا بتحديد النقط التي تخصّ موضوع الدّراسة. و كان الهدف من هذه الشّبكة هو تحديد مسار الحوار مع كلّ حالة، والعمل على عدم الخروج عن الموضوع. أمّا فيما يخصّ شبكة الملاحظة فحدّدنا ما يجب ملاحظته.



فيما يتعلّق بمدّة المقابلات فلم يتمّ تحديدها، بل تركنا الحرية للحالات في سرد القصص، كما أنّه في إجراء المقابلات سرنا على النصائح التي قدّمها هايمان (الجيلاني . ح وسلاطنة . ب، 2004 : 310):

- تحديد موعد المقابلة مع الحالة قبل القيام بها.

- تخصيص الوقت الكافي للمقابلة، وجعل الحالة يشعر بأنّ الباحث متفرّغ لمقابلته.

- ترك الفرصة للحالة اختيار الجلسة المريحة قبل البدء في المقابلة.

- تجنّب إجهاد الحالة بكلّ الوسائل الممكنة.

أثناء إجراء المقابلات يُمكن للباحث الاستعانة بجهاز تسجيل صوتي أو تسجيل صوت وصورة، ولكن لا يقوم بذلك إلّا بعد طلب الإذن من المبحوث والحصول على موافقة هذا الأخير، وإفهامه أنّ استعمال الجهاز هو من أجل تسجيل كلّ ما يُقال وتفادي نسيان بعض الأمور المهمّة عند التدوين كتابة أثناء المقابلة وأنّ ذلك يُساعد في عملية التحليل. وبعد طلب الإذن من الحالات استعنا في بحثنا على التسجيل الصوتي والتسجيل صوت وصورة مع حالة واحدة، والتسجيل الكتابي مع الحالات التي رفضت التسجيل الصوتي. وهذا ما قمنا به حيث اعتمدنا على مُسجّل صوت بعد حصولنا على موافقتهم لتسجيل كلامهم، ثمّ قمنا بتحويل الكلام المنطوق إلى كلام مكتوب. كان مجرى المقابلات تبعا لشبكة مقابلة قمنا بتحضيرها مُسبقا.

## 2-4-2- المقارنة (Méthode comparative):

تمّ الاعتماد في هذه الدراسة أيضا على المقارنة، والتي تتضمّن إظهار أوجه التشابه وأوجه الاختلاف أثناء القيام بمقارنة بين ظاهرتين. تسمح المقارنة في العلوم الاجتماعية بإعادة التساؤل فيما يخصّ النظريات المتوصّل إليها داخل سياق معيّن والتي كانت تُعتبر سابقا عامّة وشاملة.

من أجل استعمال طريقة المقارنة يجب طرح ثلاثة أسئلة هي: ماذا نقارن؟ لماذا نقارن؟ كيف نقارن؟ إنَّ طرح هذه الأسئلة هو بهدف تجاوز غموض وصعوبة استعمال هذه الطريقة في أي دراسة. إذن من أجل تجاوز الغموض وتوضيح الدراسة سنجيب عن هذه الأسئلة:

- نقارن بين مجموعتين من الأمّهات: المجموعة الأولى تضمّ أمّهات ماكنات في البيت والثانية تضمّ أمّهات عاملات.

- من أجل الكشف عن الممارسات الأمومية ومكان الأمّ داخل العائلة.

- نأخذ مجموعتين، كلّ مجموعة تضمّ عشر حالات دون تحديد السنّ، نستعين بقصّة الحياة ( Le récit de vie ) كأداة للدراسة في هذا العمل. من أجل ذلك سيتمّ القيام بمجموعة من المقابلات المعمّقة مع تلك الأمّهات بالاعتماد على شبكة مقابلة، كما سيتمّ تسجيل كلامهنّ وتسجيل الملاحظات، ثمّ تأتي مرحلة التعليق وتحليل المعطيات المتوصّلة إليها، بعدها يتمّ استخراج أوجه التشابه والاختلاف.

### خلاصة:

ضمّ هذا الفصل كل من الدراسة الاستطلاعية والدراسة الأساسية، وكذا تم الإحالة إلى المنهج المتبع والمتمثّل في المنهج العيادي من خلال استعمال تقنية قصّة الحياة التي تعتمد بالأساس على الملاحظة والمقابلة، وأخيرا تم الاعتماد على طريقة المقارنة من أجل إظهار أوجه الشبه وأوجه الاختلاف، وأيضا تطرقنا إلى المنهج الإحصائي التي اعتمدنا فيه على شبكة الملاحظة من أجل حساب النسب المئوية.

## الفصل السادس: عرض الحالات.

تمهيد.

أ- الحالات المأكثة بالبيت:

- 1- الحالة الأولى.
- 2- الحالة الثانية.
- 3- الحالة الثالثة.
- 4- الحالة الرابعة.
- 5- الحالة الخامسة.

ب- الحالات العاملة:

- 1- الحالة الأولى.
- 2- الحالة الثانية.
- 3- الحالة الثالثة.
- 4- الحالة الرابعة.
- 5- الحالة الخامسة.

خلاصة عام لجميع الحالات.

## تمهيد:

في هذا الفصل سيتم عرض العشر حالات المنتقاة: خمسة أمهات مآكثات في البيت وخمسة أمهات عاملات، مع تحليل كل حالة على حدى، وبعدها مناقشة النتائج.

### 1- الحالات المآكثة بالبيت:

#### 1- الحالة الأولى:

"المناضلة من أجل أطفالها" " La Combattante pour ces enfants "

#### 1-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2013/09/28، في متجر لصديقتي بمدينة تيزي وزو على الساعة 12:30 ودامت حوالي الساعة. كانت الحالة ترتدي فستانا وشعرها ممسوك إلى الوراء، كانت تتكلم بتذمر وقلق، كانت تتكلم بالعربية في الأغلب مع إدخال كلمات بالفرنسية والأمازيغية. استقبلت الحالة الطلب بصدر رحب ولم تُمانع. زوجها موظف، وهي تعيش في منزل مستقل عن عائلة الزوج.

ثانينا (Thanina) سني 37 سنة، مآكثة بالبيت حاليا، كنت أعمل سابقا في محل، درست حتى السنة التاسعة أساسي ثم واصلت الدراسة بالمراسلة حتى الثانية ثانوي، بعدها درست في التكوين المهني حلاقة، وعملت حلاقة لمدة معينة قبل الزواج ولكن بعد الزواج توقفت عن العمل لأنّ عائلة زوجي منعني من ذلك (كلخولي عايلة راجلي قالولي تخدمي من بعد الزواج بصرح حبست و بقيت نولد و نربي هذا ماكان... سوفريت)، إذ وعدوني بأن أستمر في العمل بعد الزواج لكن بعدما تزوجت منعوني، وأمضيت وقتي ألد و أربي فقط... عانيت كثيرا. لدي ثلاثة أطفال: البنت الكبرى سنها 11 سنة الولد سنه 09 سنوات أما الصغرى فسنها 07 سنوات، أعيش حياة صعبة خصوصا بعد مرض زوجي. تكفلت بأسرتي مدة معينة حيث عملت في محلّ ولكن لم أواصل وتوقفت عن العمل،

بدأت العمل عندما مرض زوجي، كان سنّ ابنتي الصغرى سنتين ونصف، بناتي يدرسن جيّدا لكن الولد لا وهذا يقلقني كثيرا أخاف ألا ينجح في حياته، هو (الابن) لا يبقى كثيرا في البيت ولا يدرس جيدا... عانيت معهم.

عندما كانوا صغارا أنا التي كنت اهتم بهم لوحدي وأرعاهم، في البداية كانت رضاعتهم طبيعية ثم أصبحت اصطناعية وأنا التي كنت أحضّر الرضاعة إذ أنّ الرضاعة الطبيعية كانت تدوم 05 أو 06 أشهر فقط كحد أقصى، لم يكن يساعدني الأب قبل أن يمرض في الاهتمام بهم أو تحضير لهم الرضاعة أو حتى حملهم عندما يكون ، أنا من تقوم بكلّ شيء.. أحضّر الرضاعة ، أطعمهم، أغير لهم ملابسهم، أنظفهم، أحممهم، أقوم بالأشغال المنزلية... كان يساعدني قليلا في الاهتمام بالبنات الأولى ولكن فيما بعد كنت أهتم بكلّ شيء لوحدي... عندما يعود من العمل ينام.

عندما كانوا صغارا كانوا ينامون معي وعندما يستيقظون في الليل أنا من تستجيب لهم، وعندما يمرضون أنا أهتمّ بهم، أتحدث معهم، أحاورهم حول ما درسوه، أنا أواسيهم وأنا أيضا من تعاقبهم، الأب لا يبحث عنهم أبدا (ما يحوسش عليهم كامل)، أنا أقوم بكلّ ذلك وحدي (أنا كلشي)، مثلا عندما يمرض أحدهم بالحمى كثيرا ما أتشاجر مع زوجي لأنّه يرفض اصطحابي للمستشفى وبعد عناء كبير يقبل في الأخير مصاحبتي لأنّني لا أستطيع الخروج وحدي في الليل.

أطفالي لم أدخلهم الروضة ما عدا البنت الكبرى أدخلتها الروضة لمدة 06 أشهر فقط والبنت الصغرى أدخلتها لمدة شهرين فقط.

عندما كنت أعمل كنت أتركهم في المنزل وحدهم، البنت الكبرى كانت تبقى معهم وتهتمّ بأخويها. كنت وقتها أقوم بالأشغال المنزلية في الصباح وأعمل عند 13 سا بعد الزوال... العمل أبعدي عن أطفالي ولهذا توقّفت

عنه من أجل هذا (أشارت إلى الولد) لأنه لا يدرس جيدا وعندما كنت أخرج من العمل أتوجه للبحث عنه في الخارج (كان داير رايو).

في تربيتي لهم لست متشددة مع البنين ولكن متشددة مع الولد، البنين تعرفان حسن التصرف وتنظمان وقتهما بين الدراسة واللعب ومشاهدة التلفاز أمّا الولد فلا، هو غير منضبط. أنا أحب البنات أكثر من الولد، أميل إلى البنات (نموت عليهم - البنات-) أمّا الولد فإنني أرى فيه ذهنية أبوه فهو يقوم بنفس تصرفاته.

أحيانا أقول أنني لا أقوم بواجبي على أكمل وأحسن وجه خصوصا بعدما مرض الأب، أنا أفكر كثيرا، أفكر فيما سيحدث غدا (كانت تقصد المستقبل)... أتمنى لأطفالي ما تتمناه كل أم أن يدرسوا ويعتمدوا على أنفسهم في المستقبل وأن يكونوا ناجحين.

يبدأ يوم عادي بالقيام بالأشغال المنزلية، تحضير الغذاء أخذ البنت الصغرى إلى المدرسة وإرجاعها منها، أشاهد التلفاز معهم في المساء وأحضّر العشاء، أنا أرى نفسي أم أكثر فقط أنا لا أهتمّ بنفسي أبدا أهتمّ بهم فقط، كل ما أملك و كلّ وقتي لهم. الأب لا يساعدني... عندما كانت البنت الكبرى صغيرة كان يساعدني قليلا وفي أمور بسيطة فقط، ولكن مثلا عندما تمرض لم يكن يسهر معها.

هدفي في هذه الحياة أن أرى أبنائي ناجحين... هذا كل ما أتمناه...

## 1-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى مجتمع أمازيغي يتميز بثقافة أبوية مثله مثل الثقافة العربية، حيث اهتم بدراسة هذا المجتمع العديد من العلماء الجزائريين والأجانب على رأسهم: Lacoste-Dujardin . C، التي قضت فترة لا بأس بها داخل هذا المجتمع، إضافة إلى Bourdieu . P ، و Tillon . G ، وآيت ياسين وغيرهم.

### • ثقافة أبوية: زواج بين عائلتين، جنسية جماعية:

من خلال القصة التي سردتها الحالة، نلاحظ أنها تعيش وسط عائلة لها ذهنية أبوية حيث كانت وراء توقف الحالة عن العمل إضافة إلى عامل آخر سنذكره فيما بعد، حيث قالت: " كلخولي عايلة راجلي قالولي تخدمي من بعد الزواج بصح حبست " وهنا يتوضح لنا أنّ المرأة داخل النظام التقليدي لم تكن ترتبط مع رجل فقط إنّما ترتبط بعائلته ككل، فالزواج لم يكن بين شخصين وإنّما بين عائلتين اللتين هما من تُحدّدان مصير هذان الزوجان، اللتين يكون لدهما غالبا روابط قرابة، في هذه الحالة الأزواج المستقبليّون يعرفون بعضهم تقريبا منذ الطفولة، وأحيانا كان يتمّ تزويج المرأة دون الأخذ برأيها ودون موافقتها، وإنّما الأب هو الذي يتكفل بذلك، ويكون أول لقاء بين الزوجين ليلة الزواج. وبالإضافة إلى ذلك هناك تدخل العائلتين في كلّ الأمور التي تخصّهما، ويبلغ الأمر إلى انتظار نتائج أول لقاء جنسي بينهما وهذا ما يسمّى بالجنسية الجماعية. ففي النظام الاجتماعي التقليدي لا تسمع العائلة للابن بالاستقلال والعيش منفردا مع زوجته، فالزواج يقوي الرابطة العائلية وليس العكس: "العيش كزوجين منفردين يبقى غالبا منبوذا مثل فقدان للقيم العائليّة" ( : LACOSTE-DUJARDIN .C, 2008 ) 140). وهنا لا يقصد بالانفراد في مكان العيش فقط وإنّما أيضا في اتخاذ القرارات. إذن هنا الزوجة تُدرك أنّها لم تتزوج رجلا مستقلا ولكنّها تزوجت بشخص هو جزء من جماعة، وزوج هذه الحالة حسب حديثها يظهر أنّه تحت سلطة عائلته.

## • الأمومة: مسؤولية ومعاناة:

درست الحالة إلى المستوى الثانوي ثم توجّهت لإجراء تكوين مهني، الذي يميّز بسرعة الحصول على الشهادة من أجل العمل، وليس لمتابعة المسار الدراسي الأكاديمي الذي يمتاز بطول المدّة إضافة إلى صعوبة الحصول على عمل بسرعة بعد نيل الشهادة. عبّرت الحالة في حديثها عن حالة تدمر من الأمومة المتكرّرة وأنها تعاني: "... وبقيت نولد ونربي هذا ماكان... سوفريت). إنّ ما هو متفق عليه وما هو واضح أنّ المرأة في النظام الاجتماعي التقليدي كان دورها الرئيسي هو أن تصير أمّاً وتمارس مختلف المهام المنوطة بالأمومة ولكن هذه الحالة عبّرت عن تدمرها من تربية الأطفال وربطتها بالمعاناة لصعوبتها. في سنّ هذه الحالة كانت المرأة سابقا يكون لديها الكثير من الأطفال وقد تكون جدّة في حين هذه الحالة ابنتها الكبرى تبلغ من السن 11 سنة، وهذا يعني أنّها لم تتزوج في سن مبكّرة وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على ظهور تغيّرات على مستوى النظام الاجتماعي حيث يُلاحظ تأخّر سنّ الزواج وتقليص عدد الأطفال.

## • وضعية المرأة في النظام التقليدي: بين الاستمرار والتغيير:

ولكن بالرغم من هذه التغيرات الطارئة وحتى تدمر الحالة إلا أنّها تهتمّ بأطفالها وتقوم بالممارسات الأمومية بشكل مستمرّ ومنفرد بحيث هي الوحيدة التي تهتمّ برعاية أطفالها وهذا ما عبّرت عنه من خلال قولها: " أنا من تقوم بكلّ شيء... أحضر الرضاعة، أطعمهم، أغير لهم ملابسهم، أنظفهم، أحممهم، أقوم بالأشغال المنزلية". تعيش الأمّ الماكثة في البيت بنفس أسلوب العيش الذي كانت تعيش عليه في النظام التقليدي، حيث كانت تقوم بالأشغال المنزلية ويجب أن تنجزها بإتقان، وعندما تتزوج يجب عليها الاندماج أولا مع عائلة الزوج، ويكون ذلك من خلال التقرب من أمّ الزوج والأخوات، ثمّ الانسجام مع الزوج في حدّ ذاته. لتصل في الأخير إلى بلوغ مكانة "أمّ"، أين يصبح عليها إلزاميا الاهتمام برعاية الأطفال. ولكن وضعية هذه الحالة تتميّز بوجود بعض الاختلافات عن



الماضي، مثل بحثها على تربية الأطفال لوحدها، العيش في منزل منفصل عن العائلة الكبيرة أو ما أصبح يسمى حاليا بالعائلة النووية.

تذمر هذه الأم عن الأمومة له علاقة أيضا بعدم وجود من يساعدها، ففي السابق كانت نساء العائلة ككل يساهمن في الاهتمام بالطفل سواء الجدّة أو العمات أو زوجات الأعمام، أمّا حاليا فلأنّه كلّ يعيش في فضاء منفصل عن الآخر أصبحت الأمومة صعبة نوعا ما، إضافة إلى عتب الأم على الأب لإهماله وعدم مشاركته في مساعدة الأم في رعاية الأطفال بالرغم من أنّه لم يكن ذلك من مهامه في الماضي.

كما أنّ هذا التذمر له علاقة بتحقيق الذات، حيث بالنسبة للحالة فإنّها لم تُحقق ذاتها بالأمومة، ولو حدث ذلك لما تدمرت، وهنا يتضح أنّه حتى الأم الماكثة بالبيت تسعى لتحقيق ذاتها خارج المنزل ولو بنسبة ضئيلة، وهذا يعبر عن وجود استمرار للأمّ التقليدية مع بعض التغيير.

#### • أمّ دون عمل، معاش أمومي تقليدي:

حيث عبّرت الحالة على أنّها الوحيدة من تتحمّل المسؤولية داخل المنزل فيما يخصّ الاهتمام بشؤون أطفالها المختلفة والمتعدّدة وقد أشارت إلى ذلك من خلال تصريحاتها المختلفة منها: "أنا أقوم بكلّ ذلك وحدي (أنا كلشي)"، هذا كان موجود من قبل في النظام التقليدي إذن الأمّ هي التي تقوم بكلّ شيء داخل المنزل والأب لا يساعد أبدا حتى في أبسط الأمور. الأب غائب عن العلاقة التفاعلية مع الطفل: "... عندما يعود من العمل ينام".

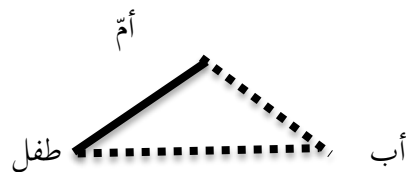
نلاحظ أنّ هذه الحالة تمارس معاشا أموميا تقليديا وذلك من خلال الممارسات الأمومية حيث يتمثّل دورها الأساسي في تربية أطفالها ومتابعتهم بشكل مستمرّ في الدراسة وفي كلّ أمورهم حيث لا تهتمّ بذاتها ولا تسعى إلى العمل بالرغم من أنّها كانت تعمل قبل الزواج ولديها خبرة بل إنّها ترى أنّ العمل أبعدها عن الاهتمام

بأطفالها بعدما حاولت في إحدى المرّات العودة إلى العمل ولكنها لم تواصل فقط من أجل أن تتفرغ لأطفالها خصوصا وأنها ترى أنّ الأب غائبا. فالعمل يُبعد الأم عن أطفالها، كما أنّ مساهمة الأب في الاهتمام بالأطفال يُشجّع الأم على العمل واتخاذ بُعد نحو الممارسات الأمومية، لكن إن كان غائبا فهذا يعني أنّ عمل الأم سيجعل الطفل وحيدا دون رعاية، وهذا ما أشارت إليه الحالة. حيث أنّ كلّ شيء مبني على العلاقة أم-طفل والعمل قد يكسر هذه العلاقة.

إذن بالنسبة للحالة العمل هو عائق لممارسة الأمومة على أكمل وجه فهي ترى أنّه يُبعدها عن أطفالها، ولهذا توقفت عن العمل بعدما حاولت المساعدة في دخل الأسرة، لأنّها وجدت نفسها تُهمّل أطفالها بذلك، حيث أصبح ابنها الأصغر يقضي وقتا أطول خارج المنزل. وهذا هو جوهر الثقافة الأبوية: "التربية التقليدية تسعى لإنتاج أفراد يتسمون بروح الجماعة والإخلاص لها ولا تميل إلى الاستقلالية والتحرّر" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991 : 211).

#### • أم واقعية، أب رمزي:

تبدو العلاقة الثنائية أم-طفل قوية جدّا خصوصا مع البنات أما العلاقة مع الولد فيشوبها بعض التوتر، فالأمّ تخشى أن يكون في المستقبل مماثلا للأب ويلاحظ هنا أنّه توجد علاقة ثلاثية أب-أم-طفل، ولكن الركن الثالث الذي هو الأب هو حاضر، وهنا الأب هو رمزي، وهذا يعني أنّ الأب موجود ولكن غائب، وحسب ما لاحظته عمار.ر في دراسة حول مكان الأب حيث أنّه وجد أنّ الأب يدخل في هذه العلاقة منذ فترة الحمل حيث يرافق الزوجة الحامل إلى المواعيد مع الطبيب المختص في طب النساء والتوليد. وبالعودة إلى هذه الحالة نجد العلاقة



إنّ هذا الشكل يتطابق مع ما كان في النظام الاجتماعي التقليدي، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّه في النظام التقليدي كان الأب يتدخل في العلاقة أم-طفل حتى يصل الطفل إلى مرحلة متقدمة والتي يكون فيها مستقلا أي يُمكنه المشي بمفرده، والأكل بمفرده، قضاء حاجته لوحده وغيرها، وغالبا ما كان هذا التدخل يكون عن طريق اصطحاب الطفل إلى الحمام الرجالي لأنّه مُنع من دخول حمام النساء بحجة أنّه أصبح كبيرا على الدخول مع الأمّ.

### • ثقافة أبوية، ذهنية أبوية:

أشارت الحالة في موضع معين من قصتها إلى أنّها لا تستطيع الخروج ليلا لوحدها لأخذ أحد أطفالها إلى المستشفى إلا إذا اصطحبها الزوج، وهذا يرتبط بشكل كبير بالذهنية الأبوية التي وإن طرأ عليها العديد من التغيرات إلا أنّها مازالت متواجدة في ذهنية الأفراد، فالمرأة في الثقافة الأبوية لا تخرج لوحدها ليلا إلا بمرافق هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرتبط ذلك تبعا لما جاء به يونغ وسماه بالاشعور الجمعي. تنتقل مختلف المكونات الثقافية للفرد عن طريق الجماعة أو ما نسميه الاستدخال الثقافي أو التثقف (enculturation)، هذا المصطلح تحدّث عنه Mead . M وهو يُقصد به "تبني الفرد للثقافة، (...) اندماجه داخل الجماعة. بمعنى امتصاص كلّ القيم الخاصّ بالمحيط وجعلها تنتمي إليه" (ALBO XAVIER . S.J , 2003 : 30). وهذا يعني أنّ الأمّ استدخلت الثقافة الأبوية التي ترعرعت عليها، وتبنتها، وبقيت في ذهنيّتها وعلى أساسها تتصرّف، فهي لم ترض بالخروج وحيدة في الليل، ولم ترض بالعمل وترك أطفالها.

وما يشدّ الانتباه لدى هذه الحالة وما يُؤكد أنّ لها معاشا تقليديا هو أنّها توكل إلى ابنتها مهامها تتمثّل في الاهتمام بإخوتها الأصغر منها، وهذا ما نجده في النظام الاجتماعي التقليدي. حيث تلعب الأخت الكبرى دورا كبديل للأمّ حيث تتكفل برعاية إخوتها وخدمتهم وتستجيب لمتطلباتهم وحاجاتهم، وقد أشارت Amara . F إلى ما يشغل البنات في النظام التقليدي، حيث قالت: "يُمكنن في المنزل، يَشغَلن بإخوتهنّ الصغار وأخواتهنّ،

يُساعدن أمهاتهنّ، يَقمَن بالتنظيف (...). يتمّ تعليمهنّ معرفة التكفّل بمنزل، يتمّ برمجتهنّ ليكونّ زوجات جيّدات، أمّهات جيّدات" (AMARA . F, 2004 : 44). وهذا يعني أنّ تلقى على عاتق البنت الكبرى المسؤولية تماما مثل الأمّ، حيث تقوم بكلّ أشغال المنزل وتهتمّ لطلبات أفراد الأسرة، وعلى رأسهم الإخوة الأصغر خصوصا إذا كانوا أولادا، وفي المقابل أيضا الأخ الأكبر كذلك تُلقى عليه المسؤولية كبديل للأب حيث عليه الاهتمام بأمور إخوته ومراقبتهم، وعلى الإخوة الأصغر منه سواء كانوا أولادا أو بناتا احترامه وهذا ما أشارت إليه Tillon . G في مؤلّفها الحريم وأبناء العم، وبالنسبة للبنات حتى لو كنّ أكبر منه سنّا عليهنّ احترامه. وأهمّ مهمّة توكل إليه هي حماية شرف العائلة، وذلك بمراقبة أخواته البنات: "الأخ الأكبر هو تقريبا أيضا مُحترم كآب" (TILLON . G, 108 : 1966). وأضافت في نفس الصدد Lacoste-Dujardin . C : "يشعر الأخ أنّه مسؤول عن حراسة أخته، كما أنّه حتى لو كان الأخ أصغر سنّا من أخته إلا أنّ له سلطة عليها، ويجب احترامه" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1992 : 40). وهذا كلّه يُعبّر على بقايا لرواسب الثقافة الأبوية في الذهنية.

#### • أب غائب، قلق من المجهول:

أشارت الحالة في قصة الحياة هذه إلى أنّ ولدها هو نسخة عن أبيه وقد عبّرت عن قلقها بقولها: "...). الولد فإنّني أرى فيه ذهنية أبوه فهو يقوم بنفس تصرّفاته". فهي تخشى أن يصبح مستقبلا مثل أبيه، حيث أنّه متعارف أنّ هذا الولد من ذاك الأب (Tel père tel fils) أي هي لا تريد ذهنية ابنها مثل والده، وهذا يُحيلنا إلى تماهي الولد مع الأب: "إنّها الأمّ التي من خلال النموذج الأنثوي الأمومي تسمح للطفل باكتساب الأنثوية، وهنا سواء للولد أو البنت، فيما بعد يتحوّل الولد إلى التماهي بالأب ليصبح رجلا، والعكس بالنسبة للبنت" (AJURIAGUERRA . J, 1974 : 861). وهذا ما لاحظته الحالة على أطفالها.

كما لاحظنا لدى الحالة قلقا من المستقبل في قولها: "أنا أفكر كثيرا، أفكر فيما سيحدث غدا"، فهي لا تعرف ما سيكون مصيرها وأولادها، فهي ترى مستقبلا غامضا وهنا القلق مرتبط بالدرجة الأولى بأطفالها، هي قلقة

على مصيرهم دون أب الذي هو موجود فقط رمزياً لأنه غائب أما واقياً فلا يقوم بدوره، وهذا حسب الأنواع التي قدمها J. Lacan حيث أشار إلى أنّ هناك ثلاث أنواع للأب: أب واقعي كما هو موجود في الواقع، والذي يكون في تفاعل مستمرّ مع الطفل، وهو غير موجود في هذه الحالة، أب خيالي وهو كما يتخيله الطفل ومثلما يتمناه أن يكون، والنوع الثالث هو الأب الرمزي وهو الحامل للقانون والأخلاق الاجتماعية وهو الموجود لدى كلّ فرد بالرغم من غيابه، يصاحبه أينما ذهب، والأمّ في نظامنا هي من تنقل صورته للطفل، ويمكن التأكيد من وجود هذا النوع عند غياب الأب من خلال الوفاة: "إنّ موت الأب لديه ميزة تكشف على أنّه يوجد أب غير الذي مات" (عمار . ر، 2012 : 36).

#### • أنا أمّ فقط:

تري الحالة أنّها أمّ فقط وليس أمر آخر سوى أمّ، لأنّ أطفالها هم شغلها الشاغل ومحوّر اهتمامها وهذا ما عبّرت عنه بشكل صريح بقولها: "أنا أرى نفسي أمّ أكثر فقط أنا لا أهتمّ بنفسي أبداً أهتمّ بهم فقط، كلّ ما أملك وكلّ وقتي لهم". هذا يشير إلى أنّ للأمّ أنا جماعي، حيث أنا كفرد خاصّ غير موجود في النظام التقليدي، كما أنّ مكان الأمّ في هذا النظام هو متين وقويّ وذو مقدرة وذلك لأنّه جماعي. وهذا بالضبط ما كان متداولاً في النظام الاجتماعي التقليدي حيث كان مصير كلّ بنت هو أن تصبح أمّاً، وكلّ اهتماماتها تنصبّ على الإنجاب ورعاية الأطفال، وقد أشارت El Khayat . GH إلى ذلك قائلة: "المرأة غير موجودة والدور الوحيد الذي لا يُمكن اعتراضه وإنكاره هو دور الأمّ المنجبة للأطفال وخاصة أطفال ذكور" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 88). وأضاف Boutefnouchet . M أنّ: "أهمية الدور المُعطى للمرأة وهو دور الأمّ، فإنّ الفكرة التي تخطر إلى الذهن هو وجود نظام أمومية (Maternalisme)"<sup>(1)</sup> (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 : 71). حتى العلاقات الجنسية كانت فقط من أجل الإنجاب بحيث أنّه عندما تصل المرأة إلى سنّ اليأس ينفصل الزوجان لينام

(1) وهو يعني نظام الأسرة القائم على سلطة الأمّ.

كلّ منهما على انفراد. وهذه الجنسية كانت جماعية: "العلاقة الجنسية تظهر كعلاقة اجتماعية ترتبط بالهيمنة، وهي تتشكّل من خلال مبدأ التقسيم الأساسي بين المذكر الفعّال، والمؤنث السلبي (...)" (BOURDIEU . P, ) (1998 : 40).

يُعتبر ميلاد الطفل بمثابة يوم عيد بالنسبة للأمّ لأنّها في ذلك اليوم أخرجت إلى هذا العالم موضوع حبّها. حيث عندما تصبح المرأة أمّاً فذلك يُعطي لها قيمة كبيرة، فمكانة أمّ هدف تسعى إليه كلّ امرأة تقليديّة من أجل ممارسة مقدرتها وسلطتها. إذن تحتلّ الأمومة المرتبة الأولى لدى المرأة في النظام التقليدي، وكلّ فتاة ترعرعت داخل هذا النظام يكون لها نفس المشروع العائلي المتمثّل في الزواج والأمومة بالدرجة الأولى، فهنا الزواج يكون كخطوة إلى لبلوغ الأمومة، وهذا ما تمّ استنتاجه في دراستنا السابقة حول الشخصية لدى المراهقة غير المتمدرسة التي كانت تنشئها تتمحور حول تعلّم الأشغال المنزلية ورعاية الإخوة الأصغر كتنظيم على الإنجاب والرعاية، ولهذا أسقطت ذاتها في المستقبل كأمّ. وهذه الحالة ثانياً ينصبّ جلّ اهتمامها حول أطفالها لأنّها أنشئت على ذلك وكان مشروع حياتها هو الأمومة.

بالنسبة لها فإنّ نجاحها متعلّق بنجاح أطفالها فما لم تُحقّقه هي تتمنى أن يُحقّقه أطفالها حيث أشارت لذلك بقولها: " أتمنى لأطفالي ما تتمناه كلّ أمّ أن يدرسوا ويعتمدوا على أنفسهم في المستقبل وأن يكونوا ناجحين (...). هدفي في هذه الحياة أن أرى أبنائي ناجحين... هذا كلّ ما أتمناه..."، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً، حيث ذكرنا أنّ الأمّ في النظام التقليدي يكون لديها توظيف مفرط في علاقتها مع أطفالها أكثر من علاقتها مع الزوج، وهذا ما يجعلها تحقّق ذاتها ومقدرتها من خلال نجاحهم.

## خلاصة الحالة الأولى:

تقوم هذه الأم بممارسات أمومية مستمدّة من النظام الاجتماعي التقليدي من خلال الاهتمام برعاية الأطفال والاهتمام بهم بمفردها والاستجابة لمتطلباتهم، ومحاولة سدّ تلك الثغرة التي تركها انسحاب الأب بالرغم من حضوره، حتى أنّها فضّلت المكوث في البيت لرعايتهم، لأنّها ترى أنّ العمل يجعلها تهملهم، بالرغم من أنّه كان لديها في بداية القصة تدمّر من الأمومة المتكررة، ولكن في الواقع يتعلّق ذلك بعدم وجود يد المساعدة، بالإضافة إلى انسحاب الأب وهذا أثقل كاهلها وجعلها تتحمل مسؤولية مضاعفة. لوحظ أنّ لها علاقة جيدة مع أطفالها خصوصا البنات " أنا أحب البنات أكثر من الولد، أميل إلى البنات (نموت عليهم - البنات-)"، أما الولد فلديها قلق من ناحيته لأنّها لا تريد أن يكون نسخة عن أبيه. على العموم هذه الأمّ الماكثة في البيت هي نموذج للأمّ في النظام التقليدي، والتي تسعى للحفاظ على مكانها ودورها كأمّ، وذلك من خلال رعاية أطفالها وقيامها بمختلف الممارسات الأمومية.

## 2- الحالة الثانية:

"أدعى أمّ عبد الرحمان "Je m'appelle la mère de Abderrahman"

### 2-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2014/12/22، في بيت الحالة بمدينة جيجل على الساعة 19:00 ودامت حوالي ساعتين ونصف. كانت الحالة ملتزمة في لباسها ترتدي حجابا شرعيا، كانت تتكلّم بهدوء وثقة بالنفس، كانت تتكلّم بالعربية الفصحى أحيانا وبالدارجة أحيانا أخرى. استقبلت الحالة الطّلب بصدر رحب ولم تُمانع. تعيش في بيت مستقلّ عن العائلة، لديها مستوى دراسي جامعي، وزوجها موظّف.

أمّ عبد الرحمان سنّي 32 سنة، وحاليا مأكثة بالبيت عملت مسبقا مدّة عامين ونصف في الإدارة في إطار عقود ما قبل التشغيل، لدي مستوى جامعي، زوجي يعمل موظف، أنا أمّ لثلاث أطفال: ابني البكر 7 سنوات، 6 و3 سنوات ونصف. بشكل عامّ أطفالي يحبون اللعب بشتى أنواعه، يحبون أن أفي بوعدتي عندما أعدهم بأشياء جميلة بالنسبة لهم كالحلويات أو أعدهم بزيارة أحد الأقارب، فهم يحبون زيارة الأقارب ويحبون الضيوف كثيرا (تضحك)، يحبون أن نكون أنا والأب راضين عنهم ويكرهون العكس (لما نكونوا ماش راضيين عليهم)، علاقتهم بنا وطيدة وعلاقتهم مع بعضهم البعض جيّدة ونحن نعمل على تحسينها دائما.

عند ميلاد طفلي الأول كانت تساعدني الجدة في الأيام الأولى في التكفّل به، أمّا الباقي أنا أتكفّل بهم و فقط... باختصار أنا. كانت الأمومة بالنسبة لي عند الإرهاق صراحة صعبة أمّا في الأيام العادية سهلة وطبعا بتوفيق من الله عز وجلّ. بالنسبة للرضاعة كانت اصطناعية للطفل الأول أمّا الآخرا طبيعية بعد إدراكي لأهمية الرضاعة ولله الحمد، فهي تساهم: أولا في تقوية العلاقة بين الأمّ وطفلها، وثانيا شعور الطفل بالأمان وتساعده على الإسترخاء عند سماع دقات قلب أمّه، وثالثا شعور المرأة بالأمومة الحقيقية، أمّا بالنسبة لجسمه فتكسبه مناعة جيّدة



لأنّ حليب الأمّ فيه فوائد جمّة كالمضادات الحيوية الطبيعية ويُبعدة عن بعض مشاكل الجهاز الهضمي. والفظام كان بالنسبة للبنات الأوسط بعد 14 شهرا والصغرى 17 شهرا نظرا لقلّة الحليب.

بالنسبة للطفل الأول أنا من كان يُحضر الرضاعة شخصيا، وكذلك أنا من أقوم بإرضاعه، أمّا الأب فنادرا (تضحك) ما يُساعدني في ذلك، الإطعام حاليا أحضّر لهم الطعام ووالدهم يُساعدني في إقناعهم على الأكل ولكن الاهتمام بهم في كلّ الأمور من إطعام ونظافة وكل شيء أنا نظرا لعمل والدهم، وحتى الدراسة أنا من يهتمّ بدراساتهم: الأول سنة أولى وأخته في قسم التحضيري والصغرى قريبا أدخلها الروضة إن شاء الله.

ينام أطفالى الأول والثانية في غرفة لوحدهم منذ ثلاث سنوات ونصف وعمين ونصف تقريبا والصغيرة معى في غرفتى. قمنا بتعليمهم منذ الصغر عدم النهوض في الليل إلا لحاجة التبول وهم ينهضون لوحدهم لقضائهم، أولادى لا يكثرون النهوض في الليل، إلا الصغيرة التى أستجيب لها عندما تستيقظ في الليل لقضاء الحاجة وأحيانا والدها إذا كنت متعبة أو ما شابه. في الصباح الأغلبية يستيقظون لوحدهم وأجهز ابنى وابنتى للذهاب إلى المدرسة... يذهبان لوحدهم نظرا لقرب المدرسة ولله الحمد.

في تربيتى لهم أنا صارمة في أغلب الأحيان خاصة خارج البيت أمّا داخل البيت متساهلة في أمور، لكن عند الخطأ كلانا نعاقبهم (تقصد هي والأب)، خاصة عند حضور والدهم هو من يعاقبهم.

عندما سألتها كيف ترى نفسها كأمّ) أجابت: أسألى أطفالى (وبدأت تضحك) ربما سيقولون أنّى أمّ ناجحة وحنون ومتفهمة، لكننى متسرعة في بعض الأحيان، أنا أضربهم عند الخطأ وأندم، وأحيانا أطلب منهم السماح، ربي يساعدا (يقدرنا) على تربيتهم... تربية الأطفال ليست بالأمر الهين أحبّهم هم أحبّابى... ولا أميل أبدا إلى جنس دون الآخر... بنت أو ولد تربيتهم نفس الشيء كلّهم سواسية المهم أتمنى أن يكونوا صالحين ومصلحين للمجتمع لا تهمني مهنتهم.

عندما سألتها إذا كانت تفكر في الإنجاب مجدداً) أجابت: (تضحك) حالياً لا (وأطالت في المد عندما قالت لا).

اليوم العادي بالنسبة لي هو عندما يكون يوم بدون صراخ عليهم، منذ الاستيقاظ حتى النوم، كل يوم وله أشغاله، ولأيام العطلة شكل وأيام الدراسة شكل آخر، ولكن سأحاول أن أذكر لك ذلك على العموم: عند الاستيقاظ أهتمّ بتجهيز الفطور بعدها نظافة الأطفال خاصة الصغيرة... ثم تنظيف البيت وتحضير الغذاء، الإسترخاء في القيلولة ومرات اللعب معهم على حسب الظروف... ثم تحضير اللمجة المسائية لهم... الاهتمام بنظافة البيت ثم تحضير وجبة العشاء ثم التفرغ لهم إما للدراسة أو اللعب ويدخل في جميع هذه الأعمال التربية... افعل هذا... لا تفعل ذلك... لا يجوز فعل كذا إلى غيرها... حتى في العطلة إن استطعت تدرّسهم أدرّسهم على حسب الوقت...

أنا أجد نفسي بين الأمّ و الزوجة... أمّ عند غياب الأب و زوجة عند حضور الزوج... (تضحك) وامرأة في المناسبات.

الأب دوره كبير صراحة في التربية (مايحش لعوج) اهتمامه بنظافتهم وتغذيتهم قليلاً (شوية) ولكن في التربية له دور كبير... عند حضوره يزيح عني تعب كبير جداً.

هدفي في الحياة هو تربية أولادي التربية الصحيحة وخدمة مجتمعي.

## 2-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى الشرق الجزائري، وهي أم أنهت دراستها وهي حاليا مائنة بالبيت، وأمّ لثلاثة أطفال، ولد وبنين، اثنان منهما متمدسان.

### • ثقافة أبوية: تماهي مع الوالدين، الطاعة والرضا:

أول وأهم ما أشارت إليه هذه الحالة في بداية قصتها هو عندما تحدّثت عن أطفالها هو رضا الوالدين حيث عبرت عن ذلك بقولها: " يحبون أن نكون أنا والأب راضين عنهم ويكرهون العكس (لما نكونوا ماش راضيين عليهم) "، فهي ترى أنّ هدف كلّ فرد هو أن يرضى عنه والديه، وهذا بالذات ما كان ولازال موجودا داخل المجتمع التقليدي، وهذا ما كانت تسعى الثقافة الأبوية إلى غرسه في نفوس الأطفال منذ السنوات الأولى من خلال التنشئة الاجتماعية. ويتمثل هذا الرضا من خلال التماهي مع الوالدين، طاعتهما (Obeissance) والخضوع لهما (Soumission) والارتهان (Aliénation)، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الخضوع والارتهان هما من أجل الاندماج الاجتماعي، ومن أجل فائدة رمزية (Bénéfice symbolique) ألا وهي الرضا وكسب الأجر، وهذا تبعا لنصوص متداولة في الثقافة الإسلامية: "أوصى الله بالإحسان إلى الوالدين، ووقرن طاعته بطاعتها، وأمر بعدم عصيانها" (كركر . ع، 1985: 122).

كما أنّ ذلك لا يمنع من الشخصية (Personnalisation)، بل إنّ الفرد يتشخصن من خلال الاندماج الذي كان أساسه الخضوع والارتهان، وبالخصوص للوالدين، وفي هذا الصدد تُفسّر مدرسة التحليل النفسي ذلك بأنّه: " يتمّ تمثّل القيم الخلقية للمجتمع في الأنا الأعلى عن طريق التوحّد مع الوالدين" (جابر. ع. ج وكفاي. ع، 1995: 4104). وهذا ما توصّلنا إليه في دراستنا السابقة، حيث كانت المراهقة غير المتمدسة تبحث عن الاندماج داخل المحيط الاجتماعي التقليدي، والذي من خلاله تسعى إلى الشخصية، وبالتالي تحقيق الذات.

إنّ في الثقافة الأبوية وكما يدلّ عليه اسمها فالأب هو الذي يحكم الجماعة أو القبيلة، التي تضمّ الأبناء وأبناء الإخوة وزوجاتهم وأولادهم، فهو الذي يُكلّف كلّ فرد منها بمهام معينة التي تتناسب معه، وهو الذي يُسيّر أمور القبيلة والكلمة الأولى والأخيرة تعود إليه، وبالرغم من زوال الثقافة الأبوية إلا أنّه لا زال يوجد لدى الأفراد عناصر منها أو ما يُسمى رواسب منها، من بينها طاعة الوالدين والسعي إلى رضاها وعدم مخالفتها مهما كلف الأمر. وقد نوّه Addi . L إلى ذلك من خلال تصريحه بأنّه "يوجد في آن واحد استمرار وتغيّر للثقافة الأبوية (...). إنّ داخل اتجاهات الأفراد، وداخل الأدوار الجديدة التي يتقلّدونها والمكانات (Statuts) التي يحتلّونها ورغم التحوّلات الاجتماعية (...)، إلا أنّ الثقافة الأبوية هي دائما حاضرة، رمزية في الإحالات إلى النسل، في الشرف (النيف)، الحرمة" (ADDI . L, 1999: 14).

#### • عائلة متدينة، تربية تقليدية: شخصية قاعدية:

بالنسبة لهذه الأم فإنّ الأمومة صعبة جدّا، وكانت تقصد بذلك تربية الأطفال تربية حسنة، وأضافت أنّها تصبح سهلة بتوفيق من الله: "المهم أتمنى أن يكونوا صالحين ومصلحين للمجتمع لا تهمني مهنتهم (...). هدفي في الحياة هو تربية أولادي التربية الصحيحة وخدمة مجتمعي"، وهذا يشير إلى درجة تأثير الجانب الديني على أفكارها، وهذا يحيل إلى أنّها عاشت وسط عائلة محافظة على مكونات ثقافتها وعناصرها واستدخلتها وبالخصوص عنصر الدين، وفي هذه الحالة هو الدين الإسلامي. إذ أنّ الدين هو أوّل عنصر يسدّخله الفرد كواجب، ويستدخل مختلف القوانين المستمدّة منه في كلّ مراحل الحياة. وهذه الحالة تنتهج نفس الطريقة التي تمّ تنشئتها عليها، ألا هي التربية التقليدية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين: "يعتمد أفراد المجتمع التقليدي في تربيتهم لأطفالهم على الدين بالدرجة الأولى، ثمّ العادات والتقاليد التي هي في كثير من الأحيان مستمدّة من الدين" (BOUZAR . W, 1984 : 68).

إذن بما أنّ الحالة استدخلت عنصر الدين وكلّ ما يرتبط به من عناصر مكونة للثقافة، فهي ترغب في تمريره إلى أطفالها ليكون مكوناً من مكونات الشخصية القاعدية (Personnalité de base) والتي تطرّفنا إليها سابقاً حسب التعريف الذي قدّمه لها Linton . R، وقد تناولها بالبحث المحلّل النفسي الأمريكي Kardiner . A . وقد عزّفها كما يلي: "الشخصية القاعدية هي كوكبة من السمات النفسية التي تسمح بالتكيف مع الوسط، وهي أيضاً التربية الملقّنة. فالشخصية تتكوّن من خلال التكيف مع الوسط الطبيعي والوسط الثقافي. الأنا يتشكّل من خلال المحيط الثقافي ويستجيب بالعودة إلى هذا الوسط. داخل الاتصالات الثقافية، الشخصية القاعدية تكبت كلّ ما يُمكنه أن يُهدّدها" (In BOUZAR . W, 1984 : 66). ويُضيف Linton . R في هذا الصدد: "إنّ تواجد هذا الشكل [ويقصد الشخصية القاعدية] يمنح أعضاء المجتمع طرق الفهم والقيم المشتركة، ويسمح لهم بالاستجابة بنفس الطريقة وبشكل موحد نحو مواقف ذات علاقة بقيمهم المشتركة" (LINTON . R, 1968 : 115).

#### • الأمّ: ممارسات أمومية وتربية:

لقد أشارت إلى أنّ الأمومة صعبة في موضع من القصة وفي موضع آخر عبرت على أنّ التربية صعبة، وهنا المقصود أنّ في رأيها الأمومة هي تشمل التربية، وهذا صحيح لكن بالإضافة إلى التربية نجد الرعاية والعناية، فالأمّ لديها دور تعليم الطفل الصواب والخطأ، المقبول والمرفوض، وفي نفس الوقت تعتني به خصوصاً في السنوات الأولى تُطعمه وتُغيّر له ملبسه وتُحمّمه وتسهر بجانبه بسبب المرض أو للاستجابة لحاجاته بشكل عامّ. وهذا ما أشار إليه Schaffer .R عندما قدّم تعريفاً للأمّ: "الأمّ هي كلّ شخص مسؤول عن رعاية وتربية طفل خلال فترة ممتدّة" (In LE CAMUS . J, 1985 : 41).

تعلّم المرأة منذ صغرها كيف تكون أمّاً، وهذا راجع إلى التنشئة الاجتماعية التي أنشئت عليها منذ طفولتها: "ما تُربّي عليه الفتاة هو دور الأمّ أي عليها تعلّم أشغال المنزل (...)، [تحضيرها لـ] الزواج، ومن ثمّ

إنجاب وتربية الأطفال " (LACOSTE-DUJARDIN . C, 2008 : 142). ومن ناحية أخرى للأُم القدرة على فهم الطفل والاعتناء به، والتي لها علاقة بالغريزة الأمومية، فالصحة العقلية للرضيع مصدرها الأمّ التي هي قادرة على التكيف الفعّال في علاقتها معه: "هذا الوضع يستلزم لدى الأمّ حالة أساسية من الاسترخاء وأيضا تفهّم طريقة عيش فردية للرضيع". (WINNICOTT . D.W, 1971 :37). وقد صرّح Winnicott . D.W إلى أنّ ذلك يبدأ في المرحلة الجنينية: "هذه العلاقة بين الأمّ والطفل الصغير تبدأ قبل الميلاد" (WINNICOTT . D.W, ) (1971 :39).

#### • الفائدة الرمزية:

نتقل الآن إلى فكرة مهمّة أخرى نوّهت إليها الحالة إنّها مكانة الأمّ في الدين وهذا يجعلنا نربط ذلك بالفائدة الرمزية التي ذكرناها سابقا، ولكن هذه المرة هي متعلقة بما تجنيه المرأة عندما تصبح أمّا في الثقافة الإسلامية وهو الجنة، فبالإضافة إلى ذلك الإصرار المستمرّ لإثبات أنّ المرأة في الجزائر هي أساس الخلية القاعدية للمجتمع، نجد أيضا أنّ: "للمرأة مكانا (Place) رمزيا من خلال القول المأثور 'الجنة تحت أقدام الأمّهات' التي تُوافق وتتفق عليه التقاليد الإسلامية، ويُضاف إلى ذلك التكاملية بين الجنسين التي تكون من خلال خضوع أحدهما للآخر" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 222).

وهذا يجعلنا نستنتج أنّ بالإضافة إلى عنصر الغريزة الأمومية ودورها في رغبة كلّ امرأة أن تصبح أمّا، هناك عنصرا آخر وهو الفائدة الرمزية، حيث أنّ كلّ امرأة تملك عاطفة أمومية فطرية تولد معها، ونجدها لدى كلّ أنثى من مختلف الكائنات الحية من بينها المرأة، وبالإضافة إلى ذلك وبالخصوص في الثقافة الإسلامية حيث يتمّ منح الأمّ مكانة مهمّة، بحيث تصبح محط احترام من طرف كلّ أفراد المجتمع، كما يعتبرها المجتمع حجر الأساس والركيزة الأساسية في المجتمع، حيث تلعب دورا مهمّا في تربية الأطفال و أنّها أهمّ عنصر في تنشئة الطفل حيث قال

حافظ إبراهيم: "الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق" (ورد في الفاخوري . ح، 1986: 536)، إذن الأم هي المؤسّسة للمجتمع وليس المرأة لأنّ بإنجاب الأطفال تصبح مسؤولة وذات شأن.

### • رضاعة طبيعية، حوار جسدي:

ذكرت الحالة في موضع من قصتها بل و أكدت على أهمية الرضاعة الطبيعية و صرحت أنّها تعبّر عن الأمومة الحقيقية و ذلك من خلال قولها: "فهي تساهم [تقصد الرضاعة الطبيعية]: أولا في تقوية العلاقة بين الأم وطفلها، وثانيا شعور الطفل بالأمان وتساعد على الإسترخاء عند سماع دقات قلب أمه، وثالثا شعور المرأة بالأمومة الحقيقية، أما بالنسبة لجسمه فتكسبه مناعة جيّدة لأنّ حليب الأمّ فيه فوائد جمّة كالمضادات الحيوية الطبيعية ويُبعدّه عن بعض مشاكل الجهاز الهضمي". و هنا ذكرت أهمية الرضاعة الطبيعية من الجانب المعنوي و كذا فائدتها فيما يتعلق بالجانب الجسمي. وهذا يتوافق مع الدراسة المذكورة سابقا التي قام بها كلّ من Cukier . F - Memeury و I . Lézine و Ajuriaguerra في مستشفى في باريس، حيثوا أثبتوا أنّ الرضاعة الطبيعية من الثدي لا يتمثل عملها ووظيفتها في إنجاز لفعل غذائي وحسب، فعندما تُعطي الأمّ الثدي ويستقبله الطفل يتمّ هنا خلق بداءات للعلاقات الأولى، إنّ نشاط متعدّد التوجّهات: "إيقاعية المصّ، نشاط ميكانيكي للإدخال في المعدة والبلع، إدراك الروائح، الذوق وحرارة الحليب، التواصل بالثدي، تبادلات جسم لجسم، تبادل الوضعيات" ( . In LE CAMUS : 29 (J, 1985).

إنّ الحديث عن الرضاعة الطبيعية يُحيلنا إلى الحوار الجسدي أو ما أشار إليه Anzieu . D بمصطلح حوار بشرة-بشرة (Peau à peau) أو الأنا جلد (Moi-peau)، وقد لوحظ ذلك في النظام التقليدي الجزائري، حيث تقول Tillon . G في هذا الصدد: "تنتمي الأمّ في المغرب العربي فعلا إلى المولود: فهي له خصيصا، ولا منازع، كسيّد أمر في النهار كما في الليل. في النهار يعيش ملتصقا بها، متحرّكا معها، وهو على ظهرها، أو غاف على ركبته، في الليل ينام عاريا ملتصقا جلده بجلدها. يرضع متى يشاء، ينام، يستيقظ أو يقضي حاجته بحسب

رغبته" (تيلون . ج، 2000: 118). وصرّح كذلك Brochard أنّ: "تواجد الطفل على الثدي الأمومي هو مجد للأم" (189 : 1980 . E, BADINTER . In)، لهذا قالت الحالة أنّ الرضاعة الطبيعية تعبر عن الأمومة الحقيقية.

إذن هذا الحوار الجسدي الذي يحدث أثناء عملية الرضاعة الطبيعية يحوي أهمية كبيرة في نمو نفسية الطفل، وكذا في التوازن النفسي حيث تمنحه الأم عاطفتها من جهة و تُشبع غريزتها الأمومية من جهة أخرى. وهذا ما يجعلنا نتعارض مع الفكرة التي أتت بها E.Badinter التي أشارت إلى أنّ الهدف من الرضاعة هو راجع لرغبة الأمّ في التخلص من آلام تديدها بعدما تجمع فيهما الحليب، ومن خلال إرضاع طفلها تشعر بالراحة، فالحالة أثبتت عكس ذلك حيث ظهر ذلك جليا في تصريحها على أنّ الرضاعة الطبيعية تجعلها تُحسن بالأمومة الحقيقية.

كما أنّ الرضاعة الطبيعية و التفكير فيها يجعلنا نفكر في أنّ الثدي هو موضوع جزئي من الموضوع الكلي الذي هو الأم، و أنّ عند طلب الطفل لهذا الموضوع الجزئي فإنّه يحضر ضمن الموضوع الكلي، أمّا إذا كانت الرضاعة إصطناعية فإنّ الموضوع الجزئي يحضر ولكن الموضوع الكلي يُمكن أن يحضر ويُمكن ألا يحضر وإتّما يحضر بديل له. ولتوضيح ذلك يُمكن الإشارة لما وضّحته Klein . M باختصار ودون الدخول في التفاصيل: "من خلال الإسقاط والاستبطان يقوم الأنا بشطر موضوع الثدي ويقوم بتكوين علاقة مضاعفة: جيدة وسيّئة، 'ثدي جيّد' و 'ثدي سيّء' (...). الثدي الجيّد هو الذي يقوم بإشباع حاجة ورغبة الطفل" ( : 2001 . B, GOLSE 69). والثدي السيّء يقوم بعكس ذلك، ونفس الآلية بالنسبة للموضوع الكلي الذي هو الأمّ، فحضورها تبعاً لطلب الطفل يُدركه هذا الأخير على أنّه موضوع مُشبع وبالتالي جيّد، و يُدركه على أنّه سيّء إذا لم تحضر.

بعد ذلك الانفصال الذي تتعرض له كلّ من الأم و الرضيع عند الميلاد، حيث تمّ قطع الحبل السري وأدّى ذلك إلى ما يسمى بصدمة الميلاد، والتي يليها قلق الانفصال الذي يسمى بقلق أولي، فإنّ الرضاعة الطبيعية تعيد ذلك التواصل بين الأم و الرضيع. وهذا ما تأكّد منه كلّ من Klaus .M.H و Kannel .J.H (1983):



"المثيرات اللمسية والحرارية الناتجة عن تقارب الشريكين (الأم والطفل) يُؤدّي إلى طمأنة الأم التي تأثرت بعواقب الولادة وإراحة الرضيع الذي تأثّر بهزّات الانفصال" (23 : In LE CAMUS . J, 1985). فيشعر كل منهما وخصوصا الرضيع بالاطمئنان والأمان، وكأنّه يُعاد بناء حبل آخر ولكن غير ملموس وإنّما معنوي.

#### • الروضة كأحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

فيما يتعلّق بتمدرس الأطفال ذكرت الحالة ما يلي: "الأول سنة أولى وأخته في قسم التحضيري والصغرى قريبا أدخلها الروضة إن شاء الله". في النظام الاجتماعي التقليدي كانت مؤسسات التنشئة الاجتماعية تتمثل في العائلة الكبيرة، المسجد، الشارع، المدرسة، أمّا حاليا فهي نفسها ماعدا استبدال المسجد بالروضة، حيث أصبحت الروضة تلعب دورا كبيرا في التنشئة الاجتماعية، ومن بين عوامل ظهورها هو الأمهات العاملات، ولكن لوحظ لدى بعض الحالات أنّه حتى الأمّهات الماكثات بالبيت يبعثن أطفالهن إلى الروضة، ليس طيلة اليوم وإنّما فقط في الفترة الصباحية، بحجة أنّ فيها مربيّات يُعلّمن الأطفال أمور مفيدة خصوصا عندما تكون الأمّ تعيش في عائلة نووية حيث لا يجد الطفل مع من يتفاعل ويلعب ما عدا ووالديه وأحيانا أخته أو أخوه. في العائلة الأبوية وحتى في الممتدة كان الطفل يلعب مع أطفال العائلة من هم في سنه وحتى أكبر أو أصغر بقليل، لكن في العائلة النووية فيفضّل إدخاله إلى الروضة. وهذا ما أشارت إليه معتصم ميموني في مرجعها وذلك بالاستناد على ما توّصلت إليه فرقة بحث من مركز الأبحاث الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية (CRASC) والتي قامت بدراسات لأكثر من عشر سنوات على أطفال الطور ما قبل التمدرس، وتوصّلت إلى أنّ: "الأمّهات في كلّ القطر الوطني تطمح إلى وضع صغارها في مؤسسة (حضانة، حديقة أطفال، قسم تحضيري، إلخ) وهذا لا للتخلّص منهم بل رغبة في رفع حظوظهم في النجاح عند دخولهم إلى الابتدائي (ولما لا) في الحياة كلّها. إذ يُعتبر الأولياء أنّ بقاء الصغير في البيت لا يُساعده على تطوير فكره واجتماعيته" (معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 64).

• أم مائة بالبيت، تماهي مع الأم التقليدية:

بالنسبة لهذه الحالة فقد أشارت إلى أنّها تهتم برعاية أطفالها لوحدها، وتساعدهم في مراجعة دروسهم. أمّا الأب كما صرحت فيتدخل في الحالات الطارئة فقط مثل في حالة المرض، أمّا في الأيام الأخرى فإنّ الأم هي من تتكفل بأطفالها وبكلّ ما يلزمهم: "بالنسبة للطفل الأول أنا من كان يُحضر الرضاعة شخصياً، وكذلك أنا من أقوم بإرضاعه، أمّا الأب فنادراً (تضحك) ما يُساعدني في ذلك، (...) الاهتمام بهم في كلّ الأمور من إطعام ونظافة وكل شيء أنا نظراً لعمل والدهم، وحتى الدراسة أنا من يهتم بدراساتهم: الأول سنة أولى وأخته في قسم التحضيري والصغرى قريباً أدخلها الروضة إن شاء الله". وهذا يُحيلنا إلى أنّ الحالة لها ممارسات أمومية مطابقة لما كان في النظام التقليدي وهذا ما لاحظناه لدى الحالة السابقة كذلك، وهذا ما صرّح به Rousseau . J.J : "يرتبط اهتمام النساء بالتربية الأولى للرجال (...) أيضاً تربية الرجال عندما يكونوا صغاراً، الاهتمام بهم عندما يكبرون، نصحتهم، وإرشادهم (...). هذه هي واجبات المرأة في كلّ الوقت" (BADINTER . E, 1980 : 175). وإن كان هنا ربط واجب المرأة في تربية الرجل فقط باعتباره أقوى وفعل أكثر من المرأة في نظره.

إنّ في الطفولة أين تبدأ التنشئة الاجتماعية لكلّ كائن إنساني وإذن يكون هنا دور المرأة هو مهمّ وأولي، وهذا ما لاحظناه في هذه الحالة، في حين يكون للأب دور آخر سنشير إليه لاحقاً: "في النظام التقليدي يتخلّى ويتعد الرجل عنه الولد في سنّه المبكر الذي لا يجد فيه فائدة إلا عندما يتعد عن المنزل وعن النساء" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 66). كذلك من خلال كلّ السيرورات اللاشعورية للتماهي فإنّ كلّ ما يصدر عن الأم تقوم البنت الصغيرة باستدخاله. وهذا هو بالضبط ما يجب على البنات الصغيرات استدخاله كنموذج للأنوثة، رمز كلّ النساء: الأم، وهذا فعلاً ما استدخلته الحالة في طفولتها ولهذا تبدو متكيفة مع الوضع لشكل جيّد. إذن "البنت الصغيرة في النظام التقليدي تتعلّم تحمّل دور المرأة من خلال بداية ممارسة مستمرة للمهام المنزلية في جوّ من طاعة الآخر والسرية، بالإضافة إلى تنبيهها لأهمية الحفاظ على عذريتها من أجل الحدث الرئيسي في حياتها،

يعني زواجها، ويكون سلوك الأمّ اتجاهها محدّدًا على شكل هاجس فيما يتعلّق بالعدرية" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 68).

وكخلاصة فإنّ الأب في النظام التقليدي لا يتدخّل في العلاقة أمّ-طفل ولا في الممارسات الأمومية لأنّها ليست من مهامه، وذلك سواء اتجه البنت وحتى الولد، وإن دخل في علاقة مع هذا الأخير فيكون بعد ابتعاده عن عالم النساء، ولهذا فيكون للأمّ الدور الأكبر في الطفولة الأولى بالخصوص.

#### • الأب مصدر السلطة و القانون:

ذكرت في قصّتها ما يلي: "... عند حضور والدهم هو من يعاقبهم. (...). الأب دوره كبير صراحة في التربية (مايحبش لعوج) اهتمامه بنظافتهم وتغذيتهم قليلا (شوية) ولكن في التربية له دور كبير... عند حضوره يزيح عني تعب كبير جدا"، وهنا تقصد بالتربية هو تمرير الما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون، وهي بهذا تُعبّر على أنّ للأب دور مهمّ في تربية الأطفال بصفته حاملا للقانون، فهي تستند عليه في التربية أمّا الرعاية والاهتمام فهي الكفيلة بذلك: "إطعام الطفل، التواصل الجسدي معه، العاطفة، الرعاية، هي من مهام الأمّ، أمّا الأب فهو الحامل للقانون والكفيل بالسلطة" (LE CAMUS . J, 1985 : 46). هذه الحالة ترى أنّ التربية هي صعبة ويتطلب الأمر التعاون من أجل ذلك. وقد أشار Lamb (1978) في كتابه إلى أنّ: "مشاركة الأب تُشكّل عاملا إيجابيا في نمو الطفل" (In BOUTIN . G et DURNING . P, 1999 : 24). نلاحظ في هذه الحالة أنّ الأب ليس غائبا تماما، فهو يُشكّل سندا للأمّ، كما أنّه يُمثّل مصدرا للسلطة والطفل يُدرك ذلك: "وجود الأب هو مُدرك نسبيّا مبكّرا في الطفولة، والمكان الذي يشغله اتجاه الأمّ يرتبط بأولى مظاهر الأوديب المبكّر" (ROUSSILLON . R, 2007 : 160).

• مشروع الحياة: تربية صالحة للأطفال وخدمة المجتمع:

يرتبط هدف الحالة بما سبق ذكره فهي تتمنى أن يكون أطفالها صالحين من خلال قولها: "هدفي في الحياة هو تربية أولادي التربية الصحيحة وخدمة مجتمعي"، هدف هذه الأم مرتبط بأطفالها وليس لديها مشروع حياة شخصي وإنما هو عائلي، فهي لم تفكر في العمل أو أي مشروع آخر تُحقق به ذاتها عدا تربية أطفالها تربية حسنة. هذه الأم التقليدية من جهة تؤكد أنّ مشروع كل امرأة تنتمي إلى النظام التقليدي هو الأمومة بالدرجة الأولى: "إنّ وضعية المرأة منذ زمن بعيد ترتبط بشريكها الرجل، وذلك من أجل هدف واحد وهو: "أن تكون أمًا قبل كل شيء" (PIETTRE . M.A, 1976 : 16). ومن جهة أخرى تُحيل إلى أنّ ما هو أساسي في النظام التقليدي هو التربية السليمة: "تعتمد الأسرة العربية المسلمة في حياتها على الترابط والتكافل وحسن المعاشرة والتربية الحسنة وحسن الخلق ونبد الآفات الاجتماعية (صقر. ن، 2006: 5).

تتمّ هذا التربية السليمة من خلال تمرير العناصر الثقافية للطفل، وقد ربط Stuart M.J الثقافة بالتربية وذكر أنّ هذه الأخيرة هي وسيلة لنقل الثقافة: "إحدى وظائف التربية هي تمرير الثقافة إلى الأجيال الصاعدة، الهدف هو جعلهم قادرين على التصرف والاستجابة بفاعلية نحو طبيعة المحيط من خلال الثقافة" (BENNOUNE . M, 2000 :65).

في جانب من قصة الحياة هذه ذكرت الحالة أنّها تستخدم اللعب كوسيلة للتربية ويُمكن تسميته التعلم باللعب وهو أسلوب أشار إليه العديد من الباحثين من بينهم F . Dolto و M . Klein و Winnicott . D.W، حيث قال: "تبدأ التجربة الثقافية بطريقة عيش إبداعي الذي يظهر بداية في اللعب" (WINNICOTT . D.W, 1971 :38).

كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الحالة لا تُفرّق بين الجنسين، بل تهتمّ بالتربية الصحيحة أكثر، هذا يتنافى مع ما كان في النظام التقليدي أين كان هناك تفضيلاً للولد عن البنت. إذ أنّ بالنسبة للعائلة التقليدية البنت لا تمثل

ولا تملك نفس المصالح والإيجابيات مثل الولد، فهذا الأخير "يحمل اسم العائلة وينقله لأولاده، في حين البنت تحمل اسم زوجها. البنت يُمكن أن تكون مصدرا لفقدان الشرف، كما أنّ شرف عائلتها يرتبط قبل كلّ شيء بعذريتها قبل الزواج، وبوفائها وإخلاصها لزوجها" (EL SAADAOUI . N, 1983 : 120). كما أنّه في هذا النظام "يُستقبل الولد أحسن من البنت، وعلى العموم يُنتظر من المواليد الجدد أن يكونوا حاملين للازدهار والرفاهية والثراء داخل المنزل (...). بالنسبة للبنت لا تُحمل ولا تُقبل إلا إذا ساعدت وساهمت في تغييرات على مستوى الأسرة وأهلها نحو ما هو جيّد. والدليل على ذلك أنّ البنت الكبرى يُسمونها تاسعديت (Tassadit=Bienheureuse)، وتكون مقبولة لأنّه يتمّ الانتظار بعد ميلادها فتح باب الخير" (YACINE . T, 2010 : 95-96). لكن الحالة لم تُعبّر عن أي شيء من هذا القبيل، بل كلا الجنسين سواسية بالنسبة لها، وهذا ينمّ على وجدة تعبير في تظرة الأمّ والمحيط عامّة إلى الجنسين.

#### • تحديد النسل: تحقيق الاستمتاع الجنسي:

ما شد الانتباه في هذه الحالة أنّ هناك تحديدا للنسل لدى الأمّ الماكنة بالبيت، بعدما لوحظ ذلك لدى الأمّ العاملة وكان بسبب انشغالها خارج البيت والمسؤولية المضاعفة الملقاة عليها، أمّا بنسبة لهذه الحالة فهي مأكنة بالبيت ومع ذلك تُحدد النسل الأمر الذي لم يكن موجودا في النظام الاجتماعي التقليدي، حيث كانت المرأة في هذا الأخير تسعى إلى إنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال. في الواقع هناك حجج تشرح وتفسّر لماذا النساء كنّ يُقبلن على الأمومة المتعدّدة على حساب أجسامهنّ، حيث بعيدا على أن تكون الحجج قوية فهي ليست داخلية لدى النساء، وإنّما هي مكتسبة من المحيط، وهذا لأنّهنّ يكتسبن منفعة وفائدة رمزية التي تطرّقنا إليها سابقا، والتي تطغى وتتجاوز المعرفة الاجتماعية حول الأمومة: "هذه الفائدة الرمزية هي مبنية على الرضا النرجسي المتعلّق بالمعرفة الملموسة أن تكون هي التي في الأصل، هي المنبع، بالرغم من النفي والتغييرات التي تنتج في الحقيقة اليومية" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 223).

إنّ المرأة بإنجابها للكثير من الأطفال يُمكن اعتبارها أنّها مستغلّة في هذا العمل المفروض عليها والمتمثّل في الأمومة، لكن لأنّ لديها قدرة خارقة لإنتاج الأحياء والإنجاب فهذا يُغنيها ويُبعدها عن الإحساس بالاستغلال، فهي ممّر إجباري لكلّ فاعل (Sujet): "من أجل الكتابة، القراءة، الصيد، صناعة الآلات أو حمل الأطفال، يجب أولاً اجتياز 9 أشهر داخل جسم امرأة" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 225).

فقط هذه الفائدة الرمزية التي تضمّ ترتيباً ونظاماً أساسياً، يُمكنها إعطاء معنى ويجعلنا نفهم لماذا بالرغم من التحوّلات، التبدّلات الاجتماعية، بالرغم من الاعتداء والعنف، بالرغم من المراقبة والتأنيب والكبت إلا أنّ "النساء في الجزائر يُنجبن الكثير من الأطفال، بل ولا يظهرن مندفعات بحماسة نحو التقليل من العدد، الذي يتمّ اقتراحه عليهنّ من خلال تعزيز إشهار كبير من أجل تحديد الولادات والتخطيط لها (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 223).

النساء يُواصلن في إنجاب الكثير من الأطفال ما دمن لم يجدن لأنفسهنّ مصلحة وفوائد أخرى أكثر قوّة وندجسية من الفائدة الرمزية التي تمدّ لهنّ مكانتهنّ (Statut) كأمهات (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 225). هذا فيما يتعلّق بالمرأة واهتمامها بالإنجاب المتعدّد، أمّا فيما يخصّ الرجل، فهو أيضاً كان له فائدة من ذلك أين يُمكنه إثبات رجولته: "الرجولة في جانبها الأخلاقي هي نقطة شرف (النيف)، مبدأ الحفاظ ورفع الشرف، وتبقى غير قابلة للفصل عن الرجولة البدنية عن طريق دلائل القوّة الجنسية والخصوبة التي تُؤدّي إلى وفرة النسل بالخصوص من جنس ذكري، التي تجعل الرجل فعلاً رجلاً" (BOURDIEU . P, 1998 : 25).

لكن ما لاحظناه لدى هذه الحالة مختلف تماماً، وهذا ما يدلّ ويؤكد على حدوث تعييرات على مستوى النظام الاجتماعي الجزائري، وعلى العائلة الجزائرية وبالخصوص الأمّ. حالياً تستفيد المرأة بشكل عامّ من أجهزة تُسهّل عليها الأشغال المنزلية ممّا يجعلها لا تأخذ وقتاً معها، وبالتالي تتفرّغ لأطفالها، إلا أنّنا نلاحظ أنّها تبعثهم إلى الروضة وليس هذا فقط بل وأنّها تُحدد النسل بالرغم من أنّه ليس لديها انشغال بأمور أخرى. يمكن تفسير ذلك

من وجهة نظر تتعلق بالجانب الجنسي، حيث يرجع هذا التغيير إلى "تحول الهدف من الجنسية الشرعية مع الجنس الآخر والتي كانت موجّهة نحو الإنجاب فقط [إلى هدف يرتبط بالمتعة وتحقيق اللذة] (...)، ظهور أنماط جديدة للعائلة مثل العائلات المركّبة [والنووية حالياً]، وظهر نماذج جديدة للجنسية (جنسية مثلية بالخصوص)" (BOURDIEU . P, 1998 : 123).

بالإضافة إلى أنه هناك ظهور لمطالبة المرأة بحق تحقيق الاستمتاع الجنسي تماما مثل الرجل، أنها ليست مجرد موضوع يتمّ من خلاله تحقيق اللذة. كان — Moussy-Lavau . J "العديد من حالات النساء اللاتي تخلّين ورفضن رجال لأنّهم لا يُحقّقون لهنّ لذة ومنتعة (...). هذه السلوكيات هي جديدة جداً" ( In BADINTER . E, 2003 : 127).

سابقا في النظام التقليدي لا يتمّ أبدا الحديث أو إظهار الرغبة واللذة الجنسيين، فهما يخبئان وراء الرغبة في الإنجاب. وتناول حبوب منع الحمل حاليا لدى هذه الحالة و كذا أيضا عزل الأطفال في غرفة نوم خاصّة في سنّ مبكّر، كلّ ذلك يُبيّن و يُؤكّد أنّ الهدف من الزواج هي الرغبة في إقامة علاقات جنسية شرعية و تحقيق لذة.

#### • من تربية عائلية جماعية إلى تربية والدية:

عند سؤال الحالة كيف تقضي يومها تبين أنّ أغلبه يكون لصالح الأطفال: "عند الاستيقاظ أهتمّ بتجهيز الفطور بعدها نظافة الأطفال خاصّة الصغيرة (...). ثمّ التفرغ لهم إمّا للدراسة أو اللعب ويدخل في جميع هذه الأعمال التربية... افعل هذا... لا تفعل ذلك... لا يجوز فعل كذا إلى غيرها... حتى في العطلة إن استطعت تدريسهم أدرسهم على حسب الوقت". وهنا يمكن تفسير ذلك بنقص يد المساعدة التي كانت تُقدمها نساء العائلة الأبوية والكبيرة والتعاون على تربية الأطفال، حتى أنّ الطفل عندما يكون يلعب في الخارج كان يهتمّ به الجيران الذين هم أقارب أيضا حيث يقومون بمراقبته، وهذا ما يُسمّى بالتربية العائلية، وقد عرّفها Durning على أنّها: "مجموع الممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الوالدين، داخل جماعات العائلية والموجّهة نحو الأطفال، ويقوم بها

متدخلون اجتماعيون والموجهة نحو الوالدين (تكوينات والدية)، ونحو الأطفال (تدخل تربوي مساعد) ("In : 7 (BOUTIN . G et DURNING . P, 1999).

إذن كانت تتم تربية الأطفال وتنشئتهم داخل مجموعات عائلية ومن طرف أعضاء ذوي قرابة أبوية، تربطهم روابط الانتماء والانتساب والاشترك في مكان العيش، لكن سرعان ما تغيرت وأصبحت التربية تخصّ الوالدين فقط داخل عائلة نووية. وقد أشار إلى هذا Addi . L عندما درس تحولات المجتمع الجزائري: "بعدما نزحت العائلات من الريف إلى المدينة واستقرت في أحياء ضمت عائلات من أصول ومناطق مختلفة، هذا ما أدى إلى تغيير على مستوى العلاقات حيث أصبح كل أهل منزل لا يعرفون أهل المنزل المجاور، وكبر الأطفال على هذه الطريقة الجديدة وبالتالي لم يعد هناك من يراقبهم في الشارع ما عدا عائلاتهم، وفقد نمط التربية الجماعي الذي كان سائدا في ظلّ النظام الأبوي" (ADDI . L, 1999: 11).

#### • أمّ وزوجة وامرأة:

أجابت الحالة عند سؤالها أين ترى نفسها أكثر أمّ، زوجة، امرأة أجابت: "أنا أجد نفسي بين الأمّ والزوجة... أمّ عند غياب الأب و زوجة عند حضور الزوج... (تضحك) وامرأة في المناسبات"، وهذا يُحيلنا إلى تأكيد التغيرات التي اجتاحت العائلة الجزائرية، فالمرأة في النظام الاجتماعي التقليدي كان هدفها الرئيسي هو أن تصبح أمّاً، ولا ترى نفسها إلا أمّ ولا شيء غير ذلك. أمّا هذه الحالة ذكرت أنّها أمّ في غياب الأب وزوجة في حضوره، وهذا يدلّ على أنّه توجد علاقة قوية بين الزوج والزوجة ويوجد حميمية، عكس ما كان في السابق حيث "كان الزوج عندما يذكر زوجته فإنّه يُناديها بأمّ أولادي أي على أنّها أمّ فقط" (BOUHDIBA . A, 1986 : 266). والعكس بالنسبة للزوجة.

ما كان ملاحظا في النظام التقليدي هو عدم وجود حميمية مطلقة بين الزوجين وأحيانا غير مسموح بها: "بنية العائلة التقليدية تجعل كلّ حميمية زوجية مستحيلة" (MERNISSI . F, 1983 : 150). وليس بنية العائلة



فحسب التي تُقلّل من الحميمية الزوجية بل وحتى أمّ الزوج: "في الزواج التقليدي تُمثّل أمّ الزوج أحد الحواجز والعراقيل المهمّة للحميمية الزوجية. إنّ الرابط الذي يُوحّد الأمّ بابنها هو العامل المهمّ في دينامية الزواج" (MERNISSI . F, 1983 : 113).

ومادنا تطرّقنا إلى العلاقة التي تربط الزوجين في النظام التقليدي وطبيعتها، فلا ضير من الإشارة إلى نقطة مهمّة تتعلّق بالنالوث العائلي في هذا النظام. إنّ الفعل الأبوي المتمثّل في الفصل بين الجنسين والذي يتواجد داخله ما يُسمى بجمهورية أبناء العمّ (La république des cousins)، يُظهر أنّ ما يُميّز المجتمع المغربي، أنّه يتعلّق بشكل أقلّ بالأوديب مقارنة بجوكاست (Jocaste) إن صح التعبير. في الواقع الشخصية الممثّلة للأوديب لا توجد إلا كما هو منتج من طرف الأمّ، في هذه الجماعة التقليدية المرأة المحصورة بين جدران منزلها لا تحتفظ إلا بجزء زهيد وصغير في حقل العلاقات والاتصالات مع زوجها، حيث نادرا ما يكون لديها حميمية خاصّة معه. بالتالي الطفل لا يُحسّ بأنّ الأب هو منافس له في حب الأمّ، في حين الأمّ تتعلّق أكثر بطفلها وما لا تحصل عليه من حميمية مع الزوج تُعوّضه مع طفلها ولهذا يُقال أنّ جوكاست هي أكثر من الأوديب نفسه. في هذا الفضاء المعزول "الأمّ هي دائما السيّدة (المرأة المهابة) بقوّة، إنّ هذا المكان (Place) الشهير أو المجد المفترض يكون من خلال الترافق بولد الذي تجتاز به العدم، إنّّه هو من تستودع فيه مشاعرها المكتومة والمخفية داخلها، والتي تكتبها أمام زوجها" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 34).

وفي هذا الصدد أشار كلّ من Bouhdiba . A في كتابه La sexualité en Islam وأيضا بن سلامة فتحي في كتابه الإسلام والتحليل النفسي، وذلك باعتمادهما على قصة من ألف ليلة وليلة إلى عقدة جودر (Complexe de Jawdar). والتي وضّح فيها أنّ الأمّ بالنسبة للولد هي موضوع غير مجنّس (Non sexué). وقد لخصّ بن سلامة فتحي حكاية جودر كما يلي: "حكاية جودر هي من أهمّ الأمثلة الدالة على إثبات المستحيل من ألف ليلة وليلة. هي قصّة مراهق ذهب يبحث عن كن مخبوء في باطن الأرض، وكان دليله في ذلك

ساحر مغربي. أحرق الساحر البخور، وقرأ طلاس غريبة، فنشف النهر الذي توجد في قاعه مغارة يوجد فيها الكنز. ولكن كان على جودر أن يفتح سبعة أبواب ليصل إلى الكنز. كان عليه أن يفتح الأبواب الستة الأولى وهو يتلو كل مرة طلسمًا. وفي كل مرة، أمام كل باب، كان عليه أن يتقدم إلى القتل دون أن تطرف له عين. فهو يقتل ثم يحيى من جديد، ولا يحيى من جديد إلا إذا خاض الامتحان بشجاعة. أما الباب السابع والأخير، فقد قال له الساحر المغربي: ثم ادخل إلى الباب السابع واطرقه، تخرج لك أمك وتقول لك مرحبا يا ابني أقدم حتى أسلم عليك فقل لها خليك بعيدة عني واخلي ثيابك فتقول لك أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية كيف تُعربي فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك وانظر إلى جهة يمينك تجد سيفًا معلقًا على الحائط، فخذها واسحبها عليها وقل لها اخلي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تُشفق عليها فكلما تخلع شيئًا قل لها اخلي الباقي ولم تزل تهددها بالقتل حتى تخلع جميع ما عليها وتسقط. وحينئذ تكون قد حللت وأبطلت جميع الأرصاد وقد أمنت على نفسك. وقد أكد الساحر فيما بعد طبيعة هذه الأشخاص قائلاً لجودر: يا جودر لا تخف إنهم أشباح من غير أرواح.

فمن الواضح أنّ التي على جودر أن يتغلب عليها ليست أمّه بل شبح أمّه. ولئن نجح جودر في عبور موته بسلام، فإنّه لم ينجح أمام شبح أمّه في المرة الأولى، فكان عليه أن يُعيد الكرة: فقال اخلي الباقي وعالجها كثيرا حتى خلعت شيئًا آخر ومازالا على هذه الحالة وهي تقول يا ولدي خابت فيك التربية، حتى لم يبق عليها شيء غير اللباس، فقالت يا ولدي هل قلبك حجر فتفضحني بكشف العورة يا ولدي، أما هذا حرام. وعندما نظقت بكلمة حرام، قال لها: صدقت فلا تخلعي اللباس. وعندها صاحت المرأة منتصرة: قد غلط فاضربوه. فضرب جودر حتى أوشك على الموت، وألقي به خارج المغارة. فكان عليه أن يُعيد المحاولة مع الساحر بعدة سنة، ونجح عندها في خلع ملابس أمّه بأكملها. وبمجرد ما أصبحت عارية تماما، تحوّلت إلى شبح بلا روح" (بن سلامة . ف، 2008: 280-281).

إذن من خلال ما سبق ذكره يتضح أنّ الأمّ الماكثة بالبيت والتي هي نموذج للأمّ التقليدية أصبحت تتمتع بحميمية أكثر مع الزوج، وذلك على حساب علاقتها مع الطفل، حيث لوحظ أنّها ترى نفسها زوجة بحضور الزوج، في حين كانت الأمّ سابقا تبقى أمّا طيلة الوقت. وبالتالي من خلال هذا التصريح للحالة ومن خلال تحديد النسل لدى الحالة، فإنّه يظهر أنّ الزواج ليس فقط مرحلة مهمة لبلوغ الأمومة وإنّما هو أيضا لتحقيق حميمية مع الطرف الآخر.

## خلاصة الحالة الثانية:

كخلاصة عن هذه الحالة نجد أنّها تقوم بممارسات أمومية تقليدية مع الاعتماد على بعض الأمور الحديثة كالروضة والتربية باللعب، لاحظنا كذلك تحديد النسل ممّا يدلّ على التغيرات الطارئة على المجتمع والعائلة الجزائرية. أمّا عن مكان الأمّ فهي تحتفظ به من خلال ممارسة الدور المنوط بها والمهام الموكلة إليها ولا يتدخل الأب إلا في الحالات الطارئة، وفي المواقف التي تتطلّب السلطة بصفته الحامل للقانون. كما أنّ الأمّ الماكثة بالبيت هي من تقوم بإدخال الأب في العلاقة أمّ-طفل حسب ما تراه مناسباً وهذا ما عبّرت عنه الحالة عندما صرّحت بأنّه يتدخل في الحالات الطارئة مثل ارتكاب الطفل للخطأ. كما لاحظنا أنّ الحالة لا تُميّز بين الجنسين، وأكّدت أنّ ما يهمّها هو أن يكون كلا من البنت أو الولد متبنيًا للأخلاق والمقيم والمبادئ التي تتميز بها الثقافة التي ينتمي إليها.

إذن هذه الأمّ هي أيضاً تُمثّل نموذجاً للأمّ التقليدية من خلال ممارساتها الأمومية، وكذا عدم مساعدة الأب لها والتدخل عند الضرورة فقط، ربط مشروع حياتها بحسن أخلاق أطفالها، ولكن يُلاحظ وجود بعض التغيّرات فيما يتعلّق بتربية الأطفال بحيث تمّ الانتقال من التربية الجماعية إلى التربية الوالدية التي تخصّ الأب والأمّ فقط، عدم التفريق بين الجنسين، الحميمة الزوجية وتحديد النسل الذي يُعبّر عن تحوّل العلاقة الجنسية عن الهدف الذي وضعه النظام الاجتماعي من أجله، ألا وهو الإنجاب، إلى هدف آخر يتمثّل في تحقيق المتعة الجنسية.

مكان الأمّ والممارسات الأمومية في هذه الحالة لم يتغيّر جذرياً، حيث لازالت تحتفظ بنفس المكان الذي تمتعت به الأمّ في النظام التقليدي، مع بعض التغيّرات البسيطة في جوانب تتعلّق بالعلاقة مع الزوج.

### 3- الحالة الثالثة:

"La mère obsessionnelle" "الأم الموسوسة"

#### 3-1- قصة الحياة:

أجريت المقابلة يوم: 2016/08/10، على الساعة 15:00 بعد الزوال في بيت الحالة بمدينة تلمسان، ودامت حوالي ساعتين. كانت الحالة ترتدي ملابس منزلية وكانت تبدو قلقة وتتكلم بسرعة، وتحرك يديها كثيرا، كانت تتكلم بالدارجة. استقبلت الحالة طلب إجراء المقابلة بصدر رحب و لم تُمانع بعدما تمّ شرح لها العمل.

أنا ليلي سني 45 سنة مأكثة بالبيت، مستوى تعليمي ثانوي، زوجي تاجر ولي ثلاث بنات سنهنّ من الأكبر إلى الأصغر 11 - 9 - 5 سنوات، الكبرى وُلدت عادي، كانت تبدو لي التربية في البداية عادية وسهلة، أنظفها وأغير لها ملابسها، لم تكن لديّ خبرة، ولم أكن أهتمّ. في يوم من الأيام بعد التطعيم (vaccin) للبتن الأولى وضعتها في سريرها ونامت فارتفعت درجة حرارتها إلى 40°م، جفت من الماء وكانت كثير من الأمهات يوصيني بأن أنتبه للفجوة الموجودة في رأس الرضيع (الملغية) حتى لا تنزل إلى الداخل، وعندما لاحظت أنّها دخلت تلك الفجوة عرفت أنّ ابنتي في أزمة، أخذتها إلى الطبيبة والتي قالت لي فعلا لقد جفت من الماء بسبب ارتفاع درجة الحرارة ومن ذلك اليوم أصبحت أعاني من وسواس، بدأ أي أمر بسيط يتعلّق بابنتي يُسبّب لي أفكار وسواسية، إلى درجة أنّه في يوم وجدت درجة حرارتها 37°م فحاولت أن أنزلها بالضمادات ظنا مني أنّ درجة الحرارة عند الرضيع لا يجب أن تتجاوز 36°م وبقيت طيلة الليل وأنا على تلك الحال بالرغم من أنّ زوجي قال لي أنّها درجة حرارة عادية، إنّهُ موقف لن أنساه. كانت ابنتي الكبرى تمرض كثيرا وكنت كلّ مرة أعاني كثيرا بسبب ذلك، كنت أقلق كثيرا عند مرضها. وبقيت على هذا حتى ولدت البنت الثانية والتي أصبت فيها بهلع وصدمة كبيرتين، حيث ولدت الطفلة كما يُقال بالعامية (شاربة الماء) فهي لم تصرخ عند خروجها للعالم إلا بعدما ضربتها الممرضة مرارا، وعندما رأتها أمّي قالت لي أنّ هذه الرضيعة تبدو متشنجة وهذا غير طبيعي، وأحيانا عندما تشعر

بالاختناق تتخبط، عندما رأيتها على تلك الحال ذهبت لإحضار الممرضة التي عندما رأني قالت لزميلتها عني: (هادي باينة موسوسة) وقامت بإخراج الماء الذي كان بداخلها، قلت في نفسي أنها لن تعيش. وفي الصباح وجهتني طبيبة الأطفال إلى مصلحة طب الأطفال، حيث أُقيمت لها التحاليل، كنت أظن أنها ستموت ولكن ما أعطاني الأمل هو حلم رأته: (نمت عندي peau تاع ورد سمبلي وفيه الشوك، وبنتي الكبيرة كانت قبيحة والشوك معناته قبيح، وهما جاييلي peau تاع صغير وأنا نقولهم هاد الوردة علاش راكم جايينهاالي ميتة ونحيت هاديك لي فيها الشوك من صدري ورفدت هاديك الوردة الصغيرة وشففت فيها تويوبات فيهم العروق يمشي فيهم الدم، وهذا معناته الحياة). وهكذا مرت الأيام.

بالنسبة للأب لا يمكنني أن أقول أنّ ليس لديه روح المسؤولية وإنّما هو حساس ويخاف من الصدمات (الخلعات) وهو يود لو أنّي لا أقول له أبدا أنّ إحدى البنات هي مريضة. في الحقيقة هو لا يستطيع تحمل المسؤولية ليس لأنه حقود (سمّي) وسيء ولكن لأنّه حساس ويتأثر بسرعة وأكثر مني عند مرضهن ولكن لا يظهر ذلك. يجب ألا يرى أي واحدة منهنّ مريضة لأنّ ذلك يتعبه كثيرا.

مرت الأيام وفجأة وجدت نفسي حامل بالبنث الثالثة وقد كانت هذه الأخيرة تجربتها صعبة جدا (هادي مصيبتها مصيبة). عندما وُلدت كانت في صحة جيدة وجميلة وملفة للانتباه ولكن سرعان ما مرضت بمرض الأمعاء وصرت أذهب من طبيب إلى طبيب، والأدوية، والحمية الغذائية، والحمد لله شفيت وهي بخير الآن، ولكن صرت لا أصلح لشيء (وليت مانصلحش) صرت أكبر من سني، عندما أخرج يقولون لي (الحاجة) بدأت أظهر كبيرة في السن. وأقلق بسرعة، ارتفاع بسيط لدرجة الحرارة لا أنام طيلة الليل، أصبح عصبية عندما تكون إحداهن مريضة، وصار من سابع المستحيلات أن ألد مجددا وأعيد الفيلم من جديد، أخاف.

علاقتي ببناتي ليست جيدة للغاية، أقول أحيانا أنني لم أعرف كيف أربيهن التربية الصحيحة، هنّ لا يسمعن لما أقول لهنّ (ما يسمعون الكلام). البنت الكبرى عصبية ولا مجال للتفاهم معها، وقليلًا ما نتصاحب، حوالي نصف ساعة ثم نعود إلى الصراع (تعاود تولي تشعل)، لا أعرف كيف أتعامل معها، ولكنها هي العصبية ولا تستمع لما أقوله لها. البنت الوسطى أحيانا أقول في داخلي أنها ساذجة إلى الدرجة تحت الصفر (مخلخلة، بهلولة، هيلة)، شخصيتها مختلفة عن أختها ودائما هناك صراعات بينهما (مايتشاموش قط وفار)، أما الصغيرة فهي حساسة ولكن ذكية.

أنا لا أعاني من مشكلة أخت الزوج أو أم الزوج (اللوسة والخنتنة)، علاقتي بعائلته جيدة. أقول أحيانا لو أنّ لدي حماة وأخوات زوجي ربما كنت سأعيش حياة أفضل... بالرغم من أنّ الجميع يقول أنّه هناك مشاكل بينهم، ولكن من الأفضل على الأقل أن يكون هناك من تعتمدين عليه فإذا كانت هناك مشكلة تجددين من عينك... مثلا إذا مرضت إحدى البنات أترك الأخرى عند جدتها وأذهب، وجودها (أمّ الزوج) يدعمني نفسيا. عندما يكون هناك شخص ما يمثّل سند لك ليس مثلما تكونين لوحده.

عندما وُلدت البنت الأولى كنت أهتمّ بها لوحدي وأحيانا ألجأ للآخرين (للناس). كانت لدي جارة لن أنساها، كانت تنصحنني وتوجهني، وأول أمر قامت به هو أنّها نزعّت عن ابنتي القمّاطة لأنها تزيد من أوجاع البطن لها، أي شيء كنت أحتاجه كانت تأتي لمساعدتي. وعندما كبرت قليلا ابنتي أصبحت أعاني من مشكلة الحسد، محسودة: ابنتك.. ابنتك.. ابنتك... عانيت من العين كثيرا. نصحتني إحدى جاراتي وهي حاليا جدّة كبيرة في السنّ أنّه في حالة ما إن شككت في أحد ما قد يصيب إحدى بناتي بالعين، أو يحسدني فإنّه يتوجّب عليّ أن أنزع خيطا من ملابسه وشعرة منه وأحرقهما.

الرضاعة كانت طبيعية في الغالب، وضعت البنت الأولى سنة وشهرين فقط ثم استبدلتها بالرضاعة الاصطناعية لأنني كنت حامل، لكن البنت الثانية والثالثة رضعتا حتى سنّ عامين وستة أشهر، أنا أهتمّ لأموهن وحدي: من تحضير للرضاعة بالنسبة للكبرى، النظافة، كلّ شيء أقوم به لوحدي. هو (الزوج) لا يساعد أبدا لا يعرف حتى كيف يحملهنّ عندما يكنّ صغيرات... حتى الدراسة إلى اليوم لم يدخل المدرسة ولا القسم ولا يعرف المعلمين، حتى عندما دعوه لحضور حفل تكريم ابنته ليلها المرتبة الأولى في شهادة التعليم الابتدائي رفض الذهاب.

تنام البنات الثلاث معي في الغرفة واحدة على جانبي الأيمن والأخرى الأيسر والثالثة عند قدمي، ومؤخرا عندما بلغت البنت الثانية 9 سنوات أصبحت تنام في سرير خاصّ بها داخل نفس الغرفة. وعندما يستيقظن في الليل أنا أستجيب لهن وأحيانا أبقى مستيقظة طيلة الليل، هو (الزوج) لا ينام معنا في الغرفة. وحتى لو أنّهن لم يستيقظن في الليل أنفقدهن، في الليل تتملكني أفكار وسواسية. في الصباح أنا أقوم بإيقاظهنّ وتحضيرهنّ للذهاب إلى المدرسة وأنا أصحبهنّ إليها وأحضرهنّ منها. عندما أنجبت البنت الصغرى أصبحت كلّ من البنت الأولى والثانية يذهبن بمفردهنّ.

في تربيتي لبناتي أنا صارمة لدقائق ومتساهلة في باقي اليوم. في أمور أتبع الطريقة التي كانت تنتهجها أمي في تربيتها لنا مثلا كثرة التأييب على كلّ الأمور، مثلا أمي كانت تؤنّبنا نحن البنات حتى على طريقة الجلوس أو ما نلبسه، وكانت كثيرا ما تطلب مني، أن أجمع يدي على صدري لأخفي أنّني صرت امرأة ولا أجلب انتباه الأولاد أو الرجال، فأجد نفسي أنا أيضا أوّتب بناتي على طريقة لباسهنّ مثلا لا أحب أن تلبس ابنتي سروالا دون قميص طويل يغطي مؤخرتها. أتكلّم كثيرا حتى أكرههنّ في عيشتهنّ (نكرهلهن حياتهم). أرى نفسي أمّ فاشلة، لم أحسن تربيتهنّ ولم أسيطر عليهنّ ولا يستمعن إلى ما أقوله وأطلبه منهنّ، عندما أكون وسط جماعة أشعر بالخجل من تصرفاتهنّ (يعشموني)... باختصار أصنّف نفسي مع الأمّهات الفاشلات.



في وقت معيّن كانت تراودني فكرة إنجاب ولد ولكن استغفرت الله وحمدته، في البداية تمنيت ولدا ولكن فيما بعد تقبّلت الأمر بصدر رحب واقتنعت. في الدين يقول الله تعالى فيما معناه: "يهب لمن يشاء إناثا" فضّل الإناث عن الذكور. ربي خلق الملائكة إناثا. وتخلّيت أكثر عن فكرة إنجاب الولد وأنا أحمد الله يوميا عندما رأيت أمي كيف ربّت وتعبت وسهرت على تربية أولادها وكيف كان جزاؤها في كبرها حيث تخلّوا عنها.

في إنجاب الذكور أو الإناث أتبع قول الله تعالى فيما معناه: "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوّجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما"، الأول جيّد والثاني جيّد لكن الأخير، العقيم هو من يُعاني كثيرا، ومع ذلك يكون عقيما لحكمة يعلمها الله.

ليس لدي فرق بين البنت أو الولد، وما هو مهمّ عندي هو أنّ بناتي الثلاث يتابعن دراستهن ويعملن ويصرفن على أنفسهنّ ولا يكنّ تابعات للرجل، أنا لديّ عزة نفس. قبل زواجي كنت أعمل في الخياطة ولكن توقفت، ولم أتعوّد على أن أقول لأيّ كان أعطيني المال لقضاء كذا أو كذا... مع أنّ زوجي لا يتركني أقول له أعطيني، عند كلّ بداية شهر يعطيني المال (هاودا مصروف الشهر دبّري راسك) لأنّني أنا من أتقّل بشراء مقتنيات المنزل والحاجيات والمتطلبات. أنا لا أطلب منه المال ولكنّه متفهمّ ويعطيني ما يكفيني. ولكن مع ذلك أحب أن يكون للمرأة راتب شهري. لو كنت أعمل لساعده، فهو يظل طيلة اليوم في العمل من الساعة صباحا إلى الساعة مساء (ما مستغل بناته ما مستغل داره). لو كنت أعمل لحملت عنه البعض من عبء المسؤولية وساعده. لهذا أتمنى لبناتي أن يدرسن ويعملن فالشهادة جيدة ولكن الراتب أحسن (زماننا واعر يليق الشهرية).

يوم عادي بالنسبة لي مملّ جدّا، عندما أستيقظ صباحا أستيقظ مستاءة وكثيبة (نوض كارهة حياتي) وأفرح كثيرا عندما أكون ذاهبة للنوم، لأنّني لا أرتاح طيلة النهار، بناتي لسن مرتبات وأنا لدي وسواس النظافة. أحيانا

يكون المنزل نظيف ولكن أعيد تنظيفه من جديد. أحب أن أشم رائحة الجافيل في المنزل. لا أستطيع الجلوس أحب أن أشغل نفسي.

أنا أرى نفسي أم لأنني أفكر فقط في بناتي، شعري لم أمشطه منذ مدة، أنا بالنسبة لي المرأة التي تهتم بنفسها كثيرا يكون لديها غيرة وخوف من فقدان زوجها، تكون تحس بالنقص.

دور الأب في التربية بصفة عامة مهم جدا يجب أن يكون موجودا حتى في الأمور البسيطة لأنه يكون حازم أكثر في بعض الأمور مقارنة بالأم. أما فيما يتعلق بعائلي فزوجي لا حياة لمن تنادي ولكن مع ذلك ألتمس له الأعذار، لأنه هو من يوفر لنا المتطلبات المعيشية (تجري تاكل ما تجريش ما تاكلش) أحيانا أقول ربما عدم عملي هو من أجل أن أحمل عنه عبء شراء المقتنيات للبيت والاهتمام بالبنات من كل النواحي: أخرج للتسوق، آخذ البنات للطبيب، أزور مدرستهم. كثيرا ما أتمنى لو أنه يساعدني في ذلك وأستاء ولكن أقول بعدها أنه ليس بيده ذلك (تغيضني نتمنى لو كان نصيبه في جنبي بصح عاود نقول حسن عونته حتى هو ما راهش عايش حياته).

أتمنى أن تنتهي حياتي بعمل حسن أقصد حسن الخاتمة، أتمنى أن يكون الله راض عني. وأتمنى ألا تخطئ بناتي في حياتهن وأريد أن يكن عفيفات حتى زواجهن (نتمنى ما يغلطوش وخاصني يوصلوا نقيين لرجالهم)، لأن بيتنا سيئة (موسخة). ابنتي الكبرى أخاف عليها لأن زميلاتنا يقلن لها أمورا كبيرة عن سنّها وحرام مثل العلاقات بين الجنسين (مثلا فلان راه عينه فيك وباغيك). وأنا أحذرهما دوما من الخطأ في مثل هذه الأمور وأقول لها ممنوع منعا باتا ذلك تماما مثلما تربيت أنا. كما أنّها تحكي لي كل ما يحدث لها في هذا الجانب وما تفكر فيه حول هذا الأمر أو ذلك. دراستهن هي الهاجس الكبير بالنسبة إلي... أتمنى ألا يعيشن ما عشته أنا (خاصني يقرأوا وما دايبا ما يعاودوش الفيلم تاع حياتي ويبقاو في الشقا وتامارة). أنا لا أحب تلك العلاقات التي تكون بين بنت وولد، أتمنى ألا تقوم بناتي بذلك. أتمنى كذلك أن يعيش والدهم في هناء في حياته وأتمنى لو كانت لديه

الرغبة في إعادة الزواج فسأقبل. أتمنى أن يرضى الله عني (ما نبغيش هاديك العلاقات بين بنت وولد نتمنى ما يوصلوهاش، نتمنى أباهم يعيش هاني في حياتهنتمنى لو كان هو عنده رغبة في الزواج من أخرى نعفس على قلبي ونزوجه وحدة صغيرة ويعيش حياته. نتمنى نشوف ربي راضي عليه).

### 3-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى الغرب الجزائري، إلى مدينة عُرفت بحفاظها على عاداتها وتقاليدها، هي أم لثلاث بنات، عملت قبل زواجها خياطة ثم توقفت عن ذلك، هي حاليا مأكثة بالبيت تهتمّ لأمر بناتها ومنزلها.

#### • الأمومة مصدر للقلق: أم قلقة طفل قلق:

إنّ مضمون هذه القصة يتشارك في بعض النقاط مع الحالات السابقة كما أنّ هناك أوجه اختلاف. ما يُميّز هذه الأم أنّها تنظر إلى الأمومة على أنّها مصدرا للقلق من خلال قولها: "... (أخذتها إلى الطبيبة والتي قالت لي فعلا لقد جفت من الماء بسبب ارتفاع درجة الحرارة ومن ذلك اليوم أصبحت أعاني من وسواس، بدأ أي أمر بسيط يتعلّق بابنتي يُسبّب لي أفكار وسواسية (...)) كانت ابنتي الكبرى تمرض كثيرا وكنت كلّ مرة أعاني كثيرا بسبب ذلك، كنت أقلق كثيرا عند مرضها."، يعود هذا القلق الذي تعاني منه الأمّ إلى تجارب مؤلمة ومقلقة عاشتها، وهي تركز على أنّه ما هو صعب في الأمومة هو مرض الأطفال والسهير عليهم، حيث أنّ هذا القلق بدأ عندها عندما مرضت إحدى بناتها حيث ارتفعت درجة حرارتها وجف جسمها من الماء. وفي هذا الصدد لقد أقيمت العديد من الدراسات حول الأمّ القلقة، وعلى رأسها دراسة كلّ من Aubert .J.L و Doubovy . Ch حيث توصّلا إلى أنّ: "الأمّ القلقة هي الأمّ التي لا تعرف الراحة النفسية، قلقة وخائفة باستمرار" (AUBERT .J.L et al : 105 : DOUBOVY . Ch, 2002)، وهذا ما لوحظ لدى هذه الأمّ، غضافة إلى أنّ لديها خوف مستمرّ من أن تمرض إحدى بناتها وهذا ما أثبتته هذه الدراسات كذلك: "تكون دائما قلقة على طفلها، لديها خوف دائم من

AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, ) ومن أجل تجنّب ذلك تحميه بشكل مفرط" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 110).

إنّ هذه الأمّ القلقة هي ستكون للطفل بمثابة العقبة لتطوّره لأنّ لديها فرط حماية وتقول Dolto . F في هذا الشأن: "إذا تربّى الطفل من طرف شخص قلق فإنّ ذلك يُنمّي لديه جو من الموانع المستمرة الخاصّة بحرية ظهور حاجاته ورغباته، حركاته، ومبادراته" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 110). إذن يمكن أن نستخلص أنّ الأمّ القلقة تُعطي للطفل الاعتقاد بالخطر، ممّا قد يُدّي به إلى الشعور بالذنب حتى قبل أن يقوم بالفعل وقبل أن يُخاطر، هذا من جهة.

من جهة أخرى وتبعاً للدراسات التي أُقيمت على أمّهات قلقات وُجد أنّ أطفالهن أيضاً سيكون لديهم لديهم قلق، وذلك من خلال تعلم وامتصاص أعراض القلق التي لدى الأمّ. وهذا ما يتوضح من كلام الحالة وكذا تبعاً للملاحظات<sup>(1)</sup> التي تمّ جمعها عنها وجدنا أنّ هذا القلق الذي تعاني منه الأمّ يعاني منه كذلك بناتها الثلاث والذي يُترجم من خلال سلوكيات العصبية والعناد وسوء التصرف وكذا سوع العلاقة بينها وبين بناتها: "علاقتي ببناتي ليست جيدة للغاية (...). (ما يسمّعوليش الكلام). البنت الكبرى عصبية ولا مجال للتفاهم معها، (...). لا أعرف كيف أتعامل معها، (...). هي عصبية ولا تستمع لما أقوله لها. (...). ودائماً هناك صراعات بينهما".

بالنسبة للأمّهات منشغلات بأطفالهنّ بشكل مفرط داخل عائلات نووية، تمّ التوصل إل أنّه يُمكن أن ينخفض هذا القلق إذا مارسن مهنة معيّنة، وهذا ما أثبتته نتائج دراسات كلّ من Aubert .J.L و Doubovy .

<sup>(1)</sup> من أجل التوضيح هذه الأمّ كانت من بين الحالات التي من أجل الإستشارة النفسية سابقاً، وفيما بعد تمّ الطلب منها لتكون حالة من أجل الدراسة، ولهذا كان لدينا اطلاع على تفاصيل أكثر عنها وعن عائلتها أكثر من حالات الدراسة الأخرى.

Ch: "عندما تُمارس الأم عملا ما فإنّها لا تتكفّل بالطفل بشكل كليّ ولا تُوظّف كلّ طاقتها في تربيته وبالتالي يقلّ القلق لديها عليه" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 108).

### • الأحلام في النظام التقليدي:

إنّ للأحلام مكانة مهمّة في التحليل النفسي كما في الثقافة الأبوية، ولكن معناها والمغزى منها يختلف بين الاثنيين، ففي التحليل النفسي يعتبر Freud . F الأحلام عبارة عن متنفس للا شعور، حيث يخرج من خلالها ما هو مكبوت في اللا شعور سواء كان كبتا جزئيا أو كبتا كليا. وقد استخدمها كتنقية علاجية من خلال تأويلها وربطها بالمعاش النفسي اليومي لحالاته. وهو يُعرّف التحليل النفسي كما يلي: "الحلم هو ظاهرة نفسية تتبلور في حالة النوم، وتخرج في صورة حلم بشكل لا شعوري رغما عن النائم، حيث إنّ الحلم هو الكيفية التي تستجيب لها النفس للتنبهات التي تتعرّض لها سواء كانت داخلية أو خارجية" (أبو شهدة . ك و وهبي . ك، 1997: 67).

أمّا في الثقافة بشكل عامّ والنظام الأبوي بشكل خاصّ فإنّ الأحلام هي عبارة عن رؤيا تتمثل في إشارات وعلامات لما هو آت في المستقبل القريب، وهنا الحالة حلمت بـ: "كنت أظن أنّها ستموت ولكن ما أعطاني الأمل هو حلم رأيتّه: (نمت عندي peau تاع ورد سمبلي وفيه الشوك، وبنتي الكبيرة كانت قبيحة والشوك معناته قبيح، وهما جاييليي peau تاع صغير وأنا نقولهم هاد الوردة علاش راكم جايينهاالي ميتة ونحيت هاديك لي فيها الشوك من صدري ورفدت هاديك الوردة الصغيرة وشفنت فيها تويويات فيهم العروق يمشي فيهم الدم، وهذا معناته الحياة)"، هنا يتوضّح لنا أنّ تفسيرها للحلم بشكل إيجابي منحها الأمل، وأولته على أنّها بشرى سارة على أنّ البنت الثانية التي كان ميؤوس من حالها ستشفى وبالفعل نجت تلك البنت من الموت بأعجوبة على حدّ تعبير الحالة.

إنّ الأفراد داخل النظام التقليدي لهم تفسيرهم الخاصّ بهم للأحلام، حيث مثلا بالنسبة لهم زمن حدوث الحلم له تفسير خاصّ به: "الحلم له حدود زمنية خلال النهار والليل وكلّ زمن محدود من الليل والنهار له في

تفسيرهم تفسيراً خاصاً بالوقت الذي رأى فيه الفرد حلمه. فإذا كان الحلم في النهار له تفسير وإذا كان في الليل قبل منتصفه أو بعد منتصفه فذلك يدلّ على شيء ما حسب نوعية الحلم" (أبو شهدة . ك و وهبي . ك، 1997: 72). كما أنّ هناك تفسيراً لكلّ حلم حسب المنطقة التي ينتمي إليها الفرد وذلك تبعاً لطريقة أهلها في فكّ الرموز التي يراها الفرد في الحلم، وقد يصل بهم الأمر إلى: "أن يتقيد به [أي الحلم] سلوكه بما رآه في الأحلام من خير أو من شرّ ويعيش يومه مرهوناً بالتفاؤل أو بالتشاؤم ظناً منه بأنّ الأمر سوف يتحقّق" (أبو شهدة . ك و وهبي . ك، 1997: 72). وبالفعل هذا ما حدث مع الحالة حيث أنّها بعد رؤيتها للحلم أحست بالتفاؤل وبأنّ الطفل سوف تعيش.

#### • عائلة نووية، أم مائة بالببيت: ممارسات أمومية تقليدية:

هذه الأمّ مثل الأمّهات السابقات تقوم برعاية بناتها لوحدها دون مساعدة الأب أو المحيط بصفة عامّة، بل هي تعيش في منزل خاصّ منفرد عن العائلة الكبيرة، وهي من تتكفّل بكلّ أمورهن، سواء في البيت أو المدرسة، عندما يكتن بصحة جيّدة وعندما يمرضن، والأب لا يساعد في ذلك إطلاقاً وتبّرّ الأمّ ذلك بأنّه مشغول في العمل خارج المنزل الأمر الذي يجعله بعيداً عنهم لوقت طويل، وأحياناً يتطلب عمله السفر والمكوث عدّة أيام غائبا. ولهذا الأمّ هي التي تتكفّل برعاية البنات وكذا اقتناء حاجيات المنزل من طعام ومتطلّبات البنات من أدوات وغيرها: "أحمل عنه عبء شراء المقتنيات للبيت والاهتمام بالبنات من كلّ النواحي: أخرج للتسوق، آخذ البنات للطبيب، أزور مدرستهم"، كما تبّرّ تجاهله لمرض بناته أنّ لديه حساسية مفرطة وعاطفي وبالتالي لا يتحمّل رؤية إحداهنّ مريضة: "لا يمكنني أن أقول أنّ ليس لديه روح المسؤولية وإنّما هو حساس ويخاف من الصدمات (الخلعات) وهو يود لو أنّني لا أقول له أبداً أنّ إحدى البنات هي مريضة". هنا يبدو واضحاً أنّ الأب هو يُمثّل نموذجاً للأب التقليدي الذي نادراً ما يدخل في تواصل مع الطفل خصوصاً إذا كان من جنس أنثوي، حيث هذا الآخر يكون مكانه إلى جانب أمّه. وبصفة عامّة هناك تواصل مهمّ يربط الأمّ بالطفل، وخلال مرحلة الطفولة الصغرى يُمكن

القول أنّ الطفل يتعلّق ويبقى مع الأمّ طيلة الوقت ومع نساء المنزل. بالنسبة للبنات فإنّ طفولتها تختلف عن الولد حيث يتمّ تعليمها في سنّ مبكّر جدّاً تحمّل دور النساء: "البنات الصغيرات هنّ ربّات بيوت صغيرات يتمرنّ على غسل باحات المنازل، تنظيف وتنقية وتلميع الأطباق النحاسية، الانتباه إلى ما بين الساقين، صناعة دميات التي تسمى العرائس، تعلّم الطرز (67 : EL KHAYAT . GH, 1988).

إنّ هذه العائلة هي نموذج للعائلة في النظام التقليدي الأبوي حيث أنّ الأمّ تهتمّ بالأطفال داخل المنزل والأب يعمل في الخارج، ولكن هناك اختلاف فيما يتعلّق بتكفّل هذه الأمّ بشراء متطلّبات المنزل الذي كان من اختصاص الأب، وذلك حسب تصريحها التالي: "أحمل عنه عبء شراء المقتنيات للبيت والاهتمام بالبنات من كلّ النواحي: أخرج للتسوق، آخذ البنات للطبيب، أزور مدرستهم". وهذا الأمر لم يكن موجودا في السابق: "داخل العائلة التقليدية توزيع الأدوار بين الرجال والنساء هو محدّد، حيث يكون مُسند إلى الرجل دور أولوي كُموّن وضامن لموارد ومصادر العيش للعائلة (في كلّ النصوص القانونية يُشترط على الرجل أن يتكفّل بعائلته ويُنفق عليها)، والمرأة لها دور أولوي في التسيير المنزلي. هذا ما هو عليه الحال بالنسبة للعائلات التقليدية، وبالنسبة للعاملات من هذه العائلات وقت العمل المهني هو يُعتبر كوقت ثانوي مقارنة بالوقت المخصّص للعمل في التسيير المنزلي" (103 : GADANT . M et KASRIEL . M, 1990). وبالتالي حتى وإن كان هناك استمرار للنظام الأبوي إلا أنّه توجد تغييرات طرأت عليه والتي مسّت بالخصوص أدوار كلّ من الأب والأمّ دون المكان أو المكانة.

لقد أشارت الحالة بصريح العبارة عن استياءها من عدم مساهمة الأب في رعاية الأطفال والاهتمام: "كثيرا ما أتمنى لو أنّه يساعدني في ذلك وأستاء ولكن أقول بعدها أنّه ليس بيده ذلك، لا يساعد أبدا لا يعرف حتى كيف يحملهنّ عندما يكنّ صغيرات... حتى الدراسة إلى اليوم لم يدخل المدرسة ولا القسم ولا يعرف المعلمين". وبالرغم من أنّ الأب يقوم هنا بدوره التقليدي المنوط به والذي تمّ التعارف عليه من زمن بعيد إلا أنّ الحالة لا تقبل ذلك، وهذا كذلك يُشير في حدّ ذاته إلى بداية ظهور علامات التغيّر في العائلات التي هي نموذج للعائلة التقليدية. وضح

Linton . R في هذا الصدد أنّ الثقافة هي التي تُحدّد إدراك الاختلافات البيولوجية وليس العكس: "كلّ المجتمعات تصف المواقف والاتجاهات والنشاطات المختلفة من أجل الرجال ومن أجل النساء. أغلبية المجتمعات حاولت تبسيط هذه الأوصاف تبعاً للاختلافات الفيزيولوجية بين الجنسين، أو دورهما المختلف في الإنتاج" (MERNISSI . F, 1983 : 15). كما أُقيمت دراسة مقارنة بين مكانات (Statuts) النساء والرجال داخل ثقافات مختلفة، وقد بيّنت أنّ "منذ بداية تقسيم المكانات (Statuts)، فإنّ الثقافة هي التي تُحدّد مهامهم. كما أنّ الخصائص والمميّزات النفسية الممنوحة للرجال والنساء داخل المجتمعات المختلفة قابلة للتغيّر تدريجياً، بحيث لا يكون لها إلا مبرّر فيزيولوجي ضعيف (MERNISSI . F, 1983 : 15). بالتالي فإنّ الثقافة الأبوية هي التي حدّدت أدوار كلّ جنس، و أنّ هذه الأدوار يُمكن أن يطرأ عليها تغيّرات بشكل تدريجي، وهذا ما لاحظناه في أفكار الحالة عند إدلائها برأيها.

#### • أمومة تقليدية: تضحية على حساب الذات:

نوهت الحالة في موضع من القصة إلى أنّ الممارسات الأمومية تعجّل من الشيخوخة: "... صرت أكبر من سني، عندما أخرج يقولون لي (الحاجة) بدأت أظهر كبيرة في السن"، وهذا يرتبط من جهة بالأم التي تقضي جلّ وقتها في القيام بواجباتها كأمّ، إضافة إلى الأشغال المنزلية، وبالتالي فإنّها تُهمل نفسها ولا تهتمّ لمظهرها، وهذا ما يجعلها تبدو كبيرة في السنّ هذا، وهنا قد فسّر Freud ذلك بالنوعية المازوشية التي تُميّز الأمّ: "تابعوا الأمّهات اللاتي يُعذّين بأنفسهنّ أطفالهنّ، إنّهنّ ينسين كلّ المواضيع التي تُحقّق لهنّ لذّة، هنّ فقط منتبهات لأطفالهنّ، يقضين ليالي دون نوم، يتناولن وجباتهنّ الغذائية بسرعة، لا يأكلن إلا ما يعلمن أنّه مفيد في إنتاج الحليب الجيّد. كلّ ساعات اليوم يهتمن بالغسل، التنظيف، تدفئة، تسليّة، تغذية، تنويم موضوع حبّهنّ. كلّ من يُحيط بهنّ ينظر إليهنّ بشفقة ويظنّ أنّهنّ أتعس النساء" (BADINTER . E, 1980 : 187).



ومن جهة أخرى ففي النظام الأبوي كانت الأم قد تصبح جدّة في سنّ مبكرة ، وذلك لأنها تزوجت في سنّ مبكرة وكذلك زوجت ابنتها الكبرى أيضا مبكرا، وهنا كلمة جدّة تُحيل في الذهن إلى الشيخوخة، فالجد هو شخص مسنّ عايش ثلاث أجيال. في هذا الصدد قال قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر في مذكراته (1816-1824): "المرأة الجزائرية تصل إلى النضج في وقت مبكر، ويحدث كثيرا أن تتزوج في سنّ الثانية عشرة، ولكنها تدبل بنفس السرعة، وقد بلغني أنّ المرأة الجميلة يبدأ جمالها في الزوال في سنّ الخامسة والعشرين، وأنّها عند هذه السنّ كثيرا ما تكون جدّة" (ورد في فراد . م.أ، 2006: 184).

إذن تظهر الأمّ كبيرة في السنّ إمّا مظهرًا أو رمزا. ومن وجهة ثالثة فإنّ الأمّ تُحيل إلى النضج وكذا لمكان الأمّ أهمية كبيرة في المجتمع على كلّ فرد احترامه (أي المكان).

إنّ حديثنا عن السنّ منذ قليل يُحيلنا إلى فكرة مهمّة جدا ألا وهي أنّ السنّ هو يرتبط بالمرأة أكثر من الرجل، حيث أنّ وضعية المرأة محدّدة بالسنّ. الحياة بالنسبة للنساء هي سبيل أو طريق تدريجي، تلقيني الذي يحدث مع الزمن. أكثر من الرجل يتمّ حمايتها مبكرا جدّا داخل الجماعة. كما أنّه يوجد أعمار أين لا يكون للمرأة وجود: "عندما تكون صغيرة جدّا لا تُؤخذ في الحسبان، وعندما تكون كبيرة جدّا في السنّ كذلك لا تُؤخذ في الحسبان أبدا. تقع الأغلبية بينهما (بين حوالي 14 و 75 سنة)" (YACINE . T, 2008 : 24).

كلّما كانت المرأة شابة (صغيرة في السنّ) يكون لديها قيمة. فالمرأة الشابة، الجميلة التي لم تتزوج بعد يكون لديها حظّ أن تسترعي الانتباه وتجذب طالب زواج جيّد. كلّما تجاوزت الحدّ المقدّر، كلّما تمّ استقصاؤها واستبعادها من الجماعة والقيم: "امرأة أكبر من 30 سنة، مطلّقة أو أرملة وخاصة إذا كان لديها أطفال (...). ليس لديها وجود اجتماعيا، ولا يُمكنها أن تُجدّد حياتها إلا مع شيخ كبير" (YACINE . T, 2008 : 24).

إذن تُلمي المكانة (Statut) على الجماعة نوع السلوك المكيف، يوجد فترات أين المرأة يُحكّم عليها بالصمت، كلامها ينحصر ويستقرّ في داخل الأسرة في المنزل. حيث كلّما كانت أصغر كلّما كان صوتها عورة ومصدر لذة ويجب مراقبتها وتوبيخها، وأيضاً إخفاؤها وحجبها، وكلّما كبرت في السنّ كلّما صوتها يتخلّص من السلطة وبالتالي "تكتسب هي نفسها سلطة، وبالخصوص على عالم الرجال أين يصبح كلام النساء مُقيّم ومؤثّر ويحمل معنى" (YACINE . T, 2008 : 24).

• عائلة نووية، أمومة مضاعفة:

عندما صرّحت الحالة بما يلي: "أنا لا أعاني من مشكلة أخت الزوج أو أمّ الزوج (اللوسة والختنة)، علاقتي بعائلته جيدة (...). بالرغم من أنّ الجميع يقول أنّه هناك مشاكل بينهم، ولكن من الأفضل على الأقل أن يكون هناك من تعتمدين عليه فإذا كانت هناك مشكلة تجدين من عينك"، فإنّها بذلك تُعبّر على أنّ هناك جوانب سلبية ونقائص في العائلة النووية، ففي كلامها يظهر ميولها إلى العائلة الموسعة (الممتدة)، من حيث الممارسات الأمومية التي يتعاون عليها نساء العائلة، ففي غياب الأمّ تتكفل الجدة أو العمّة أو زوجة العمّ برعاية الأطفال. أمّا في العائلة النووية فلا يوجد من يتكفل بهم غير الأمّ، فالحالة ترى أنّ العائلة الموسعة هي سند للأمّ: "في هذا النظام التقليدي يُربّى الأطفال داخل النسق النسائي العائلي إلى أن يكبر الولد قليلا و يخرج في حين تُربّى الفتاة تربية منزلية، و لكن كان يُساهم في هذه التربية كلّ من الأمّ، الجدة و العمّات و تقريبا كلّ العائلة" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 66).

وهنا يتوضّح لنا أكثر لماذا هذه الأمّ تعاني من قلق مستمرّ على بناتها، حيث أنّ هذا لم يكن منتشرًا في النظام التقليدي، وإن كان موجودًا فليس لهذه الدرجة التي بلغتها هذه الحالة. في النظام التقليدي كان هناك تعاون لنساء المنزل الواحد على الاهتمام بالطفل ورعايته، وهنّ في الغالب كما ذكرنا سابقًا الجدة والعمّات وزوجات الأعمام، وبالتالي كانت الأمّ هنا تتشاطر انشغالاتها مع نساء العائلة ككلّ، ولكن في هذه الحالة فإنّها تقوم بتربية

بناتها بمفردها، وهذا ما زاد شدة القلق لديها وقد عبّرت عنه بصريح العبارة: "أقول أحيانا لو أنّ لدي حماة وأخوات زوجي ربما كنت سأعيش حياة أفضل (...). مثلا إذا مرضت إحدى البنات أترك الأخرى عند جدتها وأذهب، وجودها (أم الزوج) يدعمني نفسيا". أصبحت الأم تهتمّ بطفالها لوحدها وهذا يعني أنّ هناك أمومة مضاعفة، أي أنّها تقوم كلّ الممارسات الأمومية دون مساعدة أي طرف حتى الأب: "تتحمل الأمّ في الأسرة الوظيفة المقدسة والمثلى في التربية ورعاية البيت، وإضفاء الحنان الفطري الكامل للطفل (...). علما بأنّ التربية عملية شاقة، وتصاحب الانسان في مراحل حياته كلها، وتقتضي متابعة ومراقبة وتذكيرا مستمرا،" (الزحيلي . م، 2008: 158). وهذا ما أثقل كاهل الحالة نتيجة لتكفلها برعاية ثلاث بنات بمفردها.

#### • ممارسات أمومية تقليدية تفسح المجال لأخرى جديدة:

تميّزت الممارسات الأمومية داخل النظام الاجتماعي التقليدي الأبوي بوجود بعض الطقوس التي أصبحت غائبة بسبب التغيرات التي طرأت على النظام، نذكر من بينها "القماطة"، والتي تتمثل في لفّ المولود الجديد في قطعة قماش التي تشدّ يديه ورجليه وتمنعه من الحركة وذلك طيلة الثلاثة أشهر الأولى، والهدف منها هو مساعدة الطفل على النوم حتى لا تُفزع أطرافه الجسمية خصوصا العلوية. وقد أشارت الحالة إلى أنّها توقفت عن ممارسة هذه الطقوس بسبب نصيحة قدمتها لها جارة كبيرة في السنّ، وهنا يظهر أنّ التغيّر لم يمسّ الأمّهات حاليا وإنّما مَسّ الأمّهات اللاتي عشن ورببن أطفالهنّ داخل نظام أبوي محض، وكنّ يُمارسن مثل هذه الطقوس، وهذا يُحيلنا إلى أنّه: "لقد تميّزت الممارسات الأمومية والتربوية بتحوّلات والتي نتجت عن التغيّر الذي مَسّ العائلة في العشرينات الأخيرة" (24 : BOUTIN . G et DURNING . P, 1999). إنّ حدوث هذه التغيرات لها علاقة بالقافة التي يعيش فيها الأفراد، بل حدثت نتيجة للتعايش الثقافي والذي يعني الاحتكاك بالثقافات الأخرى، ممّا يُدّي إلى دخول عناصر جديدة إلى الثقافة الأمّ، وهذا ما حدث في مجتمعنا، ونتج عنه تغيّر على نمسوى الممارسات الأمومية التقليدية: "الثقافة تتحوّل، ومع كلّ تغيّر لثقافة مجموعة إنسانية، فإنّ الأفراد الذين يشكّلون هذه

المجموعات تطرأ عليهم التحوّلات داخل خصائصهم النفسية وروابطهم الاجتماعية من أجل القيام باستعمال الشكل الجديد للثقافة" (BENNOUNE . M, 2000 :68).

#### • التفسير التقليدي لمختلف الظواهر التي تحدث داخل البيت:

في النظام الاجتماعي التقليدي كانت الأم تُفسّر مرض أطفالها بأمور ما وراء الطبيعة، وكان العلاج يعتمد على القيام بطقوس تقليدية، وقد تبين تأثر هذه الحالة بذلك، حيث أشارت إلى أنّ كثرة مرض بناتها هو مرتبط بالعين والحسد: "وعندما كبرت قليلا ابنتي أصبحت أعاني من مشكلة الحسد، محسودة: ابنتك.. ابنتك.. ابنتك... عانيت من العين كثيرا". وهذا بالتحديد ما كان متداولاً في الثقافة الأبوية حيث وضع هذا النظام تأويلات لعدّة ظواهر، مثلاً المرض المتكرّر سببه العين والحسد، الاضطراب النفسي له علاقة بالمس والجن والسحر، وهذا بالضبط ما تناولته بالدراسة معتصم ميموني في أحد مراجعها: "رغم الاكتشافات والتطورات بقي العالم العربي والعالم مرتبطين بفكرة أنّ المرض العقلي له علاقة بالأرواح: الجنّ، الشياطين، السحر، العين" (معتصم ميموني . ب، 2005: 25). وقد وضّحت أنّ هذه التفسيرات التقليدية لا علاقة لها بالمستوى الفكري، حيث صرّحت أنّ: "هذه الاعتقادات راسخة في فكر الإنسان مهما كان مستوى تطوره الثقافي والاجتماعي والنفسي" (معتصم ميموني . ب، 2005: 25).

كما تعدّت هذه التأويل المنطق إلى درجة أنّها هناك تأويلاً خاصاً من حماية الطفل غير الشرعي وأمه بإيجاد ظاهرة الطفل النائم (L'enfant endormi)، التي قمنا بتوضيحها في عنصر سابق حول المقدرة الأنثوية.

وكان يعتمد الشفاء في هذا النظام على علاج تقليدي حسب كلّ ظاهرة والتفسير المُعطى لها، فمثلاً العين والحسد تكون من خلال القيام بطقوس مختلفة وهذه الحالة مثلاً نصحتها سيدة مسّنة أنّه إن خافت على ابنتها من عين أحدهم فإنّها تأخذ خيطاً من لباسه وشعرة منه وتحرقها، أو وضع ما يسمونه في هذا النظام الخميسة وغيرها.

كما أنّ إصابة الطفل بالإسهال يسمى في هذا النظام بـ "الليل" فيأخذونه إلى الحكيم الذي يستطيع علاجه من خلال الشرط (وهذا عن طريق استخدام شفرة حادة والقيام بجرح بسيط على مستوى رأس الطفل). إذن كلّ ظاهرة ولها علاجها سواءً كان مشروعاً من الناحية الدينية أم لا، وما يزيد ترسيخ هذه الاعتقادات عند الأفراد هو ارتباطها بالديانة، إذ أنّ مختلف الديانات في العالم تؤكّد وجود السحر أو العين والحسد، وهنا تقول معتصم ميموني: "إنّ هذه الاعتقادات واقع اجتماعي يرتكز على وقائع دينية ممّا يُعطيهِ قوّة أكثر" (معتصم ميموني . ب، 2005: 30).

هذا كمثل عمّا كان متداولاً في الثقافة الأبوية والذي لازال إلى يومنا هذا راسخاً في ذهنيات الأفراد، والدليل على رسوخه كلام هذه الحالة.

#### • نظام تقليدي، الإشارة إلى الزوج بالضمير "هو":

لوحظ لدى هذه الحالة ومجموعة من الحالات الأخرى أنّهن يُشرن عند الحديث عن الزوج بـ "هو"، وهذا راجع إلى أنّه في النظام الأبوي كان كلّ من الزوجة أو الزوج يستحي من نعت الآخر باسمه أمام الآخرين، وإنّما كان كلّ منهما ينادي الآخر إمّا بنسبه إلى والده "ابن فلان، ابنة فلان" أو إلى ابنه الأكبر وباستخدام ضمير الغائب "هو، هي" عندما يكون أحدهما غائباً هذا من جهة. ومن جهة أخرى يُعبّر على احترامهما لبعضهما البعض: "إنّ تبعاً لذلك تتأسّس روابط الاحترام بين الزوجين، حيث عندما يتحدّث الزوج عن المرأة يقول أمّ أولادي، وهذا يُعتبر احتراماً لا متناهياً، تقديراً كبيراً، اعترافاً أبدياً" (BOUHDIBA . A, 1986 : 266).

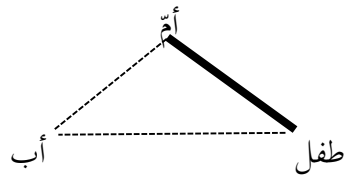
وحتىّ الزوجة كانت تناديه بأبو أولادي، وذلك احتراماً له وتقديراً لمكانته ومكانه، ولكن هذا لا ينفي أنّه في بعض المواقف كان يُعبّر ذلك سواءً لدى الزوج أو الزوجة عن الخجل من ذكر اسم الآخر، وهذا لا يزال متواجداً إلى يومنا هذا، حيث لاحظت لدى بعض العائلات التي قابلتها أنّ الابن يستحي من أن يتواجه مع زوجته أو أطفاله أمام الأب ونفس الشيء بالنسبة للابنة التي لا تتحدّث ولا تُقابل زوجها في حضور أبيها. إذن "الجزائري منذ ميلاده

لديه حياء من ذكر اسم أمه، يستعمل كلمات مثل: الدار، هي، والتحدّث عن زوجته يُمثّل إخراجا حقيقيا. أيضا يستعمل كلمات غير مشخّصة مثل المرأة" (SID LARBI-ATOUCHE . Kheira, 2001 : 29). ونفس الشيء بالنسبة للمرأة.

إنّ أهمّ ما كان يُميّز العلاقات التي تربط الأفراد في النظام التقليدي بل ويمكن حتى القول عنه أنّه الأساس وهو مهيمن بشكل واضح: "إنّ الاحترام، والذي يظهر في العلاقات بين الرجل والمرأة، حيث يبدو وكأنّ هناك تجاهل لها، ولكن في الواقع يوجد احترام للفتاة من خلال الحياء، المرأة المتزوجة، والنساء المسنّات من خلال العاطفة" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :61).

#### • علاقة ثلاثية ناقصة: أب تقليدي:

نعود الآن للحديث عن العلاقات الثنائية أو الثالوث العائلي، ونلاحظ هنا أنّ العلاقة السائدة هي العلاقة الثنائية أم-طفل، وإن حاولنا جعلها ثلاثية فإنّ الأب غائب ومنسحب وعلاقته بالأمّ والبنات ضعيفة. حيث أنّه إذا ضعفت العلاقة أب-طفل ضعفت العلاقة أب-أم والعكس كذلك.



علّقت الحالة عن ذلك وبررت غياب الأب بانشغاله بالعمل، ولكن في الواقع هذا له جذور تمتدّ إلى النظام الأبوي، حيث كان الأب يقضي كلّ يومه في الخارج، في حين تتكفّل الأمّ بتسيير المنزل: "يعمل الرجل في الخارج لتأمين المواد المعيشية للعائلة، تهتمّ المرأة بتسيير المنزل وخاصّة معرفة التصرّف من أجل الحفاظ على المخزون

الغذائي " (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1991 : 235). وهنا يتضح أنّ الثقافة هي التي تمنح لكلّ من الرجل والمرأة الأدوار التي تتناسب مع بنية كلّ من البنية الجسمية البيولوجية والنفسية.

لاحظنا في هذه الحالة أنّ البنات يُشاركن الأمّ في الغرفة مع انسحاب الأب منها، في النظام التقليدي كان الطفل يُشارك والديه الغرفة حتى يكبر وذلك يعود إلى عدّة عوامل منها: لتمكّن الأمّ من الاستجابة له ليلا، خوف الطفل، قلّة الغرف لأنّهم كانوا يعيشون داخل العائلة الكبيرة في منزل كبير وكلّ الغرف فيه تكون مشغولة ومستخدمة من طرف باقي أفراد العائلة: "إنّ التنسيق داخل هذا المنزل يجب أن يسمح لكلّ زوجين وأطفالهم بالحفاظ على حميمية خاصّة واستقلالية" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :40). ويكون ذلك بتشارك الزوجين وأطفالهم لغرفة واحدة.

ولكن في هذه الحالة الأمر يختلف، فهي عائلة نووية تتكوّن من الأب والأمّ والأطفال، إلا أنّه هناك انسحاب للأب من غرفة النوم. وهذا الانسحاب للأب ليس فقط من الغرفة وإنّما أيضا من الاهتمام بالبنات في المنزل وكذا المدرسة، وهذا يؤكّد تحمّل الأمّ للمسؤولية الكاملة فيما يتعلّق بالاهتمام بالبنات كالأستجابة لهنّ ليلا والسهر عليهن عندما يمرضن، وحتى دراستهنّ. وهذا ما يزيد من حدّة القلق لدى الأمّ. وهذا ما توصل إليه كلّ من Aubert .J.L و Doubovy . Ch إلى أنّ: "التربية والمتابعة المدرسية للأطفال هو دور تقوم به الأمّهات. عندما يكون هناك مشكل لدى الأطفال مهما كان نوعه، سواء يتعلّق بالصحة، نتائجهم الدراسية، الأمّ هي دائما من تتكفّل به وتنشغل بأمره. وهنا الأب يكون غائبا إن صح التعبير بالرغم من حضوره" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 107).

وأضافا أنّ: "قلق الأمّ وانشغالها المستمرّ بالطفل بشكل مفرط يؤثّر على العلاقة الزوجية، أين مثلا قد يستثمر الزوج كلّ وقته في العمل، أو يوقّف حياته العائلية" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 108). وهذا ما لوحظ لدى زوج هذه الحالة الذي يستثمر جلّ وقته في العمل.

• تماهي مع نموذج الأم التقليدية:

كشفت الحالة أنّها تنتهج نفس الطريقة التي كانت تتبناها أمّها المنتمية لثقافة أبوية: "في أمور أتبع الطريقة التي كانت تنتهجها أمّي في تربيتهنا لنا مثلا كثرة التأييد على كلّ الأمور، مثلا أمّي كانت تؤنّبنا نحن البنات حتى على طريقة الجلوس أو ما نلبسه، وكانت كثيرا ما تطلب مني، أن أجمع يدي على صدري لأخفي أنّني صرت امرأة ولا أجلب انتباه الأولاد أو الرجال، فأجد نفسي أنا أيضا أوّتب بناتي على طريقة لباسهنّ مثلا لا أحب أن تلبس ابنتي سروالا دون قميص طويل يغطي مؤخرتها. أتكلّم كثيرا حتى أكرههنّ في عيشتهنّ (نكرهلهنّ حياتهم)"، وهذا يؤكّد أنّ هذه الأمّ تقوم بممارسات أمومية تقليدية من خلال تماهيا مع أمّها، حيث تقوم الحالة باتباع نفس نمط التربية الذي تربّت عليه، والذي هو مستمدّ من الثقافة الأبوية والذي عموما يتضمّن ما يلي: طاعة الوالدين، المحافظة على الشرف، وتجنب التعامل مع الجنس الآخر وتنشئة البنت على تعلّم الأشغال المنزلية، الاهتمام بجمع كلّ ما هو جميل من أجل جهاز العروس التي أحيانا تكون لاتزال طفلة: "منذ نعومة أظافرهنّ يتمّ جمع لهنّ أشياء وأمور جميلة، أقمشة، حلي، من أجل جهاز العروس للفتاة التي أحيانا لم تتجاوز بعد ثلاثة سنوات" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 69)، وهذا من أجل تحضيرها منذ الصغر إلى مصيرها الوحيد ألا وهو الزواج.

في النظام التقليدي هناك مرحلة مهمّة تُميّز حياة البنات الصغيرات وهي بداية عزلهنّ وإبقائهنّ في المنزل. بعد الاستمتاع بحيرة مشابهة لتلك التي يستمتع بها الأولاد الصغار، فإنّه بين ليلة وضحاها يتمّ إرسالهنّ إلى الفضاء الخاصّ بهنّ دون فهم ما يحدث ولماذا، ويحدث ذلك قبل أول دورة شهرية لهنّ. إنّ السنّ الذي تصبح البنت الصغيرة حاملة لبوادر الأنوثة، حيث يجب إخفاؤها، وعلى النساء الكبيرات في السنّ واللاتي يقمن بتزويج البنات بعدها وإضافتها إلى قائمة البنات المؤهّلات للزواج من أجل تزويجها، حراستها ومراقبتها واحتوائها، هذا يُمثّل بداية المراهقة التي لا تلبث أن تنتهي سريعا: "مرحلة المراهقة هنا هي بمثابة مرحلة انتظار لطالب الزواج، وفي هذه الأثناء تقضي البنت وقتها بين النساء وفي الداخل بالإضافة إلى اتباعها لما يُعلّمونه لها" (EL KHAYAT . GH, )



69 : 1988). هذا ما تربت عليه هذه الأم وتأثرت به وحاولت تطبيقه مع بناتها لكن بشكل مختلف وسنوضح ذلك لاحقاً.

إذن الفتاة التقليدية تستدخل المبادئ الأساسية لفنّ العيش الأنثوي، حسن الهيئة والتهذيب، مع عدم الفصل بين ما هو جسمي وما هو أخلاقي، وكذا تعلم ارتداء الملابس التي تتعلق بمختلف حالاتهنّ المتتابعة، مثلاً بنت صغيرة، عذراء بالغة، زوجة، أمّ عائلة وغيرها. شيئاً فشيئاً ومن خلال المحاكاة اللاشعورية، وكذا الطاعة يتمّ تعلم الطريقة الجيدة لربط حزامها أو شعرها، تحريك أو كفّ الحركة لهذا الجزء أو ذاك من الجسم أثناء المشي، كيفية إظهار الوجه، وتوجيه النظر وحتّى محاولة إخفاء علامات الأنوثة مثل إخفاء الثديين، وهذا ما لخصه Bourdieu P. فيما يلي: "التربية الأساسية تميل إلى الترسّخ في الذهن طرق العناية بالجسم في مجمله، أو هذا أو ذاك من أجزاءه، مثلاً طريقة المشي، توجيه الرأس والنظر، مباشرة في الأعين أو بالعكس إلى رجلي الآخر" (BOURDIEU . P, 1998 : 46). وهذا بالتحديد ما كانت تقوم به أمّ الحالة معها: "تعليمها كيف تحافظ وتعتني بجسمها (مثلاً جمع الذراعين على الصدر أمام الرجال الذين يجب احترامهم)" (BOURDIEU . P, 1998 : 41)، والحالة بدورها أصبحت تُمارسه على بناتها.

وفيما يتعلّق باللباس حدّثتنا ممثلة في الأربعينات من العمر من مدينة تيزي وزو أنّ اللباس التقليدي يُعبّر عن الطبقة التي تنتمي إليها المرأة مثلاً ثرية، فقيرة، متوسطة الحال، وكذا يشير إلى وضعيتها إن كانت عزباء، متزوجة، أرملة، مطلقة. كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الاهتمام بالجسم الذي تمّ الإشارة إليه من قبل Bourdieu P. يوجد كذلك لدى الغرب، وهذا ما صرحت به Henley Nancy . M والتي كشفت عن "كيفية تعليم النساء شغل المكان، المشي، تبني وضعيات ملائمة للجسم" (In BOURDIEU . P, 1998 : 47). وكذا Figga H هي أيضاً حاولت إحياء الأحاسيس المرتبطة بمختلف أجزاء الجسم، مثلاً يجب أن يكون الظهر مستقيماً، لا يجب أن يكون الساقان منفصلان وبعيدان عن بعضهما، وغيرها من مختلف الوضعيات الجسمية التي يكون لها

مدلولاً أخلاقياً. وهي ترى "كما لو أنّ الأنوثة تُقاس بفن التصرف، النساء يبقين داخل مكان مغلق وغير مرئي مع تحديد المساحة التي يتحركن فيها، والتي تنتقل فيها أجسامهنّ، في حين الرجال يأخذون مكاناً أكبر بأجسامهم خصوصاً في الأماكن العامة" (In BOURDIEU . P, 1998 : 47).

### • شعور بالذنب، أمّ فاشلة:

ترى هذه الحالة أنّها أمّ فاشلة وهي تنعت نفسها بالفشل لأنّها ترى نفسها قد قصرت في تربية بناتها تربية صالحة: "أرى نفسي أمّ فاشلة، لم أحسن تربيتهنّ ولم أسيطر عليهنّ (...). باختصار أصنّف نفسي مع الأمّهات الفاشلات"، وفي نفس الوقت هي تشعر بالذنب حيال ذلك لأنّها لم تقم بواجبها ومهامها كما يجب. وهذه النظرة التي كوّنتها هذه الأمّ عن ذاتها هي خاصية تتميز بها كلّ أمّ قلقة، وهذا ما توصل إليه كلّ من Doubovy . Ch و Aubert .J.L: "الأمّ القلقة يكون غالباً ودائماً لديها فرط في حماية الطفل. إنّها الأمّ التي لديها قلق دائم لتكون أمّ جيّدة، مع مشاعر الذنب التي تكون مستمرة تقريباً"، وقد وضّح كذلك مصدر ذلك كما يلي: "الأمّ القلقة هي أمّ تخشى دائماً ألا تكون أمّاً جيّدة. ويجب فهم أنّها تخشى ألا تكون أمّاً ليس فقط إزاء طفلها ولكن أيضاً إزاء المجتمع" (AUBERT .J.L et DOUBOVY . Ch, 2002 : 111) ولهذا صرّحت الحالة بعد قولها أنّها أمّ فاشلة أنّها لم تتمكن من تربيتهم تربية حسنة: "لم أحسن تربيتهنّ ولم أسيطر عليهنّ ولا يستمعن إلى ما أقوله وأطلبه منهنّ، عندما أكون وسط جماعة أشعر بالخجل من تصرفاتهنّ (يعشموني)"، وهذا ما يؤكّد فكرة الباحثين سابقة الذكر. في التحليل النفسي تصبح الأمّ موضوع سيّء عندما لا تستجيب للطفل ولا تُشبع حاجاته، وبالتالي قد تشعر بتأنيب الضمير على أنّها أمّ غير جيّدة، وفي ذات الوقت تشعر بذلك خوفاً من نظرة المحيط إليها إذا لم تقم بواجباتها على أكمل وجه.

• تراجع التمييز بين الولد والبنت:

فيما يتعلّق برأيها فيما يخصّ الولد والبنت فقد أشارت إلى أنّه كان لديها رغبة في إنجاب ولد، ولكن مع مرور الوقت تغيّرت نظرتها عندما شاهدت ما آلت إليه أمّها مع أولادها الذكور بعدما تعبت وسهرت وريتهم: "في وقت معيّن كانت تراودني فكرة إنجاب ولد ولكن استغفرت الله وحمدته (...). وتخلّيت أكثر عن فكرة إنجاب الولد وأنا أحمد الله يوميا عندما رأيت أمّي كيف ربّت وتعبت وسهرت على تربية أولادها وكيف كان جزاؤها في كبرها حيث تخلّوا عنها". في الواقع في النظام التقليدي قد يُلاحظ القلق لدى الأمّ، ولكن ليس فيما يتعلّق بالاهتمام بالأطفال وبمصيبرهم فقط، وإنّما كان يتعلّق بحفاظ البنت على عذريتها من جهة، ومن جهة أخرى هذه الأمّ يكون لديها "قلق تشعر به بصفتها أمّ الزوج أين تجد نفسها وحيدة نتيجة لروابط جديدة التي يقوم بربطها أبنائها مع نساء أخريات وأنّه يتراخى ويتلاشى ما كان يربطها بهم (DIB-MAROUF . Ch, 1984 : 197).

درس S . Freud في مختلف مؤلّفاته العلاقات والدين-أطفال، وذلك بالتركيز فقط على الطفل، كلّ نظريته حول النمو النفسي يُمكن اعتبارها ككشف عن الطريقة التي من خلالها يجتاز هذه العلاقة وكيف يُعبّر عنها، وماهي نتائجها عليه وتأثيراتها. إذن S . Freud استخدم حصريا مقاربة أحادية الاتجاه، ولم يهتمّ بالطريقة التي من خلالها الوالدين يعيشان هذه العلاقة ولا انعكاس هذه الأخيرة الذي يُمكن أن يؤثّر على وظيفتهما النفسية. في نظريته بيّن ووضّح كيف أنّ الطفل يجد في أمّه موضوعا من أجل نزواته الليبيدية، وهذا تحت شكل اتكالي، من خلال الاستناد على تجارب الإشباع الأولي لحاجاته الحيوية، يحبّ الطفل الأمّ التي تهتمّ به وترعاه. والتطوّر الذي يلي هو واضح: "من خلال مراحل النضج والتنظيم الجنسي النفسي، الاستثمار الليبيدي للموضوع يشمل الوالد من الجنس المعاكس ويُحوّل الآخر من نفس الجنس إلى موضوع منافس وموضوع خشية وقلق، إنّها عقدة أوديب" (In MANZANO . J et autres, 2009 : 3). وبالتالي لم يهتمّ بالأطراف الأخرى التي هي الأب وبالخصوص الأمّ، حيث مثلا عندما يدخل طفلها في المراهقة، فإنّه يكون هناك إحياء لعقدة أوديب لدى هذا

الابن أو الابنة الأمر الذي سيؤثر على الوالدين: "عندما يدخل الولد أو البنت في المراهقة فإنّ ذلك يُحدث لدى الوالدين تذكير بالصراع الأوديبي من خلال غيرة الأب على بنته والأمّ على ولدها ( MARCELLI . D et Braconnier . A, 2000 : 378).

وإذا عدنا للنظام التقليدي، فإنّ ذلك يكون واضحا بالخصوص لدى الأمّ حيث يُمكن ملاحظة غيرتها على ولدها من زوجه، وهذا يحيلنا إلى عقدة جوكاست التي تحدثنا عنها في الحالة السابقة، حيث تكون للأمّ الرغبة في الاحتفاظ بابنها وحتى لو أراد الزواج هي من تختار له الزوجة، وبعد ذلك تدخل معها في صراع لأنّها تراها كمنافسة لها لأنّها سلبت منها ابنها، ولهذا غالبا ما كانت الأمّ ترفض أن يسكن ابنها بعيدا عنها في مسكن خاص. إذ إنّ "ما هو مدهش ومحير في علاقة الاشتراك هذه بين الأمّ والولد، التي يكون فيها البطل والزعيم الأساسي هو الأمّ، هو كونها حاملة لعقدة جوكاست" (GADANT . M et KASRIEL . M, ) (Complexe de Jocaste) (1990 : 35).

في الواقع نجد في الثقافة الأبوية الميول لإنجاب الولد أكثر من البنت ولذلك أسباب عديدة منها أنّ الولد يحمل اسم العائلة، ويساعد والده في العمل، ويكون سند لوالديه في كبرهما، أمّا البنت فهي كضيفة تعيش مع العائلة فترة معينة وسرعان ما تتركها لتنضم إلى عائلة أخرى: "فالبنت ليست ملكا للوالدين (...)، والأمّ تحتفظ بعاطفتها وافتخارها لولدها الأكبر والوريث الحصري لكلّ ممتلكاتهم، خصوصا إذا كان والداه من النبلاء [أو كما يقال في النظام التقليدي من الأشراف]" (BADINTER . E, 1980 : 80).

ما كان متداولاً في النظام التقليدي أنّه عندما تتعاقب البنات يصبح هناك لعنة، لأنّه حتى الزواج هي قبلّة موقوتة، التي تضع الشرف الأبوي (Patriarcal) في خطر. والبنت كلّما كبرت كلّما يصبح الخطر أكبر. بالتالي: "تصبح منزوية ومعزولة داخل العالم الخفي للنساء، لا يُسمع صوتها حيث تُصدر همسا خفيفا جدّا. غالبا تكون صامتة، صمت عاصف، لأنّ هذا الصمت يُؤلّد موهبة الكلام بمجرد ما تكون النساء مع بعضهنّ، وعندما يُمكنهنّ

الكلام بحرية. فقط الأولاد الصغار الذين يمرّون بدون رؤيتهم والانتباه لهم مع أمهاتهم في الحمام العربي، الذين بإمكانهم سماع صوت النساء. لكن بمجرد ما يدخل الولد في المراهقة لا يقترب أبدا" (MERNISSI . F et ) 13 : SAADI . N, 1991). في حين بالرغم من أنّ هذه الحالة هي تُمثّل نموذجا للأمّ التقليدية إلا أنّها لا ترى البنت خطرا بالرغم من أنّها أمّ لثلاث بنات، هي تهتمّ بالشرف وستنظر إلى ذلك لاحقا، ولكنّها لا تعتبر إنجاب البنات المتكرّر لعنة، وهذا نتيجة للوازع الديني الذي تمتلكه الحالة من جهة "في إنجاب الذكور أو الإناث أتبع قول الله تعالى فيما معناه: "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور"، ومن جهة أخرى هو يُعبّر عن تغيّر في النظرة الموجهة للبنات.

وقبل الانتقال إلى عنصر آخر تجدر الإشارة هنا إلى أنّه من خلال العديد من الاستجابات والتحريرات حول أمهات من مختلف مناطق الوطن استنتجنا أنّ المرأة هي التي لديها رغبة إنجاب الولد وليس الرجل، وهذا جعلنا نعود إلى وجهة نظر S . Freud في أنّ للمرأة رغبة في إنجاب الذكر لحلّ عقدة أوديب. كما يُمكن ألا تُعتبر الرغبة في إنجاب ولد ناتجا عن السعي لتخليد اسم العائلة و الحفاظ على النسل لأنّ هناك ولد، و لكن سبب الرغبة في إنجاب الولد و رفض البنت يتعلّق بالشرف أكثر، حيث يجعل ذلك الأمّ تعيش قلقا وتوترا مستمرا اتجاه البنت حتى تتزوج: "كلّ فتاة تفقد عذريتها خارج إطار الزواج فإنّها تفقد شرفها وشرف عائلتها، التي يجب عليها أن تنتقم وتأخذ بالتأر، والمسؤول الأول هو أمّها التي لم تُحسن تربيتها" (EL KHAYAT . GH, ) 43 : 1988).

#### • الزوجة العقيم لا وجود لها:

عبّرت الحالة في موضع من قصتها عن خوفها من العقم: "(...) "أو يزوّجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما"، الأول جيّد والثاني جيّد لكن الأخير، العقيم هو من يُعاني كثيرا، ومع ذلك يكون عقيما لحكمة يعلمها الله". إنّ المرأة العقيم لا يكون لها مكان (Place) ولا مكانة (Statut) مثلما لدى المرأة الولود، فالأمومة هي

مرتبة ومكان ومكانة تسعى كل امرأة لبلوغها بالإضافة إلى كونها قبل ذلك غريزة. إذن الأم الولود تعرف جيّدا أنّ المستقبل لصالحها. إذن " تعتبر الأمومة وظيفية أمّا العقم تهميشي. لا يوجد عمليا دور اجتماعي آخر للمرأة سوى دور الأم" (BOUHDIBA . A, 1986 : 265).

في النظام التقليدي إنّ المرأة العاقر لن تكون إلا حملا وعبء ثقيل غير مرغوب فيه لدى أبيها وإخوتها. زوجة بدون أطفال لا يُمكن أن تكون إلا خادمة لزوجات زوجها اللاتي هنّ أصغر منها، أجمل وولودات. الأمّ بالعكس تضمن أنّ أطفالها لن يتركوها أبدا ولن يتخلّوا عنها، وأنّها بعيدا عنهم ستتعرّض للبوّس والحاجة: "...) وكلّ أمّ تنتظر هي أيضا دورها لتكون أمّ زوج حامية [أين يُمكنها ممارسة مقدرتها وسلطتها]. (...). إنّ الحصول على أطفال في المجتمع التقليدي هو عنصر أساسي لأمن المرأة. (...). إذن الأمومة هي حماية، هي ضمان" (BOUHDIBA . A, 1986 : 263-264).

إنّ تلك المنافسة التي أشرنا إليها منذ قليل يتعلّق مصدرها أولا باقتناع النساء أنّ الأطفال يُرسّخون ويُتّبون الاتحاد الزوجي، ويساعدون على التغلّب على الصعوبات العابرة للزوجين، وفي اللحظات الحقيقية الخاصّة بالأزمات يعتقدن أنّ مجيء طفل آخر إلى العالم من شأنه أن يمنح للزوجين قوّة جديدة. ترى أغلبية النساء أنّ الزواج بدون أطفال سيكون فاشلا: "إنّ النساء اللاتي ليس لديهنّ القدرة على الإنجاب لديهنّ الإحساس أنّهنّ منخفضات لأنّهنّ لم ينجحن في أن يُصبحن أمّهات وأمّهات لأطفال ذكور بالخصوص" (EL KHAYAT . 68 : 1988, GH). والمصدر الثاني هو أنّ الأمومة تعطي للمرأة مكانة (Statut): "إنّ قوّة وقدرة الإنجاب لدى المرأة هي التي تُعطيها إنسانيتها ومكانتها وسموّها الأخلاقي" (BADINTER . E, 2003 : 59)، أو كما تعتبر S. Agacinski الأمومة على أنّها: "نقطة تنبئ وإرساء الهوية الأنثوية، وهي أكثر من مجرد تجربة جنسية. حتّى وإنّ هناك نوع من الوعي بالجنس (Sexe) الذي يُرافق تجربة الإنجاب" (BADINTER . E, 2003 : 61).

وفي الأخير يجب الإحالة إلى أنّ العقم في النظام التقليدي لا يعني فقط عدم قدرة المرأة على الإنجاب، وإنّما يعني أيضا إنجاب البنات فقط. حيث كان جنس الأنثى ليس مُستحبًا كثيرا، قديما كانت المرأة التي تُنجب فقط البنات تُعتبر كعاقرة. كانت تُحسّن المرأة بالاحتقار والإهانة إذا لم تُنجب ولدا، وفي يوم زواجها كان يتمنى لها الحاضرون إنجاب سبعة أولاد ذكور. كانت أحيانا تُطلق المرأة عندما تُنجب البنات فقط وذلك بتحميلها بأنّها هي المسؤولة عن جنس المولود. وهذا ليس في نظامنا التقليدي وإنّما لدى مختلف الثقافات ومنذ زمن بعيد مثلما أكّد نيتشه إلى أنّ: "مُهمّة المرأة في العصر اليوناني كانت تقتصر على إنجاب أبناء ذوي أجسام قوية كأبائهم" (ورد في زكرياء . ف، 2006: 126).

#### • نجاح البنت هو نجاح للأم: نرجسية والدية:

هدف هذه الأمّ يتمثل في تحقيق بناتها لما كانت هي تتمناه، نجاحهن هو نجاح لها، وما شدّ الانتباه هو أنّها ترغب في أن ينهين دراستهن ويحصلن على شهادة ويعملن في مناصب مشرفة، وهي ترى أن الراتب هو أحسن وأهم من الشهادة في حد ذاتها بل الشهادة هي مجرد عتبة أو خطوة لبلوغ منصب وراتب شهري: " وما هو مهمّ عندي هو أنّ بناتي الثلاث يُتابعن دراستهن ويعملن ويصرفن على أنفسهنّ ولا يكنّ تابعات للرجل، أنا لذيّ عزة نفس. (...) لهذا أتمنى لبناتي أن يدرسن ويعملن فالشهادة جيدة ولكن الراتب أحسن (زماننا واعر يليق الشهرية). (...) دراستهنّ هي الهاجس الكبير بالنسبة إلي". كلام الحالة يُحيلنا إلى وجهتين، الوجهة الأولى وهي أنّ نجاح هذه الأمّ وإثباتها لذاتها أو شخصيتها هي تتعلّق بنجاح بناتها وحصولهنّ على شهادة وعمل، والوجهة الثانية أنّ هناك تعيّر على مستوى ذهنية المرأة التقليدية، حيث في النظام التقليدي الأبوي وكما أشرنا إليه في الجانب النظري وفي عدّة مواضع كانت الأمّ تدفع البنت نحو الداخل بحيث عند البلوغ تمنعها من دخول الفضاء الخاصّ بالذكر، ويتمّ تعليمها أشغال المنزل وتجهيزها للزواج، أمّا هذه الحالة فهي تدفع ابنتها نحو الفضاء الخارجي لتعمل وتضمن مستقبلها حسب رأيها، وهذا ما لم يكن متداولاً في السابق: "ازدهار العمل الأنثوي، ممارسة النشاطات التقليدية

المخصّصة للرجال، الغاية والأثر الحاسم المتنامي للتدريس الأنثوي، التحوّلات العميقة الاجتماعية والثقافية التي بدأت منذ الاستقلال، كلّ ذلك خالف نظام القيم الخاصّة بالأسلاف المبنية على فصل الجنسين، حجب النساء وتحديد لهنّ الوظائف المنزلية" (27 : MERNISSI . F et SAADI . N, 1991).

هنا الحالة هي تتعارض مع النظام التقليدي الأبوي ولكن لا تتعارض مع التيارات الدينية: "إنّ تدرس البنات تمّ الدفاع عنه من طرف كلّ التيارات من بينها التيار الديني الذي لهنّ المدرسة" (SALHI . M.B, 191 : 2010). وانطلاقاً من هذا يُمكن أن نأخذ مثالا عن ذلك بالعودة إلى موقف ابن باديس الذي كان واضحاً فيما يتعلّق بتعليم المرأة، حيث نجده قد أولاهها عناية كبيرة اعتبار المرأة نصف المجتمع ومدرسة أولى وينشأ فيها الفرد، لذا فمن الضروري إعداد المرأة لهذه المهمة إعداداً كاملاً بتثقيفها وتربيتها وتعليمها أسوة بأخيها الرجل لأنّهما طرفاً قضية واحدة، فهو يقول: "لن تكتمل حياة أمة إلا بحياة شرطيتها الذكر والأنثى" (ورد في فراد . م.أ، 2006: 28). وأدرك ابن باديس أنّ تحرّر المرأة من الجهل مرهون بتحرّر الرجل منه: "علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا في رجالنا ونسائنا على أساس ديننا وقوميتنا" (ورد في فراد . م.أ، 2006: 28). وهكذا أوضح ابن باديس أنّ قضية المرأة أعمق من مشكلة الحجاب: "إذا أردتم إصلاحاً حقيقياً فارتفعوا حجاب الجهل عن عقلها، قبل أن ترتفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإنّ حجاب الجهل هو الذي أحرّها" (ورد في فراد . م.أ، 2006: 28). ولتجسيد أفكاره الإصلاحية الخاصّة بالمرأة "استقبل في مدرسة جمعية التربية والتعليم سنة 1935م حوالي 50 فتاة من مجموع 380 مسجّلاً في المدرسة" (فراد . م.أ، 2006: 28). هذا ولم يبلغ ابن باديس الدور الحقيقي للمرأة ألا وهو المحافظة على أنوئتها، حيث أنّ لها وظيفة طبيعية تتمثّل في المحافظة على النسل وأخرى اجتماعية تتمثّل في ترتيب البيت ورعاية أهله: "خلقت المرأة لحفظ النسل وتربية الإنسان في أضعف أطواره، فهي ربّة البيت وراعيتة (...). فعلياً أن نُعلّمها كلّ ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها وتربيتها على الأخلاق النسوية التي تُكوّن بها المرأة امرأة لا



نصف رجل ونصف امرأة، فالتى تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها" (ورد في فراد . م.أ، 2006: 29).  
وهنا نستنتج أنّ موقف ابن باديس حول تـمدرس المرأة له الهدف منه تجهيزها للقيام بوظيفتها المتمثلة في الأمومة.  
إنّ تأكيد الأمّ على بناتها بتحقيق النجاح له علاقة بالـنرجسية التي هي حسب Freud . S: "حب الذات، استثمار ليبيدي للشخصية أو تصوّر الذات" (8 : 2009 In MANZANO . J et autres). فهي وكأّنها ستُحقّق نجاحها الشخصي بنجاح البنات لأنّهن جزء منها ومن نفس جنسها، فهي لا تريدنّ أن يُعانين في حياتهنّ مثلما حصل لها: "تعتبر الأمّ الطفل كجزء منها أو من مواضيعها الداخلية" (In MANZANO . J et autres, ) 21 : 2009).

وما يُوضّح أكثر موقف الأمّ ويفسّره بشكل أوضح هو ما أشار إليه Freud . S في هذا الصدد: "حبّ الوالدين للطفل ليس إلا نرجسيتهم المتولّدة من جديد، حبّهم لذواتهم" (In MANZANO . J et autres, ) 4 : 2009). وحدّد ذلك بمثال الأنا (L'idéal du Moi): " يضع الوالدان على الطفل مثال الأنا الخاصّ بهما (ما يحبّان أن يكوناهما)، والذي يتماهى معه الطفل، ومن خلاله يُشكّل هو بدوره مثال للأنا، عندما يصبح راشدا فإنّه يُسقطه على طفله هو أيضا" (4 : 2009 In MANZANO . J et autres). وقد أشار Freud . S إلى "الأهمية التي تمنحها الجوانب الثقافية لمثال الأنا المُسقّط، وهذا ما يشرح ميكانيزم الموروث الثقافي بين الأجيال" (4 : 2009 In MANZANO . J et autres).

إذن هذه الأمّ هي ترى أنّ العمل يوصل البنت إلى برّ الأمان في حين في الماضي كان الزواج هو برّ الأمان.  
كما أنّها ترى العمل يمنح المرأة استقلالية عن سلطة الرجل حسب تعبيرها: "ولا يكنّ تابعات للرجل"، وهذا ما تسعى إليه كلّ امرأة حاليا من خلال دراستها وبحثها عن عمل: "إنّ الارتفاع العظيم للنساء في أماكن العمل يفتح لهنّ أبواب الاستقلالية" (11 : 2003 BADINTER . E). فبالرغم من أنّ الحالة تـربّت داخل عائلة ذات نظام

أبوي وقد استدخلته، ولكن في تعاملها مع بناتها أخذت بجزء وألغت جزءا آخر، وبالرغم من أنها تربت على أن مصير كل بنت هو الزواج والأمومة إلا أنها تناصر البنت المتعلمة والمرأة العاملة. أصبحت الأم تُشجع البنت على الدراسة والعمل عكس ما كان في السابق، وهذا يحيل ويثبت وجود تغيّرات طرأت على النظام الاجتماعي: "إن المساواة بين الشريكين (المرأة والرجل)، التقدّم المحقّق في الاستقلالية الاقتصادية للنساء وإمكانية واسعة لمشاركتهنّ في الحياة الاجتماعية كلّها خلقت ظروف نوعية جديدة من أجل العلاقات الشخصية مع المحيط والأزواج بالخصوص" (STATKOWA . S, 1976 : 56).

#### • العذرية هي عنصر مهمّ للعفاف:

من بين أهمّ العناصر في الثقافة الأبوية هو الحفاظ على الشرف وبالخصوص محافظة الفتاة على عذريتها إلى حين زواجها. حيث كانت من تخالف ذلك قد تتعرّض للقتل لغسل العار: "هناك العديد من العائلات التي كانت تقتل بناتها اللاتي يخنّ ويفقدن الشرف (...)", هناك الآلاف من النساء تعرّضن للقتل من طرف رب العائلة، من طرف الأخ، ابن العمّ، العمّ. هذه الممارسات تمسّ مختلف الطبقات الاجتماعية من الأميرات إلى غاية المزارعات غير المعروفات والمجهولات، وتعتبر كفعل لعقاب مجرم باسم الجماعة وهو شرعي كلياً" (EL . KHAYAT . GH, 1988 : 43).

في النظام الأبوي كان هناك فضاءين: فضاء داخلي للمرأة وفضاء خارجي للرجل، وهذا الفضاء الداخلي يشمل بالإضافة إلى المنزل الطريق المؤدي إلى المنبع المائي (العين) وكذلك المنبع، الذي هو المكان الأنثوي بامتياز، مكان مشترك للحياة والحب: "يلعب المنبع دورا أساسيا في التنظيم الاجتماعي للقرية، يقع خارج القرية وبالقرب منه تتمثّل الثقافة والطبيعة، المذكّر والمؤنّث، الواقع والخيال. يُشكّل المنبع مكان التقاء المضادات" (YACINE . T, 2008 : 125). وهذا يعني أنّه المكان الذي الذي يُمكن أن تلتقي فيه المتناقضات، مثلا المرأة والرجل، ولكن مع ذلك الثقافة تمنع ذلك من خلال وضعها لضوابط من أجل استعمال المنبع، وذلك من

أجل منع التقاء الجنسين بطرق غير مقبولة اجتماعيا وشرعا. وقد كان هناك قول مأثور لدى النساء يتداولنه: "في المنبع أنت المهيمن، في المنزل أنا" (BOURDIEU . P, 1998 : 34). المقصود هنا بالجزء الأول أنّ ذهاب المرأة إلى المنبع مقيد بحدود لا يجب تجاوزها، مثلا يجب أن تسلك المرأة الطريق المخصص لها، كما يُمنع الرجل من الاقتراب من ذلك المكان، أما المنزل فهو مملكة المرأة. وبالرغم من أنّ هناك هيمنة للرجل على المنبع وذلك بوضع قوانين إلا أنّه "يبقى المكان الأنثوي بامتياز والمبادرة للمرأة" (BOURDIEU . P, 1998 : 35).

أما هذه الأمّ فهي لا تختلف عن تلك الأمّهات، بحيث أنّها تحاول منع هذا الالتقاء من خلال التنبيه والتحذير: "أنا لا أحب تلك العلاقات التي تكون بين بنت وولد، أتمنى ألا تقوم بناتي بذلك (ما نبغيش هاديك العلاقات بين بنت وولد تمنى ما يوصلوهاش) (...). ابنتي الكبرى أخاف عليها لأنّ زميلاتها يقلن لها أمورا كبيرة عن سنّها وحرام مثل العلاقات بين الجنسين (مثلا فلان راه عينه فيك وباغيك). وأنا أحذرّها دوما من الخطأ في مثل هذه الأمور وأقول لها ممنوع معنا باتا ذلك تماما مثلما تربيت أنا"، لأنّه ومنذ دخول البنت للمدرسة ومتابعتها للدراسة ثمّ الدخول إلى الحياة العملية لم يعد هناك فضاءين داخلي وخارجي، بل المرأة دخلت إلى الفضاء الخارجي الذي كان خاصا بالرجل فقط، وأصبحت الأمّهات حاليا يحاولن إبعاد بناتهن عن إقامة علاقات صداقة أو علاقات جنسية غير مقبولة مع الأولاد من خلال التنبيه والمراقبة المستمرة والموعظة بالإحالة إلى الجانب الديني، تماما مثلما كان متداولاً في الماضي في النظام التقليدي، دون إغفال أنّ هؤلاء الأمّهات ترعرعن داخل هذا النظام واستدخلن ما يلزم من أجل ذلك: "الفتيات الصغيرات العربيات تمّ تربيتهنّ داخل الحياء والخجل من فقدان العذرية، وكذا التحضير اليومي للهدف الوحيد في حياتهنّ: الزواج، وكذا الاحترام المطلق للقواعد المفروضة من طرف الذكور، النساء الكبيرات في السنّ، العادات، الاستخدامات، التقاليد" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 67).

صرّحت الحالة بما يلي: "أتمنى ألا تخطئ بناتي في حياتهن وأريد أن يكن عفيفات حتى زواجهنّ (نتمنى ما يغلطوش وخاصني يوصلوا نقيين لرجالهم)، لأن بيئتنا سيئة (موسخة)". وهذا يُحيلنا إلى أنه إذا كانت العفة والطهارة الأثوية هي ضرورة التي من خلالها لا يتساهل أي شخص ولا يُخالفها، فإنّ العذرية هي طابو، هي عبادة وشعيرة من شعائر الثقافة، ومكانة (Statut) لفترة من حياة المرأة.

ستكون هناك مأساة إذا فقدت البنت عذريتها خارج روابط الزواج. العذرية هي مهمّة إلى درجة أنّ الاعتداء أو إقامة علاقات جنسية يكون هناك إرغام وإجبار الرجل على الزواج من البنت تحت ضغط اجتماعي، عائلي وقانوني. حيث "أن تكون البنت عذراء هي تُبرز مكانة (Statut)، حيث عند إبرام عقد الزواج يجب إشعار ما إذا كانت البنت عذراء (عزباء) أو امرأة" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 49).

إذن بالرغم من التغيرات و التطورات التي دخلت على النظام التقليدي الجزائري إلا أنه يُوجد بعض العناصر التي كانت مركّبة له و التي بقيت على حالها و لم تتغيّر حتى اليوم و أهمّها: أهميّة العذرية، فهي لا تزال تُعبّر عن العفة لدى الفتاة و الشرف بالنسبة للعائلة ككلّ. و فقدانها يُسبّب العار و الخجل وسط المحيط، و كما تقول Tillon . G: "العذرية هي ثروة مقدّسة" (In TODOROV . T, 2007 : 247).

المجتمعات العربية هي مانعة وقامعة على مستوى العلاقات الجنسية التي لا يكون مسموحا بها إلى داخل إطار شرعي. لكن إذا كان هذا المنع راسخا وفارضا نفسه فإنّ المرأة التي هي ضحية عندما تخضع وتستسلم فإنّ كلّ ما ينتظرها هو القتل. وهنا بكلّ تأكيد "لا يُمكن نفي أو التقليل من الضغط المستمرّ المُحدث من طرف الوضع الأثوي، وما يفرضه المجتمع الذي تعيش فيه المرأة أين عليها تقبّل وتحملّ أنثويتها وجنسيّتها التي لا تحدث إلا داخل إطار الزواج" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 46).

• تعدد الزوجات: نظام تقليدي:

آخر ما أشارت إليه وصرحت به الحالة أنها تقبل التعدد أي أن يتزوج عليها زوجها بأخرى: "ونتمنى لو كان هو عنده رغبة في الزواج من أخرى نعفس على قلبي ونزوجه وحدة صغيرة ويعيش حياته"، وهذا تأكيد لرسوخ الثقافة الأبوية أين نلاحظ انتشار التعدد بشكل واسع، لأنّ النظام التقليدي يعتمد على الدين الإسلامي بدرجة كبيرة. فهذا الأخير لم يصرح بتحريم تعدد الزوجات، ولكنّه حدّد الحالات التي يكون فيها التعدد مثلاً: "رجل تزوج امرأة فأصابها مرض مزمن، ورجلا تزوج امرأة فكان يستمرّ معها الحيض إلى خمسة عشر يوماً، ورجلا تكره امرأته المباشرة في كثير من أشهر الحمل، [القدرة على العدل بين الزوجات، عقم الزوجة، رجل لا يستطيع الاكتفاء جنسياً بزوجة واحدة]" (جاويش . ع، بدون سنة: 121).

ولكن في الواقع ما هو شائع في الغالب هو أن يتزوج الرجل امرأة واحدة، وكما ذكرنا منذ قليل قد يحتاج الرجل لأسباب عدّة أن يتزوج الثانية، وهو قليل جداً، وقد يتزوج الثالثة وهو نادر، وقد يتزوج الرابعة وهو أندر من النادر: "إنّ التعدد بجميع صورته لا يُشكّل ظاهرة اجتماعية عند المسلمين اليوم، ولا يصل بمجمله إلى 6% أو 10%، وله أحكامه الدقيقة وآدابه الشرعية، وأهمّها العدل وحسن المعاشرة والإنفاق" (الزحيلي . م، 2008: 339).

### خلاصة الحالة الثالثة:

كخلاصة عن الحالة هي نموذج واضح عن الأمّ التي تنتمي إلى الثقافة الأبوية، فهي تبين لنا مكان الأمّ في هذا النظام والممارسات الأمومية التي كانت سائدة فيه، ولكن هذا لا يقصي وجود بعض التغيرات التي طرأت بسبب مجموعة من العوامل.

أدى ذلك إلى زوال بعض المهام ودخول مهام جديدة مثل زوال حث البنت على المكوث بالبيت وتعلم أشغال المنزل، وظهور تشجيع البنت على الدراسة والعمل، وكذا شراء مستلزمات المنزل واصطحاب الأطفال للمدرسة.

وما لاحظناه لدى هذه الحالة تماما مثل الحالة السابقة هو أنّ الأمّ الماكثة بالبيت هي نموذج للأمّ التقليدية بحيث تتماهى معها. ظهر ذلك من خلال تصريح الحالة ترى نفسها أمّا فقط، لأنّها تفكر جلّ وقتها في بناتها، وهذا نموذج عن الأمّ في الثقافة الأبوية ونموذج عن الممارسات الأمومية فيه: هي تهتمّ بالمنزل وبالبنات والأب يهتمّ بتوفير متطلباتهنّ مع وجود بعض الاختلاف الطفيف عما كان شائعا في السابق حيث لم تكن الأمّ هي من تقتني الحاجيات من السوق وتأخذ الأطفال للطبيب والمدرسة وإنّما كانت حكرا على الأب، في حين هذه الحالة أصبح ذلك من مهامها.

#### 4- الحالة الرابعة:

##### 4-1- قصة الحياة:

"أنا أمّها إذن يجب أن أتكلّف بها" " je suis sa mère donc je doit la prendre en charge "

كانت المقابلة يوم: 2014/12/27، في بيت الحالة بمدينة سكيكدة على الساعة 14:00 ودامت حوالي ساعتين ونصف. كانت الحالة ترتدي حجابا شرعيا، هادئة وكلامها ينمّ عن ثقة عالية بالنفس، كانت تتكلّم بالعربية الفصحى أحيانا وبالدارجة أحيانا أخرى. استقبلت الحالة الطّلب بصدر رحب دون اعتراض بعدما تمّ شرح لها طبيعة العمل. لها مستوى جامعي تخصص لغة انجليزية، وهي أمّ لطفلة واحدة اسمها تقوى الله، وتعيش في منزل منفرد مع زوجها وعائلتها.

أمّ تقوى الله سني 24 سنة، لا تعمل، مائنة بالبيت من أصل قسنطيني، أمّا زوجي فهو في 30 من العمر وهو يعمل مهندس وهو سكيكدة التي نعيش بها حاليا، لدي طفلة واحدة بعمر السنة (تبتسم) هي طفلة مشاكسة تحب الحركة... تحب الاهتمام، وكما نقول بالدارجة: (تحب تدلّل و دّخل روحها)، ولا تحب من يتجاهلها (تكره واحد يحطها في الثقيل) أو من لا يحاول فهم ما تريد وما تحب، تكره رؤية شخص يبكي أمامها أو يصرخ... إنّها حنونة و تحب العاطفة والأحضان.

وبما أنّي أمّ صغيرة نوعا ما و تربيته يتيممة الأمّ فإنّي أرى فيها ابنتي و صديقتي و أمّي في نفس الوقت، لكن عندما تشاكس وتتعبني أضربها: (بصح كي تقلقني نعطيهما الحس) (تضحك)، هي صغيرة ولكنها ذكية جدا (ذكية وفايقة).

عند ميلادها كانت تساعدني أمّ زوجي في التكفل بها، ولكن فيما بعد أصبحت أهتمّ بها لوحدي، أرضعتها رضاعة طبيعية لمدة 6 أشهر فقط وبعدها غيرتها إلى رضاعة اصطناعية بعدما فطمتها، لأنّ الحليب الطبيعي لم يعد يكفيها، كنت أنا أحضرها لها الرضاعة... ومن غيري يفعل ذلك؟ أمّا بالنسبة لأبيها فلم يفعل ذلك

مطلقا (jamais)، وأيضا ما دمت أمها فيجب أن أتكفل بمهام الأم إجباريا وليس اختياريًا (و زيد مادامني أمها لازم نتكفل بمهام الأم و بلا مزيا مني)، أنا من يهتم لكل أمورها أنظفها، أطعمها وأحممها. أما بالنسبة للأب فهو يتكفل بالجانب المادي، فهو يشتري لها كل شيء وكل ما تحتاجه ويسخا، ومعنويا هو حنون معها ويلعب معها، ولكنّه لا يساعدني في الاهتمام لأمورها من نظافة وإطعام وتلبس، أفعل ذلك بمفردتي.

إلى غاية اليوم هي لاتزال تنام معي في الغرفة حتى أستجيب لها في الليل إذا استيقظت واحتاجت لأمر ما، في بادئ الأمر كان صعبا جدا علي الاستيقاظ ولكن مع الوقت صرت وكأني منبه بمجرد ما تتحرك أفتح عينا، ولكن عندما تكون مريضة نهتم بها أنا وزوجي ونسهر معها فأحيانا يحملها الأب ويسكتها إذا كانت تبكي ويلعبها. وفي الصباح لا أوقظها أتركها نائمة إلى أن تستيقظ لوحدها.

في تربيتي لها أنا أحيانا صارمة وأحيانا أخرى متساهلة لكونها صغيرة ولا تفهم. أنا أحسن نفسي مثل أمي في رعايتي لابنتي، أمي توفيت وأنا في العاشرة من العمر، بالنسبة لي حنان الأم له قيمة وأهمية وهو أصدق من حنان الآخرين، أحسن أنني مثلها حتى في الطريقة التي أتبعها لتربية ابنتي وإن كان ذلك ليس واضحا بعد لأنها لازالت صغيرة.

أتمنى أن أكون أمًا صالحة إن شاء الله وأربيها تربية صالحة. صراحة في السابق كنت أميل لجنس الذكور لأنه لدي أخ واحد فقط وأنا أحبّه كثيرا، لكن بعدما رزقت بابنتي تغيرت وجهة نظري فصرت أحبّ كلا الجنسين، وليس لدي فرق بين ذكر أو أنثى (ماعنديش فرق خلاص بينهم) وبالنسبة لي ما هو مهم هو أن تكون ذرية صالحة و فقط. فأنا أتمنى أن تكون ابنتي في المستقبل امرأة صالحة كما أنني أركز على التربية والأخلاق أولا وبعدها في المرتبة الثانية تأتي الدراسة والزواج والأحفاد. كما أنني أفكر في الإنجاب مجددا ولكن ليس الآن ولكن مستقبلا فتربية الأطفال ليست بالأمر الهين، هي صعبة جدا وتتطلب تعاون كل من الأب والأم على حدّ سواء.



يوم عادي بالنسبة لي يكون روتيني لدرجة كبيرة والأيام كلّها متشابهة لأنني ربة بيت ولا أخرج، فأقضي يومي كلّه بين الأشغال المنزلية من غسيل وطبخ وتنظيف، وكذلك الاهتمام لأمر الطفل وما تحتاجه طيلة الوقت، كما أنني أهتمّ بالأشغال اليدوية، بحيث أحب صناعة أشياء مفيدة وجميلة مثلا إعادة تدوير الأشياء القديمة.

المرأة عندما تصبح أمّا يجب عليها أن توفّق بين الزوج والطفل وأنا الحمد لله أوفق بينهما حيث مع ابنتي أنا أمّ ومع زوجي أنا زوجة ولا يجب أن أنسى أنني قبل كلّ هذا امرأة.

للأب دور في التربية يجب أن يكون حنوناً وفي نفس الوقت صارماً يعني يجب أن يجعل الطفل يحبه ويهابه في نفس الوقت وذلك حتى لا يتمادى الطفل، أنا أتحدث هنا بصفة عامّة، أمّا فيما يتعلق بزواجي فهو يعمل لمدة طويلة في الخارج ولهذا ليس لديه وقت كثير لقضائه مع الطفلة، كما أنّ الأزواج لا يحبون تقديم يد المساعدة للزوجات لأنّ ذلك يُمثّل لهم أنّه يُنقص من قيمة الرجل (و أصلاً رجالنا ما يحبون يساعدو تباثلهم طياحاً)، ومع ذلك يجب أن يتواجد الأب في حياة الزوجة والطفل لأنّه يُمثّل عنصراً مهماً للغاية ولا بد من وجوده فهو سند للأمّ وأمان للطفل.

هدفي لا يقف فقط على كوني أمّ تطمح لتربية أبنائها أحسن تربية و فقط، بل أريد أن أحصل على فرصة عمل سواء كان هذا العمل تابع لاختصاص دراستي كالتدريس مثلاً، أو أن أكون خياطة متمكنة لأثبت ذاتي وأتخلص من الروتين الذي أنا أعيش فيه لأنّه مملّ جداً، وكذلك هدفي أن أكون زوجة صالحة أيضاً لأنّ واجباتي لا تقتصر على كوني أمّ تهتمّ بتربية الأبناء فقط بل حتى الزوج لديه حق عليّ لهذا يجب عليّ أن أوفق في مهامي كأمّ وكزوجة، ولا داعي للحديث عن الهدف في الجانب الديني لأنه طبيعي أن أرغب في أن تكون علاقتي بربي جيدة.

أنا أحياناً أياس من عدم القدرة على تحقيق طموحاتي، ولكن أعود وأجدّد طاقتي الإيجابية لتحقيق أهدافي. يجب على المرأة أن تفرض ذاتها في الوسط الذي تعيش فيه.

#### 4-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى الشرق الجزائري، وهي أمّ أنهت دراستها في تخصص لغة انجليزية، وهي متزوجة وأمّ لطفلة وهي حاليا مائنة بالبيت.

#### • خلقت المرأة من أجل أن تكون أمًا:

هذه الحالة وإن كانت أصغر الحالات، إلا أنها تعي دورها جيدا وتعني ما خلقت لأجله، فهي تقوم بكلّ مهامها كزوجة من جهة وكأمّ من جهة أخرى، فهي تهتمّ بابنتها وكما يشير العنوان أنّها ترى الاهتمام بالطفلة هو من مهامها وحدها وليس من مهام الأب، فهي ترى أنّ الفضاء الداخلي وما يتضمّن من أدوار ومهام هو خاصّ بالأمّ، أمّا الفضاء الخارجي وما يحتويه من أدوار ومهام كذلك هو خاصّ بالأب وحده، هذا يحيلنا إلى أنّها تقوم بممارسات أمومية تقليدية تتمثل في الاهتمام بكلّ ما تحتاجه الطفلة من طعام، نظافة، وغيرها، وقد أكّدت الحالة بصريح العبارة أنّ الممارسات الأمومية هي خاصة بالأمّ فقط من خلال قولها: "ما دمت أمّها فيجب أن أتكفل بمهام الأمّ إجباريا وليس اختياريا (و زيد مادامني أمّها لازم نتكفل بمهام الأمّ و بلا مزيا مني)، أنا من يهتمّ لكلّ أمورها أنظفها، أطعمها وأحمّمها". إذن هذه لحالة تربت على فكرة الزواج والأمومة وأنّ الأمّ في الداخل الأب في الخارج وأنّ من مهام الأمّ بالإضافة إلى الأشغال المنزلية، الاهتمام بالأطفال والزواج، فالحالة مقتنعة بكلّ ذلك لأنّ هذا ما ينصّ عليه النظام التقليدي الذي يتركز على الدين: "إنّ عمل المرأة في بيتها، وتربية أولادها، ورعاية زوجها وصيانة عرضه، وحفظ ماله (...)، هو من أفضل الأعمال وأقدسها وأكثرها أجرا وأعظمها أثرا في الأسرة والمجتمع. (الزحيلي . م، 2008: 60).

كما سبق الذكر في مواضع عديدة ما تُربّي عليه الفتاة هو دور الأمّ أي عليها تعلّم أشغال المنزل والحفاظ على عذريتها من أجل الحدث الرئيسي في حياتها، الزواج، و من ثمّ إنجاب و تربية الأطفال. ولكنّ ليس هذا

وحسب وإثما تُرَبَّى أيضا على أن تكون مُطِيعَة لزوجها حيث يُعَدُّ ذلك واجبا عليها التقيُّد به، منذ الميلاد يتمّ تحديد مصير الفتاة، التي يجب عليها أن تستدخل النموذج الذي يتمثّل في الأم: " فالدور الوحيد للبتت هو أن تتزوَّج وتصبح أمًا وتهتمّ برعاية أطفالها" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 88).

أشارت الحالة إلى أنّ الأب لا يقدّم لها يد المساعدة للأمّ فيما يخصّ العناية بالأطفال لأنّ ذلك يقلل من قيمته: "الأزواج لا يحبون تقديم يد المساعدة للزوجات لأنّ ذلك يُمثّل لهم أنّه يُنقص من قيمة الرجل (و أصلا رجالنا ما يحبوش يساعدو تبالنهم طياحا)"، وهذا فعلا ما كان سائدا في النظام الاجتماعي التقليدي ذو الأساس الأبوي، فما كان مخصصا للأمّ من مهام لا يجب على الرجل القيام بها لأنّ ذلك يعتبر عيبا وعارا لأنّه يقوم بمهام أنثوية مخالفة ومعاكسة لمهامه، فالممارسات الأمومية هي من اختصاص الأمّ لوحدها. كان هذا التقسيم للمهام انطلاقا من من التقسيم الجنسي للفضاء الداخلي والخارجي، حيث يتمّ توجيه كلّ من الجنسين نحو النشاطات والأعمال المرتبطة به، أين نجد المهام التي تُمارَس في الخارج خاصّة بالمذكّر والمهام التي يتمّ ممارستها في الداخل والتي هي بالأساس الأشغال المنزلية والممارسات الأمومية هي مرتبطة بالمؤنث: "يعمل الرجال من أجل تأمين متطلبات ومستلزمات المنزل. أمّا النساء والبنات فيمكنهن في الفضاء الداخلي، للقيام بالأشغال المنزلية، وكذا تسيير المؤونة داخل المنزل" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :45).

إنّ هذا الدور المتمثّل في الممارسات الأمومية والذي يخصّ الأمّ بالدرجة الأولى له علاقة وطيدة بطبيعة تكوينها البيولوجي والنفسي، ولهذا يُلاحظ عليها قدرة تحملها للرعاية الطفل والسهير معه إذا مرض وتلبية كلّ حاجاته وهذا ما لاحظناه لدى الحالة: "المرأة بطبعها هي خاضعة لعاطفتها و يظهر ذلك عندما تصبح أمًا، أين تمنح المولود كلّ وقتها وجهودها و اهتمامها و تُقدِّم له الأفضل دائما حتّى على حساب زوجها و الآخرين" (BOUZAR . D et KADA . S, 2003 : 178).

ترى هذه الأم أنها أم صغيرة في حين في النظام التقليدي في سنّ 24 سنة كانت الأمّ يكون لديها طفلين أو ثلاث أطفال فما فوق، لأنّ العائلة تقوم بتزويج البنت في سنّ مبكرة جدًا لأنّ ذلك هو مصيرها، وهذا ما أشار إليه القنصل الأمريكي في الجزائر وليام شالر في مذكراته. فقد كان يُعتبر الزواج في النظام التقليدي كمرحلة يمرّ بها كلّ من الولد والبنت، حيث كان "يمرّ الطفل تقريبا دون مرحلة وسيطة إلى حياة الرشد: بالنسبة للبنات كان عن طريق الزواج في سن مبكرة جدا (...). بالنسبة للولد الدخول لتعلّم مهنة معينة" (REYMOND-RIVIER .). (B, 1997 : 124-125)، أما هذه الحالة فهي ترى نفسها أمًا صغيرة في حين في الماضي كانت المرأة في سنّها صارت جدّة، ويُمكن تعليل ذلك بتأثير التغيرات الطارئة على المجتمع التقليدي.

#### • أمّ، ممارسات أمومية:

أشارت الحالة إلى أنّ الأب دوره توفير الحاجيات المادية للطفلة والعطف عليها وكذا التدخل في الحالات الطارئة مثل المرض: "أمّا بالنسبة للأب فهو يتكفّل بالجانب المادي، فهو يشتري لها كلّ شيء وكلّ ما تحتاجه وبسخاء، ومعنويا هو حنون معها ويلعب معها (...). ولكن عندما تكون مريضة نهتم بها أنا وزوجي ونسهر معها فأحيانا يحملها الأب ويسكتها إذا كانت تبكي ويلاعبها". هذه ليست الأولى من عبّرت على أنّ الأب يتكفّل فقط بالجانب المادي ويتدخل أثناء المرض، بحيث حتى الحالات السابقة أدلت بنفس الوضعية. يكون تدخل الأب في حالة المرض من خلال أخذ الطفل للطبيب مع أو بدون الأمّ لأنّ المرأة التقليدية لا تخرج من المنزل لوحدها، وهذا غالبا ما يُجبر الأب على التدخل. وقد توضّح لنا ذلك من خلال النسب المئوية المتوصّل إليها انطلاقا من شبكات الملاحظة الخاصة بالأمهات الماكثات بالبيت، حيث وجدنا أنّ اصطحاب الأب للطفل إلى الطبيب تمثّل نسبة 30% كثيرا و40% غالبا، في حين تكفّل الأب بإعطاء الدواء للطفل تُمثّل نسبة 16% كثيرا و14% غالبا، وبالتالي فإنّ هذه النتيجة تتطابق مع ما توصّلت إليه أقيمت في مدينة تولوز الفرنسية على مجموعة من الآباء وتبيّن

أن: "أكثر من 40% من بينهم أكدوا أنهم تكفلوا بأخذ الطفل إلى الطبيب" ( MALEWESKA-PPEYRE )  
:83 (H et TAP .P, 1991).

لوحظ من كلام الحالة أنها تتماهى مع الأم وذلك من خلال قولها: "أنا أحسّ نفسي مثل أمي في رعايتي لابنتي، (...) أحسّ أنني مثلها حتى في الطريقة التي أتبعها لتربية ابنتي وإن كان ذلك ليس واضحا بعد لأنها لازالت صغيرة". وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ الحالة استدخلت كلّ ما يتعلّق بدور الأمّ في النظام التقليدي، هذا لأنّ والدتها عاشت وكبرت داخل نظام أبوي لأنّه هو الذي كان سائدا في زمن قريب ثم بدأ في الزوال لعدّة عوامل، ولكن مع ذلك إلا أنّ هناك الكثير من الأفكار والمعتقدات التي لازالت متواجدة في ذهنية الأفراد حاليا، والتي تواترت إليهم عن طريق تمرير المكونات الثقافية للمجتمع الذي يعيشون فيه عبر التنشئة الاجتماعية، ومن بينها أنّ الممارسات الأمومية والعناية بالأطفال هي من اختصاص الأمّ، هذه الفكرة تحيلنا إلى الدراسة التي قامت بها Mead . M والتي أثبتت أنّ الثقافة هي التي تُحدّد دور كلّ جنس (Sexe) و نوع (Genre)، هي التي تُحدّد للرجل المهام المنوطة به وللمرأة مهامها وكلّ تلك المهام يجب أن تتناسب مع البنية البيولوجية والنفسية لكلّ منهما. وأي خروج عن تلك القواعد يُعدّ تمردا وينتهي بالتهميش (Marginalisation). تقول Mead . M في هذا الصدد: "كلّ النقاشات حول وضع النساء، طبع ومزاج النساء، حول خضوع وتحرير النساء، كلّ ذلك انطلق من التمييز بين الجنسين والذي هو مُدرّك انطلاقا من جانب ثقافي يخدم قاعدة الروابط الإنسانية، وأنّ الولد الصغير يتمّ تشكيّله وقولبته لا محالة تماما مثل البنت الصغيرة حسب قالب خاصّ ومُحدّد جيّدا" ( . EL KHAYAT  
67 : GH, 1988). وتضيف حول الاختلاف بين الجنسين وتقسيم المهام عليهما: "لا يوجد أي ثقافة تنادي بغياب لهذه الاختلافات بين الرجل والمرأة (...). إنّ الانقسام يتواجد بلا تغيّر داخل كلّ مجتمع" ( . MEAD  
: 13 (M, 1988).

• شخصية المرأة في النظام التقليدي:

إنّ شخصية المرأة داخل النظام التقليدي تكون من خلال المشروع الرئيسي في حياتها والتمثّل المشروع العائلي، الذي يتمثّل في الزواج، إنجاب الأطفال وتنشئتهم اجتماعيا: "من خلال استدخال الأوامر الاجتماعية فإنّ حلم كلّ فتاة هو أن تتزوج، تشغل بالمنزل و تُشرف على تربية الأطفال" (CHERIF . H et MONCHAUX : 39 : 2007, PH). وكما أنّ الزواج هو مهمّ لبلوغ الأمومة فحتى هذه الأخيرة هي مُهمّة للزواج في حدّ ذاته، فمن خلالها تحصل المرأة على الأمان والاحترام. (...) حصلت أخيرا على مكانة (Statut) اجتماعية، أمّ بين الأمّهات لأنّ النساء لا تُعرّفن إلا كأمّهات" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 1985 : 85).

لكن إذا لم يُكَلِّم الزواج بالإنجاب فإنّه ينتهي حتما بالفشل. فالإنجاب يُقوِّي الرابطة بين الزوجين ويجعل المرأة التي أصبحت أمّا تستقرّ في بيتها لأنّه يُعتبر بمثابة ضمان لاستقرار الزواج. فالمرأة التي لم تتمكن من الإنجاب تُشعر بالنقص والعجز لأنّها لم تُحقّق هدفها: أن تصبح أمّا وخاصة أمّا لأطفال ذكور. إذن تتزوج الفتاة لكي تصبح امرأة وتنجب أطفالا فتصبح أمّا من أجل الاندماج، ومكانة الأمّ هي الأهمّ: "كلّ امرأة تقليدية لا تحلم بشيء آخر غير الأمومة. (...) وللقلق من الرحم الفارغ، الخوف من الإجهاض، وسواس الولادات الأثنوية المتكرّرة، سوء الحظ بوفاة الأطفال، كلّها هي تُعتبر مخجلة أربعة أضعاف لدى المرأة والأمّ العربية" (BOUHDIBA . A, 264 : 1986). كما أنّ المكانة الاجتماعية للزوجة العربية ترتبط بالأمومة وعدد الأطفال المولودين أكثر من جمالها البدني: "الجمال يذهب أمّا الطفل فيبقى" (BOUHDIBA . A, 265 : 1986). هذه الحالة استطاعت تحقيق المشروع العائلي بحيث أصبحت أمّا بالإضافة إلى هدفها المتمثّل في التربية الصحيحة، ولكن الأمر لم يتوقّف هنا وسنوضّح ذلك لاحقا.

إذن إنّ السبيل الوحيد لشخصية المرأة داخل النظام الأبوي هو أن تصبح أمّا، تقريبا معظم الحالات التي تمّ التطرق لتحليلها في هذه الدراسة أو تلك التي تمّ إلغاؤها لأنّها فيها تكرارا تسعى كلّ منهنّ لأن تكون أمّا صالحة،

وتربي أطفالها تربية سليمة، وهذا لوحظ لدى هذه الأم من خلال قولها: "أتمنى أن أكون أمًا صالحة إن شاء الله وأريبتها تربية صالحة (...). أتمنى أن تكون ابنتي في المستقبل امرأة صالحة كما أنني أركز على التربية والأخلاق أولاً وبعدها في المرتبة الثانية تأتي الدراسة والزواج والأحفاد"، إنَّ لهذا التصريح علاقة بالدين والأخلاق من جهة التي هي من أعمدة الثقافة الأبوية، التي تسعى إلى تربية البنت تربية مختلفة عن الولد وتحضيرها لتكون امرأة وزوجة وأمًا في المستقبل حيث يكون ذلك من خلال حثها على: "المكوث في المنزل، الانشغال بالإخوة الأصغر منها ومساعدة أمها في أشغال المنزل والاهتمام بكلِّ متطلّباته، وكلِّ ذلك يُؤدّي إلى تحضيرها للحياة الزوجية والأمومة" (AMARA . F, 2004 : 43).

ومن جهة أخرى لتصريح الحالة المذكور علاقة بفائدة رمزية وبالخصوص للذي لديه بنت حيث تشجع الثقافة الإسلامية من يُربي البنت تربية حسنة له الجنة، وهذا عامل مهمّ يدفع هذه الأم إلى السعي إلى تربيتها تربية صالحة: "فضّل الإسلام الأمّ على الأب في الحقوق والرعاية، وجعل لها ثلاث حقوق على الأولاد، وأثبت حقا واحدا للأب، وجعل الجنة تحت أقدام الأمّهات، وجعل تربية البنات ورعايتهن بابا من أبواب الجنة، ووسيلة في التقرب إلى الله تعالى" (الزحيلي . م، 2008: 132).

إذن تكون شخصنة المرأة في النظام التقليدي من خلال الزواج والأمومة والتربية الحسنة للأطفال وبالخصوص البنات، والفائدة الرمزية التي تجنيها كلّ أم من مكان ومكانة ودور الأم داخل الثقافة التقليدية.

#### • استمرارية التمييز ولد/بنت:

ذكرت الحالة أنّها لا تهتمّ لجنس الطفل إن كان ولدا أو بنتا، فما هو مهمّ هو التربية الحسنة وهذا له علاقة بما تمّ الإشارة إليه للتو: "صراحة في السابق كنت أميل لجنس الذكور لأنّه لدي أخ واحد فقط وأنا أحبّه كثيرا، لكن بعدما رزقت بابنتي تعيّرت وجهة نظري فصرت أحبّ كلا الجنسين، وليس لدي فرق بين ذكر أو أنثى (ماعنديش

فرق خلاص بينهم) وبالنسبة لي ما هو مهمّ هو أن تكون ذرية صالحة و فقط"، هذا قد يُشير إلى تغيير على مستوى الرغبة في إنجاب الولد، حيث كان سابقا أفراد النظام الأبوي يميلون إلى الولد أكثر من البنت، وهذا يُحيل بدوره إلى التغييرات التي طرأت على هذا النظام وعلى العائلة ذات الأصل الأبوي. ولكن مع ذلك صرّحت أنّها كانت تفضّل الولد، وهذا التفضيل هو متواجد على مستوى اللاشعور، الذي أشرنا إليه في حالة سابقة، حيث أشار إليه Freud . S عندما تحدّث عن انحلال عقدة أوديب عند البنت التي تكون من خلال إنجاب ولد لتعويض ذلك النقص الذي كان لديها في الطفولة: "الفتاة تتصرّف كولد ناقص (Garçon manqué) وهذا راجع للإحساس بالدونية أو الإنحطاط وتُظهر منافستها مع الجنس الآخر ونفي أنوثتها، كما تبحث عن التميّز عن الأمّ وتنحيتها" (68 : TOURRETTE . C et GUIDETTI . M, 2002). وللتوضيح أكثر يمكن الاعتماد على فكرة Adler . A حيث أشار هذا الأخير إلى مصطلح الإحساس بالنقص أو الدونية الذي يجعل الفرد يسعى إلى تعويضه بشتى الطرق، وهذا بالضبط ما يحدث للمرأة التي تسعى إلى التخلّص من ذلك الإحساس من خلال إنجاب ولد، وهنا تنحلّ عقدة أوديب نهائيا، مع التحقّظ لأنّه هناك بعض الأفراد الذين لا تنحلّ لديهم هذه العقدة وتظهر لدى الوالدين عند دخوال الابن أو البنت في المراهقة: "يصبح الأب أو الأمّ يتنازل عن الإسقاط على طفله جزء من رغباته الطفولية الخاصّة. فجأة يجد الوالدين نفسيهما أمام انفجار نزوي لمراهقهما، وهذا ما يوقظ إشكالية أوديب غير محلولة نهائيا" (379 : MARCELLI . D et Braconnier . A, 2000). كما قد تظهر على شكل أحاسيس: " يظهر لدى المرأة مشكلة غياب الطمث التي قد تستثير الإحساس بجنسية متضائلة أو منخفضة مع هوية أنثوية محدودة، أو بالعكس الإحساس بحرية انفجار أحاسيس أوديبية مع نوع من الجنسية المراهقة" (378 : MARCELLI . D et Braconnier . A, 2000).

نعود إلى هذه الحالة، التي على ما يبدو أنّها تستخدم آلية الدفاع الكبت والإنكار من خلال نفي تفضيلها لجنس دون الآخر، وكبت رغبتها في إنجاب الولد، وكذا هي تستخدم آلية الاستعلاء (Sublimation)، وذلك



بالسمو في أفكارها نحو ما هو مهمّ هو التربية الحسنة. إنّ تصريحنا بأنّها تستخدم الآليات لأنّ أولاً هي تنتمي إلى نظام أبوي، وما هو متداول فيه هو تفضيل جنس الولد، لأنّه يحمل اسم العائلة وميراثها كما أنّه يُعتبر أقوى وأذكى من الجنس الآخر، وهذا ما أكّده Rousseau: "طويلاً تمّ تعريف الرجل أنّه مخلوق فعّال، قوي، شجاع، ذكي، ولم يتمّ التفكير في الاختلاف الجنسي إلا على شكل تكاملي، Rousseau طرح منطقياً مُسلّمة أنّ المرأة هي طبيعياً ضعيفة وسلبية (BADINTER . E, 1980 : 237). وثانياً يتميّز التكوين النفسي للمرأة بالرغبة في إنجاب ولد من أجل انحلال عقدة أوديب.

#### • تحديد عدد الأطفال لدى الأم التقليدية:

"أفكر في الإنجاب مجدداً ولكن ليس الآن ولكن مستقبلاً فترية الأطفال ليست بالأمر الهين، هي صعبة جداً وتتطلب تعاون كلّ من الأب والأمّ على حدّ سواء". الحالة تفكر في الإنجاب مجدداً لكن مستقبلاً وهذا يشير إلى تحديد النسل لدى الأمّ الماكثة في البيت عكس ما كان في النظام الاجتماعي التقليدي، وذلك بحجة أنّ تربية ورعاية الأطفال صعبة هذا الذي لم تتدبّر منه الأمّ في الثقافة التقليدية، وهذا بالاعتماد على تصريحات من أمّهات تنتمين إليها اللاتي قمن بمقابلتهنّ، واللاتي أنجن ما بين 6 أطفال إلى 12 طفلاً: "إنّهُ على عدد الأطفال وبالخصوص الذكور تتنافس الأمّهات، وحتى ولو كان خطأ وغير صائب وغير عادل إلا أنّ الأمّ الولود لها هيبة، وحضور اجتماعي أكثر من امرأة جميلة" (BOUHDIBA . A, 1986 : 265). في الواقع التربية العناية بالأطفال تجدها الحالة صعبة لأنّه لا توجد مساعدة لئس العائلة كما كان في الماضي وكما ذكرنا سابقاً.

تتمّ تنشئة البنت في النظام الاجتماعي الأبوي على تعلّم الأشغال المنزلية ويُمكن تعليمها كذلك صنعة أو حرفة داخل المنزل بالإضافة إلى تعلّم العناية بالأطفال، وهذا ما تقوم به الحالة: "يوم عادي بالنسبة لي يكون روتيني لدرجة كبيرة والأيام كلّها متشابهة لأنّني ربّة بيت ولا أخرج، فأقضي يومي كلّهُ بين الأشغال المنزلية من غسيل وطبخ وتنظيف، وكذلك الاهتمام لأمر الطفلة وما تحتاجه طيلة الوقت، أهتمّ بالأشغال اليدوية، بحيث أحب صناعة

أشياء مفيدة وجميلة مثلا إعادة تدوير الأشياء القديمة"، ولكن هي ترى كل ذلك عبارة عن روتين يومي ممل، في حين سابقا كان ذلك مقبولا بل ومقدّسا لدى المرأة والأم بالخصوص التي تتفاخر وسط الأمهات بإنجابها للأطفال لأنه بالنسبة لها هو إنتاج: "الإنجاب هو عمل اقتصادي الذي يُنتج الأحياء، دون أن تتقاضى عن ذلك أجرا، وهنا يكون للأمّ فائدة ومكسبا رمزيا" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 216).

كان الإنجاب يجعل الأمّ تشعر بالفخر وبالمقدرة لأنه من خلالها يولد الرجال، وبالتالي هي عنصر منتج في المجتمع، حيث قال Balandier . G بهذا الخصوص: "إنّ من خلال النساء يُولد الرجال، ومن خلال النساء والرجال يُولّد ماديا ورمزيا المجتمع، لم يُنسى بعد هذا الامتياز المفرط" ( In GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 216). ويُضيف قائلا: "إنّ كلّ الإنتاجات الأصلية هي إنتاج الأحياء داخل أجسام النساء" ( In GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 216).

لكن ما لوحظ لدى الحالة أنّ لديها تحديد لإنجاب عدد الأطفال، بالرغم من أنّها مأكثة بالبيت، وهذا يتعارض مع ما كان منذ زمن قريب فقط: "عندما تكون النساء الجزائريات غير عاملات، فإنّهنّ يحتلن الرتب الأولى في الإنجاب" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 216). يرجع ذلك كما ذكرنا في أكثر من مناسبة إلى التغيّرات التي اجتاحت النظام الاجتماعي الجزائري، حيث كانت والمرأة تتزوج فقط من أجل الإنجاب و أن تصبح أمّا، لكن حاليا هي تتزوج كذلك من أجل تحقيق جنسية مشروعة: "سواء رجال أو نساء فإنّه كان ممنوع عليهم الاستمتاع وتحقيق لذّة من العلاقات الجنسية خارج الزواج" (BADINTER . E, 2003 : 166). ولهذا يكون تحقيق المتعة الجنسية عن طريق شرعيّ ألا وهو الزواج. بالإضافة إلى ذلك لوحظ أنّ هناك ارتفاع مستوى مطالب النساء، حيث إنّهنّ يضعن في الرأس بأنّ لديهنّ الحقّ في المتعة واللذّة" (BADINTER . E, 2003 : 127)، وهذا ما يُفسّر تناول حبوب منع الحمل.

• زوجة مع الزوج، أم مع الطفل وقبل كل هذا امرأة:

أشارت الحالة إلى أنها أم مع البنت وزوجة مع الزوج: "المرأة عندما تصبح أمًا يجب عليها أن توفّق بين الزوج والطفل وأنا الحمد لله أوفق بينهما حيث مع ابنتي أنا أم ومع زوجي أنا زوجة ولا يجب أن أنسى أنني قبل كل هذا امرأة"، وهذا يدلّ على تعييرات طرأت على الأمّ الماكثة في البيت، فالأمّ في النظام الأبوي هي أمّ، تحتل مكان أمّ طيلة الوقت ولا تتخلّى عليه بحضور الزوج: "الأمومة هي التعريف الوحيد والحقيقي للمرأة، وأنّ الأرض تتساقط إذا كانت الأمّهات غير راضيات" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 68)، أمّا الحالة فهي تحتلّ مكان أمّ مع الطفلة ومكان زوجة مع الزوج، هذا يعني أنّ مكان الأمّ يكون في حضور الطفل فقط. وأشارت فيما بعد أنّها لا تنسى أنّها امرأة، وهذا يُحيل إلى تعيير واضح في النظام وكذلك يُعبّر عن تحوّل مهمّ على مستوى ذهنية المرأة، حيث كان المكان الوحيد الذي تشغله هو مكان الأمّ فأصبح هناك نظام أمكنة (Places) حسب الوضعيات (Positions) التي تكون فيها والمواقف (Situations): "في نهاية الثلث الأخير من القرن 18م، أين كان هناك ثورة وتطوّر الذهنيات، فإنّ صورة الأمّ، دورها وأهميتها تعيّرت جذريا، حتّى في الأفعال والسلوكيات" (BADINTER . E, 1980 : 137).

وهنا الحالة هي تتعارض في جانب مع رأي Rousseau. J.J، وتتفق معه في جانب آخر: "الطبيعة الأثوية هي مرتبهة من طرف ومن أجل الرجال. جوهرها، الغرض منها وغايتها، نشاطها كلّ للرجل. المرأة خُلقت ليس من أجل ذاتها وإتّما من أجل الرجل، من أجل أن تكون خاضعة له، لطيفة من أجله، من أجل التنازل وتحمل ظلمه. بعد فترة معيّنة تُصبح هذه المرأة جاهزة للعيش من خلال ومن أجل الطفل. (...) المرأة طبيعيا هي مكملّ، متعة وأمّ للرجل (In BADINTER . E, 1980 : 238-239). إنّها تتعارض معه في كونها لا تنسى أنّها امرأة وعليها الاهتمام بنفسها، وليست فقط ملك للرجل أو الطفل.

• مكان ودور الأب:

في النظام التقليدي كان دور الأب يتمثل في العمل خارج المنزل وتوفير مستلزمات المنزل ولم يكن يدخل في تواصل أو علاقة مع الطفل إلا عندما يصبح مستقلا، في حين يبقى الاهتمام بالطفل وبشؤون المنزل من اختصاص الأم: "ويقوم نظام الأسرة على توزيع الإختصاصات بين الرجل والمرأة بما يتفق مع الفطرة والطبائع والإمكانات، لتولى الأب رئاسة الأسرة، والإشراف العام والخارجي المسؤول المالي، وتتولى الأم رئاسة البيت، ومسؤولية التربية، والحفاظ على مال الأسرة ونفقاتها، وتوزيعها، وصيانة عرض البيت وشرفه ومقدساته" (الزحيلي . م، 2008 : 161).

هذه الحالة ذكرت في قصتها أن: "بالنسبة للأب فهو يتكفل بالجانب المادي، فهو يشتري لها كل شيء وكل ما تحتاجه وبسخاء، ومعنويا هو حنون معها ويلعب معها، ولكنه لا يساعدني في الاهتمام لأمرها من نظافة وإطعام وتلبيس، أفعل ذلك بمفردي". وبهذا فقد أشارت إلى دور الأب الذي يربط فيه بين توفير الماديات للطفلة، الصرامة والعاطفة التي هي من اختصاص الأم وذلك من أجل جعل الطفلة تحبه وتهابه في نفس الوقت، هي في جانب استدخلت ما كان سائدا في النظام الأبوي حيث كان الأب يتميز بالصرامة، أو بمعنى آخر الأم هي التي كانت تُمرّر وتنقل صورة الأب الصارم للطفل: "إنه من خلال الأم يُقدّم الأب الرمزي للطفل في نطاق أين تُشير إليه أنه هو من تعتمد عليه" (LE CAMUS . J, 1985 : 48).

ولكن هذه الحالة في جانب آخر أشارت إلى أنه يجب أن يكون عطوفا وهذا ما لم يكن موجودا في النظام الأبوي. كان الطفل يهاب الأب طيلة الوقت وعندما يدخل للمنزل يسود الصمت ويُخيم الهدوء: "يظهر الأب في هذه العائلة الكبيرة كوصيّ، وليّ وحامٍ، بالرغم من أنه مُهاب ومُحترم، ومُطاع، كما أنّ للأب سلطة مطلقة على أطفاله، وهي تظهر بجلاء من خلال الدور المنوط بالأب المسؤول على أطفاله أمام الجماعة والمجتمع" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 : 62).

في النظام التقليدي يبقى الأب بعيدا عن العلاقة أم-طفل إلى أن يصبح الولد يتمتع ببعض الاستقلالية، أما فيما يتعلق بسلوك الأب اتجاه البنت الصغيرة في النظام التقليدي فإنه "لا يحمل استثمارا عاطفيا كبيرا نحوها (...)", حيث لا تُعرّف كموضوع مهم وكبير لأنها ستنتهي بسرعة إلى جماعة أخرى" (EL KHAYAT . GH, 1988 : 68). هذا ما كان متداولاً في النظام الأبوي، لكن ما توصل إليه J. Ajuriaguerra . J يختلف فيما يتعلق بالخصوص بعلاقة الأب بالبنت. إذ خلص هذا الباحث إلى أنّ الأم هي التي تسمح للطفل سواء كان ولداً أو بنتاً باكتساب العاطفة الحنان وذلك تبعاً لتكوينها وغيبتها، أما الأب فهو يُمثّل نموذج التماهي الذي من خلاله يصبح رجلاً. بالتالي إنّ الأم هي من تُعلّم الحب بشكل عامّ وبالخصوص قبول الطفل دوره الجنسي داخل الثنائية. ومن هذا كله يُمكننا ذكر عدد متنوع من الثنائيات داخل العائلة: أم-ولد / أم-بنت / أب-ولد / أب-بنت. الثنائية أم-ولد تُمثّل الوضعية الأوديبية، بمعنى وضعية ثلاثية، والثنائية الحقيقية المتحدّرة من هذه الوضعية حسب Hesnard A . هي الثنائية أب-ولد: "في هذه الحالة الرابط الطفولي بالأب الذي لا غنى عنه للطفل هو مفيد ومهمّ جداً في المراهقة، الذي يتحوّل تدريجياً لدى المراهق إلى إقامة علاقات صداقة مختلفة ذات ثقة. في الثنائية أب-بنت فإنّ الأب المتسلّط والمسيطر يلين، حيث غالباً ما يكون له اتجاه البنت تساهل، رافة، عطف. أمّا بالنسبة للعلاقة الثنائية أم-بنت يُمكن أن نجد إمّا اتحاد أو منافسة" (AJURIAGUERRA . J, 1974 : 861).

#### • بحث الأم الماكثة بالبيت على تحقيق ذاتها من خلال العمل:

تبدو الحالة طموحة فهي تهدف بالإضافة إلى تربية ابنتها تربية صالحة إلى الحصول على منصب عمل وذلك من أجل إثبات ذاتها: "أريد أن أحصل على فرصة عمل سواء كان هذا العمل تابع لاختصاص دراستي كالتدريس مثلاً، أو أن أكون خياطة متمكنة لأثبت ذاتي وأتخلص من الروتين الذي أنا أعيش فيه لأنه مملاً جداً"، فالحالة هنا وإن كانت تُمثّل نموذجاً للأم التقليدية التي لطالما كانت تتشخصن من خلال الأمومة وبالخصوص أن تكون لأماً لولد، إلا أنّها لم تتشخصن كأماً وإنما هي تطمح إلى عمل من أجل ذلك، وكذا لتتخلص من الروتين

الذي يتعلّق بالقيام بالأشغال المنزلية والاهتمام بالأطفال. إنّ الدافع وراء رغبة الحالة في العمل هو ما أصبح منتشرًا من أفكار وسط النساء حاليًا نتيجة للتحوّلات: "لماذا تعمل المرأة؟ أو تبحث عن عمل؟ طبعًا من أجل المال، لكن فيما يتعلّق بالنساء، فالعمل ليس فقط من أجل المال، (...) المرأة الماكثة في البيت أو ربّة البيت تعتبر غير فعّالة" (Présence de femmes, 1986 : 32).

فالمرأة في النظام التقليدي إمّا كانت تتمكّن من الاندماج وتُصبح مرتبّنة (Aliénée) وبالتالي تكون الشخصية من خلال الاندماج، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّها لا تشعر بأنّها خاضعة أو هي مسيطر عليها، وإمّا تبحث عن طريقة أخرى للشخصنة أين قد يقودها ذلك إلى التمرد، لأنّ بالنسبة لها داخل هذا النظام يُمكن القول هنا أنّ "حضور المرأة ليس إلا شكلا من أشكال غيابها" (MERNISSI . F et SAADI . N, 1991 : 14).

حتى تتخلّص الحالة ومختلف النساء اللاتي هنّ في وضعيتها من فكرة أنّهن غير فعّالات فإنّهنّ يبحثن عن نشاط يُبتن من خلاله ذواتهنّ، حتى ولو كان داخل المنزل مثل حرفة أو صنعة، أين يُصبح لديها نشاطا مضاعفا، الأشغال المنزلية والاهتمام بالأطفال والعمل المنزلي المأجور من خلال ممارسة حرفية منزلية. (...) كلّ ذلك يُشكّل إثبات أنّ الأمّ تواجه بقوة ما يعيقها من أجل بلوغ ما تريده" (DIB-MAROUF . Ch, 1984 : 196).

عبر كلّ الأزمان كانت تسعى المرأة لأن تُثبت ذاتها بشتى الوسائل والطرق، وسواء في النظام التقليدي أو حاليًا فإنّ: "طريقة المرأة في الحياة هي أن تكون" (عادل . ف، 1968 : 137). من أجل بلوغ كينونتها فإنّه: "تمّ الاعتماد على وسائل عديدة عالمية من أجل محاكمة والقضاء على العبودية والممارسات التي كانت تحطّ من قيمة المرأة، وتجعلها بمثابة شيء أو موضوع (Objet)" (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 51).

• استدخال عناصر الثقافة الأبوية: الشخصية القاعدية:

ذكرت الحالة أنه لا يجب أن تُهمل الزوج لأنها أم، بل يجب أن توفق بين أدوار كل مكان (مكان أم، مكان زوجة)، فهدفها أن تكون زوجة صالحة وهذا له علاقة بالثقافة التي تنتمي إليها، وبالخصوص الفائدة الرمزية التي تجنيها جراء ذلك، فهي ترى أنّ للزوج حقًا مثله مثل الابنة، ويتمثل هذا الحق في الاهتمام به وبشكل أساسي طاعته التي نصّ عليها الشرع والقانون والعرف: "يجب على الزوجة طاعة زوجها (...)", احترام والدي زوجها وأقاربه" (MERNISSI . F et SAADI . N, 1991 : 56). ويرتبط هذا بشكل أساسي باستدخال للثقافة الأبوية.

تجدر الإشارة هنا إلى مصطلح مهمّ إلا وهو الشخصية القاعدية (Personnalité de base) تمّ الحديث عنه من طرف Linton . R و Kardiner، وهي أداة مناسبة للتحليل وهي حسبهما: "ترتيب وتنظيم مشترك لكلّ الأعضاء الذين ينتمون إلى ثقافة معينة. إذن ما يظهر من خلال سلوك كلّ فرد على حدى هو قاسم مشترك بين كلّ أفراد الجماعة" (DJAIT . H, 1974 : 195). في حين الشخصية القاعدية حسبما لاحظها Dufrenne هي "تعتبر إحدى مركّبات الشخصية الكلية للفرد، أين تعتبر نتيجة للنشاط الممارس عليها من طرف الوسائل الاجتماعية. حيث يكون لكلّ فرد طبيعة إنسانية التي تربطه بالمصير الجماعي العالمي، وله في نفس الوقت طبع فردي الذي يجعله متميّزا عن الآخرين" (DJAIT . H, 1974 : 196). وتبعاً لهذه التعاريف فإنّ الحالة استدخلت عناصر ومكونات الثقافة وحافظت عليها وذلك من خلال الشخصية القاعدية حيث نجدها متدينة، تسعى إلى تربية ابنتها تربية حسنة، تلبية حقوق الزوج، القيام بالشؤون المنزلية ورعاية الطفلة، حتى العمل الذي تتمنّى إثبات ذاتها من خلاله ذكرت في نهاية حديثها عنه أن يكون خياطة ماهرة، وهذه مهنة منزلية أي تجلبها نحو الفضاء الداخلي وليس كأى عمل آخر يجلبها إلى الخارج، وهذا يُؤكّد أنّ لهذه الأمّ مكان مطابق لمكان الأمّ داخل النظام الأبوي مع وجود بعض التغيّرات التي تتمثل في تحديد النسل، أن تكون زوجة في حضور الزوج، وغيرها مما تطرّقنا إليها سابقاً. وهذا يتطابق مع رأي Linton . R الذي ستنطرق له فيما يلي.

إن أنظمة القيم والاتجاهات المشتركة بين أعضاء المجتمع الواحد تُترجم عبر أشكال عديدة من السلوك المرتبط بمكانة معينة (Statut): مثلا الرجال والنساء في مجتمع معين يُمكن أن يكون لديهم نفس الاتجاه نحو مثلا خضوع المرأة وهيمنة الرجل، في حين في السلوك الذي ينتج والذي يكون مرتبطا بهذه العلاقات سيكون بطبيعة الحال مختلفا حسب الجنس (ذكر أو أنثى). هذه الاتجاهات المشتركة نحو الخضوع يتم التعبير عنها لدى المرأة من خلال طريقة تصرفاتها، وهذا يُحيل إلى استجابات الرجل بشكل خاص اتجاه هذا الخضوع وتصرفات المرأة بصفة عامة. تشكل هذه العناصر المشتركة للشخصية مع بعضها أو في مجملها شكلا متكاملًا ومندمجا الذي يسمى بالشخصية القاعدية، "إنّ تواجد هذا الشكل يمنح أعضاء المجتمع طرق الفهم والقيم المشتركة، ويسمح لهم بالاستجابة بنفس الطريقة وبشكل موحد نحو المواقف ذات العلاقة بقيمهم المشتركة" (LINTON . R, 1968 : 114-115).

#### • المقدرّة الأنثوية:

أشارت الحالة في الأخير أنّ على المرأة أن تُثبت ذاتها في الوسط الذي تعيش في: "يجب على المرأة أن تفرض ذاتها في الوسط الذي تعيش فيه"، وهذا ما يُمكننا تسميته بالمقدرة الأنثوية (Le pouvoir féminin) الذي أشرنا إليه في عنصر مستقل في أحد الفصول النظرية.

تسعى المرأة إلى إثبات ذاتها من خلال صيرورتها أمّ لولد، من خلال إتقانها للأشغال المنزلية، الممارسات الأمومية والعناية بأطفالها، صنعة منزلية تتباهى بها أمام الآخرين، وكذا تحقيق هذه المقدرة. كما أنّ الوضعية الأفضل لبلوغ المقدرة هي تلك التي يتمّ اكتسابها مع الزمن. حيث بفضل السنّ، التجربة والخبرة والاستعدادات فإنّه يتمّ بلوغ الهدف الأسمى، الذي يتمثل في السيطرة وحكم أهل المنزل أي الأسرة: "المرأة ليست معرّفة فقط بجنسها (Sexe)، إنّها أيضا سيّدة العائلة والمسؤولة عنها، وبهذا الفعل تكتسب مكانة (Statut) وسيطة بين عالم النساء، اللاتي تُسيطر عليهنّ كليا وعالم الرجال الذين تُهيمن عليهم ببراءة" (YACINE . T, 2008 : 25).



كما أنّ الدخل سواء كان بالعمل داخل المنزل أو خارجه، يُساعد المرأة على الحصول على المقدرة (Pouvoir)، توفر حاجاتها وغالبا تلك التي تتعلّق بتدابير المنزل وأشغاله وأثائه: "المال يجعلهنّ حرّات وذوات مقدرة" كتبت Bent-Mohamed . S، والتي أضافت "الآباء، الإخوة والأزواج يقبلون هذا الأجر وأحيانا يستعملونه" (In GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 105). وهذا يجعلنا نفهم لما الحالة تريد العمل حتى ولو داخل المنزل إضافة إلى الدوافع التي ذكرناها سابقا.

### خلاصة الحالة الرابعة:

هذه الحالة هي أيضا نموذج للأمّ التقليدية من حيث الممارسات الأمومية ومكان الأم، حيث لاحظنا أنّها هي من تعتني بالطفلة وتلبية حاجياتها، كما أنّها تهتمّ لشؤون منزلها. وهذا يُعبّر عن استدخالها لعناصر الثقافة الأبوية وتماهيتها مع الأمّ، مع وجود بعض التغيّرات التي مسّت كيفية إثبات الذات عن طريق عمل أو حرفة، تحديد النسل. فيما يتعلّق بدور الأب فهو تماما مثلما كان متداولاً في النظام التقليدي، حيث عليه توفير متطلبات الزوجة والطفلة، والتدخل في الحالات الطارئة.

إذن في هذه الحالة لم يتغيّر مكان الأمّ عمّا كان في النظام التقليدي، ولكن تغيّرت وجهة النظر إلى البقاء في المنزل دون عمل داخله أو خارجه.

## 5- الحالة الخامسة:

### 5-1- قصة الحياة:

"منزلي وأولادي هم مملكتي" "Ma maison et mes enfants sont mon royaume"

كانت المقابلة يوم: 2013/09/15، في بيت الحالة بمدينة غليزان على الساعة 15:00 ودامت حوالي ساعتين. كانت تبدو الحالة بسيطة في ملابسها وتكلم بصوت منخفض ويبدو عليها الحزن. قبلت إجراء المقابلة معها بكل سرور لأنها كانت بحاجة للكلام مع مختص واستشارته في بعض الأمور ولم تجد إلى أن سنحت لها الفرصة وحضر المختص إلى منزلها. هناك بعض المعلومات التي طلبت الحالة ألا تُذكر في قصة الحياة هذه لأنها معلومات شخصية جدا وحساسة حسب رأيها.

أنا سامية أبلغ من العمر 36 سنة، مأكثة في البيت مستواي الدراسي السنة التاسعة متوسط، وزوجي سنه 50 سنة وهو يعمل في محلّ لبيع الأكل الخفيف، توقف عن الدراسة في الصف السادس ابتدائي. لدي ولدان الأكبر سنه 14 سنة ويدرس السنة الثالثة متوسط، والأصغر 5 سنوات ونصف وهو في السنة الأولى ابتدائي. ابني الأكبر يحب الأكل كثيرا ويجب الألعاب الإلكترونية، هو ذكي تحصيله الدراسي جيد ما شاء الله إنه تلميذ نجيب والجميع يحبونه ولكنّه عنيد. أمّا ابني الأصغر يحب اللعب كثيرا ويحب الملابس الرياضية خاصّة التي يكون عليها رقم، هو متأخر في النطق لكنّه ذكي. علاقتي بهم جيدة وأنا أمثل بالنسبة لهم الأمّ والأب في نفس الوقت، أحبّهم كثيرا هم يمثلون لي مملكتي الخاصة. أتصرف معهم بشكل عادي حيث وقت الجد جد ووقت اللعب لعب. بالنسبة لي أهمّ وأحسن شيء هو التربية السليمة والاحترام. علاقتهم مع بعضهما جيّدة وذلك راجع لفارق السنّ بينهما، أمّا علاقتهما بالدهما فهي حقيقة منعدمة تماما فهو يسبّ ابنه لأنفه الأسباب، لا يجلس معهما ولا يحاورهما وكأنّه غير موجود.

أنا أهتمّ بهما وحدي منذ أنجبتهما إلى اليوم لا يساعدني أحد ولا حتى الأب. كانت رضاعتهما طبيعية ولم أفطمهما حتى سنّ أربع سنوات لأنّه كنت أشفق عليهما (خليتهم حتى سن 4 سنين يعضوني). أنا أهتمّ بكلّ ما يحتاجانه وحدي كما ذكرت سابقا أنا الأمّ والأب في آن واحد، كنت أراهما عندما كانا صغيرين أطعمهما وأنظّفهما وأغيّر لهما، وآخذهما في حالة ما إذا مرضا للطبيب، وأسهر معهما في الليل على كلّ كبيرة وصغيرة، أمّا أبوهما لا يساعدني إطلاقا، كلّ الأمور المتعلقة بالمنزل والأطفال أهتمّ بها أنا، هو كلّ اهتماماته تنصبّ على عمله و فقط أي أمر آخر ممنوع، لا يحب تقديم المساعدة والاهتمام بالأطفال، لا يحب ذلك. هما منذ ميلادهما ينامان معي في الغرفة إلى يومنا هذا، وإذا ناداني أحدهما أنا أستجيب له أمّا إذا مرض أحدهما فإنّني أبقى طيلة الليل مستيقظة حتى البّي له حاجته. في الصباح أوقظهما وأحضّر لهما الإفطار وأجهّزهما للذهاب إلى المدرسة بل وأصحبهما أيضا، وأعود للمنزل أحضّر الغداء وأنظف البيت ثم أخرج لإحضارهما من المدرسة. في المساء أساعدها في حلّ واجباتهما المدرسية، وبعد العشاء كلّ منهما يدخل فراشه نشاهد التلفاز سويا حتى يحضر الأب ونام.

أنا أحيانا أقوم بصنع الحلويات وبيعها من أجل شراء مستلزماتهما لأنّ الأب لا يهتمّ بذلك وهو مدمن على الكحول، دوره منعدم حتى عندما يُخطئان أنا أعاقبهما، هو لم يساعدني أبدا. هو لا يكلمهما إلا نادرا.

في تربيتي لهما أنا أحيانا متساهلة معهما وأحيانا أخرى متصلبة ولكنني لست قاسية عليهما، ألعب دور الأب والأمّ معا، وأنا راضية عن نفسي كأّمّ والحمد لله، بل وأرى نفسي أمّا فقط لا غير.

أنا لا أفترّق بين بنت أو ولد ولا أميل إلى جنس دون الآخر بل في رأيي ما هو مهمّ هو التربية السليمة، وإن كنت أحب الولد لأنّ تربيته سهلة مقارنة بالبنت فمثلا ولداي يستجيبان لما أطلبه منهما دون نقاش، يهتمّان لما أقدمه من نصائح، حنونان (يساعفوني)، أمّا لو كانت لدي بنت فإنّها أكيد ستفعل عكس ما أطلبه منها كما أنّها تُتمثل مسؤولية كبيرة خصوصا في وقتنا هذا، فتربية البنت لم تعد كما كانت في السابق.

هدفه هو أن يكبر ولداه ويتعلمان ويصبحان طبيبان ويعتمدان على نفسيهما. لا أريد أن يُحرما ممّا حرمت منه أنا إن شاء الله.

## 5-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى الغرب الجزائري، وهي أمّ لم يُسعفها الحظ لإنهاء دراستها لظروف خاصّة رفضت أن نذكرها في الدراسة، هي أمّ لولدين وماكثة بالبيت، وتعيش مع أطفالها وزوجها في منزل منفرد عن العائلة الممتدة.

### • تصدّر وشغل مكان الأمّ و مكان الأب معا:

نجد هذه الحالة التي هي أمّ لولدين تتشابه مع الحالات السابقة إلى حد ما، إلا أنّها لديها ما يميزها، فهذه الأمّ صرحت أنّها هي الأمّ والأب في نفس الوقت لأطفالها: "وأنا أمّثل بالنسبة لهم الأمّ والأب في نفس الوقت"، أي أنّها تحتلّ مكان الأمّ ومكان الأب وتقوم بالدورين، فهي من جهة تتكفل برعاية والعناية بالولدين دون مساعدة الأب كما تهتمّ بالأشغال المنزلية، وهنا هي مثال للأمّ التقليدية في النظام الاجتماعي الأبوي، ومن جهة أخرى تلعب دور الأب في السلطة والعقاب والثواب وتوجيه الولدين نحو الصواب وتوعيتهم بالخطأ، فالأب لا يهتمّ لما يحدث داخل المنزل وإنّما هو يهتمّ بعمله فقط ولا شيء غير ذلك، ولا يهتمّ بالإنفاق على عائلته، وإن كان هو هنا يقترب من نموذج الأب في النظام الأبوي في جانب محدّد، ولكن الأمّ لم تستطع احتمال ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها، وإن كانت هذه المهام دون تمثيل السلطة والعقاب هي التي كانت تقوم بها الأمّهات في الماضي: "لم يعدن كما كنّ منذ 30 سنة مضت، حيث كنّ أقلية لا شأن لهنّ بأي شيء، وبالتأكيد كانت النساء تمرّ بعد الرجال، دائما بعد، منذ الأزل المرأة هي المضحية، المرأة منذ ميلادها تُستقبل دون فرح وسعادة (MERNISSI . F et SAADI . N, 1991 : 12). الفرق هنا يكمن في أنّ ذلك الدور الذي كانت تقوم به الأمّ في النظام التقليدي كانت تساعد نساء العائلة في أدائه أمّا هذه الحالة فهي تقوم به لوحدها.

كما أنّ في هذه الحالة الأب غير موجود بل وعلاقته بأولاده سيئة: "أما علاقتهما بوالدهما فهي حقيقة منعدمة تماما فهو يسبّ ابنه لأنفه الأسباب، لا يجلس معهما ولا يحاورهما وكأنّه غير موجود"، وهذا ما دفع الأمّ إلى لعب دور الأمّ والأب.

سواء ضمن النظام التقليدي الأبوي أو أي نظام عالمي آخر، فإنّه لكلّ من الأب والأمّ دور خاصّ منحته إياه الثقافة، تبعا لما اتفق عليه أفرادها، حيث مثلا في نظامنا "يوجد في التقاليد نوع من الإقرار شرعا للوضعيات المحدّدة لكلا الجنسين في توزيع الأعمال الجنسية" (BOURDIEU . P, 1998 : 34). وهنا يمكن الحديث عن الجنسية بالطبيعة والجنسية بالثقافة وهذه الأخيرة هي التي نقصدها. وأيّ تغيّر أو تراجع لأحد الوالدين عن أداء مهامه يكون له تأثيرا على الأطفال بالدرجة الأولى وعلى النظام ككلّ. إنّ هذه الحالة هي تلعب دورين في آن واحد وهذا له تأثيره على الطفلين، اللذين سيكون لهما خلط في الأدوار وكذا إشكال على مستوى عملية التماهي، حيث يُمثّل الأب بالنسبة للولد نموذجا من أجل التماهي وإن كان غائبا فإنّ النموذج الوحيد للتماهي يبقى الأمّ، في البداية يكون ذلك عاديا بحيث يحتاج الولد للتماهي مع أمّه من أجل اكتساب العاطفة والحنان، ولكنّه في سنّ معيّنة يحتاج إلى الأب وإلا سيكون لديه لاهوية التي تحدّث عنها Schaffer . R المذكورة في الجانب النظري، أو يُؤدّي به ذلك إلى تركيب هوية أنثوية. كما يجب الإحالة أيضا أنّه حتى تبادل الأدوار بين الوالدين له تأثير، ولهذا وحتى لا يكون هناك خلط في الأدوار الأفضل أن يقوم كلّ طرف من الوالدين بمهامه المنوطة به، وربما تبني فكرة Le Camus هي الأحسن بحيث يميل إلى "الربط بين الأمّ والأب من خلال الاختلاف والتكاملية" (LE CAMUS . J, 1985 : 50)، وهو يقصد بهذا أنّ كلا من الأب والأمّ مختلفين عن بعضهما من حيث التكوين البيولوجي والنفسي ومن حيث الأدوار، ولكن في نفس الوقت كلّ منهما يُكمّل الآخر.

إذن يظهر بوضوح أنّ دور الأب صعب، وذلك لأنّه يمثّل بالنسبة للطفل في آن واحد منافسا اتجاه حب الأمّ وآخر هو ذاته، ويُمكن أن يكون موضوع حب لأنّ الحبّ والغيرة ليسا متعارضين. كما أنّ نموّ الأنا والأنا الأعلى

هما مرتبطين بشكل وثيق بالعلاقات العاطفية مع الوالدين. وفي هذا الجانب افترض A. Hesnard أن الوالدين يُمارسان على الطفل غالباً تأثيراً مضاعفاً: تأثير بنائي على سلوكه وفقاً للجنس البيولوجي، وتأثير عاطفي يُترجم من خلال تعلّم واكتساب الحب. وحسب Winnicott فإن "اتحاد الأب والأم يُقدّم للطفل حدثاً قوياً، الذي من خلاله يشكّل استهماً (...). يُقدّم كذلك ويُشكّل جزءاً من التأسيسات الطبيعية من أجل الحلّ الشخصي لمشاكل العلاقات الثلاثية" (In AJURIAGUERRA . J, 1974: 860). وبهذا نجد أنّ كل من Winnicott و Le Camus يتفقان في فكرة أن يكون الوالدين متكاملين وبالتالي متحدّين من أجل الطفل، ولا يمكن للأمّ أن تلعب دور الأب. إنّ خروج أحد الوالدين أو كلاهما عن المهام الخاصّة بكلّ منهما قد يدخلهما في متاهة، وهذا ما تعيشه هذه الأمّ التي لم تعد تستطيع تحمّل لعب الدورين معاً الأب والأمّ، وهذا ما أشار إليه Rousseau. J.J على شكل تنبيه بشكل واضح: "المصير الأثنوي الوحيد الممكن هو امتلاك الداخل. يجب على المرأة أن تترك العالم والخارج للرجل، وإلا ستعرض لعقوبة أن تكون غير طبيعية وتعيّسة. يجب أن تتعلّم المعاناة في صمت وتكرّس حياتها له، لأنّ الوظيفة الوحيدة التي منحها إياها الطبيعة هي سبيلها الوحيد للسعادة" (BADINTER . E, 242 : 1980). وهنا يقصد أنّ الأمّ إن حاولت القيام بدور غير منوط بها سيُسبّب لها التعب والحزن، وهو هنا يقصد حتى تلك التي ترغب في شغل منصب عمل، ولكن يبقى تنبيهه يخصّ فئة دون أخرى لأنّ ما سنتناوله في الحالات المقبلة سيطله.

#### • أمّ متدينة: تربية تقليدية:

تسعى هذه الأمّ كذلك إلى تربية الولدين تربية سليمة وهذا ما لاحظناه لدى كلّ الحالات السابقة وهو ما ربطناه بالفائدة الرمزية، التي تتمثل في كسب رضى الله والجنة بالدرجة الأولى، وكذا إثبات الذات داخل المحيط من خلال نجاح الأبناء وحسن تربيتهم، وهذا ما لاحظناه لدى هذه الأمّ من خلال تصريحها: "بالنسبة لي أهمّ

وأحسن شيء هو التربية السليمة والاحترام. (...) هدفني هو أن يكبر ولداي ويتعلّمان ويصبحان طبيبان ويعتمدان على نفسيهما". كما لاحظنا أنّ هذه الأم تحاول منع التماهي مع الأب حتى لا يكونا مثل الأب الذي هو مدمن على الكحول.

هناك علاقة وطيدة بين الدين والنظام الاجتماعي التقليدي الأبوي، حيث هذا الأخير يركز على الدين في جوانب كثيرة من أجل ضبط الحياة داخل المجتمع، فالدين يعتبر العنصر الأول والأهم بين العناصر الثقافية. إنّ أفراد النظام التقليدي يعتمدون على الدين في تربية أطفالهم ولهذا سميناهم تربية تقليدية. وإذا حاولنا ربط هذا الكلام بنظرية التحليل فإنّ ذلك يُحيلنا مباشرة إلى الأنا الأعلى، الذي هو "هيئة (Instance) مُكوّنة للشخصية، ينشأ في نهاية عقدة أوديب ويبقى حاضرا طيلة الحياة وعبر كلّ مراحل النمو. هو هيئة تُثري من خلال كلّ ما يُنظّم الحياة العائلية والاجتماعية" (H, LEHALLE . 34 : 1995). إنّ الدين هو أول بُعد يسدّخه الفرد كواجب، إجبار وفرض أو من خلال الحبّ خصوصا في مرحلة الكمون، ولكن ليس فقط في هذه المرحلة وإنّما يستدخل القوانين الدينية في كلّ مراحل الحياة. الأنا الأعلى هو الهيئة التي تُحدّث مانعا داخل الأنا و عمله أساسي: "إذا عمل، فإنّه يُحيط الأنا لكن يُساعده على الاندماج اجتماعيا. إذا لم يشتغل، فإنّ الأنا يكون يحتوي على نزوات كثيرة. في حين أنّ الإفراط في عمله يُمكن أن يمحي عمل الأنا و يُنتج كائنا إيديولوجيا كليا [حالة المتطرّفة]" (LEHALLE . H, 34 : 1995).

لاحظنا لدى كلّ الحالات المدروسة لحدّ الآن نشاطا للأنا الأعلى الذي تجسّد في محاولة نقل محتويات الأنا الأعلى الخاص بها إلى الأطفال. وذلك من خلال الاهتمام بالجانب الديني، عدم القيام بأيّ سلوك قد يُغضب الله أو الزوج، أو يتنافى مع الثقافة التي تعيش فيها كلّ حالة من هؤلاء. وعندما نتحدّث على أمّ متديّنة فهذا يُحيلنا إلى مفهوم الحرمة أو الحريم الذي تعيش فيه داخل النظام الأبوي، ومعنى مفهوم الحريم في الإسلام: "كلّ ما هو

ذو حرمة مثل الزوجة والأم والأخوات وبنات العم" (سعد الله . أ، 2007: 190). وكلّ هؤلاء كان لهم دور تربية الطفل تربية دينية تقليدية تحت إشراف الأب أو الجد الأكبر في حضن العائلة الأبوية.

في الواقع إنّ الأب هو الذي الحامل للقانون وهو من يمرّره إلى الأنا الأعلى الخاصّ بالطفل: "الأب هو في آن واحد بالنسبة للابن شخص ذو تأثير وهيبة، المتكلّم الرسمي وحامل لقيم الأسلاف، ناقل للقانون العرفي والنظام التقليدي، الأب أيضا هو رجل دين، ومسؤول عن التدين العائلي، هو معلّم يُعلّم أبناءه أصول الدين والقانون الديني" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :62). ولكن لغيابه في هذه الحالة فإنّ الأم هي من تولّت ذلك.

#### • العلاقة أخ-أخ في النظام الأبوي:

نوّمت الحالة فيما يتعلّق بعلاقة ولديها فيما بينهم أنّها جيّدة: "علاقتهم مع بعضهما جيّدة وذلك راجع لفارق السنّ بينهما"، وهذا ما يحيلنا مباشرة إلى ما تطرقت إليه Tillon . G في كتابها "الحريم وأبناء العم" ( Le harem et les cousins) حول العلاقة التي تربط الإخوة ببعضهم البعض، وعن ضرورة احترام الأخ الصغير للأخ الكبير وكذا عطف الكبير على الصغير.

منذ القديم وتقريبا في العديد من المجتمعات كان الابن الأكبر يحظى بمكان واهتمام كبيرين من قبل العائلة ككلّ، ففي بعض الثقافات كان هو الوحيد الذي يرث كلّ ثروة والديه بالرغم من وجود ذكور آخرين في العائلة، وحتى تربيته كانت تختلف عن تربية إخوته، مثلا كانت الأم تهتمّ بتربيته والعناية به شخصياّ أمّا أطفالها الآخرين فتؤكلهم إلى المريبة، أو إلى نساء أخريات داخل العائلة. كان هناك "عدم مساواة مدهش بين الأطفال، حسب سنّهم والمكان (Place) الذي يشغلونه داخل العائلة" (BADINTER . E, 1980 : 79). حيث كان اهتمام الأم ينصبّ على الابن الأكبر دون إخوته: "الأمّ التي تمنح ابنها الأكبر كلّ الميراث، عوض أن تُقسّم حبّها



على كل أطفالها وخصوصا الأصغر منهم حتى تُعوضهم عما قد يخسرونه من ثروة بسبب عدم ميراثهم، فإنها تهتم بالأكبر وتحتفظ به بجانبها منذ الطفولة الأولى" (BADINTER . E, 1980 : 81).

نجد هذا الاهتمام بالابن الأكبر في ثقافتنا الأبوية أين الجدّ هو الذي يُسيطر على جميع أفراد العائلة، وغالبا ما يكون مُساعدته ونائبه إن كان غائبا هو الابن الأكبر، والذي يخلفه بعد وفاته، ويحلّ محلّه وغالبا ما يتّهب نفس طريقته في تسيير الأمور ومعالجتها. يُوجد في هذه الثقافة تدرّج بين الإخوة، وهذا ما أشارت إليه G. Tillon في كتابها (Le harem et les cousins): "الأخ الأكبر هو تقريبا أيضا مُحترم كَأب، يجب خفض العينين في حضوره، عدم التّدخين أمامه، الابتعاد عندما يكون في اجتماع مع رجال من أجل عدم المخاطرة بسماع مزحة التي قد تجعله يحمرّ في حضرة أخيه الأصغر. في العديد من العائلات المغاربية، يُنادي الإخوة الأصغر أخاهم الأكبر بـ "سيدي" وعكسا الأخ الأكبر حتى قبل أن يصبح مراهقا يأخذ عادة التعاطم مع إخوته الأصغر وأخواته" (TILLON . G, 1966 : 108).

إذن العلاقة أخ-أخ في هذه الحالة يسودها الاحترام، تبعا للتربية التقليدية التي تلقاها الأخوين من الأمّ التي تنتمي إلى نظام تقليدي، مع تغير بسيط وهو عدم الانحياز لأحدهما دون الآخر، بحيث هي تُعاملهما بشكل متساو.

فيما يتعلّق بالعلاقة أب-ابن فهي من جانب سيئة للغاية وهذا راجع من جهة للإدمان ومن جهة أخرى لإهمالهما. وفي الواقع هي تتميّز بخصائص النظام الاجتماعي التقليدي أين كان الأب قليل الاتصال بالابن حتى وإن كان أكبر أولاده وقليل التحوار والحديث معه. بل كان الابن يلجأ إلى الأمّ لطلب شيء من الأب وأحيانا يلجأ إلى العمّ وكلّ ذلك احتراما وخشية من الأب، وهذا ما تطرقنا إليه في الفصل النظري عند الحديث عن علاقة القرابة الأولية.

وبما أنه طرأت تغييرات على النظام الاجتماعي فإنه من بقي كنموذج من النظام السابق يُرى على أنه شاذ وغير عادي.

### • الرضاعة الطبيعية والفظام:

عندما تصبح الأم حاملا فإن ذلك يُحدث تعديلات اقتصادية مهمّة (ارتفاع الليبدو النرجسي على حساب لبيبدو الموضوع). وانطلاقا من هذه اللحظة يأخذ الطفل الخيالي ثقلا أكثر ووجودا، وهنا الأم وانطلاقا من ذكرياتها واستهوماتها الخاصّة بالرغبة "تُشكّل جسما متخيّلا لهذا الطفل، مثلا: تُعطيه مسبقا طبعاً وميزة (الوجه، لون الشعر والعينين،...) الذي تُحاول أن تجده بعد الميلاد " (BERGERET . J, 1979 : 216). عندما تنتهي مرحلة الحمل تكون الولادة أين يعاني المولود من صدمة الميلاد، والتي تمّ الإصرار على أهميّة هذه الصدمة بالنسبة للطفل ودورها كمؤشّر للقلق: "في الواقع الأم تعيش هي أيضا تعديلا مفاجئا في استثماراتها، انفصالا وفقدان لجزء منها. هذا الإحساس يتناقض من خلال تبعية الطفل لها، والذي يُمكنها أن تتخيّله أنه جزء من جسمها" (BERGERET . J, 1979 : 216). تكون هذه التبعية تتمثل في الرعاية وكذا الإطعام وبالخصوص عن طريق الرضاعة الطبيعية.

كانت الرضاعة الطبيعية طويلة المدة لدى هذه الأم، والفظام كان في حوالي سن 4 سنوات وهذا ما كان متواترا في النظام التقليدي، حيث كانت تدوم الرضاعة طبيعية حوالي سنتين أين يعيش الطفل والأمّ معا انفصالا آخر بعد ذلك الذي حدث عند الميلاد أين خرج الرضيع إلى العالم الخارجي وانفصل عن أمّه وسبّب له ذلك قلق أولي، وكذا أثر على الأمّ التي شعرت أنّها فقدت عضوا من أعضائها كما ذكرنا منذ قليل. يسمّى هذه الانفصال الثاني بالفظام. هنا يُلاحظ بوضوح استقلالية الطفل وابتعاده تدريجيا عن الأمّ. هذه الحالة تجاوزت الفترة المحدّدة للفظام وذلك شفقة على الولدين: "كانت رضاعتها طبيعية ولم أفطمها حتى سنّ أربع سنوات لأنّه كنت أشفق عليهما

(خليتهم حتى سن 4 سنين يعضوني)". إن الرضاعة الطبيعية هي فترة مهمّة في الممارسات الأمومية لأنّ الطفل يبقى بجانب أمّه في تواصل جسدي معها طيلة النهار وحتى في الليل، حيث ينام معها في الغرفة وفي الأربعين الأولى ينام معها في فراشها، وهذا ما أشارت إليه هذه الحالة والحالات الأخرى عن نوم الطفل في غرفة والديه: "هما منذ ميلادهما ينامان معي في الغرفة إلى يومنا هذا".

إنّ العلاقات التي تربط بين الأمّ وطفلها تكون ضيّقة بالخصوص في الطفولة الصغرى أين يتمركز جلّ اهتمامها حول الطفل، فهي حاضرة من أجله باستمرار، في حين دور الأب في هذه المرحلة يكون شبه مُنعدم وهنا نحن نقصد النظام التقليدي، لأنّ قد طرأت بعض التغيّرات التي سنشير إليها في الفصل الموالي. في بعض المناطق في الجزائر تمنح الأمّ كلّ وقتها وجهدها خلال الأربعين يوما الأولى للطفل، حيث تقضي ساعات طويلة بالقرب من رضيعها طيلة يوم. كما أنّها تعتمد في تغذيتها على كلّ ما يفيد طفلها الذي تمنحه رضاعة طبيعية، حيث أنّ هذه الأخيرة تلقى اهتماما كبيرا لدى الأمّهات اللاتي يُقيمنها على أنّها رمز للأمّ الجيّدة، كما أنّ الطفل يُشارك والديه في الغرفة. وهنا يُلاحظ أنّ التواصل الجسدي هو جيّد وذو قيمة، حيث غالبا ما تحمل الأمّ الطفل بين ذراعيها وتحضنه، وهذا دليل على أنّ العلاقة جسم-جسم هي مستمرة. وكلّ ذلك يُمكن تلخيصه من خلال ما هو متداول أنّ للأمّ عاطفة كبيرة اتّجاه طفلها، فالحب الأمومي "هو كقيمة في آن واحد طبيعية واجتماعية، مواتي ومفضّل للأمّ والمجتمع" (BADINTER . E, 1980 : 138)، ويُقصد بطبيعية أنّ العاطفة الأمومية تُولد مع كلّ فرد من جنس أنثوي، ويُركّزها الجانب الاجتماعي وما يحمله من مكاسب وإغراءات. ويقول في هذا الصدد Muldworf: "يوجد في عمق كلّ امرأة أمّا نائمة التي تكون أمّا منذ اللحظة التي تحمل فيها (...)" (In POUSSIN . G, ) (2004 : 17).

• أنا أم فقط: أنا راضية على نفسي كأم:

تري الحالة نفسها تقوم بدورها كأم على أكمل وجه وهي راضية عن نفسها كأم، وتضيف إلى أنها أم فقط: "أنا راضية عن نفسي كأم والحمد لله، بل وأرى نفسي أمًا فقط لا غير"، وهنا يجدر بنا التوضيح بما تقصده بأنها أم فقط حتى نتجنب التعارض ما ذكرناه سابقا أنها أم وأب في نفس الوقت. تقصد الحالة بأنها أم فقط بمعنى أنها تمارس أمومتها دون أن تكون زوجة في حضور الزوج بل تواصل احتلال نفس المكان (الأم) طيلة الوقت، كما أنها تعتبر المنزل والولدين هم مملكتها الخاصة، وهذا يعني أنها مقتنعة بذلك ومندمجة فيه من أجل تحقيق الشخصية، أما عن مشروع حياتها فهو متعلق بأولادها حيث أشارت أن نجاح أولادها هو هدف لها: "هدفي هو أن يكبر ولداي ويتعلمان ويصبحان طبيبان ويعتمدان على نفسيهما"، وهذا ما وضّحته . Lacoste-Dujardin C "بالنسبة لمغربية أن تكون امرأة ليس العيش مع رجل، وإنما الحصول على ولد. كلما أنجبت طفلا ذكرا لزوجها وخاصة للنسب الأبوي، فإنها تصنع لنفسها أولادا، الرجال الوحيدين والحقيقيين في حياتها [ونجاحهم هو نجاح لها]" (In SID LARBI-ATOUCHE . Kh, 2001 : 91).

في النظام الاجتماعي التقليدي مكان المرأة في داخل المنزل، فهي التي تتحكم في كل ما يتعلق بالداخل بينما الخارج خاص بالرجل. لهذا قد تدخل الفتاة المدرسة ولكن سرعان ما تتركها في سن مبكرة من أجل المكوث في المنزل، الفضاء المخصص لها فقط، أين تتعلم أمورا جديدة تختلف عن تلك التي تلقّتها في المدرسة. أمّا الولد فإنه يُتابع دراسته لأنّ المدرسة موجودة في الفضاء الطبيعي الخاصّ به: الخارج. و تعيش البنت وسط مجموعة من النساء لديهنّ نفس الإيديولوجية و بالتالي تستدخل ذلك وفي المستقبل تصبح مثلهنّ، وتسعى إلى تحقيق هدفها الوحيد المستدخل من خلال تفاعلها مع جماعة النساء تلك ألا وهو الأمومة: "إنّ الأمّ هي كائن أنثوي والتي لا يُمكنها أن تكون كائنا غيره أو سواه (NAOURI . A, 2004 : 144)، ليصبح في الأخير مملكتها الخاصة.

إنّ للمنزل مكانة مهمّة في عالم المرأة التقليدية، والذي يجب أن يكون لها مكان (place) فيه. ولبلوغ هذا المكان على البنت الصغيرة استدخال مجموعة من الأمور، و الناقل الرئيسي هنا هي الأمّ التي لها دور كبير في تنشئة البنت: "يتوجّب عليها أن تتعلّم التسيير الحسن للمنزل وتُثبت وجودها المنزلي" (BOUTEFNOUCHET, 1980: 71).

أمّا بالنسبة للمدرسة فهي تحتلّ مكانة ثانوية بعد المنزل ودخولها إن سُمح للبنت به يكون من أجل تعلّم المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة وبعض المعارف التي قد تدوم فقط في المرحلة الابتدائية، وسُمح للبنت بذلك بعد العديد من المطالبات والاحتجاجات ونأخذ على سبيل المثال ما دعا إليه قاسم أمين: "المرأة لا يُمكنها أن تُدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف والعلوم العقلية والأدبية. فيجب أن تتعلّم كلّ ما ينبغي لأن يتعلّمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقلّ حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يُوافق ذوقها وإتقانه بالأشتغال به متى شاءت" (أمين . ق، 1988: 18).

إذا حاولنا مقارنة الأمّ في نظامنا التقليدي ما هو موجود في المجتمعات الغربية نجد أنّ في هذه الأخيرة ميلاد الطفل يُؤكّد انشطارا اندماجيا لدى المرأة، حيث أنّها تصبح أمّا لكن لا تنسى أنّها في نفس الوقت امرأة وزوجة. أمّا في المجتمع الجزائري فإنّ مجيء طفل يُؤدّي إلى تخفيف دور الزوجة وتوظيف مضاعف (Double investissement) وقوي لدورها كأمّ مثلما لاحظناه لدى هذه الحالة، وبالتالي لا وجود لامرأة أو زوجة وإتّما هناك أمّ، حتّى فيما يخصّ كون المرأة في البداية بنت فلان ثمّ زوجة فلان ولكن في مدّة قصيرة تصبح أمّ فلان وهذه الأخيرة تطغى وتُهيمن على الباقي. إذن تسعى المرأة في النظام التقليدي لأن تكون أمّا أكثر من كونها تعيش مع رجل: "امرأة، ليس العيش مع رجل، إنّما امتلاك ولد. لأنّها تتبعد عن زوجها فإنّه يكون لديها توظيف مفرط (Surinvestissement) في علاقتها مع ولدها" (BOUZAR . D et KADA . S, 2003 : 178).

فيما يتعلّق بالعلاقة أب-طفل فهي تحدث بوساطة الأمّ، حيث يعود لها دور إدخال الأب في العلاقة في هذا النظام، فهي غالبا ما تنقل لطفلها صورة عن الأب تجعله يخشاه ممّا يُؤدّي إلى عدم الاقتراب منه وتحديد التعاملات معه.

### • نظام تقليدي: تربية البنت صعبة:

تري الحالة أنّ تربية الولد أسهل من تربية البنت: "وإن كنت أحب الولد لأنّ تربيته سهلة مقارنة بالبنت فمثلا ولداي يستجيبان لما أطلبه منهما دون نقاش، يهتمّان لما أقدمه من نصائح، حنونان (يساعفوني)، أمّا لو كانت لدي بنت فإنّها أكيد ستفعل عكس ما أطلبه منها كما أنّها تُمثّل مسؤولية كبيرة خصوصا في وقتنا هذا، فتربية البنت لم تعد كما كانت في السابق"، وبهذا لديها ميول لجنس الولد بحجّة أنّه لا يوجد صراع معه مقارنة مع البنت، وهذا يُحيلنا إلى عقدة أوديب من جهة حيث أن إحياء عقدة أوديب يكون في المراهقة ويكون بالنسبة للولد منافسة مع الأب وبالنسبة للبنت منافسة مع الأم: "ترغب البنت في الإفلات من تأثير أمّها ويملؤها الحقد والغضب ضدّ أمّها. نجد لديها جهد كبير لتحطيم الصلات مع الأم" (TOURRETTE . C et GUIDETTI . M, 2002 : 68)، ولهذا قد تكون علاقة البنت بأمّها سيّئة وتتسم بالعناد والمنافسة، ومن جهة أخرى يُمكن الإشارة هنا إلى عقدة جوكاست *Jocaste* التي تحدّثنا عنها سابقا، حيث يكون للأمّ تعلق بابنها.

بالإضافة إلى رأي الحالة في أنّ تربية البنت صعبة فإنّه هناك تمييز بين ولد و بنت: "معظم أفراد النظام التقليدي يُحيدون إنجاب الولد عن البنت و يُظهرون تفرّقا في التعامل معهما، باعتبار البنت غير مفيدة إلا لزوجها، أمّا الولد فهو مفيد أكثر بحيث يُنتج و يتكفّل بوالديه و يُبقي على استمرار اسم العائلة" (LACOSTE- 211 : 1991 . C, DUJARDIN). وعلى هذا الأساس توضع طرق تربية كلّ منهما. ويتمّ التأكيد بالخصوص على الاهتمام بالبنت لأنّها بيدها شرف العائلة ويُمكن في أي لحظة فقدانه بسببها ولهذا يجب تنبيهها باستمرار ومراقبتها: " تُربّى الفتاة في النظام التقليدي على الخوف من الجنسية، وكذا جهل العديد من الظواهر الطبيعية لجسمها" (EL SAADAoui . N, 1983 : 112).

تكون مسؤولية مراقبة البيت تقع على عاتق الأم بالدرجة الأولى، نساء العائلة ككل وبالخصوص الإخوة: "إنّ بكارة الفتيات في البحر الأبيض المتوسط كلّ، شمالا وجنوبا، مسألة تهمة أولا إختوتهنّ، وتهمة الأخ الأكبر أكثر من الإخوة آخرين. فالذكر الصغير ذو سبعة أعوام يكون مدرّبا سلفا على القيام بمهمة المصاحب/المراقب لمراهقة فاتنة، ويعرف بالضبط أي نوع من الخطر هي معرّضة له، حيث هذا الخطر يُقدّم للطفل كسبب لعار مخيف، يُسقط كلية العائلة المعترّة بكبرياتها في الدناءة، ويُطّخ حتى الأجداد الأماجد في مقابرهم، وهو شخصا الصبي القاصر المسؤول أمام ذويه عن رأس المال الصغير والخاصّ جدّا للشابة الجميلة التي هي بمثابة خادمته، أمّه، موضوع حبّه، وغيرته، باختصار: أخته" (تيلون . ج، 2000: 116-117).

بالإضافة إلى مراقبة البنت فإنّه يتمّ إلزامها بالحجاب، والذي تطرقنا إليه في الجانب النظري حيث أشرنا إلى أنّه يعني حجب البنت عن المحيط الخارجي، وكذا اللباس أين يتوجّب عليها ارتداء ملابس محتشمة، ويكون ذلك في مواقف معينة: "داخل العائلة لا تتحجّب المرأة لكن تبقى داخل العالم الأنثوي، المخفي، وكلّ شيء يتمحور حول القواعد التي تُكوّن العائلة. إنّّه واضح أنّه داخل العائلة أين القوّة والمقدرة (Pouvoir) للنساء تُمارس بشكل إيقاعي خلال قرون والتي تشكّلت بتمهّل، وانتقلت من جيل إلى جيل" ( : EL KHAYAT . GH, 1988 ).

إنّ مكانة المرأة الاجتماعية هي مهمّة جدّا إلى درجة أنّها تفعل أي شيء من أجل الحفاظ عليها، وهذا ما صرّح به Boucebcı . M على شكل ملاحظات: "عكسا لما هو ملاحظ في الدول المتقدمة أين أغلبية فاعلي قتل الأطفال هم مرضى عقليين، في الجزائر يتعلّق تقريبا وحصرها بالنساء الأرامل، المطلقات أو العازبات، بالنسبة لهنّ الجريمة لم تحدث إلا خشية من فقدان مكانتهن (Statut) الاجتماعية" (MERNISSI . F et SAADI : 61 : N, 1991). وهنا تظهر أهمية التربية السليمة للبنت ومراقبتها المستمرة، وكذا تظهر لنا أهمية الزواج والنجل من إقامة علاقات جنسية وإنجاب خارج إطار الزواج.

### خلاصة الحالة الخامسة:

إنّ هذه الحالة لا تختلف عن الحالات السابقة، فهي أيضا تُمثّل لنا نموذجا للأمّ في النظام التقليدي، أين وجدنا أنّها تقوم بالممارسات الأمومية الخاصّة بها دون أي مساعدة من طرف الأب، الذي هو غائب عن الثالوث العائلي. يُمكن الإشارة إلى أنّه يوجد بعض التغيير الذي طرأ على هذه العائلة التقليدية، وذلك فيما يتعلّق بعدد الأطفال، حيث أنّ هذه الحالة تبلغ من العمر 36 سنة وزوجها 50 سنة ولهما ولدين فقط، وهذا ناتج عن تحديد النسل تماما مثلما تطرقنا إليه في الحالات السابقة، ففي سنهما كان لأمثالهم العديد من الأبناء بالإضافة إلى الأحفاد.

إذن في هذه الحالة مكان الأمّ والممارسات الأمومية لم تتغيّر عمّا كانت عليه في النظام التقليدي، بل هذه الأمّ حافظت على ما استدخلته طيلة طفولتها مع الأمّ وطبقته مع أطفالها.



## II- الحالات العاملة:

### 1- الحالة الأولى:

أم تاجرة: "نتقاسم المهام، سهل هو العيش"

**Mère commerçante:** "On partage les taches, c'est facile de vivre"

### 1-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2013/09/28، في متجر الحالة بمدينة تيزي وزو على الساعة 12:45 ودامت حوالي الساعة. كانت الحالة ترتدي سروالا و قميصا و شعرها ممسوك إلى الوراء، كانت تتكلم بثقة بالنفس كبيرة، كانت تتكلم بالفرنسية في الأغلب مع إدخال كلمات بالعربية والأمازيغية. استقبلت الحالة الطلب بصدر رحب و لم تُمانع وعندما أخبرناها بموضوع بحثنا قالت: "الدليل واضح ابني يتناول أكل خفيف جاهز (Sandwich) كوجبة للغذاء في المحلّ، هناك تغيّر في ممارسات الأمّ" قالت ذلك و هي تبتسم وتنظر إلى ابنها الذي كان جالسا يأكل داخل المتجر.

ثيزيري (Thiziri) عمري 33 سنة، أعمل تاجرة، ولدي طفل واحد سنه 08 سنوات أعمل كتاجرة منذ 2001 في مجال بيع وسائل الإعلام الآلي، أنا امرأة تعمل من 08 سا صباحا إلى أحيانا 19 سا مساء، بعد ذلك أدخل للمنزل حيث يجب تحضير العشاء، القيام بالأشغال المنزلية... المهمّ المرأة هي تفكر (تختم) أكثر من الرجل و تعمل أكثر من الرجل. لكن و لحسن الحظ يوجد بعض الرجال أو الأزواج الذين يساعدون زوجاتهم، أنا الحمد لله زوجي يساعدني في المنزل بمعنى أنّنا نقتسم الأشغال في كلّ شيء وكلّ يوم، مثلا أذهب للطبخ و هو يقوم بتحميم الطفل وهكذا نستمرّ، بمعنى نتعاون فيما بيننا.

وهذا على حسب كل زوجين كيف يتعاملان فيما بينهما وهذا هو المهم، فأنا مثلا لا أجد أي صعوبات لماذا؟ لأنّ زوجي يساعدني، لا أحس بالتعب أبدا.

كما قلت حتى و لو كان ابني نائما أنا أهتمّ بإنجاز أمور معينة و "هو" (الزوج) ينشغل بالقيام بأمر أخرى مغايرة، و ليس أنا أنشغل و هو يرتاح، نتعاون مع بعض. هو يعمل في الخارج و أنا كذلك أعمل في الخارج، فحتى في المنزل نتقاسم المهام، هو أيضا يعمل تاجر.

فيما يخص علاقتي بابني في كلّ الحالات من 08 صباحا حتى 14:30 يكون في المدرسة، وإلا فإنه يقضي باقي الوقت كلّه معي في المحل. وعندما كان رضيعا بقيت معه في المنزل حتى بلغ 09 أشهر بعدها أدخلته إلى الروضة و كان يبقى هناك من 09 سا صباحا حتى 16 سا مساء، تلك 09 أشهر لم أعمل بقيت في المنزل، كانت الرضاعة طبيعية و كان الفطام عندما بلغ 14 شهر. من الناحية الاهتمام به ورعايته كنا نتعاون مثلا أنا أُغَيّر له ملبسه، أمّا أبوه يُطعمه بالملعقة، يُغَيّر له الحفاظ ويُحمّمه، وعندما دخل الروضة كنّا نتناوب على أخذه إليها، أحيانا أنا وأحيانا أخرى أبوه.

فيما يخصّ النوم كان ولا زال ينام وحده في الغرفة منذ كان سنه 09 أشهر، وعندما يستيقظ أو يبكي في الليل أو يخاف فإنّ أباه هو من يستجيب له ويؤاسيه وأحيانا ينام بجانبه عندما يكون خائفا. في الصباح أحيانا أوقظه أنا وأحيانا أبوه ونجهزه للذهاب للمدرسة بمعنى نتعاون على ذلك.

أحيانا أرى نفسي مقصرة في حق طفلي أي أنني أهمله كثيرا مثلا أحيانا ندخل المنزل عند 17 سا مساء ولكن أحيانا يبقى معي في العمل في المحل حتى 20 سا مساء حيث ندخل متأخرين للمنزل وهذا يعني أنّه مهمول.

أنا متشددة في تربيتي له و هي ليست التربية التي تربيت عليها أنا، إذ أنه وخصوصا في هذا الوقت يجب عدم ترك الأطفال يفعلون ما يريدون دون مراقبتهم، وإذا أخطأ أنا من تعاقبه في حين يُواسيه أبوه عندما يبكي، أنا أرى نفسي كأمّ متحملة للمسؤولية أي أنني مسؤولة، أمّ جيّدة، و لكن مع ذلك أنا أرى نفسي امرأة عاملة أكثر من أمّ أو زوجة.

أتمنى أن يكون ابني في المستقبل ناجحا وألا يخرج عن الطريق الصحيح، أن يكون عاملا ناجحا في حياته، هذا كل ما أتمناه.

يوم عادي بالنسبة لي يبدأ في الصباح بتحضير الحليب و القهوة أي فطور الصباح، أحيانا أنا أجهّز الطفل وأصحبه للمدرسة وأحيانا أبوه، بعدها أتوجه للعمل من 08 سا صباحا إلى غاية أحيانا 19 سا مساء، كثيرا ما أحضر ابني من الروضة أو المدرسة، عندما أعود للمنزل أقوم بالأشغال المنزلية: أحضّر العشاء، أغسل الملابس، الأواني،.... هذا لم يمنعي من العمل ولا حتى الزواج والأمومة فهما لم يكونا أبدا عائقا بالنسبة لعملي، نحن نتقاسم المهام وبالتالي سهل هو العيش، مثلا البارحة خرج زوجي وابني في نزهة و بقيت أنا في المنزل أجهّز العشاء، عندما عادا تعشينا سويا، بعدها قام هو (الزوج) بغسل الأواني ونظف المطبخ جيّدا، وأحيانا أخرى يساعدني ابني في تجهيز طاولة العشاء.

هدفي في الحياة هو ابني أنا أعمل من أجله(راني نخدم على جالو).

## 1-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي هذه الحالة إلى المجتمع الأمازيغي الذي كانت تسوده ثقافة أبوية ولا زالت متواجداً في ذهنية أفرادها، بالرغم من التحولات التي طرأت على المجتمع ككل، وسيتم الإشارة إلى ذلك لاحقاً. هي أمّ لطفل واحد، وتعمل تاجرة حيث تملك محلاً لبيع وسائل الإعلام الآلي.

### • تقليص عدد الأطفال:

إنّ أول ما شدّ انتباهنا في هذه الحالة هو أنّ لديها طفلاً واحداً سنه 8 سنوات بالرغم من أنّ هذه الحالة تجاوزت الثلاثين، في حين أنّ في النظام التقليدي كانت الأمّ في هذا السن وكذا سن الطفل يكون لها أكثر من طفل. وهذا له علاقة بالتغيّر الذي اجتاحت المجتمع الجزائري. وهذا الظاهرة هي منتشرة في مختلف أرجاء العالم.

إنّ انخفاض عدد الأطفال هي ميزة أو خاصية أصبحت تُميّز مختلف بلدان العالم الغربي وحتى العربي: "نسبة الإنجاب الإجمالي انخفضت تدريجياً مقارنة بالماضي، حيث في بعض البلدان لوحظ انخفاض مفاجئ جدّاً، والإنجاب لا يتعدّى طفل أو حتى طفلين فقط. وهذا يُشير إلى تحولات أساسية في الحياة العائلية" (BOUTIN . G et DURNING . P, 1999 : 23). هذا له علاقة وطيدة بابتعاد المرأة عن الفضاء المخصّص لها ألا وهو الفضاء الداخلي، والانشغال بمكان آخر مخالف تماماً لما كان موجوداً في النظام التقليدي.

### • امرأة عاملة أكثر من أمّ وزوجة: هوية عملية:

صرحت الحالة أنّها ترى نفسها امرأة عاملة أكثر: "أنا أرى نفسي امرأة عاملة أكثر من أمّ أو زوجة"، هذا ما نسميه بالهوية المهنية (Identité professionnelle)، وتظهر هذه الهوية هي المسيطرة أكثر من أمّ وزوجة،

وهذا ما هو المهمّ وما يُشير إلى التغيرات التي حدثت على مستوى مكان الأم ومكانتها ودورها. كان للأمّ في السابق هوية واحدة لكن في هذه الحالة يظهر أنّ لها هويتين: هوية في الداخل (أمّ) وهوية في الخارج (عاملة).

الحالة هنا لديها وعي بأنّها تشغل ثلاث أمكنة عاملة - أمّ - زوجة، وهذا يُوضّح لنا أنّ هناك تغييرا الممارسات الأمومية، حيث كان الدور الرئيسي للمرأة هو الأمومة، والدور المهمّ هو وقوفها على كلّ ما يحتاجه الطفل، لكن في الحالة هنا يظهر أنّ ما لديه الأهميّة الأكبر هو الانشغال الخارجي أي الانشغال بالعمل خارج المنزل، الذي أخذ الأولوية عند المرأة و بالخصوص عند الأمّ. وبهذا أبرزت الحالة الأمكنة الثلاث على شكل سلّم.

هنا الهوية الجديدة طغت على الهوية السابقة التي قلّ دورها على ما كان عليه في السابق، أي وقت الأمومة التي كان يتميّز بالامتداد في الماضي تقلّص في الحاضر، فبقاء الحالة مع طفلها باستمرار لم يتجاوز 9 أشهر وهذا لا يتعلّق بالأمومة فقط، بل يتعلّق بالوقت المخصص للاهتمام بالأشغال المنزلية كذلك. وهذا أيضا يُفسّر لماذا هناك تقليص للولادات الذي تحدثنا عنه منذ قليل. وقد أشار Gadant . M و Kasriel . M إلى أنّ: "في بعض العشريّات الماضية كانت النساء في العالم العربي يقضين وقتا روتينيا وإيقاعيا من خلال الزواج، الحمل المتكرّر، إخضاعهنّ لتنشئة اجتماعية في حدود الحياة العائلية (...)، لم يكنّ كثيرات اللاتي يعملن، ولكن لم ينقطعن عن إنجاب الكثير من الأطفال. لكن تدريجيا النشاط المهني دخل حياتهنّ [وغيرها]" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 13).

إنّ الممارسات الأمومية هي مستمدّة من الثقافة، وما كان موجودا في النظام التقليدي هو أنّ من يقوم بهذه الممارسات هي الأمّ بالدرجة الأولى، وقد يُساعدها بعض النسوة في العائلة إذا كانت العائلة كبيرة مثل الجدّة أو العمّة، ولكن يكون ذلك في أمور بسيطة، أمّا الأمّ فتتكفّل بكلّ شيء يتعلّق بطفلها. ولكن حاليا نجد أنّ الأمّ أصبحت تدفع المال لامرأة أخرى من أجل التكفّل بطفلها أو تدخله إلى الروضة مثلما فعلت هذه الحالة، و هذه الظاهرة انتشرت مؤخرا بشكل ملحوظ و كبير.

أصبح للعمل لأهمية كبيرة لدى المرأة إلى درجة أنّ عدم عملها صار عاملاً من العوامل المؤدّية للاضطرابات النفسية، حيث أنّ الدراسة التي قام بها Brown و Harris (1978) كشفت على أنّ: "عندما تكون المرأة محصورة في المنزل مع ثلاثة أطفال أقلّ من 14 سنة، ودون دعم الزوج يُشكّل كوكبة من عوامل الحساسية والتي تكون غالباً مؤدّية للاكتئاب" (TOUSIGNANT . M, 1992 : 156). فالمرأة الماكثة بالبيت أصبح يُنظر إليها من طرف المرأة نفسها أنّها غير فعّالة، وبالتالي عليها البحث عن وسيلة غير الأمومة للإثبات ذاتها.

وكذلك أثبتت الدراسات التي عالجت الأدوار في السنوات الأخيرة أنّ: "كلّما دخلت المرأة في ميادين مختلفة من العمل، شكّل ذلك صحّة نفسية أفضل. وكلّما كانت متزوجة والزوج يُشاركها في كلّ الأمور كلّما قلّت أعراض الاكتئاب أو الأعراض العضوية" (TOUSIGNANT . M, 1992 : 165). وطبعاً هذه الدراسة تبقى نسبية ولا يُمكن تعميمها على كلّ المجتمعات، لأنّ مصطلح الصحة النفسية هو في حدّ ذاته نسبي لأنّه يختلف من مجتمع إلى آخر وداخل نفس المجتمع، وهذا ما أشار إليه الباحث فقيه العيد حول الالعامل الثقافي والصحة النفسية: " إنّ الحصة النفسية نسبية وما يُؤكّد ذلك العامل الثقافي، إذ تختلف المبادئ والقيم وصور السلوك من ثقافة إلى أخرى. في كثير من الأحيان إنّ ما يعتبر سلوكاً سوياً في ثقافة ما يعتبر سلوكاً شاذاً في ثقافة أخرى، خاصّة إذا كان هناك تباين كبير بين الثقافتين" (فقيه . ا، 2005: 20). ويضيف فيما يتعلّق بداخل نفس المجتمع: "وفي بعض الأحيان نجد في الثقافة الواحدة نسبية الصحة النفسية عبر محوري الزمان والمكان، ويرجع ذلك إلى عملية التغيّر الاجتماعي والاقتصادي. مثلاً هناك الكثير من السلوكات التي كانت تبدو سوية داخل المجتمع الغربي في القرون الوسطى أصبحت تبدو غير سوية في المجتمع الغربي الحديث" (فقيه . ا، 2005: 20).

وقد تطرّقنا إلى هذا حتى نوضّح أنّه ليس بالضرورة أنّ الأمّ الماكثة بالبيت قد تعاني من مشكلات أو اضطرابات نفسية، وتبقى هذه الدراسات تخصّ عينة ومجتمع معيّن.

• الروضة والأمومة الجديدة:

لم تكن المرأة أو بالأحرى الأمّ عبر التاريخ المحلي تتخلّى عن طفلها مهما كانت الظروف إلا في الحالات الخاصة والضرورية، ولكن في هذه الحالة تمّ إدخال الطفل إلى الروضة في سن 9 أشهر: "عندما كان رضيعا بقيت معه في المنزل حتى بلغ 09 أشهر بعدها أدخلته إلى الروضة و كان يبقى هناك من 09 سا صباحا حتى 16 سا مساء". "إنّه سن مبكّر جدّا لانفصاله عن الأمّ، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ عن التغيّر الذي طال ممارسات الأمّ: "هذا يدلّ على تغيير في منظور الأولياء إلى دورهم التربوي وتوكيل جزء من صلاحيتهم إلى مؤسّسات التربوية للطفولة الصغرى" (معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 63).

ما هو ملاحظ في الآونة الأخيرة هو ظهور الروضة كظاهرة جديدة، والعامل الرئيسي لظهورها هو أنّ الأمّهات لم يعد لديهن الوقت اللازم للاهتمام بالأطفال، والأشغال المنزلي، والعمل، ولهذا فالغرض من الروضة هو: "تخفيض التعارضات وعدم إعطاء العمل طابع جبري، ولهذا تمّ وضع مؤسّسات حماية ضرورية هي: الروضات، المطاعم في المدارس، حديقة الأطفال،... (Collection de « visage de l'Algérie », 1976 : 50).

إنّ بدخول المرأة إلى مجال العمل فهذا يعني أنّ هناك مهام جديدة ظهرت بالإضافة إلى المهام التي كانت لديها، وبالخصوص إذا كانت متزوجة ولها أطفالا، ولصعوبة تنفيذ كلّ تلك المهام فإنّ ضحّت ببعض منها لأجل أخرى، فمثلا أنقصت من الممارسات الأمومية من أجل ممارسة العمل، وذلك من خلال البحث عن من يخلفها في غيابها، وهنا دخل دور الروضة: "تأسّست دور الحضانة من أجل عدد كبير من الأمّهات العاملات، وهي تُشكّل حلاّ للاهتمام بالطفل في غيابها، وازداد عدد هذه الدور تدريجيا تبعا لارتفاع نسبة الأمّهات العاملات" (Présence de femmes, 1986 : 182). إذن هناك علاقة وطيدة بين دخول المرأة للعمل وظهور الروضة:

"عندما تعمل الأمّ فإنّ الأطفال يتمّ التكفّل بهم في روضات وحدائق الأطفال" ( : 1976 STATKOWA . S,

(37).

إذن الحياة الاجتماعية أُعيد تنظيمها من أجل أن تسمح للمرأة بأن تكون مستقلة من العديد من المهام، والتي كانت تأخذ وقتاً منها، مثل الأشغال المنزلية حيث ظهرت الوسائل الإلكترونية المنزلية التي تساعد في القيام بها، وكذا "ظهور دور الحضانة والروضات والمدارس الأمومية، ودور الشباب التي تساعد الأم في الاعتناء بالطفل أثناء غيابها" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 38).

#### • مشاركة الأب في الأعمال المنزلية:

كما هو جلي في هذه الحالة هو مساهمة الأب ومشاركته في الأشغال المنزلية: "زوجي يساعدني في المنزل بمعنى أننا نقتسم الأشغال في كل شيء وكلّ يوم (...). نحن نتقاسم المهام وبالتالي سهل هو العيش، مثلاً البارحة خرج زوجي وابني في نزهة وبقيت أنا في المنزل أُجهّز العشاء، عندما عادا تعشينا سوياً، بعدها قام هو (الزوج) بغسل الأواني ونظف المطبخ جيداً". وهنا يتضح أنّ التغيير لم يمَسّ دور المرأة فقط وإنّما دور الأب كذلك: "دور الأب نفسه تغيّر كلياً عندما تحمّلت المرأة مسؤوليات جديدة" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 38).

ترتبط بين الفرد والمجتمع والثقافة علاقات وظيفية، وإن كانت هذه الكليات الثلاث متمايزة ومختلفة، غير أنّ الفرد بالخصوص يحتلّ أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية وسيرها، والثقافة التي ينتمي إليها، بحيث أنّ الفرد وحاجاته وقدراته تتواجد في قاعدة كلّ الظواهر الاجتماعية والثقافية حيث أنّ "المجتمعات هي مجموعات منظمة من الأفراد، والثقافات هي أنظمة استجابات متكررة ومشتركة بين أعضاء مجتمع ما [ولا يُمكن تجاوز تلك الاستجابات]" (LINTON . R, 1968 : 11).

عندما يقوم فرد بتجاوز ما حدّده الثقافة فإنّه يُعتبر متمرداً أو مهمّشاً، فمثلاً في بدايات التغيير الذي طرأ على المجتمع فإنّه من غير العادي بل وغير مقبول قيام الرجل بالأشغال المنزلية مهما كانت الظروف، ومن يفعل



ذلك فإنه يتعارض مع بنود هذه الثقافة، وهذا ما كان يجعل الأفراد يتجنبون القيام بأي مهام تمّ التعرف عليها على أنها أنثوية حتى لا يتعرّضوا إلى التهميش من الثقافة التي الفرد في حاجة إليها: "هناك حاجة للثقافة في الحياة مثلما هناك حاجة للحلم أثناء النوم" (BOUTEFNOUCHET . M, 1982 : 50).

إنّ العلاقات التربوية التي تربط الفرد بوالديه هي التي تُعطي الثقافة التي تصنع الانسان، حيث كان في النظام التقليدي من المستحيل أن يقوم الرجل بالأشغال المنزلية وهذا المنع هو من جانب ثقافي فقط، فلا يوجد أي نصّ قانوني يمنع ذلك ولا يتعلّق الأمر بما هو بيولوجي، وهذا ما نسميه بالأفكار أو الأحكام الاجتماعية المسبقة (Préjugés sociaux)، بمعنى لا يُنتظر من الفرد القيام بها ثمّ يتمّ منعه أو معاقبته، وإنّما يُمنع قبل القيام بها، وإذا زالت هذه الأفكار فإنه يصبح من العادي القيام بالأشغال المنزلية من قبل الرجل، وذلك بعد إدراك أنّه لا توجد موانع دينية أو نفسية أو اجتماعية، وإنّما هي من صنع الثقافة فقط، أي ما تعارف الأفراد عليه، فالثقافة في الأصل هي "طريقة العيش الخاصّة بالإنسان أو المجتمع" (BOUTEFNOUCHET . M, 1982 : 13).

#### • علاقة تفاعلية أب-طفل مبكرة:

إضافة إلى مشاركة الأب في الأشغال المنزلية فقد لاحظنا الاهتمام بالطفل: "من الناحية الاهتمام به ورعايته كنا نتعاون مثلا أنا أُغَيِّر له ملابسه، أمّا أبوه يُطعمه بالملعقة، يُغَيِّر له الحفاظ ويُحَمِّمه، وعندما دخل الروضة كنّا نتناوب على أخذه إليها، أحيانا أنا وأحيانا أخرى أبوه"، وهذا لم يكن موجودا في النظام التقليدي. ففي هذا الأخير كان دور الأب يقتصر على العمل خارج المنزل لتأمين حاجيات العائلة، حتى علاقته بالطفل كانت محدودة وتبدأ في سنّ أكبر. فالسنوات الأولى من حياة الطفل تكون علاقته بالأب قوية ولكن علاقته بالأب ضعيفة، وتبدأ العلاقة الحميمة معه حتى السنتين بعد ختانه وكذلك عندما يكون الطفل مستقلا نوعا ما (نظيف، يمشي بمفرده، يأكل لوحده،...).

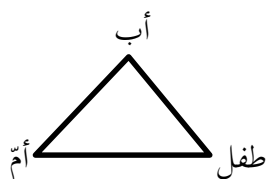
وغالبا ما كانت تبدأ علاقته الحميمية الأولى مع الأب عندما لا يُمكنه الذهاب مع أمه إلى الحمام التقليدي، فيصبح إجباريا أن يدخل مع الأب أين يبدأ الحوار الجسدي، أين تكون بداية لمس الطفل واقترابه من الأب. إذن يبدأ في الاقتراب من الأب في نفس الفترة التي يبدأ في الابتعاد عن الأم: "إنّ تحرير الولد، البعد الذي يجب أن يأخذه إزاء الأمّ يظهر عند الأحداث الرئيسية في حياته مثل: الختان، الطرد من الحمام [وهنا يتحمّم عليه الذهاب مع الأب]" (BOUHDIBA . A, 1986 : 272). ويكون لكلّ هذا دورا في تحضيره للمستقبل وتكوين رجل مسؤول: "إنّ العيش في عالم الآباء هو بداية الدخول في تعلّم تحمّل المسؤوليات وكذا البحث على أن يكون مقبولا من طرف الجماعة ومندمجا داخلها" (BOUHDIBA . A, 1986 : 272).

في حين نرى في هذه الحالة ظهور نمط تربوي جديد، وهو دخول الأب في علاقة تفاعلية مع الطفل، وتبدأ هذه العلاقة الجديدة أب-طفل في السنة الأولى ومنذ الميلاد والتي لم تكن موجودة من قبل. فنجد الأب يقوم ببعض الأدوار والممارسات التي كانت موكلة للأم فقط، مثل رعاية الطفل والاهتمام به فيما يتعلق بأكله وتنظيفه وتغيير الحفاظ له وتلبيسه وإطعامه وغيرها، وحتى الاستجابة له عند الاستيقاظ ليلا: "يؤاسيه أبوه عندما يبكي، وعندما يستيقظ أو يبكي في الليل أو يخاف فإنّ أباه هو من يستجيب له ويؤاسيه وأحيانا ينام بجانبه عندما يكون خائفا". وبالتالي الأب هنا هو ينضمّ إلى المرأة بشكل متقبّل حين يُمارس أدوارها، في حين قديما كان الأب بعيدا. وهذا يُحيل إلى ظهور علاقات جديدة حيث أصبح الأب يقوم بممارسات كانت مقتصرة على الأم فقط. إنّ هذا يبدو عاديا بالنسبة له ولكنّه في الواقع يُعبّر عن تعيّر وتطوّر ملحوظين، ويكمن القول أنّه يوجد ثورة ثقافية (révolution culturelle)، والمقصود هنا هو الاحتفاظ بمكونات الثقافة الأمّ ولكن تغيير بعض العادات وأساليب العيش التي كانت الثقافة الأبوية تعمل على إبعاد الأب عن القيام بها، وخاصة فيما يتعلق بتربية الأطفال، حيث إذا تعيّر هذه الأخيرة أدت إلى تغيير الثقافة جزئيا بحيث يبقى الحفاظ على المبادئ، وهذا ما يشير إلى الشخصية القاعدية التي هي: "تنظيم دينامي لل رغبات والصراعات المشتركة من طرف مجموع الأعضاء في الثقافة،

وهذا يُحيل إلى فكرة أنّ الوظيفة الفكرية والانفعالية للفرد هي متأثرة بوسطه" ( M, ) TOUSIGNANT . 196 : 1992).

إنّ هذه العلاقة التفاعلية المبكرة أب-طفل هي التي درسها J . Le Camus وفريقه في فرنسا: "مؤخرا يُلاحظ أنّ تمييز وعزل الأدوار ليس أبدا تامًا ومطلقا، حيث أصبحت المرأة تعمل في الخارج والرجل يُشارك أكثر فأكثر في المهام المنزلية، ومن ضمنها الانشغال بالأطفال والاهتمام بهم" ( : 1985 . J, LE CAMUS In ). (50).

بالنسبة للقطام كما هو معروف في النظام التقليدي يكون في سن السنتين، ولكن في هذه الحالة كان القطام في الشهر 14، ومنذ 9 أشهر أي عند الدخول الطفل إلى الروضة قلّت الرضاعة الطبيعية وحلت مكانها الرضاعة الاصطناعية من الساعة 9 صباحا إلى الساعة 16 مساء. إنّ الرضيع بدأ ينام وحده في 9 أشهر هذا أيضا لم يكن موجودا في النظام التقليدي، وهذا كلّه يُشير إلى أنّ انفصال الطفل عن الأمّ كان مبكرا، كما أنّ تلك العلاقة أم - طفل تميّزت بدخول الأب في سنّ مبكر.



أصبحت حاليا



كانت في النظام التقليدي

--- خطّ متقطع يعني علاقة ضعيفة، والتي كانت تُميّز العلاقة أب-أمّ وكذا أب-طفل.

\_\_\_\_\_ خطّ سميك يعني علاقة قوية، حيث نلاحظ أنّ الأب والطفل أصبحا متساويان في الميزة التي تربطهما بالأمّ.

في النظام التقليدي كانت العلاقة أم - طفل قوية جدًا أما العلاقة أب - طفل كانت ضعيفة جدًا وكذلك العلاقة أب - أم. أما في هذه الحالة فالعلاقة أب - طفل أصبحت أقوى مما كانت عليه في الماضي و كل هذا أدى إلى قوة العلاقة أب (زوج) - أم (زوجة).

كان الطفل بالنسبة للأم في الماضي هو موضوع رئيسي في حياتها حتى أكثر من الأب (الزوج)، ولكن أصبح حاليا لدى هذه متساويا في تلك الميزة مع الأب. كانت الأم التقليدية تقول عن طفلها مثلا: يشبه أباه، وكانت تقولها باستياء فعلاقة زوج - زوجة كانت عن طريق الطفل، لم تكن هناك علاقة زوجية بل كان هناك علاقة أم-طفل، و حتى العلاقة الجنسية كانت من أجل الإنجاب فقط وبعد سنّ اليأس كلّ من الزوجين ينام منفردا. فالأمّ كانت تحب زوجها لأنّه أب أولادها وليس لذاته: "كانت الزوجة تنادي زوجها بأبو أولادي، وذلك احتراماً له ولمكانته" (BOUHDIBA . A, 1986 : 266).

الزواج و الأمومة لا يُمثلان عائقا بالنسبة للحالة مثلما عبّرت عليه بعض المراهقات في دراسة سابقة، حيث تبين أنّ مشروع الحياة لديهن هو العمل، أما الزواج فهو عائق يحول دون تحقيق هذا المشروع العملي.

إذن هناك أمومة جديدة وفي المقابل أبوة جديدة أيضا، فالممارسات التي كانت أمومية صارت ممارسات أبوية، وهذا أدى إلى تغيير في الأدوار التي بدورها أدت إلى تغيير المكان والمكانة: "إنّ مكانة (Statut) الأمّ تغيّرت في الواقع" (BADINTER . E, 1980 : 218).

و مع كلّ ذلك فإنّ التغيير صعب تحمّله وكذلك يُؤدّي إلى الشعور بالذنب، وهذا ما عبّرت عنه الحالة: "أحيانا أرى نفسي مقصرة في حق طفلي أي أنني أهمله كثيرا"، وما يُنقص من هذا الشعور هو تبريرها بأنّها تعمل من أجله. إنّ هذا التغيير له علاقة بالظروف التي تعيشها هذه العائلة، فعمل الأمّ يتطلّب مساعدة الأب ما دامت

الثقافة لم تُعارض ذلك: "الاختلافات في وظائف الأبوة والأمومة تختلف تبعاً لطريقة عيش ووجود كل عائلة وتبعاً للقيم والقواعد المتعلقة بها" (WALLON . H, 1976 : 99).

### • تغيير أدوار المرأة والرجل: انسان جديد:

تضم الثقافة الأبوية فضاءين: داخلي خاصّ بالمرأة وخارجي خاصّ بالرجل، وحدث التغيير عندما اقتحمت المرأة الفضاء الخارجي والرجل دخل إلى العالم الداخلي، مما أدى إلى حدوث تغييرات على مستوى الأدوار المنوطة بكل من الرجل والمرأة. وكان بداية هذا الاقتحام بدخول البنت إلى المدرسة ثم العمل: "من بين عوامل التغيير والأكثر أهمية هي تلك التي ترتبط بالتحوّل الفاصل والقطعي لوظيفة المؤسسة المدرسية في إعادة إنتاج الاختلاف بين الأنواع الاجتماعية (Genre) مثل زيادة دخول النساء إلى التعليم والاستقلالية الاقتصادية وتحوّل البنات العائلية (نتيجة بالخصوص لارتفاع نسبة الطلاق)" (BOURDIEU . P, 1998 : 123). وهذا يعني أنّ العيش في تصوّر جديد أدى إلى ظهور انسان جديد، حيث نلاحظ أنّ في السلوكات اليومية هناك ممارسات جديدة دون ترك الممارسات الثقافية المتعارف عليها.

إذا حاولنا تعريف المرأة وتعريف الرجل فهما ليسا منعزلين عن بعضهما بل يكون هناك تعريف علائقي بين الجنسين، أي يتم تعريف أحدهما بالآخر. ولهذا إذا حدث تغيير في طرف معيّن منهما فإنه يحدث تغييراً في الطرف الثاني، أي إذا تغير دور المرأة فإنّ ذلك يؤثّر على دور الرجل، حيث يؤدي ذلك إلى ظهور علاقات جديدة ونفسيات إضافية. ويجدر بنا التوضيح هنا أنّ الأمّ لم تتخل عن دورها ولم تتنازل عنه، ولكن أضافت دوراً آخر وقلّصت من الدور الأوّل وبالتالي تغيرت أدوار الرجل كذلك: "هناك ولادة لصورة جديدة للمرأة داخل المجتمع، هذه الصورة تطلق العواطف والمشاعر، لأنّها تتضمن في آن واحد تغيير في الروابط بين الجنسين وتحوّل في مجموع البنات الاجتماعية" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 35).

أصبحت العلاقة الجنسية التي كان الهدف منها الإنجاب فقط ترتبط باللذة بالدرجة الأولى، فالجنس كان اجتماعيا (Socialisé) في الثقافة الأبوية أي في إطار الزواج ومن أجل الإنجاب فقط. إذن إنّ من خلال المكان (Place) الذي تحتله المرأة في الإنتاج الاجتماعي أي الإنجاب، هي التي تكون محلّ هذا التغيير وفي مواجهة لهذه التداولات والمعاملات، وكذا وسيطة خاصّة عندما يحصل مرور من نمط اجتماعي إلى آخر. يُمكن وضع الفرضية التالية وهي أنّها: "لا تتعرض للتغيير وإنّما تكون حاملة له وتُمثّل أحد أهمّ العناصر الرئيسية فيه، محاولة بذلك تقديم تعريف للذات، تكوين فردية (Individualité) أنثوية" (BADINTER . E, 2003 : 12). فإن كانت في السابق تُصبح أمًا لعدد من الأطفال وبالخصوص الذكور لأنّ الغريزة والثقافة والمجتمع يجبرونها على ذلك، فإنّها الحالية هي من تتحكّم في الوضع: "تُصبح أبا إذا أردت أنا، عندما أريد أنا. (...). صورة المرأة التقليدية امتحت وزالت لتترك المكان لأخرى، أكثر رجولية وأكثر قوّة، تقريبا سيّدة نفسها، وحتى على الآخرين. وأخيرا يحدث تغييرًا للدور الخاصّ بها" (BADINTER . E, 2003 : 12). وإذا تغيّر دورها فإنّه يُؤثّر حتما على دور الرجل.

إذن إنّ أي هنا علاقة تأثير وتأثر بين كلا الجنسين، كما أنّ تغيّر دور أحدهما أو كلاهما يُؤدّي إلى تحوّل المجتمع، وفي المقابل أيضا فإنّ أي تحوّل في المجتمع يُؤثّر عليهما: "عندما يكون مجتمع معيّن في تحوّل فإنّ ذلك يُؤدّي إلى تغيّر وضعية المرأة، استقرارها والجنسية ورموزها، لكن لا يُمكن للمجتمع التغيّر إذا لم تُغيّر النساء من أنفسهنّ" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 14). وبالتالي هذا يحيلنا إلى فكرة أنّ المرأة هي الحاملة للتغيير بالدرجة الأولى: "إنّ تغيّر مجموع البنيات الاجتماعية له علاقة بالصورة الجديدة للمرأة" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 37).

## خلاصة الحالة الأولى:

نستنتج من دراسة هذه الأم العاملة أنّ هناك تغيير على مستوى مكان، مكانة ودور الأم والممارسات الأمومية، وذلك نتيجة للدخول إلى فضاء الدراسة والعمل، وانشغالها بمهام لم تكن منوطة بها في النظام التقليدي، وهذا ما أثر على مهامها كأمّ، حيث تمّ بداية تقليص عدد الولادات، ثمّ حدث انفصال مبكّر عن الطفل، الذي أدخلته إلى الروضة مبكّرا، وكذا هناك تراجع في ممارسة الأشغال المنزلية، وكذا انخفاض في الممارسات الأمومية. يُمكن القول أنّ الأمّ تنازلت قليلا عن مهامها كأمّ والأب استلم ذلك، حيث لاحظنا أنّه يساعدها في الأشغال المنزلية، ويهتمّ برعاية الطفل من جميع النواحي. كلّ هذا يدلّ على تغيير في دور الأمّ والذي أثر بالمقابل على دور الرجل، ولكن دون أن تتغيّر المبادئ الأساسية للثقافة الأمّ.

## 2- الحالة الثانية:

أم باحثة: "أم عاملة، أم مناضلة"

**Mère chercheuse: "Etre mère qui travaille, être mère militante"**

### 2-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2015/09/15، بمقرّ عملها بمدينة وهران على الساعة 14:00 ودامت حوالي ساعتين. لم تمنع الحالة في تقديم يد المساعدة بالقدر الذي تستطيع، هي أمّ شابة تبدو حيوية وتحب عملها كباحثة في العلوم وهي في نفس الوقت تحضّر لشهادة عليا. هي أمّ لطفلين وتعيش مع العائلة الممتدة مع والدي الزوج وإخوته.

أنا إلهام، 27، أعمل باحثة، وزوجي سنّه 35 يعمل طبيب، وأنا أمّ لبنت سنّها 4 سنوات وولد سنّه عامين. عندما أنجبت ابنتي الكبرى لم يساعدني أحد أنا وحدي كنت أتكفل بها، لأنني لم أكن أعمل بل كنت مائكة بالبيت. وأي مكان أذهب إليه أخذها معي حتى إلى الجامعة و كنت أصحابها معي، حيث كانت تبقى مع أبي في السيارة حتى أخرج (كنت مغبونة سمحت بالقراءة، سمحت في بزاف صوالح)، حتى المحيط و أمّ زوجي كانت تقول لي أنّها لازالت صغيرة وأنّها أهمّ من كلّ شيء (بنتك هي الفايدة). كما أنّ ابنتي لم تكن ترضى البقاء مع أي أحد لأنّه لم يكون هناك من يتقرب منها وجعلها تتعود عليه (ماكانت تقعد عند حتى واحد علاخاطرش حتى واحد ما لزمها عنده و خلاها توالفه)، لم أكن أفارقها أبدا طيلة اليوم معي وحتى في الليل (راها معايا مانبوجيش). أمّا الولد فاختلف معه الأمر تماما لأنّه عندما أنجبته كنت عاملة وقمت بالمستحيل حتى لا تتكرر الغلطة التي حصلت مع أخته (و نحصل كيما صرالي مع بنتي)، و كنت أحمد الله على أنّني بدأت العمل قبل ميلاده لأنّه لو كنت مائكة بالبيت لكان لزاما عليّ أن أمكث في البيت وأرعاه وأربيه مثلما حصل مع ابنتي (لوكان زاد و أنا قاعدة فالدار كنت نزيد نقعد نربيّه ونقعد فالدار). بقيت معه 4 أشهر وحاولت أن أدخل له الرضاعة الاصطناعية، وجعله يتعوّد على



الآخرين، وكذا حاولت جعله يتعوّد أن يكون بعيد عني وكذا يتعوّد على جدّته (أمّ زوجي) لأنّها قبلت أن يبقى معها عندما أعود للعمل بل ورفضت أن أدخله إلى الروضة أو أتركه عند مربية... قبلت شريطة أن ينام في المهد الذي كان ينام فيه أبوه وأعمامه أي أن تتم تربيته بطريقة تقليدية (تضحك)، ومع ذلك قبلت بذلك الشرط بالرغم من أنّي لم أقبل ذلك عندما ولدت ابنتي، التي اشتريت لها كلّ شيء على الموضة، وسرير عصري... إلخ، ولكن كنت أقوم بأرجحتها لكن ليس بالمهد وإنّما بـ La poussette. بالنسبة لابني بالرغم من أنّي كنت أتركه في البيت إلا أنّي لم أكن مرتاحة (نغبنت)... كنت أبقى معه في الصبيحة لأنّه كان يرضع رضاعة طبيعية، وكنت أذهب للعمل بعد الظهر حيث يكون تناول وجبته فأنظفه وأغير له الحفاظ والملابس ويكون قد حان موعد نومه فأرضعه جيّدًا وأذهب. ولكن عندما أذهب للعمل أقضي معظم وقتي أفكر فيه (بلاك جاع بالاك راه غابن عجوزتي). أعمل ثمّ أخرج جريا لأرضعه عانيت وتعبت كثيرا (نغبنت بزاف هاديك الفترة)، حتى والد زوجي كان رافضا لتلك الوضعية وكان رافضا لعملي فهو كان يرى أنّه لا ينقصني شيء وكان يُعبّر عن ذلك بقوله: (شيخي ماكانش بيغي كيما هاك كان يقولي باغي تضيعو هاد الولد مصباح راه يبكي نعلبوها خدمة قعدي فالدار و قابلي ولدك راكي الحمد الله ماخصك والو).. لكن بالنسبة لي العمل يعني لي الكثير بحيث هو الذي يرد لي الاعتبار للدراسة التي درستها، وكان من المستحيل أن أترك العمل... وحينها كنت لا أزال في سنة التربص فلو لم أكن كذلك لكنت توقفت لمدة سنة لأعتني بابني ثم أستأنف عملي. وفي هذه الفترة كانت ابنتي قد تعوّدت على الذهاب إلى منزل عائلتي لهذا كنت مرتاحة من ناحيتها.

الرضاعة فيما يخصّ ابنتي كانت طبيعية، فهي لم ترض إمساك الرضاعة الاصطناعية (biberon) ولا المصاصة، أرضعتها لمدة عام ونصف... كانت تظّل معي طيلة الوقت، وكان فطامها صعبا جدّا وقد عانيت كثيرا معها في ذلك (كانت تظّل لاسقة فيا باش فطمتها حتى سوفريت).

أما الولد فقد كنت أحاول أن أعوّده على الرضّاعة (biberon) ولكن دون أن أحرمه من حليبي، لأنّ الحليب الطبيعي للآمّ فيه الكثير من الفوائد، ومثلما رضعت ابنتي أردت أن يرضع هو أيضا، وقد اشتريت كلّ المعدات حتى أعوّده على شرب حليبي في الرضّاعة لكن دون جدوى، لم يرض بإمسك الرضّاعة. ودامت الرضاعة الطبيعية لمدة عام وشهرين، وبعدها قرّرت أن أفطمه لأنّني تعبت ونحفت كثيرا.

أنا الوحيدة التي أهتمّ بهما دائما ما عدا عندما أكون غائبة، فإنّ جدتهما تتولّى الاهتمام بهما، أما أبوهما فلا يُحب الاعتناء بهما من حيث النظافة وتغيير الألبسة أو الحفاظ فمستحيل أن يفعل ذلك، ما عدا أنّه يطعمهما أحيانا.

أطفالي ينامون معي في الغرفة، أنا لا أستطيع تركهم ينامون في غرفة أخرى لأنّ الغطاء يزول عنهم في الليل فأغطيهم، كما أنّ ابني يحب شرب الحليب في الليل أو الماء، أما ابنتي تعانقني وتنام، وعندما تنام آخذها إلى سريرها وعندما تستيقظ في الليل تبكي وتناديني وتقول لي ماما أعانقك. هما لا ينامان لوحدهما بل ينامون وهما يعانقاني معا، وحتى أنا لا أستطيع تركهم ينامان وحدهما. وغالبا ما أستيقظ في الليل لتلبية ما يحتاجانه، وأحيانا يستيقظ الأب عندما لا أستيقظ بسرعة.

وفي الصباح أنا أوقظهما، أنظّم وقتي، أشعل المنبه كي لا أتأخر في الاستقظا، أحضّر كلّ ما يحتاجانه في غيابي. أنا دائما من يقوم بتجهيزهما، وأحضّر كلّ شيء في الليل حتى أريح الوقت في الصباح. بعدها يصحبنا الأب أنا وابنتي إلى الروضة (بعدها أدخلناها إلى الروضة) ومن ثمة إلى عملي، فتبقى ابنتي في الروضة طيلة اليوم ونحضرها في المساء أما الولد فيبقى مع جدته، وحتى في الأيام التي لا تذهب ابنتي إلى الروضة تبقى هي أيضا مع جدّتها.

أنا أعيش العمل بقلق، طول اليوم في العمل وأنا أفكر في أولادي وأفكر في العمل والدراسة، في الحقيقة لدي مشكل مع الوقت، بل هو مشكلة كبيرة جدا عند محاولة تقسيمه بين العمل والدراسة وأشغال المنزل وتربية الأطفال، والبروتوكولات العائلية، حيث يزورنا الضيوف بشكل مستمرّ وهنا يجب عليّ مقابلتهم وإكرامهم، فأجد

نفسي مضطربة لأنني لدي الكثير من الواجبات يجب أن أقوم بها، من أين أبدأ ومن أين أنتهي. وأحيانا الوقت يمرّ ولا أقوم بأيّ شيء وعندما أجد نفسي لم أفعل أيّ شيء ألوم نفسي.

الحمد لله هناك جانب واحد لا أحب أن أقصّر فيه وهو أولادي لأنني أعرف عواقب ذلك التقصير، لهذا دائما أهتمّ بهم وألعب معهم، ودائما أُبدّل لهم ملابسهم لأنني أحب أن يكونوا دائما في حالة جيّدة (نبيغيهم دائما يكونون غاية top)، حتى وإن كان ذلك على حساب عملي ودراستي. أي أمر يأتي وقته ويمكن تداركه ما عدا علاقتي مع أولادي إذا أهملتها خسرت أولادي، أنا مستعدة لخسارة كلّ شيء إلا أولادي، هم شيء كبير بالنسبة لي، أهمّ شيء عندي، هم من أولوياتي ومن بعدهما تأتي الأمور الأخرى. المكانة التي أنا فيها الآن لم أبلغها بسهولة، تعبت وشقيت (نغبنت) عندما كانوا صغارا جدّا، لن أنس أبدا ذلك التعب ولكن لا بأس فكلّ ذلك في سبيل بناء العلاقات الأولى مع أولادي على أساس متين. أولادي متعلّقون بي كثيرا وأنا أيضا (وحتى أنا عينيا غير فيهم)، الأولاد نعمة. وأنا مستعدة أن أشقى أكثر وأتعب ولكن دون أن يشعر أولادي بأنني بعيدة عنهم حتى وإن كان ذلك على حساب مشواري الدراسي والمهني. لا يُمكن النجاح في كلّ شيء، يجب تأجيل أمر وإلغاء أمر آخر من أجل بلوغ التوفيق في الحياة.

الحمد لله تربّي أطفالي داخل المنزل ولم يخرجوا من المحيط العائلي. أنا وإخوتي عندما كنّا صغارا كانت أمي تعمل وتأخذنا إلى المربية، وكلّ منا تتركه في مكان يختلف عن الآخر، أحسنّ أنّي إخوتي لا يُبادلونني العاطفة (حناكي كنا صغار ماما كانت خادمة كانت تدينا عند شكون اللي يشدنا كل واحد وين كانت تخليه نحس خوتي مشي مربيين عليها الحنانة)، وعندما يتشاجرون معها يقولون لها رميتنا عندما كنّا صغارا (قستينا مين كنا صغار). ولكن هي لم ترمهم أو تتخلّ عنهم كانت تعمل (هي ماقاستهمش الله غالب كانت خادمة)، لكن هم للأسف ترسخت في ذهنهم هذه الفكرة، أشعر أنّهم بعيدون عنها فيما من الجانب العاطفي و العلائقي. هذا الأمر لا أريد أن

يُفكّر فيه أولادي، الحمد لله لم يخرجوا من المنزل، يمكنون مع جدّتهم وسط أشياءهم وفراشهم وألعابهم. تعبت عندما كانوا صغارا ولكن الآن أنا أفضل، ابنتي تدرس وابني يبقى مع جدّته وأنا أذهب للعمل.

فيما يخصّ نمط التربية وبصفتي عاملة فأنا أتسامح معهم (و نساغفهم) لأنّ المحيط يفرض عليّ ذلك، مثلا أمّ زوجي تقول لي: إنهم يتصرّفون هكذا لأنهم مشتاقون إليك (راهم متوحشينك)، طيلة النهار وانت غائبة عنهم. ولكن أنا أحاول ألا يطغى هذا النمط التربوي حتى أتمكن من ممارسة النمط المناسب.

أنا أرى نفسي كأّمّ تساهم بكلّ ما تقدر عليه وما لا تقدر عليه من أجل أن تكون على قدرة على تحمّل المسؤولية ومن أجل أن تستحق كلمة أمّ. لأنّ حتى تكون المرأة أمّا ليس إسما فقط، وإنّما هي علاقة فيها طريقة، فيها تضحية، خصوصا عندما تكون الأمّ عاملة يجب عليها أن تقوم بنضال.

أنا لا أميل إلى جنس دون الآخر ولا أفضل واحدا على الآخر، أحبهما كلاهما. أميل فقط فيما يتعلّق بالملابس والأشياء والإكسسوارات، حيث تلك الخاصّة بالبنات جميلة عن الخاصّة بالولد. لكن فيما يتعلّق بطفلي لا أفترق بينهما ولا أفضل أحدهما على الآخر.

أنا أرى نفسي أمّ وزوجة ثمّ امرأة عاملة (نشوف روجي أم وزوجة ومن بعدها إمّام عاملة). الأولاد نعمة الحمد لله وأنا لديّ اختيار الملوك: بنت وولد، وأفضل الاكتفاء بهما فقط، أدّرّسهما جيّدا، أسافر بهما وأربيهما تربية جيّدة، ولكن إن رزقني الله طفلا آخر فالحمد لله. حاليا أنا لا أفكّر أبدا في الإنجاب مجدّدا (راني نقول هاذو زوج بزاف). أتمنى أن ينجحوا في دراستهما، ومثل كلّ الأولياء أحب أن يحصلوا على كلّ ما هو جيّد، أتمنى أن يدرسوا أحسن التخصصات وأحضّر لهما زواجا رائعا (ونديلهم عرس شباب). المهمّ أتمنى لهما كلّ الأمور الجميلة والجيّدة، والمهمّ أتمنى أن يحفظهما الله ويرزقهما الصحة لأنّها هي الأساس.

يمرّ يوم عادي بالنسبة إليّ بالاستقاظ باكرا، أحضّر كلّ ما يلزم من فطور، أوقظ ابنتي، أرقّه وأضحك مع زوجي، أقبل ابني الذي يكون نائما ثمّ أذهب للعمل، وفي طريق العودة من العمل أتحوّل مع زوجي، أمزح، أضحك،

نتحدّث معا في أمور مختلفة، انا أتكلّم أكثر منه، هو لا يتكلّم كثيرا، ولكن أنا أجعله يتكلّم (أنا نهدره نقعد غي نهدر و نحكي معاه). عندما أصل أقبّل أولادي وأعانقهم بشدّة (نسلم على ولادي نعنقهم ونزير و نزيد نسلم عليهم). أسأل ابنتي بما قامت به في يومها، وما درسته، وهي تبدأ في سرد ما حدث في طيلة يومها، وأظهر لها أنّي مهتمّة لكلامها ولما تقوله، وأفرح عندما تقوم بذلك، وأشجّعها على ذلك. وحتى ابني أسأله مع أنّه لم يتعلّم الكلام بشكل واضح ولكن أستمع إليه (هو مازال مايعرفش يهدر بصح نسمعله يقولي زعما ماما مامي دودو نقوله: ياك .. بصح .. أيا غاية)، أسأله ماذا أكل في غيابي، وأحاول أن أهتمّ بهما، أعطي معظم وقتي بعد عودتي لهما ولزوجي، وحتى أمّ زوجي، نجلس ونتناول القهوة، نتبادل أطراف الحديث ونضحك، وبعدها أبدأ الأشغال المنزلية، وأحضّر العشاء وطفلي يلعبان أمام ناظري، بعدها أطعمهما وأغير لهما ملابسهما وبنامان.

للأب دور كبير في التربية، مكان الأب والصورة التي يُعطيها لأولاده هي أساس التربية. علاقة الأب مع أولاده، علاقته مع الزوجة والمثال الذي يعطيه لهم هو يسيّر التربية.

هدفي في هذه الحياة هو أن أكون زوجة مثالية و أمّا مثالية، ولا أقصّر في علاقتي مع زوجي أهتمّ به، و أهتمّ بولادي وأوصلهم لأعلى المستويات. وكذلك أنجح في دراستي وعملي. وأؤسّس بيتا كما أريد وأرغب فيه.

الزواج والأمومة ليسا عائقا لطموحاتي ولكن هما يعرقلان مشواري الدراسي والمهني، لأنّ طموحاتي تبدأ بأن يكون لديّ عائلة، وأكون مهتمّة بها ثمّ يليه طموح الترقية في العمل وإنهاء الدراسة. ولهذا فإنّ كلّ ما يتعلّق بإنهاء الدراسة والترقية هو معطل ومؤجّل لأنّني لا أستطيع أن أتخلّى عن طفلي من أجل أمور أخرى. في العمل لدي زميلات تخلين على أطفالهنّ وعلاقتهنّ معهنّ ليست جيّدة بسبب الاهتمام بالعمل أكثر من الاهتمام بالأطفال. عندما أستمع لقصصهنّ يزيد اهتمامي بطفلي على حساب الدراسة والعمل. إحدى زميلاتي يلومها أطفالها لأنّها مهتمّة فقط بالأبحاث والعمل، وهم يهتمّ بهم الأب فقط. ابنتها لامتها حتى عندما على عدم حضورها معها في أوّل حيض لها، حين كان معها الأب، أطفالها لا يحملون لها الحب والحنان. فضلت الترقية في العمل على حساب أطفالها.

الحياة هي عبارة عن أولويات ويجب أن نعطي لكل أمر حقه من الاهتمام، بالنسبة لي حياتي العائلية والزوجية أنا أقدّسها لأنه قد يكون فيه خسائر كبيرة إن تمّ إهمالها.

## 2-2- التعلّيق على قصّة الحالة:

أُعطي هذا العنوان للحالة لأنها تناضل في الداخل والخارج، وسيتوضح ذلك في قصتها. تنتمي الحالة إلى الغرب الجزائري وتبلغ من العمر 27 سنة والزوج 35 سنة طبيب مختص. الحالة هي باحثة في مركز بحث وتُحضّر لـ شهادة الدكتوراه في نفس الوقت، وهي أمّ لطفلين وتعيش مع عائلة الزوج، وهي تتكفّل بالعمل المنزلي وكذلك العمل في الخارج، وهي أمّ وزوجة وامرأة عاملة.

### • أمّهات ضد نساء:

يظهر في هذه الحالة أنّ عائلة الزوج تُعارض عمل الحالة: "حتى المحيط و أمّ زوجي كانت تقول لي أنّها لازالت صغيرة وأنّها أهم من كلّ شيء (بنتك هي الفائدة). حتى والد زوجي كان رافضا لتلك الوضعية وكان رافضا لعملي فهو كان يرى أنّه لا ينقصني شيء وكان يُعبّر عن ذلك بقوله: (شيخي ماكانش يبغي كيما هاك كان يقولي باغي تضيعو هاد الولد مصباح راه يبكي نعلبوها خدمة قعدي فالدار و قابلي ولدك راكي الحمد الله ماخصك والو)". هذا الرفض للمحيط ناتج عن عدم تقبّل للتغيير في دور المرأة، فابعتبار أفرادها عاشوا داخل نظام تقليدي أين كان المكان الوحيد للمرأة أو أن تكون أمّا، فإنّهم لم يتقبلوا تخليها عن هذا المكان من أجل العمل في الفضاء الخارجي. وبهذا فالمحيط في هذه الحالة لا يُمكنه منعها من العمل مباشرة ولكنّه يستعمل جانبا حسّاسا من أجل جعلها تُعيد النظر في الأمر: "بحثنا عن الحصول وتحقيق تعريف ككائنات مستقلّة، فإنّه يجب أن يكون للمرأة إرادة للتحرّر وقوّة. وهنا المحيط لا يُمكنه منع حصول ذلك لكنّه يُمكنه توجيهها إلى دورها الذي لا يُمكن التخلّي عنه:

الأمومة (89 : 1980 . E, BADINTER). وتدخّل المحيط هنا ولّد لدى الحالة شعورا بالذنب، وسنّفصل في ذلك لاحقا.

وكأي ردّ فعل لأيّ تغيير يحدث، فإنّ المحيط يقف في وجهه بالمرصاد حيث أنّ "في بدايات خروج المرأة للعمل تمّ وضعها في مكان مهمّش (Place marginale)، وهو الخاصّ بالمرأة التي تخرج عن الدور التقليديّ ألا وهو الأمومة، والذي هو الوحيد الذي يرفع من قيمة الذات" (186 : 1986, Présence de femmes). ولكن تدريجيا هناك من استطاعت مواجهة المحيط وإقناعه بضرورة العمل، وهناك من خضعت له وواصلت مسيرة أنّ المرأة حُلقت من أجل الأمومة.

إنّ المرأة لم تبلغ ما هي عليه حاليا بسهولة، وإنّما تعرّضت للكثير من الانتقادات، ليس فقط من طرف الجنس الآخر الذي أصبحت في نظره منافسة له بعد اقتحامها لفضائه الخاصّ به، وإنّما أيضا تعرّضت للانتقاد من طرف المرأة في حدّ ذاتها. ففي النظام التقليديّ فإنّ كل من المدرسة، والعمل وحتى الملابس هي مُجنّسة (Sexualisé) أي تخصّ جنسا دون الآخر. ولهذا واجهت المرأة العاملة تعليقات ناقدة لها، خصوصا وأنّها اتخذت مسارا آخر غير الزواج، وكان تلك التعليقات من قبل المرأة التقليدية: "بالنسبة للنساء اللاتي هنّ دون عمل، يكشفن كثيرا عن انتقادات اتّجاه النساء العاملات، مع الافتخار أنّهن ربّات بيوت جيّدات، اللاتي لا يُهمِلن الداخل، وأنّهنّ رصينات ذوات شأن لأنّهنّ لا يخرجن" ( : 1964, CHOMBART DE LAUWE P.E, 170).

إنّ النساء اللاتي هنّ في الفضاء الداخلي (Les femmes internes) أي الماكثات في البيت، وخصوصا هؤلاء اللاتي عشن في نظام تقليديّ يكنّ قبيحات (Mechantes)، بحيث إذا قامت الزوجة بأي خطأ تُخبره للإبن يجب على الحالة مقاومة هذا و يجب عليها الإنسجام الذي يكون بالإستسلام لقواعد وقوانين العائلة المُستقبلة والتكيف معهم: "إذا البنت ترعرعت وسط عائلة متفتحة الفكر، وكانت المناقشات مسموحة وتتميّز

بالحرية مع الوالدين، ودفعتها العائلة للتقدم ولديها اهتمام ضئيل بالأشغال المنزلية، فإنّ كل ذلك يُعزّض البنت إلى موقف صعب في حالة ما إذا هذه الأخيرة تزوجت داخل عائلة أين مكانة زوجة الابن هي محدّدة، والمهام المنوطة بها هي أيضا محدّدة، فإنّه يصبح عليها من الصعب أن تعيش مثل السابق، حيث تجد نفسها مغلوقة عليها، ومدمجة داخل مأزق مرتبط بتربية وسلوك تقليدي تفرضهما عائلة الزوج عليها" ( . DIB-MAROUF . Ch, 1984 : 90). وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الحالة عاشت في وسط منفتح على عمل المرأة بحيث كانت أمّها عاملة.

نلاحظ لدى الحالة أنّها تعيش وضعية صعبة فيما يتعلّق بالأمومة حيث نجد رأي مضاد للمهنة والعمل خارج المنزل، و لكن في نفس الوقت هي ترى أنّ العمل يُعطيها تقدير ذات (Estime de soi). إذن بالرغم من الشعور بالذنب إلا أنه لا يمكنها ترك عملها فهي تعمل لذاتها. إنّ الأسباب التي تدفع المرأة للعمل عديدة: "بالنسبة للعديد من النساء أصبح العمل ضرورة لأنّ من خلاله يحصلن على استقلالية اقتصادية وإثبات القيمة الشخصية (...). وهناك بعض النساء اللاتي يخرجن في البداية للعمل فقط من أجل تحسين الدخل العائلي، ولكن فيما بعد يظهر لهؤلاء النساء تغيير في وجهة النظر في غضون الحياة العملية، حيث من خلاله يكتشفن قدراتهن الخاصة أين يشعرن بإثبات الذات" (STATKOWA . S, 1976 : 17).

#### • أمكنة متعدّدة، تناقض وجداني:

نلاحظ أنّ الحالة تعيش صعوبات كثيرة وذلك لكثرة إلتزاماتها العائلية: " أنا أعيش العمل بقلق، طول اليوم في العمل وأنا أفكر في أولادي وأفكر في العمل والدراسة، في الحقيقة لدي مشكل مع الوقت، بل هو مشكلة كبيرة جدا عند محاولة تقسيمه بين العمل والدراسة وأشغال المنزل وتربية الأطفال، والبروتوكولات العائلية، حيث يزورنا الضيوف بشكل مستمرّ وهنا يجب عليّ مقابلتهم وإكرامهم، فأجد نفسي مضطربة لأنّي لدي الكثير من



الواجبات يجب أن أقوم بها، من أين أبدأ ومن أين أنتهي. وأحيانا الوقت يمرّ ولا أقوم بأيّ شيء وعندما أجد نفسي لم أفعل أيّ شيء أُلوم نفسي". إنّ هذه الحالة تلعب أدوارا على عدّة مستويات في العائلة الكبيرة والصغيرة (زوجها و أطفالها)، إضافة إلى الإلتزامات في العمل الذي يتطلّب الكثير من التركيز و الجهد. كما أنّ ما لاحظناه لدة هذه الأمّ العاملة على عكس الحالة السابقة فإنّ لا يُساعد في الاهتمام في الأطفال، بل الأمّ هي التي تقوم بكلّ شيء وهذا ما يزيد من إلتزامات الأمّ و يزيد من الصعوبة: إنّ الارتقاء الحالي للمرأة هو حاسم أكثر من الماضي، وشمل ذلك ميادين جديدة ومتعدّدة، (...) إنّها لم تُقص من أي رتبة أو فئة اجتماعية. (...) المرأة اندمجت تدريجيا داخل بنيات اقتصادية، اجتماعية وسياسية" (PIETTRE . M.A, 1976 : 250). وأصبحت المرأة تبحث على إتمام ما أسّمته Friedan . B: "البعد الرابع إضافة إلى زوجة وأمّ وربة بيت" ( In PIETTRE . M.A, ) (1976 : 250).

تعيش هذه الأمّ صعوبات والتي يجب عليها تجاوزها خصوصا عندما تكون عاملة، حيث تعيش إنّها وضعيات تناقض وجداني (Ambivalence affective)، وذلك لأن لديها إلتزامات داخلية زوجية وعائلية وإلتزامات خارجية ومهنية وهي إلتزامات متناقضة فيما بينها. ولكن في حقيقة الأمر "إنّ المرأة تستحقّ التقدير عن جدارة وليس عن مجاملة، فهي تجمع بنجاح بين إدارة شؤون المنزل والأسرة، والعمل خارجه إمّا في الإدارة أو التجارة أو الفلاحة أو التربية أو الصناعة. وإذا كان الرجل يعود إلى المنزل بعد العمل ليخلد إلى الراحة، فإنّ المرأة تعود إليه لتباشر الشوط الثاني من عملها" (فرد . م.أ، 2006: 14). بل وما هو ملاحظ في المختلف مجالات العمل أنّ بالرغم من كثرة ارتباطات المرأة بعدّة أمكنة إلا أنّها تُؤدّي عملها على أكمل وجه: "رغم صعوبة التوفيق بين رعاية الأسرة والعمل خارج المنزل، فإنّ المرأة أكثر إتقانا عموما لعملها من الرجل في كثير من المجالات" (فرد . م.أ، 2006: 14).

بالرغم من كل هذه المهام، واهتمام الأمّ بأطفالها إلا أن الممارسات الأمومية في هذه الحالة تغيّرت أيضا، بحيث دخل العمل كمهمّة جديدة للمرأة إضافة إلى الأمومة، وبالتالي هناك وقت في اليوم أين لا تكون الأمّ بالطفل، وفي هذه الحالة كانت تترك الطفلين عند الجدّة.

• أمّ عاملة، طفل مستقلّ:

قبل التطرّق إلى هذا العنصر سنشير أولا إلى العلاقة أمّ-طفل وكيف ينتقل الطفل من التبعية المطلقة إلى الاستقلالية والتي تكون حسب ثلاث مراحل، حيث في غضون تطوّر سيرورات النضج فإنّ العلاقة بين الأمّ والطفل تتغيّر، وهذا ما وصفه Winnicott .D.W من خلال تمييز ثلاث مراحل في الطفولة الأولى ( GOLSE . B, 82-83 : 2001):

- مرحلة التبعية المطلقة (Dépendance absolue) للرعاية والعناية الأمومية، وتتعلّق بالخمسة الأشهر الأولى. في هذا الطور يكون الطفل في اندماج كليّ وانصهار مع الأمّ، وكلّما هذه الأخيرة فهمت بالضبط حاجات طفلها كلّما زاد ذلك الاندماج والانصهار لديه.

- مرحلة التبعية النسبية (Dépendance relative) وتكون بين ستة أشهر ونهاية السنة الأولى، وبطريقة تختلف من طفل لآخر. في غضون هذه الفترة الطفل يتمايز عن أمّه تدريجيا، لا ينتظر فهما أو إشباعا سحريا لحاجاته من طرف أمّه، يُصبح قادرا على إنشاء علاقة موضوعية. وبهذا الفعل فإنّ الطفل هو من يُعطي إشارة من أجل مناداة أمّه، إذن إنّ من المهمّ أن تفهم الأمّ ضرورة إظهار إشارة من أجل الطفل قبل أن تُلبّي وتُشبع حاجته. إنّ حرمان التكيف (Carence d'adaptation) هي إيجابية إذن ولكن شريطة أن تكون قصيرة المدّة، لأنّ هذه التجربة هي التي بالطفل بشكل تدريجي إلى التمايز عن أمّه. هذه الأخيرة يجب أن تكون قادرة على الترك والتخلّي التدريجي لتكيفها مع طفلها، وإلا فإنّ الطفل لا يُمكنه التحكّم فيما يحدث، ويبقى في حالة نكوص مستمر وانصهار مع الأمّ

وقد يرفضها. في هذه الحالة لا يُمكن للتمايز مع العالم أن يحدث. (...) في حالة التبعية النسبية يبدأ الطفل في الوعي بالتبعية. تصبح الحاجة للأمّ تدريجيا واعية، في حين تظهر بداية الفهم الذي يبدأ من تفكير بسيط مشروط إلى فهم اللغة، مروراً بكلّ الوسائط.

- المرحلة الثالثة: في بداية السنة الثانية يتّجه شيئاً فشيئاً نحو الاستقلالية. يُواجه تدريجياً العالم ويتماهى مع المجتمع. وينمو بالتوازي التنشئة الاجتماعية وتعلّم المعنى الاجتماعي.

كانت هذه المراحل التي يعبرها الطفل حتى يصل إلى الاستقلالية، ولكن هذه الأمّ هي حاولت تعجيل هذه الاستقلالية، حيث ذكرت الحالة أنّ الطفل الثاني حاولت جعله يبتعد عنها: "حاولت أن أدخل له الرضاعة الاصطناعية، وجعله يتعوّد على الآخرين، وكذا حاولت جعله يتعوّد أن يكون بعيد عني وكذا يتعوّد على جدّته (أمّ زوجي)"، و لكن هذا لم يكن موجوداً في التقاليد فالأمّ كانت تقوم بتربية الطفل كي يبقى بقربها، و ليس ليبتعد إلا عندما يكبر عنها كما أشارت الحالة، وهذا تغيّر في الممارسات الأمومية. فهذا النمط من التربية يُشجع الطفل حتى يكون مستقلاً أي تربية الطفل في المرحلة الإندماجية على الإستقلالية، وهذا راجع إلى أنّها لا تستطيع أن تكون أمّاً طيلة الوقت. وهذا يُوضّح أكثر أنّ هذه الأمّ متعلّقة بالعمل أكثر وذلك حتى تكون مستقلّة هي ذاتها: "و كنت أحمد الله على أنّي بدأت العمل قبل ميلاده لأنّه لو كنت مأكثة بالبيت لكان لزاماً عليّ أن أمكث في البيت وأرعاه وأربيه مثلما حصل مع ابنتي (لوكان زاد و أنا قاعدة فالدار كنت نزيد نقعد نربيه ونقعد فالدار)"، يُحيلنا هذا إلى رأي المرأة في العمل الذي يختلف من حالة إلى أخرى، حيث من خلاله: "المرأة تنشغل، تستقلّ، تُحسّن من الوضعية الاجتماعية. كما أنّه عندما تتزوّج المرأة وتعيش مع عائلة الزوج، فتجد نفسها تخدمهم أكثر من أن تخدم زوجها، ومن أجل أن تتحرّر من هذه الخدمة تبدأ العمل. وعندما تنجب أطفالاً لا تتوقّف عن العمل لأنّ بذلك قد تفقد حرّيتها، لأنّه إذا بقيت في المنزل فإنّها ستبقى تحرسهم وتراقبهم طيلة الوقت (...)، تعمل أيضاً من أجل تطوير فكرها واكتساب معرفة وخبرة" (Présence de femmes, 1986 : 103).

### • أم عاملة، أم سيئة داخل النظام التقليدي:

نجد لدى أفراد النظام التقليدي فكرة أنّ الأمّات العاملات هن أمّات سيئات، وهذا ما يُقال في هذه الحالة ويقصد من ذلك أنّهن مهملات للأطفال: "في العمل لدي زميلات تخلين على أطفالهنّ وعلاقتهنّ معهم ليست جيّدة بسبب الاهتمام بالعمل أكثر من الاهتمام بالأطفال. عندما أستمع لقصصهنّ يزيد اهتمامي بطفلي على حساب الدراسة والعمل. إحدى زميلاتي يلومها أطفالها لأنّها مهتمة فقط بالأبحاث والعمل، وهم يهتمّ بهم الأب فقط". إنّ استمرار نظام الأبوي في ذهنية الأفراد عن طريق انتقاله من جيل إلى جيل عبر اللاشعور الجمعي، فإنّه يُعتبر الدور الوحيد للأمّ هو الاهتمام بالأطفال، والاهتمام بأيّ دور آخر هذا يعني أنّ هناك إهمال للدور الأول، مما يجعل الميجحط سواء كانوا كبار أو حتى أطفال هؤلاء الأمّ العاملة ينتقدونها. ولهذا حتّى يتمّ تفادي كلّ هذا فإنّه من الأفضل أنّه يجب تقديم تعريف لهذه الأمّ الجديدة، وأنّه قد أضافه مهمّة أخرى دون التخلّي عن المهام السابقة: "حتى التربية والتعليم يجب أن يأخذ في الحسبان صورة المرأة الجديدة، حيث يتمّ تربية البنات بالعلاقة مع تطوّر أدوار الرجل والمرأة الحاملة لتغيّرات" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 38). وهكذا تتوضّح الصورة أمام الجميع.

### • تحديد عدد الولادات والدراسة والعمل:

بالرغم من أنّ الحالة تعيش وسط النظام التقليدي و لديها إلتزامات إتجاهه إلا أنّ لديها طفلين فقط، ولا تريد الإنجاب من جديد لأنّ وضعها المهني والدراسي لا يسمحان لها بذلك، وهنا نستنتج أنّ هناك علاقة بين دراسة المرأة و عملها و تحديد عدد الولادات، حيث كان هناك تأثير للتعليم لدى البنات بالخصوص على عدد الولادات و كلّ التحقيقات الديمغرافية كشفت أنّ: "كلّما ارتفع مستوى التعليم، كلّما قلّ إنجاب الأطفال لدى المرأة، ولكن هنا تتدخّل عوامل أخرى والتي تجعلنا نقول أنّ مكانة (Statut) المرأة والديمغرافيا هما مرتبطين بعمق" (BALTA . P, 1988 : 137). وهذا ما لاحظناه لدى كلّ الحالات العاملة، وكذا لاحظناه لدى

الحالات الماكثة بالبيت، وهذه الأخيرة كان إما نتيجة إلى لدخول التعليم وبالتالي تأخر سن الزواج، وإما نتيجة للظروف التي تعيشها كل أم، بالإضافة إلى تأثر المرأة الماكثة بالبيت بضرورة تباعد الولادات من أجل الصحة. إذن إنَّ طرح مسألة تقليص عدد الولادات يمشي على نفس المستوى مع التحوّلات العميقة التي عرفها وضع المرأة وظروفها، ضمن الفئات الاجتماعية المختلفة سواء كانت عاملة أم لا، ونذكر من بين هذه التحوّلات: "زيادة الدخول إلى التعليم الثانوي والعالي وإلى العمل المأجور، ومن هنا إلى الفضاء العمومي، كذلك الابتعاد عن المهام المنزلية ووظائف الإنجاب (المرتبطة بالتقدّم والارتقاء والاستعمال المعتم لتقنيات موانع الحمل والخفض من الحجم العائلي)، مع بالخصوص تأخير سنّ الزواج والإنجاب، تراجع في الانقطاع عن النشاط المهني عند ميلاد الطفل، وكذلك ارتفاع نسبة الطلاق وانخفاض نسبة الزواج [وتحوّل الهدف من العلاقات الجنسية من الرغبة في الإنجاب إلى الرغبة في تحقيق المتعة]" (BOURDIEU . P, 1998 : 123).

#### • أم عاملة، تربية الأطفال فردية:

في النظام التقليدي كانت الأم تلد ويُساعدها كل أفراد العائلة والحي ككلّ في التربية، لكن حاليا الأم تُربي أطفالها لوحدها وتتعب بمفردها لكي ينجحوا، وهذا ما لاحظناه لدى الأمهات الماكثات بالبيت، واللاتي كنّ جميعهنّ يعشن في عائلات نووية. ولكن هذه الحالة بالرغم من أنّها تعيش وسط عائلة كبيرة إلا أنّها هي من تهتمّ بكلّ أمور أطفالها، ماعدا عندما تكون في العمل، ولهذا فإنّ هذه الحالة تُظهر أنّ الأمّ العاملة تعيش صعوبات كثيرة نتيجة لتعدّد الأمكنة كما ذكرنا سابقا من جهة، ومن جهة أخرى فالأمّ العاملة تميل لتربية ابنها بالنمط الذي تراه هي مناسباً، والذي يكون في الغالب مختلفاً عن ذلك النمط التي كان في النظام التقليدي: "جدّته (أمّ زوجي) لأنّها قبلت أن يبقى معها عندما أعود للعمل بل ورفضت أن أدخله إلى الروضة أو أتركه عند مربية... قبلت شريطة أن ينام في المهد الذي كان ينام فيه أبوه وأعمامه أي أن تتم تربيته بطريقة تقليدية (تضحك)، ومع ذلك قبلت بذلك الشرط بالرغم من أنّي لم أقبل ذلك عندما ولدت ابنتي، التي اشترت لها كلّ شيء على الموضة، وسرير عصري... إلخ".

## خلاصة الحالة الثانية:

إنّ هذه الحالة وإن كانت تختلف عن الحالة السابقة في كونها تعيش مع العائلة الكبيرة، وعندما تذهب للعمل تترك أطفالها عند الجدّة، إلا أنّه لوحظ وجود تغيّر في الممارسات الأمومية، وذلك نظرا لأهمية العمل والدراسة لدى هذه الأمّ التي ترى أنّ من خلالهما تُحقّق ذاتها. كما أنّها ترفض بعض الممارسات التقليدية التي يُحاول النظام التقليدي فرضها عليها.

إنّ لهذه الحالة تعدّدا في الأمّكنة وبالتالي مجموعة من الأدوار المتعارضة أحيانا فيما بينها، وهذا ما جعلها تُواجه صعوبات من أجل التوفيق بينها كلّها إلا أنّها نجحت في ذلك.

لوحظ أيضا لدى هذه الحالة تحديد لعدد الولادات وذلك من أجل التمكن من التحكّم في الوضع، خصوصا وأنّها تريد تربية أطفالها تبعا للنمط الذي تُحدّده هي، ومن جهة أخرى الأب لا يُقدّم المساعدة فيما يتعلّق بالاهتمام بالأطفال مقارنة مع الحالة السابقة، والعامل الرئيسي هو تشبّعه بمبادئ النظام الأبوي التقليدي الذي يقتضي بعدم مشاركة الأب في الممارسات التقليدية.

أمّ طبيبة: "تحقيق طموحاتي هو بيدي وحدي"

**Mère médecin: "La réalisation de mes rêves me concerne moi même"**

3-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2016/11/16، بمدينة سعيدة على الساعة 14:35 ودامت حوالي الساعة، وبمجرد توضيح موضوع الدراسة وطريقة العمل تحمست الحالة وبدأت بسرد قصة حياتها خصوصا فيما يتعلّق بأطفالها.

أنا فائزة 32 سنة، اعمل طبيبة عامّة، وزوجي 35 سنة ويعمل أخصائي نفسي، أنا أمّ لطفلين، ولد تقريبا سنه 3 سنوات والبنت سنها 6 أشهر، بمعنى بينهما حوالي سنتين ونصف فارق في السن، وعلاقتي بهما كعلاقة أي أمّ بأطفالها، فعلا أنا أعمل طبيبة ولكن العمل لم يبعدي عنهم بالعكس، عندما أحس أنّ تلك ساعات العمل أبعديني عنهما أحاول فيما بعد أن أعوّض ساعات الغياب لأقصى درجة ممكنة، عندما أعود من العمل أبقى معهما طيلة الوقت ولا أفارقهما، أرى ما ينقصهما، أحقق لهما ما يريدانه، ألبي لهما طلباتهما، أقضي لهما حاجياتهما. أنا أعمل 6 ساعات في اليوم. عندما أنجبت ابني الأول كنت أعمل بعد الظهر، حيث أبقى معه في الصبيحة وبعض الظهر أنا أذهب للعمل وأبوه يبقى معه بعدها حيث يكون قد أنهى عمله في المستشفى إلى أن أعود في المساء، كان يبقى معنا كلّ الوقت، كُنّا نتناوب على البقاء معه بحيث طيلة اليوم يبقى إمّا معي أو مع والده.

أمّا ابنتي فقد تغيّرت ساعات العمل ولهذا أخذها إلى المربية مع أخيها حتى أنهي عملي على الساعة الواحدة زوالا، وأذهب لاستلامهما حينها من عندها، هي مربية في بيتها وليس في روضة وليست من العائلة، هي سيدة في متوسط العمر تقوم بالاعتناء بالأطفال إلى حين يستلمهم أهلهم بعد الانتهاء من ساعات العمل، هي تعمل في منزلها. أنا لم أرغب في أخذ أطفالتي إلى الروضة لأنّ فيها عدد كبير من الأطفال واكتظاظ، وأيضا ابنتي

سناها 6 أشهر رفضوها في الروضة لصغر سنها. لهذا بحثت عن مربية خاصّة، أمّا العائلة فلم يُسح لي ترك أطفالي عندهم. حتى عندما ولدتهما كنت أهتمّ بهما فقط أنا ووالدهما، لم يساعدني أفراد العائلة. أمّي كانت تهتمّ بأبي كان مريضاً أمّا أمّ زوجي فلم تعد تستطيع الاهتمام بالأطفال (كبرت ولادها خلاص ما تزيدش تربي). كما أنّي أنا والأب (تقصد الزوج) في ذهنتنا نحب تحمّل المسؤولية بأنفسنا ولا نحب تحميلها للآخرين حتى لو كانوا من العائلة. وفي رأيي الولد والداه هما اللذان يجب أن يربّياه وليس أفراد آخرين. أربيه على طريقتي وكما أريد.

الرضاعة دائماً في البداية تكون طبيعية ولكن عندما تنتهي عطلة الأمومة وأعود للعمل تصبح اصطناعية. في أغلب الأحيان أنا أحضّر الرضاعة للطفل لكن عندما أكون منشغلة يُحضّرها الأب حتى عندما كان الطفل يبقى مع الأب كان يُحضّرها هو، وأيضا يُعيّر له الحفاظ إن تطلّب الأمر. لكن عندما أكون حاضرة أنا أقوم بذلك. أمّا إذا كنت غائبة أو ذهبت لشراء حاجاتهم يهتمّ الأب بذلك. هو يعرف كيفية الاهتمام بهما: يُحضّر الرضاعة، يُرضعهما، يُعيّر لهما الحفاظ والملابس إذا تطلّب الأمر، يُطعمهما بالملعقة، يقوم بالاهتمام بكلّ الأمور. في غيابي هو يتكفّل بهما في مكاني حتى أعود (حنا متعاونين في هاد الصوالح الحمد لله).

الابن الأول أرضعته طبيعياً 3 أشهر وعندما عدت للعمل قمت بقطامه، وأصلاً لم يبق لي الحليب فلو بقي كنت سأتمّ له الرضاعة الطبيعية بالرغم من أنّي أعمل. بدأ الرضاعة الاصطناعية قبل عودتي للعمل، قبل القطام كانت الرضاعة طبيعية واصطناعية فحليبي لم يكن كفيهِ. أمّا البنت فكانت الرضاعة طبيعية لشهر واحد فقط وفُطمت وأصبحت رضاعة اصطناعية. ولكن إذا تحدّثنا على القطام الخاص بالتوقّف عن استعمال الرضاعة (Biberon) فكان في السنّين وهنا القطام لا يكون صعب ويُمكن أن نقول أنّه لا يوجد قطام أصلاً، الطفل الذي تكون له رضاعة اصطناعية لا يُعاني في القطام لأنّه لم يكن متعلّقاً بالأمّ بدرجة كبيرة.

ينام أطفالي معي في الغرفة، وعندما يحتاجون لأمر ما في الليل أنا من ألبيه في أغلب الأحيان ونادراً الأب، لأنّني أنا أكون موجودة، في غيابي هو يستجيب. في الصباح يستيقظون معنا، فأنا أهتمّ بالبنت الصغرى، أنظّفها



وأُغَيِّرَ لها الحَقَاط وملايسها وأطعمها، أما الولد فالأب يتكفل بكلّ أموره يُنظِّفه ويُعَيِّر له ملايسه ويُطعمه، نتناول الإفطار جميعا مع بعض. أنا اهتَمّ بكثرة بالصغرى و هو (تقصد الأب أي الزوج) يهتَمّ بالابن الأكبر. يُمكن القول أننا نتقاسم المهام لا يوجد غالبا لي أنا أو غالبا له هو. بعد تحضير الأطفال نأخذهم إلى المربية معا أنا و والدهم وحتى إحصارهم من عندها نذهب معا.

الأطفال بالنسبة لي ليسوا عائقا في عملي، ولكن ربما لو أنني معهما في البيت بدون عمل لا أهتَمّ بهما مثلما إنني أفعل وأنا أغيب وأعود من أجل العمل، ولهذا عندما أعود أحاول تعويضهما عن غيابي، لأنني أعرف أنّ الطفل بحاجة لأمّه كثيرا والعمل يُمكن أن يكون عائق لهذا دائما أحاول تعويض النقص. عندما أعود أسأله، أتحدث معه، مثلا القيلولة أنا أنومهما ثم أضع كلّ منهما في سريره. ينامان في حضني. هما ليسا عائقا لعملي، أنا فعلا أفكّر فيهما، ولكن لا أستطيع ترك عملي، عندما أكون ذاهبة للعمل وأتركهما أحسّ بالضيق (بغيبوني)، ولكن أتجاوز ذلك وأقول أنني ذاهبة للعمل من أجلهما ومن أجل ضمان مستقبلهما ويُمكن القول أنّه هما أكبر دافع يجعلني أخرج للعمل. فحتى لو أنّ والدهم يعمل وأنا أبقى معهما وأهتَمّ بهما طيلة اليوم وأنهما بحاجة لوجود الأمّ بجانبهما، ولكن ممكن ماديا يتأثران عندما ينقصهم حاجيات ولا يُمكن توفيرها، لهذا عليّ الخروج للعمل. أنا لم أتخصّص في الطب وإنّما لازلت طب عام بسببهما (هما جاوني في الطريق)، لم أستطع تركهما. لأنّ الأطفال يصبّحون هم الاهتمام الأول والأخير، هم كلّ شيء. عندما كنت أدرس في الجامعة كان لدي طموحات وكان لي رغبة في التخصص لكن عندما جاء الأطفال أصبحت الأولوية لهم. ممكن عندما يكبران أتخصّص.

في تربيتي لأطفالي أحاول أن تكون حسب الثقافة و المجتمع الذي نعيش فيه حاليا، وتبعاً للفضائيات فمثلا عندما كنت صغيرة لم تكن موجودة بعض الأمور التي هي موجودة حاليا، لهذا لا أتبع الطريقة التي تربيت بها في صغري كثيرا، هناك تعييرات حصلت. وحتى الأولياء سابقا لم يكن لديهم ثقافة ولكن نحن حاليا ندرس، نطالع، نشاهد التلفاز وحصص خاصة بتربية الأطفال وما يجب القيام به في التعامل معهم، يُمكن الاستفادة بأخذ بعض

الخطوات منهم، مثلا أنا لا أحب أن أشعر ابني أنني أهتم بأخته كثيرا، دائما أحرس نفسي من ألا أقع في الخطأ عندما أتعامل معه أو مع أخته. حتى اختياري لزوجي كونه أخصائي نفساني كان مقصودا، لأنه يعرف كيف يُربي أطفاله ويعرف طريقة التعامل معهم أحسن من الآخرين. موضوع تربية الأبناء مهم جدا في نظري فأنا أرى أنه يجب أن يكون لدى الوالدين رصيد معرفي لأنّ التربية أصعب مهمة وليست بالأمر الهين والسهل.

بيولوجيا أنا أمّ (تضحك) لكن ... أحاول، في الواقع المثالية غير موجودة في هذه الدنيا ولكن الانسان يحاول، فمثلا إذا صار الابن (لا قدر الله) سيء الطباع أو منحرفا ( ماشي مربّي) لا يقول الوالدان أننا لم نبذل جهدا بل بالعكس يكون كلّ منهما قام بكلّ ما في وسعه لتربيتهما تربية حسنة. فأنا مثلا أنا أقوم بكلّ ما في استطاعتي في تربية ابني وابنتي خصوصا أنني أعمل، مثلا ابني أعلمه الأذكار وأحفظه القرآن، أوجهه لما يجب قوله وفعله وما يجب تجنّبه، الأمور الصحيحة أحفزه على القيام بها والأمور السيئة أبعده عنها والكمال على الله سبحانه. أما الجانب الآخر للأمومة فأنا أحاول بذل قصارى جهدي حتى التلفاز أنا أختار له البرامج التي يُشاهدها، أعلمه متى يأكل ومتى يلعب ومتى ينام، وأعلمه كلّ ما يتعلّق بالنظافة كغسل الأيدي قبل الأكل، مثلا نزع الحذاء في المكان المخصص وغيرها ولكن بهدوء. أعلمه ولا أقول أنه لا زال صغيرا بل أعلمه قوانين وضوابط ونظام البيت. حتى المربية أتبهها على كيفية التعامل مع الأطفال وعلى أنّ عليها أن تتبّع نفس الطريقة التي أتبعها أنا في التربية، وخصوصا يجب ألا تتركه يفرض عليها ما يريد. ولكن في نفسي لا أقول أنني أمّا ناجحة إلى درجة كبيرة، ولكن في نفس الوقت لست أمّا مهملة ولا مقصرة أنا في المتوسط.

بالنسبة لي أطفالتي لهما نفس المكانة عندي وأنا لا أفترق بينهما لأي سبب من الأسباب وكذا لا أفضّل جنسا على الآخر. هي فعلا في المجتمع يوجد فكرة تفضيل الولد على البنت، ولكن أنا لأنني أنجبت ولد في البداية لم تكن لدي هذه الفكرة، أما فيما يخصّ الثاني لم أهتمّ إن كان سيولد ولد أو بنت لأنني قد أنجبت ولد، لم يكن لدي اهتمام، ربما لو كنت أنجبت في البداية بنت ربما كنت سأتمنى إنجاب ولد، ممكن ولكن عندما

عرفت أنّ لدي بنت كان الأمر عادي لم أفرح ولم أنزعج عادي. لو كان لدي 3 أو 4 بنات كنت سأتمنى إنجاب الولد، أو العكس أيضا. وفي الواقع إنجاب الولد فقط من أجل الأب (غي على خاطر أباه نقول لو كان غي نجيب ولد)، ولكن بالنسبة لي أقول في نفسي (لي عطاءه ربي مرحبا بيه المهم الصورة الكاملة).

أنا حاليا أم أكثر بالرغم من أنني أعمل، في وقت مضى كنت زوجة أكثر لكن الآن أنا أم أكثر لأنّ الاهتمام ينصبّ على الأطفال.

أكثر ما أتمناه لأطفالي أن يكونوا صالحين في المجتمع بغضّ النظر على النجاح في الدراسة والعمل وغيرها، وليس لأنني طيبة أفرض عليهم أن يكونوا مثلي، بالعكس المهمّ أن ينجحوا في أي مجال اختاروه فمثلا يكون ابني أدبي أو رسّام أو موسيقار، المهمّ ينجح في تخصصه، وكذلك يكون يخاف الله ويتقن مهنته.

يوم عادي أستيقظ أنا والأب على صلاة الفجر نصليّ، ثمّ أحضّر الرضّاعة لابنتي الصغرى ثمّ يستيقظ ابني نحضّرها من أجل أخذها إلى المربية ثمّ يذهب كلّ منّا إلى عمله. وعندما تنتهي من العمل يأتي (تقصد الزوج) ليأخذني ثمّ نمرّ على المربية لاستلام الأطفال. نعود للمنزل نتناول الغذاء وهو (تقصد الزوج) يعود للعمل، أمّا أنا فأقوم بجعل الأطفال يأخذون قيلولته حتى العصر وهو يكون قد أنهى عمله. وبعدها أهتمّ بأشغال المنزل، أحيانا أشاهد التلفاز مع ابني وأتناقش معه عن ذلك.

حتى العقاب نتشارك فيه لكن لا نقوم بضربهما، خصوصا مثلا عندما يقلّد ابني بعض الكلمات السوقية التي ينقلها عن الأطفال في الشارع.

الزواج ليس عائقا أمام طموحاتي بالعكس زوجي يُشجّعني ويساعدني، إلا إذا أنا لم أرد تحقيقه، وحتى الأبناء لا يمثّلون لي عائقا، وإذا لم أُحقّق ما أريد فهذا مرتبط بي أنا.

### 3-2- التعلیق علی قصة الحالة:

تنتمي الحالة إلى الغرب الجزائري وتبلغ من العمر 32 سنة، هي أمّ لطفلين وتعمل طبيبة عامّة، زوجها أخصائي نفسي سنّه 35 سنة، يعيشان مع طفليهما في منزل منفصل عن العائلة الكبيرة.

#### • الطفل هو ابن زوجين وليس ابن جماعة:

في النظام التقليدي كان الولد هو ابن جماعة، أي هناك مجموعة من الأفراد مسؤولين عنه، وهذا أشرنا إليه في أكثر من موضع، أمّا في هذه الحالة فالولد هو ابن زوجين فقط أو هو من مسؤولية الزوجين فقط، وقد عبّرت الحالة عن ذلك بقولها: "كما أنّي أنا والأب (تقصد الزوج) في ذهنتنا نحب تحمّل المسؤولية بأنفسنا ولا نحب تحميلها للآخرين حتى لو كانوا من العائلة. وفي رأيي الولد والداه هما اللذان يجب أن يربّياه وليس أفراد آخرين. أربيّه على طريقي وكما أريد". وقد أشارت في موضع آخر أنّها لا تتبّع نفس النمط التربوي الذي تربّت عليه في صغرها: "عندما كنت صغيرة لم تكن موجودة بعض الأمور التي هي موجودة حاليا، لهذا لا أتبع الطريقة التي تربّيت بها في صغري كثيرا، هناك تغيّرات حصلت. وحتى الأولياء سابقا لم يكن لديهم ثقافة ولكن نحن حاليا ندرس، نطالع، نشاهد التلفاز وحصص خاصّة بتربية الأطفال وما يجب القيام به في التعامل معهم، يُمكن الاستفادة بأخذ بعض الخطوات منهم". وهذا تصريح واضح يُؤكّد وجود تغيّر على مستوى النظام الاجتماعي عموما حيث تجدر الإشارة إلى هناك تغيّر في جوانب معيّنة في بعض عناصر الثقافة، وهذا يعني أنّ هذه الأخيرة تتغيّر تبعا للظروف التي يعيشها الفرد: "إنّ الكائنات الإنسانية وبيئتهم البيومادية والثقافية ليست ساكنة، فهي تتغيّر في آن واحد بفعل السيرورات الطبيعية المرتبطة فيما بينها وتدخل أفرادها رجالا ونساء" (BENNOUNE. M, 2000 :65).

كذلك هناك تغيّر على مستوى نمط تربية الطفل بالخصوص، فبعدها كانت في النظام التقليدي تربية الطفل تخصّ جماعة من الأفراد، أصبحت في هذه الحالة تخصّ فردين فقط هما الأب والأمّ: "مسؤولية تربية

الأطفال كانت تخصّ الوالدين والمحيط وممثلي الدين والمعلّمين. تدرجيا القوّة العمومية ابتعدت عن العائلة وأصبحت التربية من شأن العائلة فقط مع ملاحظة انخفاض في عدد الأطفال" (BOUTIN . G et ) (DURNING . P, 1999 : 1).

هناك جانب آخر يجب الإحالة إليه، وهو يتعلّق بالعديد من الحالات سواء الماكثة بالبيت أو العاملة، ألا وهو علاقة الطفل بالوالدين، حيث في السابق كان الطفل يتعلّق بداية بالأمّ بالخصوص ثمّ بالأب، لكن لاحظنا هنا أنّه يتعلّق بالزوج الوالدي منذ البداية وفي بعض الحالات بالتساوي، وظهر ذلك بداية بعزل الطفل في غرفة منفردة، دخول كلا الوالدين في تفاعل معه وبالخصوص الأب، وتحملهما للمسؤولية معا: "إنّ التعلّق بكلا الوالدين يتحوّل إلى تعلّق بالزوج الوالدي، وإنّ إدراك هذا الزوج (Couple) واقعي وموضوعي، حيث أنّ هذا الزوج الوالدي المتّحد يُساعد الطفل على القيام بحداد للوالدين بصفتها أفرادا، لكنّه حداد مفيد لأنّه لا ينتج عن فقدان، ولكن ينتج بالأحرى عن قبول فردية الزوج الوالدي، ووجوده المستقلّ عن وجود الطفل" (LE CAMUS . J, 1985 : 53).

#### • التعاون من أجل توفير الجانب المادي:

ما شدّ الانتباه هنا هو أنّ الحالة أشارت إلى أنّ سبب عملها هو الجانب المادي: "عندما أكون ذاهبة للعمل وأتركهما أحسنّ بالضيق (بغضوني)، ولكن أتجاوز ذلك وأقول أنّي ذاهبة للعمل من أجلهما ومن أجل ضمان مستقبلهما ويُمكن القول أنّه هما أكبر دافع يجعلني أخرج للعمل. فحتى لو أنّ والدهم يعمل وأنا أبقى معهما وأهتمّ بهما طيلة اليوم وأنّهما بحاجة لوجود الأمّ بجانبهما، ولكن ممكن ماديا يتأثران عندما ينقصهم حاجيات ولا يُمكن توفيرها، لهذا عليّ الخروج للعمل"، هذا التصريح المفروض هو خاصّ بالأب، وهي عبارة متداولة بين الرجال وليس بين النساء، والعمل أصبح ضرورة لكسب المال، فبعدما تدرس تحصل على منصب جيّد وراتب. هذا يُحيل إلى أنّه

أصبحت الأم تُفكر وتهتمّ بالجانب الاقتصادي للمنزل بعدما كانت في السابق تهتمّ فقط بالتسيير الداخلي فيه، في حين كان الأب هو من يهتمّ بالدخل الاقتصادي له: "يهتمّ الرجل بالعمل خارجا لتأمين متطلبات المنزل في حين تتكفل المرأة بالداخل، الاهتمام بالمنزل والإنجاب ورعاية الأطفال" (LACOSTE-DUJARDIN . C, ) 234 : 1991).

هذا التوزيع للمهام حسب الجنس ليس في الثقافة الأبوية وإنما في مختلف الثقافات الأخرى وفي مختلف القوانين والتشريعات: "في كلّ النصوص القانونية منصوص أنّ على الرجل التكفل بعائلته" (GADANT . M et ) 103 : 1990 (KASRIEL . M).

أما فيما يتعلّق بنظامنا الاجتماعي فإنّه تبعاً للتحقيق الذي قام به Bouatta . CH فإنّه كشف أنّ: "النساء العاملات الجزائريات يُساهمن في الإنفاق العائلي، مساعدة الوالدين، نفقات المنزل، في جهاز العروس (بالنسبة للعازبات)، بالإضافة إلى إنفاقهنّ على أنفسهنّ (...) وهنا في كلّ الحالات الرجل ليس الوحيد المسؤول على التسيير العائلي" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 104). وهذا يدلّ على تغيّر في المهام التي كانت موكلة إلى كلا الجنسين وبالخصوص الخاصّة بالمرأة.

#### • تربية دينية:

الدين هو "عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة" (فضلى . ع، 2007: 25)، وهو عمود الثقافة، والمتمثّل في نظامنا الاجتماعي في الإسلام، ومنه تمّ استنباط العديد من العناصر المكوّنة للثقافة، ويُمكن إعطاء تعريف آخر وهو: "الدين هو علاقة فردية بين الفرد وخالقه (...) والإسلام لا يقتصر على توجيه وتنظيم علاقة الإنسان برّبّه فقط، بل يشمل كلّ علاقات الإنسان" (فضلى . ع، 2007: 25). يعتمد أفراد المجتمع وبالخصوص هؤلاء المنتمين إلى النظام التقليدي إلى الدين في تربية أطفالهم. ويقصد بالتربية الدينية أنّها نظام تربوي يبني إنسانا متكاملًا

من جميع النواحي وذلك انطلاقاً من الدين. وقد لاحظنا أنّ هذه الحالة تنتهج التربية الدينية مع طفلها، وذلك ظهر من خلال العبارات الإيديولوجية التي ذكرتها: "ابني أعلمه الأذكار وأحفظه القرآن، أوجهه لما يجب قوله وفعله وما يجب تجنبه، الأمور الصحيحة أحفزه على القيام بها والأمور السيئة أبعد عنها والكمال على الله سبحانه"، ويظهر أنّ لديها تربية دينية حيث نلاحظ أنّ الرأي الديني للحالة هو مهمّ وعميق. وهذا يدلّ على أنّ الحالة عاشت في طفولتها وسط محيط محافظ ومنتشع بالقيم والمبادئ الدينية، ممّا جعلها تستدخل كلّ ما يتعلّق بذلك. إنّ للتربية الدينية وكذا النماذج الحاملة لها دوراً مهمّاً في بناء الشخصية، وهذا ما أشار إليه Linton . R عندما تحدّث عن وظائف الثقافة في تكوين الشخصية: "النماذج الثقافية المتشكّلة التي هي عبارة عن تلخيص لمعظم التأثيرات المحيطة هي مهمّة جدّاً في تكوين الشخصية" (LINTON . R , 1968 : 46).

#### • عائلة نووية: تناوب الأب والأمّ على الممارسات الأمومية:

تعتبر العائلة هي الخلية القاعدية للمجتمع، وفي الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية: "العائلة الوحيدة المقبولة هي تلك التي تعتبر شرعية من خلال الزواج" (MERNISSI . F et SAADI . N, 1991 : 48). ما ميّز نظامنا التقليدي هو وجود العائلة الأبوية والتي هي عائلة كبيرة تضمّ أجيالاً مختلفة من أجداد، آباء، أبناء وأحفاد، ولكن تدريجياً زالت هذه العائلة وتركت المجال للعائلة الممتدة أو المتوسّعة التي هي بدورها في طريق الزوال، ويُلاحظ حالياً أنّ هناك اجتياحاً للعائلة النووية، مثلما هو الحال في هذه الحالة، حيث تكون العلاقة الزوجية هي أساس العائلة. وهنا يظهر أنّ الوالدين هما الوحيدين اللذان يتكفّلان برعاية وتربية أطفالهما، ويتشاركان في مختلف المهام والممارسات بالخصوص إذا كانت الزوجة عاملة، مثلما لاحظناه في تصريح هذه الحالة: "أنا اهتمّ بكثرة بالصغرى وهو (تقصد الأب أي الزوج) يهتمّ بالابن الأكبر. يُمكن القول أنّنا نتقاسم المهام"، وهذا يعني أنّ هناك مساواة في أداء مختلف المهام سواء خارج أو داخل المنزل: "داخل العائلة، مشاركة المسؤوليات ارتفع، حوار الزوجين تغيّر وتمّ إثراؤه، المساواة تأكّدت تدريجياً" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 37).

إنّ هناك تناوب الأب والأمّ في التربية حيث يقوم الأب بنفس المهام التي تقوم بها الأمّ: "عندما أنجبت ابني الأول كنت أعمل بعد الظهر، حيث أبقى معه في الصبيحة وبعض الظهر أنا أذهب للعمل وأبوه يبقى معه بعدها حيث يكون قد أنهى عمله في المستشفى إلى أن أعود في المساء، كان يبقى معنا كلّ الوقت، كنّا نتناوب على البقاء معه بحيث طيلة اليوم يبقى إمتا معي أو مع والده"، وهذا يُحيل إلى أنّ المهنة (الوظيفة) هي التي تُحدّد المهام لكلا الجنسين وليس النوع (Genre) الذي حدّدته الثقافة مسبقا، أي المرأة في الداخل والاهتمام بالأطفال والأب في الخارج يعمل. وهنا تتكوّن علاقات بين الأب والطفل وهي علاقات أولية مبكّرة لم تكون موجودة من قبل، وأصبحت موجودة مع التغيّرات التي طرأت على أدوار المرأة، حيث أنّ: "إدراج المرأة داخل الحياة العملية، ترقية النساء داخل الوظيف العمومي والتمدرس الشامل شيئا فشيئا للبنات كلّ ذلك يشهد على معطيات جديدة ولا رجعة فيها" (DIB-MAROUF . Ch, 1984 : 63).

#### • انفصال مبكّر للعلاقة أم-طفل:

ما تعارف عليه النظام التقليدي هو بقاء الطفل بجانب أمّه ونساء المنزل لمُدّة لا تقلّ عن السنتين، والتي هي تُمثّل مرحلة الرضاعة، فيما بعد يعمل النظام على فصله عن أمّه لإدخاله عالم الرجال: "شرف الرجال يتضمّن انفصال الولد عن أمّه والانفصال عن نساء العائلة ككلّ، من أجل حراستهمّ لاحقا" (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 8-9). وحتّى في التراث السيكولوجي، نجد أنّه تستمرّ العلاقة أم-طفل إلى حوالي السنتين، وسَمّاها Freud . S بالمرحلة الفمية، وحسب رواد التحليل النفسي فإنّها في نهاية السنتين يحدث التمايز الأنوي، بحيث يكتسب الطفل استقلالية عن الأمّ وينفتح على العالم الخارجي. ولكن ما لاحظناه في هذه الحالة أنّ الانفصال كان مبكّرا جدّا، حيث كان في حوالي الثلاثة أشهر وهي تُمثّل عطلة الأمومة. وفي هذه الفترة دخل الأب في علاقة تفاعلية مبكّرة مع الطفل: "إنّ تطوّر البنات والوظائف والأدوار والعلاقات داخل العائلة تأثّر بدور المرأة الجديد في المجتمع" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 38).



إنّ هذا الانفصال المبكر أدى إلى ظهور شعور بالذنب لدى الأمّ، لأنّ ما تقوم به جديد ولم يكن موجودا في النظام التقليدي وهذا الإحساس ناتج عن ترك الأطفال من أجل العمل، ولكن تسعى الحالة إلى تجاوز ذلك الإحساس لإيمانها أنّ لولا عملها فإنّهم لن يستطيعوا العيش بالطريقة التي هم عليها الآن.

### • تغيّر في العلاقات وليس في الثقافة:

يجب توضيح أنّ هذا التغيير الذي تحدثنا عنه منذ بداية دراسة الحالات العاملة إلى غاية الآن هو تغيّر على مستوى العلاقات: "حق العمل للمرأة شوّش الروابط التقليدية بين الجنسين" (CHOMBART DE 36 : 1964 . P.E, LAUWE)، وليس على مستوى الثقافة. والدليل على ذلك هو ذكر عبارات إيديولوجية أثناء سرد الحالات للقصص، وهذا أيضا كان حاضرا في كلام الحالة. فهذان الزوجان يعيشان حسب ثقافتنا وليس تقليدا للغرب، أي أنّ هذه التغيّرات حدثت من الداخل، ولا علاقة لها بتقليد الغرب كما هو شائع، حيث توضّح أنّ هناك حاجات تطلّبت خروج المرأة للعمل. وهذا يحيلنا إلى هرم الحاجات الذي وضعه Maslow . A وكذا الحاجات التي وضعها Linton . R، والتي سنعطي ملخصا عنها فيما يلي:

أولا: الحاجات الفرد حسب Linton . R:

تربط بين الفرد والمجتمع والثقافة علاقات وظيفية، وإن كانت هذه الكليات الثلاث متميزة ومختلفة. غير أنّ الفرد بالخصوص يحتلّ أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية وسيرها، والثقافة التي ينتمي إليها، بحيث أنّ الفرد وحاجاته وقدراته تتواجد في قاعدة كل الظواهر الاجتماعية والثقافية حيث أنّ "المجتمعات هي مجموعات منظمة من الأفراد، والثقافات هي أنظمة استجابات متكررة ومشاركة بين أعضاء مجتمع ما" (LINTON . R, 1968 : )

(11).

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ حاجات الفرد هي التي تشكّل دوافع لسلوكه والتي هي مسؤولة على أنّ المجتمع والثقافة هي ناتجة، وهنا يتوضّح لنا حاجة المرأة للعمل. كما أنّ حاجات الكائن الإنساني هي عديدة ومتنوعة على أصعدة مختلفة. ويتمّ الإشارة هنا إلى وجود حاجات فيزيولوجية تتمثّل في الحاجة للأكل، النوم، التخلّص من الآلام، الحاجة الجنسية، فالفرد لديه مجموعة واسعة من الحاجات المختلفة والتي لا يُمكن تحديد العلاقة فيما بينها بوضوح. وتعتبر الحاجات الفيزيولوجية حاجات أولية وضرورية وهناك حاجات نفسية والتي تعتبر ثانوية.

أشار Linton .R إلى وجود حاجات فيزيولوجية وحاجات نفسية، ولكن ركّز على هذه الأخيرة:

- الحاجة للاستجابة العاطفية (Le besoin de réponse affective):

من بين الحاجات النفسية للفرد والأكثر ملاحظة في الواقع هي الاستجابة العاطفية من طرف الآخر، ويتمّ استخدام مصطلح "استجابة عاطفية" لأنّ الاستجابات السلوكية البسيطة يُمكن أن تترك هذه الحاجة دون إشباع، مثلا: في مدينة حديثة يُمكن إقامة علاقات شكلية تحت إطار الثقافة مع عدد كبير من الأفراد والحصول منهم على خدمات ضرورية دون أن تتخلّلها استجابات عاطفية. في هذه الحالة الحاجة النفسية للاستجابة العاطفية لا تُشبع، والفرد يُعاني من أحاسيس الانحطاط والانفصال التي تكون حادّة مقارنة مع عدم وجود أي فرد في الأصل، وهذه التجربة تُؤدّي إلى إحباط أقوى بكثير مقارنة بالوحدة الحقيقية. إنّ هذه الحاجة للاستجابة العاطفية وخصوصا استجابة مفضلة هي التي تدفع الفرد إلى التصرّف بشكل مقبول اجتماعيا، وهي كذلك شاملة وقوية إلى درجة جعلت العديد من علماء الاجتماع يعتبرونها غريزية بمعنى فطرية. وهذه الحاجة تظهر منذ الطفولة، وقد أشار Kardiner . A إلى ذلك بقوله المنقول عن Ferenczi: "إنّ المولود دون حب هو مولود ميّت" ( In )

(LINTON . R, 1968 : 13-14).

- الحاجة للأمن (Le besoin de sécurité):

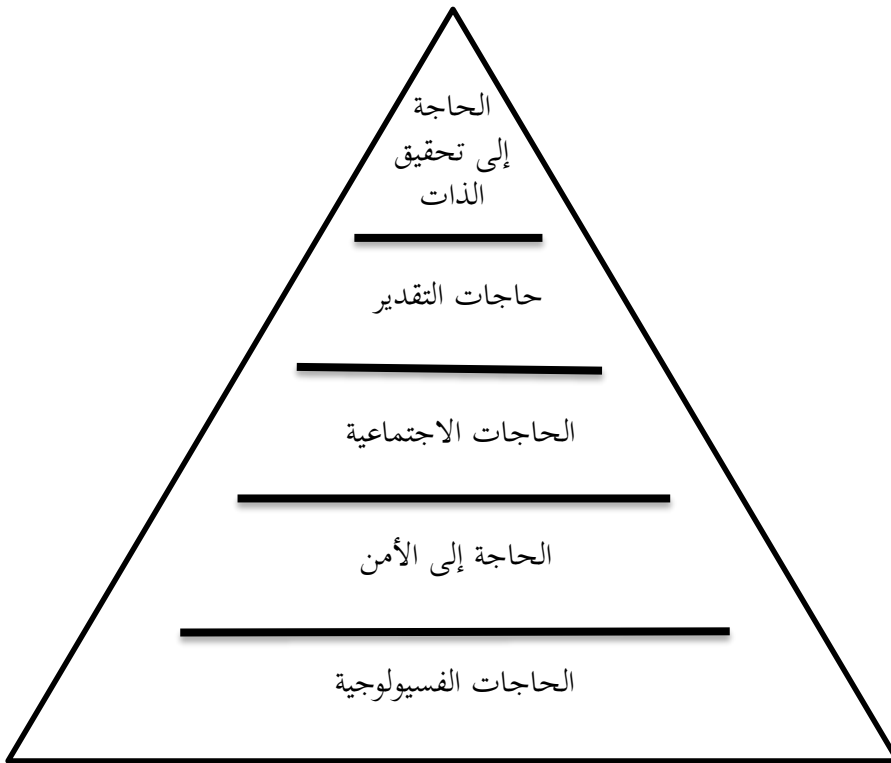
الحاجة النفسية الثانية هي أيضا شاملة وعمامة لدى جميع الأفراد وهي الحاجة إلى الأمن طويل المدى. إنَّ للفرد استعدادا لإدراك الوقت على أنه تواصل واستمرار من الماضي إلى الحاضر وحتى المستقبل، فالإشباع (Satisfactions) الحاضرة ليست كافية لمدى طويل إذ أنه تصبح في المستقبل غير أكيدة. يعيش الفرد الحاجة إلى الأمان انطلاقا من الإحساس بالزمن الذي يُحدث لديه القلق من المستقبل بحيث يجعله يُميز إشباع حاجته الحاضرة وتوقع ما سيحدث مستقبلا. كما تجدر الإشارة إلى أنه: "تظهر الحاجة للأمن والعيش بأمان في أشكال سلوكية عديدة مُحددة ثقافيا (...). إنَّ هذه الحاجة مهمّة جدّا لأنّها تُمثّل دافعا للسلوكيات الموجهة نحو المستقبل" (LINTON . R, 1968 : 14).

- الحاجة إلى التجديد (Le besoin de nouveauté):

ثالث وآخر حاجة نفسية هي الحاجة إلى تجدد الخبرات (La nouveauté de l'expérience). وهي أقلّ قهرا أو قسرا مقارنة بالحاجات التي تمّ الإشارة إليها سابقا، ولا تبرز إلا نادرا وبعد إشباع معظم الحاجات الأخرى. ويحدث نتيجة لظاهرة الملل أو الضجر ممّا يُؤدّي إلى مختلف التصرفات من أجل التغيير والتجديد بشكل مقبول ثقافيا. ومثلما ما هو موجود في الحاجة إلى الاستجابة العاطفية يُمكن شرح الحاجة للتجديد بالرجوع إلى الطفولة. أثناء الطفولة يعيش الفرد باستمرار تجارب جديدة ومتنوعة وهذا ما ينتهي به في نهاية المطاف بإصدار نوعيات تجديد قوية وذات ارتباط بالتوقع. إذن يُمكن القول بأنّ جدور هذه الحاجة تمتدّ إلى مراحل الطفولة حيث تمّ إثبات أنّ: "الأطفال الصغار يُظهرون ميولات للتجريب، وPavlov لاحظ ما سمّاه بمنعكس الاستكشاف للحيوان (Reflexe explorateur de l'animal)" (LINTON . R, 1968 : 15).

ثانيا: حاجات الفرد حسب Maslow . A (عوض . س، 2013: 1-2):

قدّم Maslow . A حاجات الفرد على شكل الهرم التالي:



- الحاجات الفسيولوجية: ويقصد بها الحاجات الأساسية للبقاء على قيد الحياة، وهي فطرية كما تعتبر كقاعدة لبلوغ

إشباع الحاجات الأخرى. ما يُميّزها أنّها شاملة لكلّ البشر إلا أنّ الاختلاف يعود إلى درجة الإشباع المطلوبة لكلّ

فرد حسب حاجته.

- الحاجة إلى الأمن: يتركز تحقيق إشباعها على مقدار الإشباع المحقق للحاجات الفسيولوجية. حيث يسعى الفرد إلى تحقيق الأمن والطمأنينة له و لمحيطه، فنجده يُؤمّن على ممتلكاته، عمله، وإذا لم تُحقّق هذه الحاجة فإنّ ذلك يُؤدّي إلى انشغال الفرد فكريا ونفسيا ممّا يُؤثّر على أدائه في العمل، وعلى حياته وعلاقاته بصفة عامّة.

- الحاجات الاجتماعية: إنّ الإنسان اجتماعي بطبعه حيث يرغب في إقامة علاقات مع أفراد المجتمع سواء في مكان العمل، الحي الذي يعيش فيه، وسط العائلة ومختلف الأماكن التي يتواجد فيها ويتردّد عليها باستمرار، حيث يسود هذه العلاقات المودّة والحب والإحترام، وهذا يُحقّق له الشعور بالإنتماء والتوازن النفسي.

- حاجات التقدير: وهذه الحاجة ذات ارتباط وثيق جدًا بالحاجة السابقة، حيث تتمثّل في الشعور بالثقة والحصول على التقدير والاحترام من قِبل الآخرين، وهذا ما يجعل الفرد يُحس بأهميته ومكانته وقيّمته وما لديه من قدرات وإمكانيات.

- الحاجة إلى تحقيق الذات: وهي تتعلّق بتحقيق الفرد للاستقلالية التي هي مهمّة جدا لإشباع هذه الحاجة، وكذلك تحقيق أهدافه وطموحاته التي تجعله يبلغ درجة عليا تُميّزه عن غيره ويصبح له كيان مستقل.

إنّ هذا الملخصّ لحاجات الفرد هو الذي يُفسّر خروج المرأة للعمل، وفي هذه الحالة كانت الحاجة الأولى التي دفعتها للعمل هي الحاجات الفسيولوجية، وربّما حتى الحاجة إلى الأمن. في حين نجد في حالات أخرى مثل الحالة السابقة أنّ العمل يُشبع لها الحاجة إلى تحقيق الذات.

### • تشجيع الزوج للزوجة على الدراسة والعمل:

أشارت الحالة في موضع من قصّتها أنّ: "الزواج ليس عائقا أمام طموحاتي بالعكس زوجي يُشجّعني ويساعدني"، وهذا يُشير إلى تغيّر مهمّ جدًا: "إنّ تمدرس وعمل المرأة أصبح معيارا، وفي المقابل الأدوار الوالدية تغيّرت. أصبح الأب يستثمر أكثر في التربية بالخصوص مع الأطفال الصغار، وعدد من الآباء يهتمّ بتربية أطفاله، في

حين زوجاتهم يُتابعن دراستهنّ وعملهنّ. إنّ التمييز بين الرجل والمرأة من خلال دورهم كوالدين يبدو تدريجيا مرتبط ومتعلّق بالتربية التي يُقدّمونها" (BOUTIN . G et DURNING . P, 1999 : 23).

وهذا يُحيلنا إلى الحكمة أو القول المأثور حول نجاح الرجل الذي يكون وراء امرأة، التي عكستها أحلام مستغانمي إلى المؤنث: "وراء كلّ امرأة ناجحة يوجد رجل" ( SID LARBI-ATOUCHE . Kheira, ) (30 : 2001)، وأضافت "يُشجّعها ويكون بديلا لأبيها" ( SID LARBI-ATOUCHE . Kheira, 2001 : ) (30).

### • حرية اختيار الزوج:

في المجتمعات القديمة شكّل الزواج عنصرا أساسيا للاستمرار العائلي، واختيار الزوج كان مُسيّرا من طرف مجموع الميكانيزمات الاجتماعية: "كانت القاعدة العامة هي الزواج من الأقارب الذين يتشاركون مع بعض الفضاء الاجتماعي والجغرافي أو الاشتراك في النسب" (SEGLEN . M, 2004 : 117). حيث قبل 1914 كان الزواج يُنقذ من خلال قواعد صارمة جدّا، وذلك لأنّ الفرد كان يدخل فيه ويستمرّ إلى المستقبل، لأنّه كان فرصة لانتقال اقتصادي مهمّ، لأنّه يُؤدّي إلى إثبات من جديد التدرّج الاجتماعي، والوضعية العائلية داخل التدرّج، وبالخصوص فإنّه: "كان مسألة تخصّ كلّ الجماعة أكثر من أنّها تخصّ فرد واحد. إنّ العائلة هي التي تتزوج من عائلة أخرى" (SEGLEN . M, 2004 : 117).

وهذا ما كان سائدا أيضا في نظامنا التقليدي، حيث كان هناك انتشار لما يُسمى الزواج الداخلي، والذي يكون غالبا بين أبناء العم، وكان الجماعة هي التي تُخطّط له ومنذ طفولة الزوجين، وإن تمّت المصاهرة مع أفراد من منطقة أو قبيلة أخرى فذلك غالبا يكون لمصلحة معيّنة: "سواء داخل المجتمعات المتساوية أو غير المتساوية، في

الأوساط المدنية أو الريفية كان اختيار الزوج أو الزوجة مسألة تخصّ الجماعة، ولدى عدد من المجموعات القروية كان الزواج من الأقارب هو الأكثر تواترا على الإطلاق (SEGLEN . M, 2004 : 119).

ولكن تدريجيا وتبعاً للتغيرات الطارئة على النظام الاجتماعي أصبح من حق الرجل بداية اختيار شريكة الحياة غير تلك التي اختارها الجماعة أو الأمّ له. تقول تيليون بهذا الخصوص: "قبل 1940 تعرّفت على بعض المثقفين الجزائريين الشباب، الذين بدأوا الاحتجاج ضد إلزامية الزواج بابنة العمّ المختارة من طرف العائلة منذ الولادة، البعض منهم وهم قلة تمرّدوا على رغبة العائلة، بعد 1945 كفّ الشباب بعدد ملحوظ عن الخضوع للعائلة وتزوّجوا بحسب اختيارهم، فأصبحت الشكوى صادرة من العائلة" (تيليون . ج، 2000 : 129).

وبعدها ظهرت حرية اختيار الزوج لدى المرأة بعيدا عن الجماعة وتبعاً لما تراه هي مناسبا لها، وهذا ما لاحظناه لدى الحالة: "حتى اختياري لزوجي كونه أخصائي نفساني كان مقصودا"، وهذا يعني أنّه: "تدريجيا ظهر مبدأ حرية اختيار شريك الحياة من قبل المرأة" (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 51).

وقانونيا وشرعيا أصبح الزواج لا يُعقد إلا بموافقة الطرفين المعنيين: "الزواج لا يُمكن أن يُعقد إلا مع حرية وموافقة الأزواج المستقبليين" (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 52).

### • المرأة ومجال الطب:

من بين التغيرات الأكثر أهمية في وضعية المرأة وأحد العوامل الأكثر حسما في التحوّلات في هذه الوضعية هو بدون أدنى شكّ ارتفاع وزيادة دخول البنات إلى التعليم الثانوي والعالي، الذي له علاقة مع التحوّلات في البنات المنتجة (خصوصا زيادة وتطور إدارات كبيرة عمومية وخاصة، وتكنولوجيا اجتماعية جديدة للتأطير) والذي أدّى إلى تحوّل مهمّ جدّا في وضعية النساء داخل توزيع العمل: "يُلاحظ نموّ مرتفع لتمثّل النساء داخل مهن فكرية أو إدارية

وداخل أشكال مختلفة للبيع والخدمات الرمزية -صحافة، تلفاز، سينما، إذاعة، علاقات عامة، إشهار، ديكور-، وأيضاً تكثف واشتداد مشاركتهم في المهن القريبة من التعريف التقليدي للنشاطات الأنتوية (تعليم، مساعدة اجتماعية، نشاطات شبه طبية). وهذا يعني أنّ الحاصلات على شهادات وجدن منفذهنّ الرئيسي داخل مهن وسيطة (بين النظام التقليدي والعصري) (إطار إداري متوسط تقني، عضو في الوظيف الطبي والاجتماعي،...) (BOURDIEU . P, 1998 : 124).

وهذه الحالة هي طبيعية، وهذا يجعل خروجها للعمل مقبولاً في النظام الاجتماعي، لأنّ نساء هذا التنظيم بحاجة إليها، وفي نفس الوقت تُثبت ذاتها: "إحدى السبل الرئيسية التي اختارتها البنات كانت احتلال وغزو الفضاء أو القطاع الطبي. إنّ الدراسات الطبية تُشكّل مكان ذو امتياز لتنميتهم وترقيتهم المهنية والاجتماعية منذ الاستقلال. بمعنى يبدو أنّهنّ وجدن ميداناً مفضلاً من أجل إثبات الذات كامرأة وكعاملة" (LARDJANE . O, 2007 : 295).

### خلاصة الحالة الثالثة:

لاحظنا في هذه الحالة وجود تعييرات على مستوى الممارسات الأمومية، وذلك نظراً لعملها، كما أنّ هناك تناوب بينها وبين زوجها على الاهتمام بالأطفال سواء إذا كان أحدهما غائباً، فإنّ الآخر يهتمّ بالأطفال، أو عند حضورهما معاً فإنّ الأب يهتمّ بالولد والأمّ بالبيت، وهذا يعني أنّ الأب يدخل في علاقة تفاعلية مبكرة مع الطفل على عكس ما كان في الماضي.

إنّ هذا التغيّر الحاصل له ارتباط بالعلاقات فقط، يعني لا يوجد تغيّر على مستوى الثقافة، فكلا الزوجين محافظين على ثقافتهما الأمّ، فما تغيّر كان نتيجة للبحث عن إشباع حاجاتهم، وبطرق مقبولة ثقافياً، بالخصوص لدى الحالة التي استطاعت تحقيق حاجاتها انطلاقاً من المهنة التي تُمارسها إلا وهي الطب.



4- الحالة الرابعة:

أمّ مستشارة توجيه: "أنا امرأة عاملة أكثر من كوني أمّ"

**Mère Conseiller d'orientation" : Je suis une femme employante plus qu'une mère"**

4-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2014/11/16، في مكتبة الجامعة على الساعة 14:00 زوالا، تظهر الحالة بسيطة في لباسها، متحجبة، تتكلم بسرعة، كانت تتكلم باللغة العربية وأحيانا بالفرنسية. قبلت الحالة القيام معها بمقابلة منذ الوهلة الأولى بعد توضيح طبيعة العمل. هي تعمل كمستشارة توجيه بإحدى الثانويات، وبعد مدة من العمل قرّرت العودة لمقاعد الجامعة لمتابعة الدراسة ونيل شهادة الماستر.

أحلام، سني 35 سنة، زوجي 40 سنة موظف، أنا أمّ لبنتين، الكبرى سنها 5 سنوات والثانية 4 سنوات وشهرين. الكبرى تدرس السنة أولى ابتدائي أدخلتها قبل سن التمدرس والصغرى تبقى في المنزل مع عمّتها والبنات الكبرى متعلّقة بي أكثر من الصغرى، والصغرى متعلّقة بي غير من أختها فقط، فهي متعلّقة بأبيها وعمّاتها لأنني أسكن معهم في نفس المنزل، نعيش كعائلة واحدة. وأما الكبرى فكلّ اهتمامها تُوجّهه لي وأحيانا أجد صعوبة في التعامل معها. هما الاثنتين يغيران من بعضهما البعض كأبي طفل، يضربان بعضهما فيتوجب عليّ أن أعدّل ذلك السلوك، مثلا هذه أختك الكبرى يجب احترامها وهذه أختك الصغرى يجب العطف عليها، ولكن الصغرى تغار كثيرا وتُظهر غيرتها: لماذا أعطيتها؟ ماذا أخذت؟ ماذا قلت لها؟ أحيانا أكون أتحدّث مع الكبرى بصوت منخفض (نخاليها) فتتساءل ماذا قلت لها و لماذا؟ أما الكبرى فهي عدوانية معها لكن لا تُظهر ذلك أمامي (غير مالتحت التحت)، لكن بمجرد ما أصرخ عليهما يهدآن، يخافان منّي أكثر من أيهما، فقط أنظر (نخزر) وأصرخ (نزقي) ينتهي كلّ شيء، يتصالحان ويسلّمان على بعضهما. دائما يجب عليّ المتابعة.

عندما وُلدت الكبرى ساعدوني في التكفل بها جميع أفراد العائلة، عائلة الزوج وعائلي خاصة، لأنني مكثت طويلا في منزل عائلي، والسبب أنه كان يموت أطفال، مات العديد من أطفال (كانو يمتولي الأطفال) والحمل لم يكن سهلا. حتى أنا كنت سعيدة بالمولودة كثيرا (مخلوعة فيها) وأعطيتها اهتماما كبيرا وحتى أبوها كان يُساعدني في العناية بها ورعايتها. عندما بلغت 10 أشهر وجدت نفسي حاملا مجددا بأختها، بالرغم من أنني لم أكن أحمل بسهولة، وحتى فترة الحمل هذه المرة كانت أصعب بكثير من الأولى، لأنني كنت حاملا بتوأم وضاع الأول وبقي الثاني، وولدتها قبل الأوان. وعند الاقتراب من الشهر التاسع كنت أبقى مستلقية طيلة الوقت، وأحيانا يتم استشفائي في المستشفى. العناية بها كانت صعبة، الأولى ساعدوني والثانية لم يهتموا بي (قد ما ولفوني سمحوا فيا خلاوني ريتهم وحدي). وصرت أراهما مثل التوأم.

الرضاعة للطفلتين كانت طبيعية في ثلاثة أشهر الأولى وبعدها أضفت الرضاعة الاصطناعية (الأمّ دائما تقول أنّ أولادها ماراهمش يشبعو و تزيدلهم الرضاعة الاصطناعية). في الأشهر الأولى كانت العائلة تُساعدني في تحضير الرضاعة، أمّا الأب نادرا ما كان يُحضّرها لأنني كنت أخاف في عدم علمه بقياسات الحليب. أنا أهتم بها من حيث النظافة والأكل والحمام. الطفلة الأولى أدخلتها للحضانة لفترة فلاحظت أنّها ينقصها الحنان كما أنّها أصبحت كثيرة الحركة لهذا لم أفكر في إدخال الطفلة الثانية للحضانة وإنما فكرت في أن أدخلها مباشرة إلى المدرسة.

الطفلة الأولى كانت هادئة، في سنّ الثلاث سنوات أدخلتها الحضانة و كانت تقول لي مرّيتها أنّها هادئة ولكن عندما تعود للمنزل تصرخ و تكسّر. قلقت من أجلها وخفت على الطفلة الثانية كما أنّها قريبة من عمّاتها لهذا أتركها معهن. لديها شقاوة ولكنّها محبوبة هنّ طلبن أن أتركها معهنّ.

الأب يُساعدني عندما أكون مشغولة يُلبسهما، وعندما كانتا صغيرتين كان أيضا يُساعدني وكنت أخاف لأنّ الرجل ليس كالمرأة في الخبرة بالاهتمام بالأطفال. كان يُساعدني في الشيء الذي يعلمه، وحاليا يمشط لهما شعرهما ويغسل لهما. يسعى إلى الاهتمام بهما و لكن أنا أهتمّ بهما بدرجة كبيرة. إلا إذا كنت مشغولة عنهما. سابقا لم أفتح له المجال كثيرا لمساعدتي، ولكن حاليا أحتاج إلى المساعدة لأنّ ليس لدي وقت لأنني أعمل كمستشارة توجيه و أدرس الماجستير في نفس الوقت، ولدي ضغط في العمل و كذا في الدراسة.

عندما أذهب للعمل، الكبرى تذهب للمدرسة والصغرى أتركها عند عمّاتها. نحن نسكن معا. البنت الكبرى أنا أقوم بتدريسها في المنزل ومساعدتها في الدروس. أنا أحبّ مساعدتها لأنّ خطّ والدها رديء، وصارت تتعلّم بشكل خاطئ لهذا أنا أساعدها بشكل مستمرّ. أترك له المجال لمساعدتها في الرياضيات والعربية من أجل الخط. الاثنتين ينامان معي في الغرفة لأنّه لدي مسكن ضيق ونعيش في منزل واحد. وبالرغم من أنني حضرت لهما مكانا خاصّا بهما للنوم إلا أنّهما يتركانه وينامان معي في سريري. مثلا لما يستيقظان في الليل كلّ مرّة يستجيب أحدهما أو الأب، لأنّه يستيقظ لقيام الليل والصلاة. وعموما لا يستيقظان كثيرا في الليل إلا في وقت صلاة الفجر. نتعاون في الاعتناء بهما وتحضيرهما، نأخذ الأولى للمدرسة أمّا الصغرى فأتركها نائمة. وعموما الأب يوقظهما صباحا لصلاة الفجر وأنا أحضّر الكبرى للذهاب للمدرسة أو تذهب مع إحدى عمّاتها للمدرسة، وأحيانا أنا والأب وعندما أكون في العمل أو الدراسة العمّة تُحضرها من المدرسة وتُطعمها وتُرجمها إلى المدرسة.

العمل أبعديني عن أطفالي، وأحيانا عملي أحضره معي إلى المنزل لأن عملي كمستشارة توجيه في الثانوية لديّ عدّة ثانويات أخرى تابعة لنا، ولهذا في المنزل أقوم بما هو ضروري فقط: نظافة البيت والأطفال فقط. وحتى بناتي لاحظن ذلك فمثلا الكبرى تقول لي: ماما لماذا تدرسين أنت أنهييت دراستك، وأحسست أنّ هذا ليس كلامها بل إنّ كلام الكبار. ففكرت في ترك الدراسة أو التوقّف لمدة سنة (Bloquer l'année)، ثمّ تراجعنا وتحدّثت مع الزوج في الموضوع وجمعتهم في جلسة واحدة وأفهمتهما أنّها فترة و ستمرّ. وتفهمتا الوضع فهما

ذكيتان ولأنّهما ترعرعتا وسط عائلة كبيرة، وأفرادها راشدين فإنّهما يفكران مثل الكبار، يطرحان أسئلة مدهشة (تبلوكي) أحيانا أخاف عليهما. ولكن عمّاتهما متديّيات وهذا يُريحني والدليل الكبرى تصلّي والصغرى تقلّد.

أحيانا أحبّ العمل عندما ينامان ولكنّهما يُجبرانني على النوم معهما عندما ينامان أعود لإكمال عملي. ومع ذلك العمل والدراسة أثرا على علاقتي بعائلتي.

نمط التربية الذي أتبعه مختلف عمّا تربيت عليه أنا، بحيث أنّي أصلا متوترة ومتسرّعة (مقلقة)، أحيانا عندما يخطئان أضربهما، فأصبحتا يخافان مني أكثر من أبيهما. أنا هي التي تضبط الأمور في المنزل. عوّدت الأب على أمور وأنا أحاول تغييرها. أريده هو الذي يضبط الأمور. عندما أتعصّب أضربهما، لأن الأب إذا ضرب يضرب بشكل مؤلم جدّا، أبعده عن المسؤولية: لا تضربهم من الآن وصاعدا، قلت ذلك دون أن أنتبه. فمثلا إذا عاقبهما أقف معه ولكن عندما نكون لوحدها أقول له أنّه هو من أخطأ. ولكن في حوالي 6 أشهر الأخيرة حاولت تغيير طريقي، ولكن عندما أتحدّث مع إحداهما تفزع من الخوف، كما أنّها قالت لجدّتها أنّي أضربها ولامتني أمّي على ذلك. ولهذا غيّرت طريقي وأنا أحاول أن أكسب ثقتهما من جديد. هناك أمور أعاقب بعدها مباشرة وأمور أخرى أفكر فيها قبل وبعد العقاب.

أنا كأمّ متوسطة أقول أنّي ناجحة وأقول أنّي فاشلة، أحيانا أحسّ أنّي مقصّرة معهما، خصوصا عندما أدخل للمنزل وأجد أنّهما مشتاقتان لي، فقد تعوّدنا عند الذهاب إلى البيت نجد الأمّ في انتظارنا التي تقوم بتنظيف البيت وإعداد الطعام. في هذا الجانب أنا مقصّرة فابنتي الكبرى قالت لي: "من المفروض أنّنا نجد الأمّ في المنزل وليس العكس" ولهذا أحاول التعويض.

أنا لا أميل لجنس دون الآخر، ولا أفكر في الإنجاب مجدّدا. فلو كان لديّ رغبة في ولد لكنت حاولت الإنجاب مجدّدا. من جهة لأنّه لدي بنتان ومن جهة أخرى حملي صعب. وقد قيل لي أنّه حسب السنّ يُفضّل أن

الحمل يكون بطفل الأنابيب، ويُمكن تحديد جنس الجنين ولكنني رفضت (عندي زوج بنات الدنيا وما فيها) وحتى الزوج لا يهتم. أنا أجد أنني أمًا عاملة وأُعطى اهتمامي لعملي أكثر من عائلتي.

يوم عادي بالنسبة لي يبدأ بتجهيز ابنتي للذهاب إلى المدرسة والأخرى أتركها مع عمّتها وأذهب للعمل أو الدراسة. وأحاول التنسيق بين العمل والدراسة ثم أعود للمنزل لقضاء حوائج عائلتي، ثم اهتمّ بالتحضير للعمل أو الدراسة. نجلس سويا لمشاهدة التلفاز كالمسرحيات أو غيره وأحيانا يبقيان معي في المطبخ وتُحضر العشاء وتُشاهد من بعد ذلك الرسوم المتحركة وتُحاور عنها. البنت الكبرى تحب مساعدتي في أعمال المنزل، أحيانا تُحاول أن نبدع في أشياء جديدة، حكاية قصة أو أخذ قيلولة معا. الأب يحب لبناته التربية الحسنة والتعلق بالدين، فمثلا حدث موقف مع سائق طاكسي فكانت ردّة فعله أنّه ذكر لها آيات وأحاديث عن آداب التعامل مع الرجل، وهنا أوقفته وقلت له هذا الكلام من المفروض أن يُوجّه لي أنا كراشدة وليس لبناتك... وفي يوم من الأيام بدأت البنت الكبرى بالبكاء ورفضت الذهاب إلى المدرسة وعندما سألتها عن السبب أجابت: المعلمة أجلست أمامي ولد، وأبي لا يحب ذلك، وقال لها الأب معك حق ابنتي وأنا أحاول تصحيح أفكاره.

هدفي في الحياة أن أكون أمًا في المستوى وأيضًا عاملة في المستوى، وسجّلت من جديد في الدراسة لأخرج من الروتين وأجدّد حياتي.

الزواج والأمومة ليسا عائقا، مع أنني دخلت للدراسة بشكل إجباري على عائلة الزوج، أمّا عائلتي فكلهم متعلّمون. في يوم الخطبة تفاهمت مع الزوج على العمل والدراسة، ولهذا هو لم يرفض عودتي للدراسة، وإن كان في داخله يتمنى أن أتوقّف.

#### 4-2- التعلیق علی قصّة الحالة:

تنتمي الحالة إلى الغرب الجزائري وتبلغ من العمر 35 سنة، هي أمّ لبنتين وتعمل كمستشارة توجيه وفي نفس الوقت هي تتابع دراستها لنيل شهادة ماستر، أشارت الحالة أنّها تعيش داخل عائلة كبيرة، زوجها موظف يبلغ من العمر 40 سنة.

#### • الهيمنة على العلاقة أب-طفل:

لاحظنا في هذه الحالة أنّها تتحكّم في إدخال الأب في العلاقة أمّ-طفل، وقد أشارت في عدّة مواضع إلى أنّها هي من تتحكّم في زمام الأمور في المنزل وهي التي تضبط كلّ شيء حتى العلاقات التفاعلية: "أنا هي التي تضبط الأمور في المنزل. عوّدت الأب على أمور وأنا أحاول تغييرها. أريده هو الذي يضبط الأمور. عندما أتعبّض أضرّبهما، لأن الأب إذا ضرب يضرب بشكل مؤلم جدّا، أبعده عن المسؤولية، (...) أمّا الاب ناذرا ما كان يُحضّرهما لأنني كنت أخاف في عدم علمه بقياسات الحليب. (...) أترك له المجال لمساعدتها في الرياضيات والعربية من أجل الخط.. (...) يخافان مني أكثر من أبيهما. (...) فمثلا إذا عاقبهما أفف معه ولكن عندما نكون لوحدها أقول له أنّه هو من أخطأ". وهذا يُثبت أنّها هي التي تُسيطر على المنزل وعلى العلاقات التي تربط بين سكانه، وبالخصوص بين الأب والبنتين. لقد أشارت إلى أنّها أمّ صارمة وهذا يُحيلنا إلى أنّه فعلا في الماضي كان دور الأمّ هو تسيير المنزل الذي هو الفضاء الخاصّ بها، ولكن نلاحظ مبالغة في ذلك حيث وإن كانت المرأة أو الأمّ هي التي تضبط المنزل، إلا أنّ هناك بعض الأمور التي كانت من اختصاص الأب مثل عقاب الأطفال عند الخطأ، ضبط الأمور العامة في المنزل هذا يُحيل إلى وجود تغييرات، فهذه الأمّ هي عاملة أي أنّها تشغل فضاءين: فضاء داخلي وخارجي، ولا تسمح للأب من الاقتراب من الفضاء الداخلي حتى في الأمور التي تتعلّق به، وهذا بقرار منها: "سابقا لم أفتح له المجال كثيرا لمساعدتي"، وكأّنها تريد القول: "أنا ما أسمح له بممارسة أبوّته من عدمها". كلّ هذا يُحيلنا إلى فكرة أنّ تعريف الأب والأمّ يكون من خلال علاقة كلّ منهما بالآخر، ومن خلال أنّ كلّ منهما يسمح للآخر بأن يُمارس

دوره: "كلّ تعريف للأبوة والأمومة الذي يكتفي بالاستناد المزدوج (تعريف أحدهما بالآخر) سيكون غير كاف، فالأب يسمح لزوجته بأن تصير أمًا، بتجاوز التكوين والولادة السلبية غير الفعالة، وبهذا فهو يقصد أنه حتى تكون أمًا هي أن تعيش مع رجل أكثر من الحصول على طفل. وفي المقابل الأم أيضا هي التي تسمح لزوجها بأن يصير أبا بقبوله أكثر من أن يكون والدا فقط (Géniteur)، بمعنى جعله يدخل في العلاقة الثنائية أم-طفل مبكرا لتكوين علاقة ثلاثية" (LE CAMUS . J, 1985 : 48).

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ لهذه الأمّ مقدرة (Pouvoir) أكثر في جعل شريكها أبا مقارنة بمقدرة هذا الأخير، كونها هي من تتحكّم في رغبتها في الحمل من عدمه، سواء كانت هي من تستعمل مانع الحمل أو الزوج، وهذا ليس عند الغرب فحسب وإنما حتى في مجتمعنا، وقد أكدت ذلك إحدى الحالات التي ذكرنا سابقا ما قامت به من أجل الإنجاب من جديد. هنا يتأكد لنا أنّ الأمّ هي من تسمح لزوجها بأن يصبح والدا ثم بعدها أبا، وهي من تنقل للطفل صورة الأب الرمزي، فإمّا تنقلها له على أنّه أب جيّد أو أب سيّء.

وعندما كبرت البنّتين قليلا صار الأب يُلبسها ويغسل لهما، يمشط لهما شعرهما. عندما شعرت الحالة بالضغط فكرت في إدخال الأب في العلاقة أم-طفل ثانية من أجل مساعدتها لأنّها لم تعد تستطيع تحمل المسؤولية لوحدها: "سابقا لم أفتح له المجال كثيرا لمساعدتي، ولكن حاليا أحتاج إلى المساعدة لأنّ ليس لدي وقت لأنّني أعمل كمستشارة توجيه وأدرس الماستر في نفس الوقت، ولدي ضغط في العمل وكذا في الدراسة". في الواقع إنّ دخول الأب في علاقة مبكرة مع الطفل والقيام برعايته والاهتمام به يكون بفتح المجال له من طرف الأمّ من جهة، ومن جهة أخرى الظروف المعاشية هي التي أحيانا تفرض نفسها بحيث يجد الأب نفسه في تفاعل مبكر مع طفله: "يتدخل الأب تدريجيا داخل العلاقة الثنائية دون تحديد لتاريخ معيّن ودون إعطائه دورا محددا وموحّدا (يكون الأب غائبا بدنيا أو حاضر بكثرة على حساب الأمّ أين تكون لديه وظيفة أمومية)".

(BERGERET . J, 1979 : 217).

في المقابل للحالة مبرراً لعدم السماح للأب بتقديم المساعدة: "الرجل ليس كالمرأة في الخبرة بالاهتمام بالأطفال"، وهذا يعني أنها تعترف بأن الممارسات الأمومية هي من اختصاص الأم، وأكدت ذلك بقولها: "أحيانا أحس أنني مقصرة معهما، خصوصا عندما أدخل للمنزل وأجد أنهما مشتاقتان لي، فقد تعودنا عند الذهاب إلى البيت نجد الأم في انتظارنا التي تقوم بتنظيف البيت وإعداد الطعام". وتفسير ذلك أن الحالة استدخلت ما يلزم فيما يتعلّق بدور الأمومة: "فالطفلة تتماهى مع الأم منذ صغرها وتستدخل ما يجب استدخاله" (EL KHAYAT : 88 : GH, 1988).

هذا يُشير إلى ظهور تعيّر على مستوى دور الأم حيث أنها من جهة تترك البنيتين من أجل العمل، وهذا يعني أن هناك فاصل عن الممارسات الأمومية، ومن جهة أخرى تقوم بدور الأب فيما يتعلّق بالسلطة، ومن جهة ثالثة أنها هي من تسمح أو تمنع دخول الأب في تفاعل مع الطفل. بالإضافة إلى أنّ هناك تعيّر على مستوى المكان (Place)، حيث هذه الحالة هي تشغل مكان أم في المنزل، أمّا في الخارج فهي تشغل مكان عاملة، طالبة.

#### • لا يُمكن للروضة أن تكون بديلا للأم

إنّ الأمّهات العاملات وبالخصوص الحالات التي تمّ دراستها يتركن أطفالهن عند الذهاب للعمل إمّا في الروضة أو في المنزل مع أفراد من العائلة (الجدة، العمّات)، ولكن ما هو ملاحظ هو ترك الأطفال في الروضة هو طاع على تركهم لدى أفراد العائلة.

هذه الحالة كذلك أدخلت إبتها الكبرى إلى الروضة، أمّا الثانية لم تدخلها لأنها لاحظت تأثيرا سلبيا للروضة على البنت الكبرى، حيث لاحظت أنها تعاني من نقص الحنان: "الطفلة الأولى أدخلتها للحضانة لفترة فلاحظت أنها ينقصها الحنان كما أنها أصبحت كثيرة الحركة لهذا لم أفكر في إدخال الطفلة الثانية للحضانة"، ولهذا فضلت ترك الثانية لدى عمّاتها داخل العائلة الكبيرة، وهنا ينكشف تأثير الروضة السلبى على الطفل الذي هو



ناتج بالدرجة الأولى عن الانفصال عن الأم. ولكن في الواقع وحسبما توصلت إليه معتصم ميموني . ب هو أن "في الحضانه لا تقل أهمية التعلق بالأم رغم أن الطفل يمضي فيها وقتا طويلا مع أشخاص آخرين: إنه يبقى يُفضّل أمّه وأباه وإخوته" (معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 63). وأضافت أيضا: "إذا كانت الحضانه تُلبّي حاجيات الطفل وخاصّة حاجته إلى وجود وجه أمومي ثابت ومطمئن، إنّها تُساعده على النموّ السليم دون أن يخلف هذا الوجه الأمومي الأمّ الحقيقية. يجب أن تكون الأدوار واضحة، وبعض المربيات تدّعي أنّها أمّ في الروضة: الطفل له أمّه وهو يحتاج إلى مربية لا لأمّ" (معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 63).

لقد صار للروضة مكانا ودورا مهما داخل المجتمع بل وأصبحت مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ولهذا حسب معتصم ميموني . ب "إذا استجابت الحضانه إلى حاجيات الطفل حسب خصائصه (الحاجة للإطمئنان، للعب، لتطوير الحركية والفكرية، فتح المجال على التفاعل مع الأقران ومعاملة الطفل بعدل ورفق واحترام)، فإنّها تُساعده على التطوّر الاجتماعي وبناء لديه شعور بالانتماء إلى الجماعة".

بيّنت الباحثة أنّ للروضة أو كما أشارت إليها الحضانه دور مهم في نموّ الطفل في مختلف النواحي، وأنّ غياب الأمّ ليس له تأثير على النمو: "تقول Ainsworth أنّه يجب مراعاة الجانب الكيفي للعلاقة لا الجانب الكمي فقط، لأنّ غياب الأمّ المؤقت لا يُؤثّر على نموّ الطفل واطمئنانه إذا كانت العلاقة آمنة بينه وبين أمّه" (ورد في معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 64). وأضافت في هذا الصدد: "لاحظ باحثون أنّ عندما تهتمّ الأمّ لوحدها بطفلها وبرضاها واختيارها، إنّها تُكوّن علاقة جيّدة مع طفلها، لكن إذا كانت تعيش الطفل كعائق أمام طموحاتها في العمل فهذا يُسيء إلى علاقتها به، ومن الأحسن هنا أن يمضي كلّ واحد منهما وقتا بعيدا عن الآخر وهذا يسمح بتحسين العلاقة" (معتصم ميموني. ب وميموني. م، 2010: 64).

• عائلة كبيرة<sup>(1)</sup>: نوم الطفل في غرفة والديه، الجدّة والعمّة بديل للأمّ:

تعرف العائلة على أنّها: "العنصر الطبيعي والأساسي للمجتمع ولها حقّ في حماية المجتمع والدولة لها (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 52). إنّ عائلة هذه الحالة متكونة من والدي الزوج وأخواته، وهذا ما نسميه بالعائلة المتوسعة أو الممتدة، التي تناولها بالدراسة Addi . L عندما تحدث عن التحولات التي مست المجتمع الجزائري، حيث أشار إلى تحوّل العائلة في الجزائر من عائلة أبوية إلى عائلة متوسعة وفي الأخير إلى عائلة نووية، حيث أصبح يوجد في المجتمع حاليا إمّا عائلة متوسعة أو عائلة نووية كما تطرّقنا إليه في الجانب النظري، بغض النظر عن الأنساق الاجتماعية في الصحراء أين نجد أنّه لا يزال تواجد العائلة الأبوية مثلما صرح به السيد "س" من مدينة إليزي، حيث قال أنّه يوجد شيخ القبيلة الذي هو مسؤول عن تسيير شؤونها وكذا هو الوسيط بين أفراد قبيلته والوالي الذي يحكم المدينة، وإن كانت مهامه تقلّصت نوعا ما مقارنة بما كان في الماضي.

ينام ابنتا هذه الحالة معها في الغرفة وذلك حتى تتمكّن من الاستجابة لهما في الليل هي والأب، حيث هذا الأخير يستجيب أكثر لأنه يستيقظ مرارا في الليل من جهة، من جهة أخرى لأنّ المنزل ضيق وليس فيه غرف للأطفال، لأنّها تسكن في منزل العائلة الكبيرة، حيث نلاحظ أنّ كلّ ابن يُمنح غرفة له ولزوجته وأطفاله، حيث نجد فيها عدّة أبناء متزوجين وأطفالهم بالإضافة إلى أخواتهم غير المتزوجات: "الأحفاد الذكور لا يتركون المنزل الكبير، ويشكّلون خلايا زوجية مع ذرياتهم" (BOUTEFNOUCHET . M, 1980 :38).

داخل هذه العائلة أين يُمكن أن تكون الجدّة أو العمّة بديلة للأمّ أثناء غيابها، حيث عندما تذهب هذه الأمّ للعمل تترك البنت الصغرى عند عمّتها وهذا يُحيل إلى مساعدة نساء العائلة في مساعدة الأمّ على الممارسات الأمومية، حتى أنّ هذه العمّة هي بمثابة بديل للأمّ، حيث تهتمّ بالبنت الصغرى وتأخذ الكبرى للمدرسة في حالة

(1) يُقصد بالعائلة الكبيرة هي العائلة التي تضمّ أكثر من جيلين، بمعنى تضمّ الجددين والآباء والأبناء، وهي كانت تُعبّر عن العائلة الأبوية عندما كانت موجودة، ثم بزوالها أصبح يُقصد بها العائلة الممتدة.

تأخر الأم في عملها. ولكن وكما تطرقنا له سابقا يبقى التعلق بالوجه الأمومي هو المحتفظ بالأفضلية، وقد بحث Schaffer . R حول المسألة وتوصل إلى أنه: "يُمكن للأطفال استقبال خلال اليوم عناية وانتباها من وجه عاطفي مُساعد في غياب الوجه العاطفي الرئيسي" (In LE CAMUS . J, 1985 : 53).

### • أم عاملة، مهام مضاعفة:

تقول الحالة أنّ العمل أبعدها عن أطفالها: " العمل أبعديني عن أطفالي، وأحيانا عملي أحضره معي إلى المنزل (...)، ولهذا في المنزل أقوم بما هو ضروري فقط: نظافة البيت والأطفال و فقط". يُعتبر العمل بالنسبة للحالة من بين الأولويات التي لا يُمكن إهمالها، وبهذا تكون مهام هذه الأم مضاعفة في البيت تشمل مهام الفضاء الداخلي وكذا مهام الفضاء الخارجي. لقد كان هذا موضوع دراسات عديدة: "هناك العديد من الدراسات الاجتماعية التي تمّ القيام بها حول جوانب تطوّر مكانة (Statut) المرأة. العمل المهني، المشاركة في الحياة السياسية، الدور الاجتماعي، الدور العائلي،... كلّها كانت سببا في نشر العديد من المؤلفات والمقالات المختلفة في العديد من البلدان" (CHOMBART DE LAUWE . P.E, 1964 : 13).

بالرغم من أنّ هناك مهام مضاعفة لدى الحالة، حيث أنّها تقوم بالممارسات الأمومية والأشغال المنزلية، والعمل والدراسة، إلا أنّها لا تستطيع التنازل عن أي جانب منها، وهي تسعى إلى التوفيق بينها جميعها: "إنّ للمرأة القدرة على مواجهة ذلك النزاع الذي ينشأ بين عقلها وأنوثتها وأمومتها، وذلك بقدرة المرأة على إثبات قدرتها على أن تكون أمًا مثالية وطبيبة ناجحة وزوجة صالحة، وعضوة برلمان مرموقة، وإنّها مدينة بشيء كثير من هذا النجاح إلى زوجها الذي ساعدها في ذلك كثيرا بقبوله لأن يكون زوجها لمتلها، وقبولها على ما هي عليه، وتشجيعها" (عاقل . ف، 1968: 133).

وهذا هو معارض لبعض التيارات التي ترى أنّ نجاح المرأة في العمل مرتبط بتخليها عن مهامها كأم وزوجة وريّة بيت: "مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي تُشكّل في آن واحد واجبا بالنسبة للمرأة، وعنصرًا ضروريا في نمو البلد، لكن هذه المشاركة لا تكون فعّالة إيجابية إلا إذا كانت المرأة متحرّرة من مهامها الكلاسيكية" (Collection de « visage de l'Algérie », 1976 : 48). إنّ هذا لا ينطبق على هذه الحالة ولا على الحالات السابقة لأنّهن جميعا استطعن التوفيق بين المهام المنزلية والمهام المهنية، حيث أنّه لو لم يحدث ذلك لتنازلت كلّ منهنّ على جانب معيّن: "العمل هو ظرف، حالة أساسي وضروري لتحرّر المرأة، لأنّها تصبح مستقلة اقتصاديا، يُمكنها أن تلعب دورا جديدا داخل الخلية العائلية وداخل المجتمع، هذا الظرف ضروري لكن غير كاف، إذا لم يكن للمرأة إمكانية التوفيق في آن واحد بين المهام المنزلية والمهام العملية" (Collection de « visage » de l'Algérie », 1976 : 48).

#### • الشخصية من خلال الدراسة والعمل:

يُمثل العمل بالنسبة للمرأة وسيلة لإثبات ذاتها في المجتمع، وهذا واضح في هذه الحالة، فهي لم تكتف بالعمل بل حاولت إنهاء دراستها، حتى ترتقي بالرغم من رفض المحيط لذلك، إلا أنّها لم تبال بهم إلى أن قدّمت لها إحدى بناتها ملاحظة حول الدراسة حيث قالت لها: "ماما لماذا تدرسين أنت أنهييت دراستك، وأحسست أنّ هذا ليس كلامها بل إنّ كلام الكبار"، وهنا الحالة لم تتنازل عن هدفها ولكن بالعكس جمعت العائلة من أجل مناقشة ذلك حيث سعت إلى إقناع البنّتين والزوج بأهمية الدراسة، وأنّها تمثل لها هدفا: "ففكرت في ترك الدراسة أو التوقّف لمدة سنة (Bloquer l'année)، ثمّ تراجعت وتحدّثت مع الزوج في الموضوع وجمعتهم في جلسة واحدة وأفهمتهما أنّها فترة و ستمرّ"، وهذا يُحيل إلى مدى مقدرة (Pouvoir) هذه الأم وقوّتها وسلطتها، وأنّها ذات إرادة داخل محيطها الأمر الذي يُعبّر عن مدى تمسّكها بأهدافها في الفضاء الخارجي. هذه الحالة لم تكتف بإثبات ذاتها والشخصنة من خلال الأمومة، بل تُحاول إثبات ذاتها خارج فضائها من خلال العمل والدراسة: "يمدّ

لها العمل إشباعاً آخر غير مادي (...) يفتح العمل آفاقاً جديدة (...) يسمح بتحقيق الذات (...) التفتح على أفكار جديدة، في كلمة واحدة يتعلّق الأمر بحاجة للإثبات الذاتي، تحقيق الذات" ( : ABROUS . D, 1989 ).(100).

إنّ بلوغ الشخصية هو الذي يجعل الحالة تقوم بمهامها على مختلف المستويات على أكمل وجه، وذلك من أجل إثبات أنّها تستطيع تحمّل المسؤولية على أصعدة مختلفة: "منذ أن سُمح للمرأة أن تقوم بنفس الأعمال التي يقوم بها الرجل، في الحقل والمصنع وعلى العرش، وذلك في كثير من بلاد العالم، فإنّها قد برهنت في كلّ هذه الأعمال على قدرتها التامة على النهوض بما أوكل إليها من أمور" (عادل . ف، 1968 : 123).

#### • تداخل بين الفضائين الداخلي والخارجي:

لقد اهتمّ Winnicott . D.W بمصطلح الفضاء وحاول توضيحه من خلال قوله: "إنّ المكان الذي تتموقع فيه التجربة الثقافية هو الفضاء الموجود بين الفرد ومحيطه" (WINNICOTT . D.W, 1971 :39). وأضاف أنّ "بالنسبة لكلّ فرد إنّ استعمال هذا الفضاء هو محدّد من خلال تجارب الحياة التي تأخذ حيّزاً أو مكاناً في المراحل الأولى للوجود الفردي" (WINNICOTT . D.W, 1971 :38).

ترى الحالة أنّ العمل والدراسة أثرا على علاقتها بعائلتها، حيث أنّها توليها أهمية حتى داخل الفضاء الداخلي الذي من المفروض أنّها تقوم فيه بالشؤون المنزلية والاهتمام بالبنيتين والزوج، لكن هي لم تجعل حدوداً فاصلة بين الفضائين بحيث أصبحت تنقل معها مهامها من الفضاء الخارجي (العمل والدراسة) إلى الفضاء الداخلي (المنزل): "بالنسبة للمرأة العازبة لا يوجد مشاكل إلا لدى الأقلية. لكن هناك سلسلة من الظروف تُطرح في العمل عندما تكون المرأة متزوجة، وبالخصوص فيما يتعلّق برعاية الأطفال" ( CHOMBART DE LAUWE ) (P.E, 1964: 36).

أشارت الحالة أنّها لا تتبع نفس المنهج الذي تربت وأنشئت عليه في طفولتها فهي دائمة التوتر ومتسارعة وتميل إلى ضرب أطفالها، وهذا يُترجم مدى الضغط الذي تعيشه الحالة نتيجة لكثرة الالتزامات العائلية والمهنية والدراسية، فهي هنا تستخدم آلية الدفاع المتمثلة في النقل والإزاحة المتمثل في أنّ: "الانسان لا يستطيع أن يُوجّه استجاباته للمصدر الحقيقي المسبّب لانفعالاته في كثير من الأحيان فيُوجّه استجابته إلى مصدر بديل" (أبو شهدة . ك و وهبي . ك، 1997: 56). ويتّضح ذلك لدى الحالة من خلال نقل وتحويل مشاعرها السلبية الناتجة عن الضغط من العمل والدراسة نحو بناتها.

ترى هذه الحالة نفسها كأمّ تتوسّط النجاح والفشل، فهي ترى نفسها مقصّرة في حقّ بناتها، وأنّها تُخالف ما تعارف عليه المجتمع التقليدي، حيث كان الطفل عندما يعود من المدرسة إلى المنزل يجد أمّه في انتظاره مجهزة له كلما يحتاجه، وهذا ما صرحت به ابنة الحالة: "من المفروض أنّنا نجد الأمّ في المنزل وليس العكس". وهذا يدلّ بوضوح تامّ على التغيّرات التي مسّت النظام الاجتماعي بشكل عامّ، والعلاقات العائلية بشكل خاصّ والعلاقة أمّ-طفل بشكل خاصّ، ويرتبط ذلك بالمكان الجديد للمرأة داخل المجتمع: "أخذت المرأة مكانا (Place) في الحياة العملية، ليس كمساعدة للرجل ضمن عمل صغير في الفلاحة، ولكن كعاملة عادية داخل مؤسسة صناعية (35 : 1964 . P.E, CHOMBART DE LAUWE). واقتحامها لمختلف مجالات العمل هو في ارتفاع مستمرّ حاليا فقد "أصبح عمل المرأة ليس استثنائيا في أيامنا، فالمرأة اقتحمت كلّ المهن باستثناء تلك التي لا يُمكنها ممارستها بسبب بدني. نسبة عمل المرأة هي مرتفعة، والنساء يُشكّلن حاليا نصف عدد السكان العاملين" (16 : 1976, STATKOWA.S).

• أنا عاملة أكثر من كوني أم:

تجد الحالة أنّها عاملة أكثر من كونها أمًا: "أنا أجد أنني أمًا عاملة وأُعطي اهتمامي لعملي أكثر من عائلتي"، وهذا يعني أنّ للعمل مكانة مهمّة بالنسبة لها، كما أنّها تسعى إلى أن تكون عاملة ناجحة دون إهمال أمومتها، وأشارت إلى أنّ عودتها لإنهاء الدراسة يهدف إلى تجديد حياتها وترقيتها: "يُمثّل العمل بالنسبة للمرأة الضامن لتحريرها الكلّي على المستوى النفسي، الاجتماعي والاقتصادي" (Collection de « visage de l'Algérie », 1976 : 21).

إنّ هذا يحيلنا إلى أنّ المرأة لم تعد تكتفي بتحقيق ذاتها من خلال الزواج والأمومة، إنّما هي تسعى لإثبات ذاتها من خلال العمل، وليس هذا وحسب بل إنّها تُحاول دائما إتقانه حتى على حساب حياتها الخاصّة، وذلك من أجل إثبات أنّ باستطاعتها تحمّل المسؤولية والنجاح في عملها والترقية فيه إن كان بالإمكان: "العمل الأنثوي الذي هو في نموّ وتطوّر في الجزائر هو ذو طبيعة ثنائية مع هيمنة للنشاطات مؤهلة ذات كفاءة، النساء العاملات هنّ مؤهلات أكثر من الرجال، وبمستوى تكوين عالي جدًّا. تدريجيا احتلّت عددا معيّنًا من مواقع مهنية بارزة، التي كانت خاصّة فقط بالرجال" (SALHI . M.B, 2010 : 192).

حتى تتمكّن المرأة من تحقيق كلّ ما سبق ذكره، أصبحت لا تقبل بالزواج إلا إذا قبل هذا الخاطب شرطها المتمثّل في إنهاء دراستها أو عملها. في النظام الاجتماعي التقليدي كان للزواج شروطا يُحددها ولي الفتاة الذي في الغالب هو الجد أو الأب، وكانت هذه الشروط تتمثّل في الصداق والحلي ومختلف المستلزمات المادية، أمّا حاليا وبسبب التغيّرات التي طرأت على مجتمعنا والنتيجة بالدرجة الأولى عن تمدّس المرأة وعملها تمّ إضافة إلى تلك الشروط المذكورة سابقا العمل والدراسة.

## خلاصة الحالة الرابعة:

ما هو مستخلص من هذه الحالة هو أنّها أم ذات مقدرة، بحيث أنّها هي التي تسمح للأب بدخول العلاقة الثنائية أم-طفل لتصبح علاقة ثلاثية أم-طفل-أب أو تمنعه من دخولها، كما أنّها هي من تنقل صورة الأب للطفل، فإما يصبح هذا الأخير يحب الأب ويحترمه لأنّ الصورة التي نقلتها الأم إيجابية أو يخاف منه ويكرهه لأنّ الصورة المنقولة إليه هي سلبية. وهنا الحالة تسمح للأب القيام ببعض الأمور فقط مثل تدريس البنت الكبرى الرياضيات ولكن تمنعه من تدريسها اللغة العربية.

هذه الحالة تقوم بمختلف الممارسات الأمومية، ولا تترك المجال للأب لمساعدتها إلا عندما ترغب في ذلك. هي ترى نفسها أم أكثر وهذا يشير إلى التغييرات التي مسّت مكان الأم وكذا الممارسات الأمومية، حيث أنّ هذه الأخيرة أصبحت في المرتبة الثانية بعد العمل، فالحالة تميل لمكان عاملة أكثر من مكان أم.

لاحظنا لدى الأمّهات العاملات عامّة ولدة هذه الحالة خاصّة الشعور بالذنب الناتج عن ترك الأطفال من أجل العمل والانشغال عنهم، والذي تسعى لتجاوزه تسعى الأم العاملة من خلال تعويض غيابها عن أطفالها بالهدايا أو اللعب والقضاء معهم أطول وقت ممكن لسد ثغرات الغياب، وهذا ما ذكرته الحالة.

الحالة لا تفكر في الإنجاب من جديد أيضا، (كلام الحالة) وهذا يُؤكّد أنّ المرأة هي التي تحدد النسل ويبيدها الإنجاب.



5- الحالة الخامسة:

أم أستاذة: "المرأة لها مكانة ويُمكنها أن تُحقّق ما لم يُحقّقه الرجل"

**Mère enseignante:** " La femme a une place et elle peut atteindre ce l'homme n'a pas pu"

5-1- قصة الحياة:

كانت المقابلة يوم: 2014/04/27، في مدينة باتنة بمكتبة الجامعة على الساعة 14:00 زوالا، تظهر الحالة بسيطة في لباسها، متحجبة، تتكلّم بهدوء، كانت تتكلّم باللغة العربية وأحيانا بالفرنسية وأحيانا أخرى بكلمات لم أكن أفهمها إلى أن تقوم بترجمتها لي، كانت كلمات خاصة بالمنطقة ذات أصل شاوي (أمازيغي). قبلت الحالة بأن نقوم بالمقابلة معها منذ الوهلة الأولى بالرغم من أنّها كانت في عطلة وعند حضورها قالت أنّ موضوع الدراسة أثار اهتمامها لهذا قبلت.

باية، أبلغ من العمر 36 سنة أعمل أستاذة تعليم عالي في الجامعة، كنت دائما أحلم بهذا المنصب وعندما بلغته صار حلمي الارتقاء إلى منصب أعلى في الوزارة، لما لا. أعطيت اهتماما كبيرا للدراسة والعمل، كان ذلك هدفي الأسمى. لم أفكر يوما في الزواج ولهذا تزوجت في سن متأخرة نوعا ما. تزوجت حتى شارفت على 32 سنة. أنا أنتمي إلى عائلة محافظة وكان لديهم أفكار راسخة مثل أنّ المرأة مكانها في البيت والاهتمام بالأطفال. ربّما كانت المرأة في الوسط الذي كبرت فيه تخرج إلى العين لإحضار الماء أو ربما رعي الغنم، جني الثمار من البستان. ولكن لا تدرس وإن درست تتوقّف في السنة السادسة ابتدائي لأنّه لم يكن هناك متوسطة في القرية وكان لزاما على من يريد متابعة دراسته التنقل إلى قرية أخرى. واجهت صعوبات عندما قرّرت إنهاء دراستي خارج قريتي. الجميع انتقدوا أبي وطلبوا منه عدم السماح لي بالدراسة (عيب بنت تروح تنتقل وحدها في وسط الأولاد). ولكن

أبي لم يستجب لهم لأنّ إخوتي الأولاد لم ينجحوا في دراستهم، وكان حلمه أن يكون أحد أطفاله متعلّماً وذو شأن. ولهذا سمح لي بالمتابعة. درست هندسة معمارية حيث عملت لفترة قبل دخولي إلى التعليم العالي كمهندسة وكنت أذهب إلى ورشات البناء (Les chantiers) وأقوم بعملية وسط محيط كلّ ذكور، هذا لم يمنعي من المتابعة. واصلت دراساتي العليا وأنا حاليا أستاذة تعليم عالي في نفس التخصص، متزوجة من مهندس يبلغ من العمر 38 سنة ولي بنتان توأم عمرهما سنتان وبضعة أشهر، عندما أذهب للعمل أتركهما عند الجدّة.

أحبهما كثيرا وأشعر أنني أهملهما عندما أذهب للعمل وأتركهما وأحاول دائما أن أعوّض غيابي عنهما باللعب معهما عندما أعود. عندما وُلدتا كانت الولادة قيصرية واضطرت للمكوث عند أمي حتى شفيت تماما، وهي التي كانت تهتمّ بهما. هي وزوجة أخي، وعندما عدت إلى منزلي كانت تأتي أمّ زوجي تساعدني وعندما أذهب للعمل أتركهما عندها. في فترة عطلة الأمومة كنت أرضعهما رضاعة طبيعية لمدة ثلاثة أشهر وفطمتهما. ولكن حتى قبل الفطام كنت أضيف الرضاعة الاصطناعية لأنني كنت أجد صعوبة في إرضاعهما معا، إضافة إلى أنّ حليبي لم يكن يكفي. في البداية كانت أمي وزوجة أخي هما من يُحضّران الرضّاعات ثمّ أمّ زوجي عندما عدت إلى بيتي. وكذلك زوجي خصوصا في الليل يُساعدني في تحضيرها وكلّ منا يقوم بإرضاع واحدة. ساعدوني جميعا في الاهتمام بهما خصوصا زوجي حتى كان يستيقظ معي في الليل ويُسكت إحداهما أو يُعطيها الرضّاعة أو حتى يُغيّر لها الحفّاظ. أنا أعيش في منزل خاص بي وأمّ زوجي كانت تأتي أحيانا في النهار لتساعدني وعندما انتهت عطلة الأمومة أصبحت أنا من تذهب إليها لأترك بناتي عندها من أجل العمل. نحن نتعاون مع بعض في الاهتمام بهما وعندما أكون مشغولة بالتنظيف أو تحضير الطعام أو تحضير ما يلزم للعمل مثلا أتركهما مع أبيهما. حتى عندما يمرضان نأخذهما معا إلى الطبيب. لو كانت واحدة ربّما كنت سأتمكّن من الاهتمام بها لوحدي ولكن لأنّهما توأم فإنّه إجباري على الأب مساعدتي في العناية بهما خصوصا وأننا نعيش وحدنا. نُطعمهما معا، نُنظفهما، ونُحممهما.

هما ينامان معي في الغرفة، وعندما يبكيان في الليل أستجيب أنا ووالدهما إن كان من أجل الحليب أو من أجل التغيير.

في الصباح عندما يكون لديّ عمل باكرا أنا أوقظهما وتتعاون في تجهيزهما لأخذهما إلى منزل جدّتهما، وإذا لم يكن لديّ عمل باكرا فإنني أتركهما حتى يستيقظان وحدهما. فكّرت في إحضار مربية تهتمّ بهما في المنزل لكن أمّ زوجي رفضت ذلك، لهذا في الصباح نأخذهما إليها وفي المساء نُحضرهما. في الواقع أنا لا أحب تدخل أي طرف آخر في تربيتهما ولا أريد أن أتبع نفس طريقة التربية التي تلقيتها أنا في طفولتي، (صمتت قليلا) كانت قاسية جدًا. أحب أن أشعرهما بأنّهما مهتمّتان بالنسبة لي وإن كنت أرى نفسي أمًا مقصّرة في حقّهما لأنني أبتعد عنهما من أجل العمل. ولكن لا يُمكنني التوقّف عن العمل، ليس بسبب أنّ هذا الزمن يتطلّب تعاون الزوجين إنّما أيضًا لأنني أحب عملي وهو جعلني أرتقي وأثبت لأهل قريتي أنّه حتى المرأة يُمكنها النجاح، حتى المرأة لها مكانة ويُمكنها أن تُحقّق ما لم يُحقّقه الرجل.

فرحت كثيرا عندما رُزقت بابنتان لأنني أميل كثيرا للبنات أكثر وكنت أتمنى أن أنجب بنتا، فالبنات أرقّ وأحرقّ من الولد، وإن كان مجتمعنا يفضل الولد عن البنات لأسباب كثيرة ولكن كيما قالوا ناس زمان: "الي ما عندو بنات ما عرفوه وين مات"، حتى أنّ في الدين البنات ممكن أن تُدخل والديها إلى الجنة إذا أحسنا تربيتها (تضحك) أتمنى أن يُدخلاني بنتاي إلى الجنة. هذا طبعًا إذا أحسنت تربيتهما. أتمنى أن يكونا ناجحتين في مستقبلهما. سأحاول توفير لهما ما حرمت أنا منه، سأشجّعهما على الدراسة ووضع هدف في حياتهما والعمل على تحقيق طموحاتهما.

يوم عادي بالنسبة لي يكون بالاستقظ مبكرًا من أجل تحضير الفطور وما يلزم للبنات وتحضيرهما، بعدها نُوصلهما لبيت جدّتهما ويذهب كلّ منّا إلى عمله لنعود في المساء ونُحضرهما، في المنزل أقوم بالترتيب وتحضير

العشاء، أقضي بعضا من الوقت مع البنات ألعبهما ثم ننام. في حالة عندما لا يكون لديّ عمل أقضي طيلة النهار معهما، أهتمّ لأمرهما وعندما ينامان أهتمّ بترتيب المنزل وتنظيفه وتحضير الطعام.

أرى نفسي امرأة عاملة ثمّ أمّ وزوجة. بالنسبة لي العمل مهمّ جدا وإن كنت أحب بناتي وأهتمّ بهما، ولكن العمل كان هدفي منذ الطفولة أنا لم أفكر حينها في أنني قد أصبح أمّا. كلّ ما كنت أفكر فيه هو تحقيق هدفي. وهدفي بعدما بلغت ما كنت أطمح إليه منذ صغري هو أن أرتقي في عملي لمنصب أعلى من هذا كما أرغب في أن أربي بناتي تربية صالحة وهما أيضا ينجحان في حياتهما.

## 5-2- التعليق على قصة الحالة:

تنتمي الحالة إلى الشرق الجزائري وتبلغ من العمر 36 سنة، هي أمّ لبنتين وتعمل أستاذة في التعليم العالي، يعمل زوجها مهندس ويبلغ من العمر 38 سنة، وتعيش مع عائلتها الصغيرة في منزل مستقلّ.

### • مجتمع أمازيغي، نظام أبوي:

تنتمي الحالة إلى عائلة محافظة ذات أصل أمازيغي الذي هو أيضا كانت له ثقافة أبوية، حيث أنّ: "سكان الجزائر ينقسمون إلى أصليين أو عرقين مختلفين أصل عربي وأصل أمازيغي، وكلاهما يتبع دين الإسلام إلا أقلية من ديانات أخرى، لكن سلوكياتهم، عاداتهم تُركب مجتمع كلّ منهما، وأيضا الجذور واللغة" ( DAUMAS . E, ) 19 : 2009).

كانت المرأة في هذا الوسط الاجتماعي تهتمّ لأمر منزلها والاهتمام بأطفالها، بالنسبة للبنات كانت تُساهم في مساعدة الأمّ، وإحضار الماء من المنبع، رعي الأغنام، جني الخضر والفواكه الناضجة، وهذا ما أشارت إليه الحالة: "كانت المرأة في الوسط الذي كبرت فيه تخرج إلى العين لإحضار الماء أو ربما رعي الغنم، جني الثمار من البستان"، ولكن هذه المهام وإن كانت قد زالت في عدّة مدن من الجزائر إلا أنّه يوجد بعض المناطق التي

بالرغم من التغيرات التي مسّت المجتمع إلا أنّ المرأة لازالت تقوم بتلك المهام، وهذا ما لاحظناه في مدينة إليزي مثلا حيث التقينا بفتاة ترعى الماعز، وحاولنا التواصل معها لكن واجهنا صعوبة لأنّها كانت تتكلّم باللغة الأمازيغية الفصحى ولا تعرف أي لغة أخرى، كما التقينا بأمّ كبيرة في السنّ في تاغيت بمدينة بشار، وقد أشارت إلى أنّها تقوم بنفس المهام التي كانت في النظام الأبوي منها رعي الغنم، غزل الصوف، جني التمور،... أمّا في مدينة خنشلة فقد تصادفنا مع أمّ وابنتها يقومان برعي الغنم والماعز والأبقار، ولكنّهما رفضتا التواصل معنا وابتعدتا. والغرض من هذه الأمثلة هو تأكيد تصريح الحالة فيما يتعلّق بمهام المرأة في النظام التقليدي وأنّه لا يزال متواجدا ولم يندثر كلية تماما مثلما صرّح به Addi . L.

عُرف هذا المجتمع الأمازيغي مثله مثل ماكان سائدا في النظام التقليدي الأبوي بتفضيل جنس الولد عن البنت حيث أنّ: "ميلاد بنت لم يكن أبدا مرغوبا فيه من قبل العائلات الشاوية (...). الأمّ في حدّ ذاتها، من أجل إرضاء كبرياء العائلة تتمنى مجيء ولد (...). كانت تطلب من السحر تحقيق أمانيتها" (BRAHIMI . D, 168 : 1984). كما كان لهم معتقدات يُؤمنون بها حول ميلاد الطفل وحتى أثناء نموّه: "يتّم ترقّب منذ ميلادهم ما هو دليل خير وكلّ ما هو جيّد أو ترقّب ما هو نذير سوء وشؤم. كلّ دخول أو خروج من المنزل يتضمّن إقنا ازدهار ورفاهية أو العكس خراب وانهيار. إنّ التسنين لدى الرضع هو الذي يُوضّح مصير العائلة، إذا كانت القاطعتين متباعدين (Tanza) يُقال أنّه سيلتهم رأس والده في غضون سنة أي سيَتوفّى والده [هذا عند القبائل، أمّا في المناطق الغربية يقولون أنّه زهري أي محظوظ وسيكون غنيا وسيُعني والديه]" (YACINE . T, 2010 : 96).

وداخل هذا النظام فإنّه ما على النساء سوى الامتزاج والذوبان داخل هذه البنية المتصلّبة والصارمة، حيث إنّ من الصعب التخلّص من ذلك: "إنّ الفترة الوحيدة السعيدة التي يعيشها عندما يكنّ أطفالا بجانب الوالدين. لكن هذه الفترة قصيرة جدّا، حيث غالبا يتمّ توقيفها قبل بشكل مستعجل وسابق للأوان، حيث يتمّ تزويجهنّ منذ سنّ 10 أو 11 سنة. تلك اللاتي هنّ محظوظات يبقين داخل العائلة أو الجيران، ويُمكنهنّ الحفاظ على الروابط

مع الوالدين، وأخريات يتزوجن في قرية بعيدة، ولا يأتين لزيارة العائلة إلا نادرا، حيث تكون الزيارات مقننة" (YACINE . T, 2010 : 96). ولكن هذه الحالة استطاعت تجاوز ذلك وتحقيق ما تريد وستفصل في ذلك

لاحقا.

### • تأخر سن الزواج:

ذكرت الحالة والسن يؤكد كلامها أنها تزوجت في سن متأخرة: "تزوجت في سن متأخرة نوعا ما. تزوجت حتى شارفت على 32 سنة"، وهذا ما أصبح ملاحظا بوضوح في المجتمع لدى الرجل والنساء بالخصوص، وذلك له علاقة بمجموعة من العوامل: أولها هو دخول البنت للمدرسة، وإن كانت سابقا تدخل إلى المدرسة في النظام التقليدي ولكن لسنوات قليلة فقط ويتم إدخالها إلى الفضاء الداخلي وتجهيزها للزواج بعد البلوغ، ثاني عامل لتأخر سن الزواج هو طول سنوات الدراسة، حيث يتمثل في أربعة أطوار: ابتدائي، متوسط، ثانوي وجامعي. ثالث عامل هو البحث عن منصب عمل، ليأتي في الأخير عامل الموافقة على زوج يقبل عمل المرأة، وهنا هذه الأخيرة تجد نفسها تقترب أو حتى تتجاوز سن الثلاثين، في حين في النظام التقليدي يتم تزويج البنت في حوالي 14 أو 15 سنة لتجد نفسها في سن الثلاثين تجهز لزوجها. إن معدل سن الزواج حاليا في المدن أو الأرياف يكون في حوالي 27 إلى 28 سنة للرجل و 25 إلى 26 سنة للمرأة، وقد يزيد عن ذلك، هذا الزواج المتأخر ظهر كخاصية لدى المجتمع الغربي في البداية، ثم انتشر ليصبح نموذجا واحدا داخل مجموعه كبيرة من الثقافات: "داخل أغلبية المجتمعات في العالم، كان الزوجان يتوحدان في المراهقة وأحيانا كانوا أزواجا غير ناضجين، وهذا لأن الجماعة هي التي كانت تتكفل بذلك. هذا الزواج في سن متأخر الملاحظ حاليا يمكن أن يكون علامة لنوع من التفرد

(Individualisation) للأزواج" (SEGLIN . M, 2004 : 120).

• معارضة النظام الأبوي من أجل المشروع الدراسي والمهني:

إنّ هذه الحالة هي امرأة طموحة جدًا حيث تمكّنت من بلوغ ما خطّطت له، وبالإضافة إلى ذلك هي تطمح لمنصب أعلى: "أعمل أستاذة تعليم عالي في الجامعة، كنت دائما أحلم بهذا المنصب وعندما بلغتته صار حلمي الارتقاء إلى منصب أعلى في الوزارة، لما لا. (...). بعدما بلغت ما كنت أطمح إليه منذ صغري هو أن أرتقي في عملي لمنصب أعلى من هذا"، استطاعت الحالة أن تُحقّق ما تريد بالرغم من أنّها تعرّضت للانتقاد من طرف أهل القوية التي تنتمي إليها، والذين حاولوا إقناع والدها بمنعها من متابعة الدراسة، لأنّ ذلك مناف ومناقض لما تعارفوا عليه: "واجهت صعوبات عندما قرّرت إنهاء دراستي خارج قريتي. الجميع انتقدوا أبي وطلبوا منه عدم السماح لي بالدراسة (عيب بنت تروح تنتقل وحدها في وسط الأولاد). ولكن أبي لم يستجب لهم". إنّ سكان القرية وغيرهم كانوا يُشجّعون تلميذتهم على البنت وذلك تبعاً لمجموعة من المبررات والحجج: "عندما يتمّ سؤال المراهقات عن تجربتهنّ الدراسية لا يُمكنهنّ نسيان ذلك التأثير بثقل التحريضات والأمر الإيجابي أو السلبي من طرف الوالدين، المعلمين وبالخصوص مستشاري التوجيه، أو زملاء الدراسة، الذين يعملون كلّهم على تذكيرهنّ بطريقة ضمنية أو واضحة بمصيرهنّ الذي تمّ تقريره وتحديده من طرف مبدأ التقسيم التقليدي (BOURDIEU . P, 1998 : 51).

وإنّ تمّ السماح للبنات بالمتابعة الدراسة فإنّه يُلاحظ تشجيع الولد على دراسة التخصصات العلمية في حين لا يتمّ الاكتراث بالبنت: "...). كتنّ عديدات اللاتي لاحظن أنّ أساتذة التخصصات العلمية يُشجّعون البنات أقلّ مقارنة الأولاد، وأنّ الوالدين مثل الأساتذة ومستشاري التوجيه، حيث كان إبعادهنّ لمصلحتهنّ عن بعض المهن الذكورية (عندما يقول لك الأب لا يُمكنك أبدا القيام بهذه المهنة، هذا يغيظ ويكدر، في حين يُشجّع الإخوة على اختيارها) (BOURDIEU . P, 1998 : 51).

إنّ هذه الحالة بالرغم من تلك العقبات استطاعت تحقيق مشروع حياتها المهني، وبالتالي تحقيق الشخصية وذلك بمساعدة الأب الذي لم يعترض على دراستها، وهنا يتوضح لنا أنّ الأب حالياً أصبح هو من يدفع ويُشجّع البنت على الدراسة والعمل من أجل أن تبلغ برّ الأمان، ويطمئنّ عليها لأنّ الزواج لم يعد له نفس القيمة التي كانت من قبل، حيث كان عندما الأب يُزوج ابنته يطمئنّ عليها ولكن لكثرة الطلاق وارتفاع نسبته لم يعد الزواج يُمثّل بر الأمان للوالدين، ولهذا صاروا يشجعان البنت على الدراسة والعمل والاعتماد على نفسها والاستقلالية لضمان مستقبلها: "إذا كانت الأمهات منشغلات بين الرغبة في تشجيع بناتهنّ على الاستقلالية وبين الخشية من رؤيتهنّ يُغامرن داخل عالم آخر، فإنّ الآباء يُدركون إرادياً طموح بناتهم لتحقيق ذواتهنّ في عمل مهمّ" (LACOSTE-DUJARDIN . C, 2008 : 140).

#### • اقتحام الفضاء الخارجي: ممارسة مهن كانت حكراً على الرجل:

إنّ التخصص الذي درسته الحالة والمهنة التي اشتغلت فيها هي في البداية هي مهنة ذكورية، حيث تتمثّل في الذهاب إلى ورشات البناء أين يتواجد الرجال فقط، ومع ذلك استطاعت الحالة إثبات ذاتها وإظهار قدرتها على القيام بعمل كان حكراً على الرجل فقط: "درست هندسة معمارية حيث عملت لفترة قبل دخولي إلى التعليم العالي كمهندسة وكنت أذهب إلى ورشات البناء (Les chantiers) وأقوم بعملية وسط محيط كلّ ذكور، هذا لم يمنني من المتابعة"، بمعنى آخر قامت الحالة بتحطيم الحاجز الذي كان يفصل الفضاء الداخلي عن الفضاء الخارجي بل وأثبتت ذاتها داخل هذا الأخير: "النساء يظهرن في مجموع فروع النشاط الاقتصادي، في الوسط المدني وكذا في الوسط الريفي" (MERNISSI . F et MOULAY R'CHID . A, 1991 : 102).

تمّ تبيان أنّ النساء هنّ شيئاً فشيئاً حاضرات في الفضاءات العمومية للمجتمع. عندما كنّ أطفالاً درسن بالمساواة مع زملائهنّ الأولاد في أكبر المراكز المدنية، لكن هذه المساواة تناقص مع السنّ ومع الابتعاد عن



المدن: "في العاصمة تدرس البنات كان يُجاور 100%، في المناطق الريفية ربع نسبة البنات تخرج من المدرسة أو تُمنع من دخولها، وذلك لأسباب اجتماعية وثقافية: 'مكان البنت في المنزل' أو لأسباب أخرى تتعلق بالبعد، البداوة وحياة الترحل، غياب النقل،..." (BALTA . P, 1988 : 137).

بالرغم من أنّ العنصر الأثنوي كان يُمارس عملا مأجورا إلا أنّه بقي أقلّيا في بدايات اقتحام الفضاء الخارجي، وتدريبيا لوحظ حضوره في العديد من قطاعات العمل وبالخصوص تلك التي كانت حكرًا على الرجل: "تعمل النساء مدرّسات، يعملن في روضات أطفال، ممرّضات، طبيبات، وفي كلّ المهن السهلة نسبيا والمقبولة من طرف الوالدين، لأنّه كان يتمّ الحكم على المرأة تبعا لنوع العمل الأثنوي المثالي. ولكن يوجد أيضا بعدد متزايد، عاملات في البنوك والإدارة، محاميات، قاضيات، جامعيات وباحثات، بائعات ومضيفات طيران، شرطيات، عاملات في الجمارك وشرطة الحدود في الميناء والمطار. حتى الجيش لديه قسم خاصّ بالنساء لتكوينهم في طيران المطاردة" (BALTA . P, 1988 : 138).

استطاعت المرأة أن تتجاوز العديد من العقبات، كما بذلت ما في وسعها من أجل الدفاع عن حقوقها، حيث في بداية تعيّر وضعية المرأة: "كان صعبا على البنت قضاء سنوات في الدراسة وبالخصوص في الحي الجامعي، كما أنّها عندما تدخل الحياة العملية وليس لديها إمكانية الاستمرار في العيش داخل عائلتها فإنّها لا تحصل بسهولة على سكن، تتردّد في شغل منصب داخل الوطن في قطاعات مهنية تقليديا ذكورية، تجد صعوبة في القيام بالعمل وفي بعض الفضاءات العمومية (السينما، المقهى، المطعم، الحديقة العامّة) تجد صعوبة في قبولها لأنّها ليست ذكر" (BALTA . P, 1988 : 138). وقد أشار إلى ذلك أحد الأفراد في مدينة غرداية حيث أكّد أنّ البنت لا تعمل في أماكن مثل تلك، وإن عملت فأثّنها ليست من المنطقة وإنّما من الشمال.

إنّ هذا الاقتحام الذي قامت به المرأة أدّى تغييرات على مستوى الأدوار (Rôles)، الأمكنة (Places)، المكانات (Statuts): "قامت المرأة باستثمار طاقتها في مجالات كانت مذكرة سابقا، تصاحب مع رؤية أول امرأة

هي الأولى على الدفعة في مدرسة تقنية، أول رئيسة للمحكمة مرورا إلى أول ضابطة في الشرطة، ومجالات أخرى كانت فيها لأول مرة، إحساس بأنه سيكون هناك تشوّش واضطراب سيحدث في تعريف النوع الاجتماعي (Genre) [وما يرتبط به من دور، مكان ومكانة] (BADINTER . E, 2003 : 12).

#### • الممارسات الأمومية لم تعد تقتصر على الأم:

في الماضي الأب لم يكن يهتمّ بالأطفال مبكرا لأنّ فعل ذلك مناقض لما هو موجود في الثقافة التي تربي فيها، حيث أنّ الثقافة هي التي تُحدّد أدوار كلا الجنسين، وقد ذكرت K . Millett أنّ "الذكر والأنثى هما في الواقع ثقافتان" (ورد في غلوفر . د وكابلان . ك، 2008: 31). ولكن حاليا وبعدما صار يقوم بمهام أمومية ظهرت له أنّها عادية ولا تُؤثّر على مكانته وقيّمته كما كان يظن من قبل. وزوج هذه الحالة يُساعدُها في الاهتمام بالتوأم وذلك في كلّ ما يتعلّق بالرعاية من جميع النواحي، فهو يقوم بنفس الممارسات الأمومية التي تقوم بها زوجته: "وكذلك زوجي خصوصا في الليل يُساعدني في تحضيرها وكلّ منا يقوم بإرضاع واحدة. ساعدوني جميعا في الاهتمام بهما خصوصا زوجي حتى كان يستيقظ معي في الليل ويُسكت إحداهما أو يُعطيها الرضاعة أو حتى يُعيّر لها الحفّاظ. (...). نحن نتعاون مع بعض في الاهتمام بهما وعندما أكون مشغولة بالتنظيف أو تحضير الطعام أو تحضير ما يلزم للعمل مثلا أتركهما مع أبيهما"، وهذا يرتبط بالأساس بالتغيّرات التي مسّت المرأة: "لأنّه حدثت تغيّرات عديدة في المجتمع المغاربي خاصّة في الجزائر أذى ذلك إلى ظهور تحولات على مستوى المكانة الخاصّة بالمرأة" (GADANT . M et KASRIEL . M, 1990 : 12)، وهذا التغيّر في مكانة المرأة وكذا دورها أذى إلى تغيّر في مكانة ودور الرجل: "إنّ زيادة عدد النساء العاملات لم يستطع عدم التأثير على توزيع المهام المنزلية، وأيضا النماذج التقليدية الذكورية والأنثوية داخل العائلة" (BOURDIEU . P, 1998 : 124).

## • طموحي للعمل سبق رغبتني في الأمومة:

صرحت الحالة أنّها لا تستطيع التوقف عن العمل بالرغم من إحساسها بأنّها تُهمل طفلتيها، لأنّ العمل سبق رغبتها في أن تصبح أمًا: "أرى نفسي امرأة عاملة ثمّ أمّ وزوجة. بالنسبة لي العمل مهمّ جدا وإن كنت أحب بناتي وأهتّم بهما، ولكن العمل كان هدفي منذ الطفولة أنا لم أفكر حينها في أنّي قد أصبح أمًا. كلّ ما كنت أفكر فيه هو تحقيق هدفي". لقد كان العمل بالنسبة لها مشروع الحياة الوحيد في طفولتها، وهو الذي يجعلها تثبت ذاتها وتتشخصن: "أحب عملي وهو جعلني أرتقي وأثبت لأهل قريتي أنّه حتى المرأة يُمكنها النجاح، حتى المرأة لها مكانة ويُمكنها أن تُحقّق ما لم يُحقّقه الرجل"، وهي لم تتوقّف عند هذا الحدّ بل تطمح إلى منصب أعلى: "إنّه بالإمكان ملاحظة أنّ الأمّهات اللاتي يعملن لديهنّ طموحات لمهنة أكثر ارتفاعا وقيمة، وهنّ أقلّ تعلقًا بالنموذج التقليدي للمرأة وللوضعية الأنثوية" (BOURDIEU . P, 1998 : 124).

في النظام التقليدي لم يكون هناك اهتمام بتعليم البنات، ولا حتى بنتائجها الدراسية في حالة دخولها للمدرسة وذلك لأنّ مصيها محدّد مسبقا، وهذا ما عاشته هذه الحالة مع محيطها ما عدا الأب الذي شجّعها، وتقول Sboui . H بهذا الخصوص: "في المجتمع المغربي لا يتمّ الاهتمام بطموحات البنات، لأنّ كلّ شيء مبرمج ومنظّم مسبقا. طيلة الصيف عند حضور مختلف حفلات الزواج، الأمّهات يعرضن بناتهنّ أمام أمّهات آخريّن اللاتي يبحثن عن الأفضل لأولادهم (...)" (In BEY . M, 2001 : 26).

## • رفض النمط التربوي التقليدي:

أشارت إلى أنّها لا تتبع نفس النمط التربوي الذي تربت عليه في طفولتها لأنّه بالنسبة لها كان قاسيا: "في الواقع أنا لا أحب تدخل أي طرف آخر في تربيّتي لبناتي ولا أريد أن أتبع نفس طريقة التربية التي تلقّيتها أنا في طفولتي، (صمتت قليلا) كانت قاسية جدًا"، فالبنات في النظام التقليدي كان يتمّ حرمانها من أمور كثيرة كعدم

الخروج للعب بمجرد ما تبدأ علامات الأنوثة في الظهور لديها، مراقبتها بشكل مستمر والشعور بالتوتر حيالها ، ومعاقبتها إذا أخطأ إخوتها في حالة ما إذا كانت هي البنت الكبرى، وعليها رعايتهم وتحمل المسؤولية في سن مبكر. كما أنه بالإضافة إلى ذلك التمييز والتفضيل للولد على حساب البنت، فإنه هناك "عدم مساواة مدهش بين الأطفال، حسب سنهم والمكان (Place) الذي يشغلونه داخل العائلة" (BADINTER . E, 1980 : 79).

وهنا الحالة لا تريد أن تتبع نفس الطريقة مع بنتها حتى لا يشعر بنفس ما شعرت به هي في طفولتها. وميولها إلى جنس الأنثى له علاقة بذلك، فهي تحاول أن تظهر للعالم أنّ البنت قوية ولها مقدرة وإرادة وطموح وقدرات مثلها مثل الرجل، وذلك من خلال تشجيع طفلتيها على الدراسة والعمل. وهذا يعني أنّها ترغب في أن تستدخل البنّتين صورة المرأة الجديدة، العاملة والناجحة على عكس ما كانت تقوم به الأمّ في الماضي أين كانت تجعل البنت تستدخل صورة الأمّ التقليدية، وبالتالي أصبحت المرأة حاليا "ترغب في الحصول على تكوين واختيار مهنة التي تعطيها استقلالية فكرية واقتصادية ومالية. إنّها لا تريد أبدا مكانة (Statut) أمّ عائلة" (BALTA . P, ) (1988 : 138).

### خلاصة الحالة الخامسة:

ترى هذه الحالة أنّها امرأة عاملة أولاً ثمّ أمّ وزوجة، وهذا يُعبّر عن مدى تقديس الحالة للعمل ومدى أهميته بالنسبة لها حتى على حساب عائلتها، فالعمل أصبح يُمثّل للمرأة مشروعاً للحياة الذي توليه كلّ إهتمامها، لأنّه صار بمثابة ضمان لتحقيق ذاتها، وكذا الاستقلالية وأمان لها.

وذكرت الحالة أنّ الأب يُساعدُها في الاهتمام بالتوأم في كلّ ما يتعلّق برعايتهما، وهذا ما يُحيل إلى تغيّر مهمّ في النظام الاجتماعي وبالخصوص في أدوار كلّ من الأب والأمّ، والتي تتمثّل في قيام الأب بممارسات أمومية كانت حكرًا على الأمّ، تماماً مثلما هذه الحالة عملت في مجال كان حكرًا على الرجل فقط، هنا نؤكد ما ذكرناه سابقاً لم يعد هناك حاجز بين الفضائيين الداخلي والخارجي كما كان موجوداً في النظام الاجتماعي التقليدي الأبوي. كما أنّ هناك معارضة للنظام التقليدي ورفضاً لنمطه التربوي وبالخصوص فيما يتعلّق بتربية البنت.

## خلاصة عامة لجميع الحالات:

إنّ من خلال الدراسة العيادية للحالات المأكنة بالبيت استخلصنا أنّ الأمهات المأكنات بالبيت يُمتلن نموذج الأمّ التقليدية داخل النظام الاجتماعي التقليدي الأبوي، وذلك من خلال قيامهنّ بالممارسات الأمومية المنوطة بكلّ جنس أنثوي، وذلك دون مساعدة الأب. كما أنّ هؤلاء الأمهات لديهنّ يتبعن تقريبا نفس النمط التربوي الذي كان سائدا في النظام التقليدي، والذي كان يعتمد على التربية الدينية، حيث أنّ أغلب الحالات المدروسة لها وازع ديني تحاول تمريره للطفل عبر التنشئة الاجتماعية، ويعتبر الدين أحد مكونات الثقافة الجزائرية والذي هو العقيدة الإسلامية. إنّ لكلّ أمّ مكانا واحدا تشغله ألا وهو مكان أمّ، والذي من خلاله حدثت الشخصية وبالتالي إثبات الذات داخل المحيط.

ولكن لاحظنا بعض التغيرات التي طرأت على النظام، وذلك من خلال مثلا العيش في منزل مستقل عن العائلة الكبيرة، تحديد عدد الولادات، كلّ الحالات دخلت المدرسة وهناك منهنّ من أنهت دراستها وهناك من توقفت في منتصف الطريق.

فيما يتعلّق بالأمهات العاملات، فقد لاحظنا تغيرات مهمّة في المكان والممارسات الأمومية، حيث أنّ لكلّ منهنّ مكان أمّ ومكان امرأة عاملة، أي هناك هوية داخلية مرتبطة بالأمومة وهوية خارجية وهي مهنية، وقد أدّى ذلك إلى تغيير على مستوى أدوار الأمّ الذي أدّى بدوره إلى تغيير في أدوار الأب، حيث أنّ أي تغيير يطرأ على طرف فإنّه يُؤثر على الآخر. فلاحظنا الأب يقوم بنفس الممارسات الأمومية التي كانت تُمارسها الأمّ، وضمّ ذلك إطعام الطفل، التغيير له، تحميمه، أخذه للنوم، مواساته وغيرها، ليس هذا وحسب بل وأصبح يُشارك في الأشغال المنزلية يدا بيد مع الأمّ.

إذن إنّ هناك تفاعل مبكّر للأب مع الطفل، فقد أصبح له علاقة قوية مع الطفل تماما مثل العلاقة أمّ-طفل، الأمر الذي أدّى إلى تقوية العلاقة بين الأب والأمّ على عكس ما كان في الماضي، حيث كانت الأمّ تستثمر

كل عاطفتها مع الطفل، وبالتالي عمل الأم أدى بها إلى توزيع متساو فيما يتعلق بالاستثمار العاطفي بين الطفل والأب. إن هذا الابتعاد للأم عن الطفل له دور مهم في جعله مستقلا في المستقبل ومعتمدا على ذاته.

كما لاحظنا لدى الحالات العاملة تأخرا في الزواج، وأيضا تقليصا في عدد الولادات، والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسة والعمل، الذي لدى البعض منها يحتل المرتبة الأولى في حياتهن، بل وكان شرطا من شروط الزواج.

دامت الرضاعة الطبيعية لدى أغلب الحالات ثلاثة أشهر فقط، وهذا يرتبط بعطلة الأمومة التي تدوم ثلاثة أشهر، وبعد انتهائها تضطر الأم إلى قطع الرضاعة الطبيعية، لأنها تغيب عن الطفل طيلة النهار، في حين النظام التقليدي كانت الرضاعة الطبيعية مهمة جدا للطفل ولا يمكن الإستغناء عنها، كما أنه كان المحيط يهتم بالأم المرضعة بتوفير لها كل الأطعمة التي من شأنها زيادة غزارة الحليب لدى الأم حتى يشبع الطفل. أما بالنسبة للأم العاملة فهي مجبرة من أجل العمل على فطم الرضيع مبكرا. وهذا تغير في أحد الممارسات الأمومية.

أغلب الحالات العاملة المدروسة إذا لم نقل كلها أشارت إلى أن لديها شعورا بالذنب الذي هو ناتج عن ترك الأطفال من أجل العمل، ولدى البعض منها لتفضيلها العمل عنة أي أمر آخر في حياتها. ولكن ذلك لم يمنع أي أم منهن من مواصلة تحقيق طموحاتها. فكل واحدة من الأمهات العاملات تحاول تعويض غيابها عن أطفالها بقضاء وقت طويل معهم بعد العودة إلى المنزل واللعب معهم. هناك من الحالات العاملة التي تعيش بشكل مستقل وهناك من تعيش مع العائلة الكبيرة، وهذا يُحيل إلى امتداد النظام الأبوي بالرغم التغيرات الطارئة على المجتمع.

إذن انطلاقا من الإشكالية التي قمنا بطرحها توصلنا إلى أن هناك تغير لمكان ودور الأم داخل العائلة نتيجة للتغيرات الطارئة على وضعية المرأة في الجزائر، وكان ذلك من خلال مقارنة الأم الماكنة بالبيت التي هي تُمثل نموذج الأم التقليدية مع الأم العاملة، وخلصنا إلى أن هناك فرق في المكان وكذا الممارسات الأمومية، كما أن حتى العلاقات زوجة-زوج تغيرت بفعل هذه التحويلات، أين أصبحت أكثر قوة وذلك نتيجة لعدة عوامل منها التفاعل المبكر للأب مع الطفل وبالتالي استثمار أكبر في علاقته معه.

# خاتمة



منذ سنوات طويلة كان المجتمع يغلق على المرأة داخل جدران منزلها الأربعة ووظيفتها الأساسية هي خدمة عائلتها، أطفالها وزوجها ولا تخرج من المنزل إلا للضرورة. ومع مرور الزمن تمكنت المرأة تدريجيا من الخروج من المنزل والدراسة والعمل في مجالات مختلفة بداية بالتدريس والصيدلة والطب ثم القانون، العلوم والسياسة والأمن وغيرها من المجالات، حتى أنّ هناك بعض القطاعات المهمّة التي تمّ تأنيثها مثل العدالة التي كانت حكرا على الرجال، هي تقترب اليوم ليشملها تعادل وتكافؤ رجال-نساء. 846 امرأة تُمارس القضاء من مجموع 2751، 137 امرأة تعمل قاضية من مجموع 404، 34 امرأة تعمل رئيسة محكمة من مجموع 56. في حين تُمثّل النساء في قطاع الصحة نسبة 54% و46% في قطاع التربية. منذ سُجّل حضور متزايد للمرأة بشكل تدريجي ومعتبر في قطاع الأمن العمومي بمختلف فروعه. كان المجموع 5979 في 2002 و 6979 في 2004. ما هو مهمّ لأخذه بعين الاعتبار هو أنّ النساء حاضرات بكثافة في المؤسّسات العمومية والفضاءات العمومية بصفة عامّة (SALHI . M.B, 2010 : 215).

إنّ تطوّر تعليم وعمل المرأة وكذلك الدور الجديد الذي أصبحت تلعبه في المجتمع أدّى إلى حدوث تغييرات فيما يتعلّق بوضعيتها داخل العائلة. من خلال العمل تبحث المرأة على التكيف مع تغييرات الوسط الاجتماعي، تحقيق الذات، التعبير عن الذات، الاستقلالية وبالتالي الشخصية.

وهذا بالتحديد ما حاولنا توضيحه في هذه الدراسة حول مكان الأمّ والممارسات الأمومية داخل العائلة الجزائرية، أين عملنا على الكشف عمّا إذا كان هناك تغيير على مستوى مكان الأمّ وممارساتها، وذلك من خلال التطرّق إلى مختلف الدراسات والأعمال التي تناولت بالبحث وضعية المرأة وبالخصوص الأمّ وكذا الأب، ومن أجل ذلك انطلقنا من الإشكالية التالية:

- هل تغير مكان ودور الأم داخل العائلة نتيجة لهذه التغييرات؟

- هل تغيرت الممارسات الأمومية؟

- هل تغيرت العلاقات زوجة-زوج بفعل هذه التغيرات؟

ومن أجل الإجابة على الإشكالية قمنا بـ:

- دراسة مسحية ضمن الدراسة الاستطلاعية وذلك من خلال وضع شبكة ملاحظة، التي ضمت مختلف المواقف في العلاقة أم-طفل وكذا العلاقة أب-طفل، والتي قمنا بتوزيعها على أمهات ماكنات بالبيت وأمهات عاملات في مختلف القطاعات وفي مختلف ولايات الوطن، وقد قامت الأمهات بملئها، وقمنا لاحقا بحساب النسب المئوية، وتوصلنا إلى أنّ هناك اختلافا بين النسب المئوية في شبكات الملاحظة الخاصّة بالأمهات الماكنات بالبيت وتلك الخاصّة بالأمهات العاملات، وذلك من خلال انخفاض في الممارسات الأمومية للأمّ العاملة وكذا مساهمة الأب في تلك الممارسات وذلك لانشغال الأمّ بالعمل، في حين يُلاحظ قيام الأمّ الماكنة في البيت بشكل طبيعي بالممارسات الأمومية ودون مساعدة كبيرة للأب.

- دراسة عيادية، والتي ضمت مجموعتين من الأمهات: عشر أمهات ماكنات بالبيت وعشر أمهات عاملات، واخترنا من كلّ مجموعة خمس حالات نموذجية وذلك تفاديا للتكرار، حيث قمنا بمقابلات معهم من خلال استعمال تقنية قصة الحياة والاعتماد على شبكة مقابلة خاصّة بكلّ مجموعة، وتوصلنا أيضا إلى أنّ هناك تغيّرات واضحة مسّت مكان الأمّ العاملة وكذا ممارساتها الأمومية، كما توصلنا إلى أنّ هناك علاقة تفاعلية مبكّرة بين الأب والطفل، وبالتالي أصبح هناك ثلوث عائلي يضمّ علاقات قوية بين مختلف أطرافه الثلاث، على عكس ما كان في الماضي أين كان هناك علاقة قوية بين الطفل والأمّ فقط.

- دراسة مقارنة، والتي كانت متصاحبة مع كلا الدراستين السابقتين، حيث حاولنا أن نُقارن بين مكان الأمّ والممارسات الأمومية بين الأمهات الماكنات بالبيت والأمهات العاملات، وقد توصلنا إلى أنّ هناك اختلافا بينهما، حيث أنّ الأمّ الماكنة بالبيت تُحافظ على نفس المكان والممارسات الأمومية التي كانت موجودة في النظام

التقليدي، في الحين الأمّ العاملة لديها مكان أم وكذا مكان عاملة، وكذلك سجّلنا تغيّرات على مستوى الممارسات الأمومية هذا من جهة، ومن جهة أخرى سجّلنا مشاركة الأب في هذه الممارسات في حالة الأمّ العاملة.

إذن من خلال الدراسات الثلاث المذكورة تبيّن أنّ هناك تغيّر على مستوى مكان الأمّ وكذا دورها، والذي كان في النظام الأبوي منحصرًا في الأشغال المنزلية وتربية الأطفال والذي من خلاله كانت تُثبت ذاتها وتتشخصن، وتدرّجًا توسّعت طموحاتها وأصبحت تسعى إلى تحقيق ذاتها من خلال هدف آخر غير الأمومة ألا وهو العمل، وهنا أصبح لها هويتين: هوية أمّ وهوية مهنية. وهذا التغيّر الذي طرأ على مكان الأمّ أثر على مكان الأب ودوره.

يعود هذا التغيّر في النظام التقليدي إلى تلك التحوّلات التي طرأت على المجتمع الجزائري بعد الاستقلال خصوصًا تلك التحوّلات المتعلقة بوضعية المرأة، والتي أصبح لها الحقّ في التمدرس والعمل. حيث أنّ التغيّرات التي حدثت في المجتمع أدّت إلى تغيّر مكان (Place) المرأة داخل المجتمع وإذن تغيّر الوظائف النفسية. هذه التغيّرات تُشير إلى تطوّر في الطريقة التي كان المحيط يُدرك بها المرأة، وأيضا الطريقة التي كانت المرأة تُدرك بها ذاتها. إنّ تغيّر وثراء تمثّل المرأة يظهر أنّه مرتبط بخروجها من الفضاء المخصّص لها: الداخل، والاتّجاه نحو فضاء آخر كان حكرا على الرجل فقط: الخارج، أين أصبح لها الحقّ في الدراسة والعمل. لكنّ هذا لا يعني تخليها عن الزواج والأمومة، وهذا ما لاحظناه لدى الحالات العاملة اللاتي جمعن بين المشروع الدراسي، العملي والعائلي.

# قائمة المراجع

- 1/ أبو شهدة، كمال، و وهبي كمال. (1997). مقدمة في التحليل النفسي. لبنان: دار الفكر العربي. 159 ص.
- 2/ أمين، قاسم. (1988). تحرير المرأة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر. 182 ص.
- 3/ أمين، قاسم. (2012)، المرأة الجديدة، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ISBN: 978-977-5171-978-2. 67-110 ص.
- 4/ أنجرس، موريس. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية. (ترجمة صحراوي بوزيد وآخرون). ط2. الجزائر: دار القصة للنشر. ISBN: X-462-64-9961-477 ص.
- 5/ بارو، فرنسواز، و دورون، رولان. (1997). موسوعة علم النفس. (ترجمة فؤاد شاهين). ط1. بيروت: منشورات عويدات. 125 ص.
- 6/ بن سلامة، فتحي. (2008). الإسلام والتحليل النفسي. (ترجمة بن سلام رجاء). لبنان: دار الساقى. ISBN: 978-1-85516-294-5. 368 ص.
- 7/ بن نبي، مالك. (2013). مشكلة الثقافة. (ترجمة عبد الصبور شاهين). ط1. الجزائر: دار الوعي. ISBN: 978-9931-376-62-0. 152 ص.
- 8/ بن واضح، الهاشمي. (2016). منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا. المسيلة: جامعة محمد بوضياف. تمّ تحميله يوم 2016/09/09 على الساعة 20:30.
- 9/ التميمي، أحمد نوفل عزّ الدين الخطيب وآخرون. (1988). نظرات في الثقافة الإسلامية. باتنة-الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر. 394 ص.
- 10/ تيليون، جرمين. (2000). الحريم وأبناء العم: تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط. (ترجمة الخطابي عز الدين وكثير إدريس). لبنان: دار الساقى: ISBN: 1-85516-318-7، 205 ص.

- 11/ جابر، عبد الحميد جابر، وكفافي، علاء الدين. (1995). معجم علم النفس والطب النفسي. الجزء السابع والثامن. القاهرة: دار النهضة العربية. ISBN: 5-1333-04-977. 4276 ص.
- 12/ جاويش، عبد العزيز. بدون سنة. الإسلام دين الفطرة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 226 ص.
- 13/ جعفرور، محمد سعيد. (2011). مدخل إلى العلوم القانونية: الوجيز في نظرية القانون. ط 18. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. ISBN: 1-400-66-9961. 319 ص.
- 14/ الجيلاني، حسان، وسلاطنة، بلقاسم. (2004). منهجية العلوم الاجتماعية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. ISBN: -462-64-9961. 472 ص.
- 15/ الزحيلي، محمد. (2008). المرأة المسلمة المعاصرة: مكانتها-حقوقها-أحكامها. دمشق: دار الفكر. ISBN: 1-59239-662-3. 408 ص.
- 16/ زكريا، فؤاد. بدون سنة. نيتشه. ط2. القاهرة: دار المعارف. ISBN: 1-09-15-501. 191 ص.
- 17/ سعد الله، أبو القاسم. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء 9. الجزائر: دار البصائر. ISBN: -978-9961-887-29-5. 312 ص.
- 18/ سهيل، إدريس. (2005). المنهل. ط 34. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.
- 19/ شروخ، صلاح الدين. (2010). علم النفس الاجتماعي و الإسلام. عناية: دار العلوم للنشر والتوزيع. ISBN: 3-978-9961-909-55-3. 292 ص.
- 20/ صقر نبيل. (2006). قانون الأسرة: نصا وفقها وتطبيقا. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. ISBN: 6-849-60-9961. 416 ص.
- 21/ طمار، محمد. (2007). الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ISBN: 1-0875-0-9961-978. 318 ص.

- 22/ عاقل، فاخر. (1968). دراسات سيكولوجية. ط2. بيروت دار الملايين. 335ص.
- 23/ عطا الشيخ، سيف الدولة. (2013). الثقافة بين الشفوية والكتابة. <http://thevoiceofreason.de/article/5528> . تمّ الاطلاع عليه يوم: 2017/10/28 على الساعة 22:07.
- 24/ عماد، عبد الغني. (2006). سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ISBN: 9953-82-054-6. 337ص.
- 25/ عمار، عبد الحق. (2011-2012). مكان الأب داخل العائلة الجزائرية. تحت إشراف فسيان حسين. أطروحة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة وهران، الجزائر.
- 26/ عوض، سوسن. (2013). <pdf> <https://www.syr-res.com> . تمّ الاطلاع عليه يوم: 2017/08/29 على الساعة 14:38.
- 27/ عيساوي، أمينة. (2011-2012). دراسة مفارقة للشخصية لدى المراهقة غير المتمدرسة والمراهقة المتمدرسة. تحت إشراف فسيان حسين. أطروحة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة وهران، الجزائر.
- 28/ غلوفر، ديفيد، و كابلان، كورا. (2008). الجنوسة الجندر. (ترجمة عدنان حسن). سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع. 334ص.
- 29/ الفاخوري، حتّا. (1986). منتجات الأدب العربيّ. لبنان: المكتبة البولسية. 726ص.
- 30/ فراد، محمد أرزقي. (2006)، جزائريات صنعن التاريخ. ط2. الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. ISBN: 9961-779-96-7. 220ص.
- 31/ فرج، عبد القادر طه آخرون. بدون سنة. معجم علم النفس والتحليل النفسي. ط1. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 512ص.

32/ فضلى، عبد الهادي. (2007). التربية الدينية. ط5. إيران: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي. ISBN : 978-964-2730-21-6-21-6-199 ص.

33/ فقيه، العيد. (2004-2005). التجربة الصوفية كمصدر لبناء تصور حول الصحة النفسية "دراسة سيكومترية مقارنة بين التجربة الصوفية وعلم النفس الحديث. تحت إشراف ماحي إبراهيم. أطروحة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة وهران، الجزائر.

34/ كركر، عصمت الدين. (1985). المرأة من خلال الآيات القرآنية. ط 2. تونس: الشركة التونسية للتوزيع. 299 ص.

35/ مارديني، عبد الرحيم. (2010). موسوعة فقه المرأة المسلمة. الجزائر: دار البدر للنشر والتوزيع. ISBN : 978-9947-952-32-0-288 ص.

36/ معتصم ميموني، بدر. (2005). سيكولوجية النمو في الطفولة والمراهقة. ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ISBN : X-0602-0-9961، 303 ص.

37/ معتصم ميموني، بدر، وميموني، مصطفى. (2010). سيكولوجية النمو في الطفولة والمراهقة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ISBN : 978-9961-0-1370-0-182 ص.

38/ موسلمان، سليمان محمد. (2012). تربية الأطفال في الإسلام. ط1. دمشق: دار الكلم الطيب. 496 ص.

39/ وافي، علي عبد الواحد. (1965). المساواة في الإسلام. ط 3. القاهرة: دار المعارف بمصر. 142 ص.

40/ ABROUS, D. (1989). L'honneur face au travail des femmes en Algérie. Paris : L'Harmattan. ISBN : 2-7384-0359-X. 312p.

41/ ADDI, L. (1999). Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine. Paris : Editions la découverte. ISBN : 2-7071-3033-8. 225p.

42/ AJURIAGUERRA, J. (1974). Manuel de psychiatrie de l'enfant. (2<sup>ème</sup> Edition). Paris : Masson. ISBN : 2.225 396 88.4. 1089p.



- 43/ ALBO XAVIER, S.J. (2003). Culture Interculturalité Enculturation. Espagne : Fédération Internationale de Foi et Joie et Fondation Sainte Marie. ISBN : 980-313-017-X. 70p.
- 44/ ALLAMI, N. (1988). Voilées, Dévoilées : Etre femme dans le monde arabe. Paris : L'Harmattan. ISBN : 2-7384-0201-1. 254p.
- 45/ ALLEMANDOU, A. (2005/2006). Eviter la déscolarisation d'élèves de collège : point de vue d'un médecin de l'Education Nationale. Mémoire pour l'obtention du Diplôme « adolescents difficiles approche psychopathologique et éducative ». Education Nationale Académie de Paris, Université Pierre et Marie CURIE Paris 6, p1-23.
- 46/ AMARA, F. (2004). Ni putes ni soumises. Paris : La Découverte/Poche. ISBN : 2-7071-4458-4. 168p.
- 47/ AUBERT, J.L, & DOUBOVY, Ch. (2002). Maman j'ai peur : Mère anxieuse, enfant anxieux. Paris : Editions J'ai lu. ISBN : 2-290-31631-8. 191p.
- 48/ BADINTER, E. (1980). L'amour en plus : histoire de l'amour maternel. Paris : Flammarion. ISBN : 2-08-064279-0. 373p.
- 49/ BADINTER, E. (2003). Fausse route. Paris : Edition Odile Jacob. ISBN : 2-7381-1265-x. 211p.
- 50/ BALTA, P. (1988). Algérie. Paris : Editions Nathan. ISBN : 2.09.166160.0. 207p.
- 51/ BENNOUNE, M. (2000). Education, Culture et Développement. (1<sup>ère</sup> Edition). Alger : Ed Marinoor ENAG. ISBN : 9961-72-15-2. 91p.
- 52/ BERGERET, J. (1979). Abrégé de psychologie pathologique théorique et clinique. (3<sup>ème</sup> Edition). Paris : MASSON. ISBN : 2-225-62535-2. 323p.
- 53/ BEY. M (sous la dir). (2001). Etoiles d'Encre. Algérie : Editions chèvre-feuille étoilée. ISSN : 1112-3311. 297p.
- 54/ BOUHDIBA, A. (1986). La sexualité en Islam. (4<sup>ème</sup> Edition). Paris : PUF. ISBN : 2-13-039669-0. 320p.

- 55/ BOURDIEU, P. (2002). La domination masculine. (2<sup>ème</sup> éd), Paris : Editions du seuil. ISBN : 2-02-055771-1. 177p.
- 56/ BOUTEFNOUCHET, M. (1980). La famille algérienne : Evolution et caractéristiques récentes. Alger : Société Nationale d'Édition et de Diffusion. 316p.
- 57/ BOUTEFNOUCHET, M. (1982), La cultures en Algérie : Mythe et réalité. Alger : Société Nationale d'Édition et de Diffusion : 171p.
- 58/ BOUTIN, G, & DURNING, P. (1999). Les interventions auprès des parents. (2<sup>ème</sup> Edition). Paris : DUNOD. ISBN : 2-10-004516-4. 201p.
- 59/ BOUZAR. W. (1984). La culture en question. (2<sup>ème</sup> Edition). Alger : Entreprise Nationale du Livre. 187p.
- 60/ BOUZAR, D, & KADA, S. (2003). L'une voilée, l'autre pas (Le témoignage de deux musulmanes françaises). Paris : Albin Michel. ISBN : 2-226-13805-6. 214p.
- 61/ BRAHIMI, D. (1984). Femmes arabes et sœurs musulmanes. Paris : Edition Tierce. ISBN : 2-903144-28-1. 319P.
- 62/ CARCASSONNE-ROUIF, M, & SALAZAR ORVIG, A, & BENSALAH, A. (2001). Des récits dans des entretiens de recherche : entre narration et interprétation. Revue québécoise de linguistique. vol. 29. n° 1, © RQL (UQAM). Montréal. p 97-122. Document téléchargé le 26 June 2011 à 12 :34.  
<http://id.erudit.org/iderudit/039431ar>.
- 63/ CHERIF, H, & MONCHAUX, PH, (sous la dir de). (2007). Adolescence : quels projets de vie?. Alger : Centre de Recherche d'Édition et d'Application Psychologiques (CREAPSY). ISBN : 978-9961-9634-7-0. 274p.
- 64/ CHOMBART DE LAUWE, P.E, (sous la dir de). (1964). Images de la femme dans la société. Paris : Les Editions Ouvrières. 280p.
- 65/ CITEAU, J.P, & ENGELHARDT-BITRAIN, B. (2003). Introduction à la psychologie : Concepts et études de cas. Paris : Armand Colin. ISBN : 2200017200. 272p.
- 66/ Collection de « visage de l'Algérie ». (1976). La femme algérienne, Espagne : Graficas Manero. ISBN : 84-399-4967-7. 67p.

- 67/ DELACROIX, C. (1986). Espoirs et réalités de la femme arabe (Arabe-Egypte) : Histoire et perspectives méditerranéennes. Paris : L'Harmattan. ISBN : 2-85802-641-60. 236P.
- 68/ DES FORTS, J. (2003). Violences et corps des femmes du tiers monde : le droit pour celles qui donnent la vie. Alger : Editions ANEP. ISBN : 9947-21-051-4. 268p.
- 69/ DE SINGLY, F. (2004). Le soi, li couple et la famille. France : Nathan. ISBN : 2-266-13547-3. 213p.
- 70/ DIB-MAROUF, C. (1984). Fonctions de la dot dans la cité algérienne-le cas d'une ville moyenne : Tlemcen et son Hawz. Alger : Office des publications universitaires. 387p.
- 71/ DJAIT, H. (1974), La personnalité et le devenir arabo-islamiques. Paris : Editions du Seuil. 301p.
- 72/ DJEGHLOUL, A, & LACHERAF, M. (2001). Histoire, culture et personnalité. Alger : ANEP. ISBN : 978-5961-756-80-5. 269p.
- 73/ DOLTO, F, & DOLTO-TOLITCH, C. (1989). Paroles pour adolescents ou le complexe du homard. Paris : Hatier. ISBN : 2.218.02475/6. 158p.
- 74/ DAUMAS, E. (2009). Mœurs et coutumes de l'Algérie. Rouiba : Editions ANEP. ISBN : 978-9947-21-265-3. 255p.
- 75/ EL KHAYAT, GH. (1988). Le monde arabe au féminin. (2ème édition). Paris : L'Harmattan. ISBN : 2-85802-476-3. 325p.
- 76/ EL SAADAOU, N. (1983). La face cachée d'Ève : Les femmes dans le monde arabe. (2ème éd). Paris : Editions Des femmes. ISBN : 2-7210-0226-0/Fr. 414p.
- 77/ ESPARBÈS-PISTRE, S, & TAP, P. Identité, projet et adaptation à l'âge adulte, Carriérologie: revue francophone internationale. Université de Toulouse II. UFR de Psychologie. Toulouse. France. 10 p.
- 78/ ESPARBÈS-PISTRE, S, & TAP, P. Stratégies de personnalisation et appropriation de compétences à l'adolescence : différences entre garçons et filles, In: LESCARRET, O, & M de LEONARDIS. Séparation des sexes et compétences. L'Harmattan. P249-277.

- 79/ FSIAN, H. (2006). Identité féminine-Identité masculine : A propos des relations hommes/femmes en Algérie. Thèse de doctorat d'Etat en psychologie clinique. université d'Oran.
- 80/ FSIAN, H. Y-aurait-il une question du père à l'adolescence dans l'éclosion de la violence en Algérie. Département de psychologie. Oran.
- 81/ FSIAN, H. Projet de vie et construction identitaire chez les adolescentes. Département de psychologie. Oran.
- 82/ GADANT, M, & KASRIEL, M, (sous la dir de). (1990). Femmes du Maghreb au présent : la dot, le travail, l'identité. Paris : Presses du CNRS. ISBN : 2-87682-070-6. 315p.
- 83/ GADREY-TURPIN, N. (1982). Travail féminin, Travail masculin : Pratiques et représentations en milieu ouvrier à Roubaix-Tourcoing. Paris : Editions Sociales. ISBN : 2-209-05469-9. 223p.
- 84/ GALLIGANI, S. (Mars 2000). De l'entretien au récit de vie : Quand les sujets s'emparent de la conduite d'un entretien. Centre de Didactique des Langues – LIDILEM. Université Stendhal. Grenoble 3. Ecart d'identité N°92. p21-24.
- 85/ GAY, T. (2010). L'indispensable de la sociologie. France : Studyrama. ISBN :978-2-7590-1052-3. 191p.
- 86/ GOLSE, B. (2001). Le développement affectif et intellectuel de l'enfant. (3<sup>ème</sup> Edition). Paris : MASSON. ISBN : 2-294-00724-7. 303p.
- 87/ GUIDETTI, M, & TOURRETTE, C. (2002). Introduction à la psychologie du développement : Du bébé à l'adolescence. (2<sup>ème</sup> Edition). Paris : Armand Colin. ISBN : 2-200-2630-X. 191p.
- 88/ HALPERN, C, & RUANO-BORBALAN, J-C (coord). (2004). Identité(s): l'individu, le groupe, la société. France : Editions Sciences Humaines. ISBN: 2-912601-23-1. 391p.
- 89/ HAMZA, B. (1998). Tradition Arabo-musulmane : Problèmes éthiques pour le pédiatre. XXII Congrès International de Pédiatrie. 9-14 August. Amsterdam. p1-6.
- 90/ JOULAIN, M. Centralité de travail et identité. Bulletin de psychologie. Tome L – N° 428. P144-151.

- 91/ KACHA, F. (2011). Les thérapeutiques psychologiques. Alger : S.A.P. 367p.
- 92/ LACOSTE-DUJARDIN, C. (1985). Des mères contre les femmes : maternité et patriarcat au Maghreb. Paris : Editions la Découverte. ISBN : 2-7071-1550-9. 268p.
- 93/ LACOSTE-DUJARDIN, C. (1991). Le conte kabyle : étude ethnologique. Alger : Bouchene. ISBN : 2-7071-1291-7. 534p.
- 94/ LACOSTE-DUJARDIN, C. (1992). Yasmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs : fille de parents maghrébins en France. Paris : Editions La découverte. ISBN : 2-7071-2121-5. 283p.
- 95/ LACOSTE-DUJARDIN, C. (2008). La vaillance des femmes (les relations entre femmes et hommes berbères de Kabylie). Paris : Editions La découverte. ISBN : 978-2-7071-5402-6. 165p.
- 96/ LARDJANE, O. (2007). Elites et société. Alger : Casbah Edition. ISBN : 978-9961-64-715-8. 564p.
- 97/ Larousse expression. (2<sup>ème</sup> Edition). (2005). Paris : Editions Larousse. ISBN : 2-03-532066-6. 478p.
- 98/ LE CAMUS, J. (1985). Les relations et les interactions du jeune enfant : Etude éthopsychologique de son développement. Les Paris : Editions ESF. ISBN : 2.7101.0529.2. 184p.
- 99/ LEHALLE, H. (1995). Psychologie des adolescents. (4<sup>ème</sup> éd). Paris : PUF. ISBN : 2 13 047389 x. 265p.
- 100/ LEHALLE, H, & MELLIER, D. (2002). Psychologie de développement enfance et adolescence : cours et exercice. Paris : DUNOD. ISBN : 2100057111. 432p.
- 101/ LINTON, R. (1968). Le fondement culturel de la personnalité. Paris : DUNOD. 139p.
- 102/ MALEWSKA-PEYRE, H, & TAP, P, (sous la dir de). (1991). La socialisation de l'enfance à l'adolescence. (1<sup>ère</sup> éd). Paris : PUF : Presses Universitaires de France. ISBN : 2 13 043871 7. 360p.

- 103/ MANZANO, J, & Autres. (2009). Les scénarios narcissiques de la parentalité : Clinique de la consultation thérapeutique. (3<sup>ème</sup> Edition), Paris : PUF. ISBN : 978-2-13-057785-0. 181p.
- 104/ Marc, E. (2005). Psychologie de l'identité, soi et le groupe. Paris : DUNOD. ISBN : 210 0483 83 8. 255p.
- 105/ MARCELLI, D. (1999). Enfance et psychopathologie. (6<sup>ème</sup> Edition). Paris : Masson. ISBN : 2-225-83690-6. 632p.
- 106/ MARCELLI, D, & Braconnier, A. (2000). Adolescence et psychopathologie. (5<sup>ème</sup> Edition). Paris : MASSON. ISBN : 2-225-83708-2. 267p.
- 107/ MEAD, M. (1988). L'un et l'autre sexe. (Traduit par Ancelot, C, & Etienne, H). Paris : Gallimard. ISBN : 2070324664. 448p.
- 108/ MEGHERBI, A. (1986). Culture et personnalité algérienne de Massinissa à nos jours. Alger : ENAL-OPU. 158p.
- 109/ MERNISSI, F. (1983). Sexe Idiologie Islam. Paris : Tierce. ISBN : 2-903144-21-4. 198p.
- 110/ MERNISSI, F, & MOULAY R'CHID, A. (1991). La femme et la loi en Maroc. Algérie : Editions Bouchène. 136p.
- 111/ MERNISSI, F, & SAADI, N. (1991). La femme et la loi en Algérie. Algérie : Editions Bouchène. 169p.
- 112/ MERNISSI, F. (1992). La peur-modernité : Conflit Islam démocratie. Paris : Albin Michel. ISBN : 2-226-05853-2. 251p.
- 113/ NAOURI, A. (2004). Les pères et les mères. France : Editions Odile Jacob. ISBN : 978-2738116-758. 288p.
- 114/ NINI, M.N. (Juillet-Aout 2000). L'adolescence en Algérie ou la question de l'identité. Bulletin de psychologie. Tome 53(4)/448, 451-457, 451p.
- 115/ PERRY, C. (2004). Echelles d'évaluation des mécanismes de défense. Paris : MASSON. ISBN : 2-294-01345-X. 142p.
- 116/ PIETTRE, M.A. (1976). La condition féminine à travers les âges. Belgique : Marabout Université. 255p.

- 117/ Présence de femmes : Gestes acquis, gestes conquis. (1986). Alger : Entreprise nationale des arts graphiques. 202p.
- 118/ POUSSIN, G. (2004). La fonction parentale. (3<sup>ème</sup> éd). Paris : DUNOD. ISBN : 2100082531. 280p
- 119/ REYMOND-RIVIER, B. (1997). Le développement social de l'enfant et de l'adolescent. (3<sup>ème</sup> éd). Belgique : MARDAGA. ISBN : 2-87009-661-5. 216p.
- 120/ ROUSSILLON, R. (2007). Manuel de psychologie et de psychopathologie clinique générale. Paris : MASSON. ISBN : 978-2-294-04956-9. 702p.
- 121/ SAFONT, C. (1992). Orientation de soi à l'adolescence : ses relations avec l'estime de soi et la compétence sociale. Sous la dire de TAP. P. Thèse de doctorat nouveau régime. UFR de psychologie. Université de Toulouse-Le Mirail.
- 122/ SALHI, M.B. (2010). Algérie : Citoyenneté et Identité. Tizi Ouzou : Editions Achab. ISBN : 978-9961-9867-7-6. 311p.
- 123/ SANTIAGO-DELEFOSSE, M. Histoires de Vie, une méthodologie pour comprendre l'interstructuration entre personnalisation et parcours de vie. Université de Lausanne. p1-47.
- 124/ SEBAA, F.Z. (2009/2010). Adolescence, déviance et mal être : modèles de prise en charge d'adolescents en difficultés ou la douloureuse naissance du statut de l'adolescent(e) algérien(ne). Thèse de doctorat. Psychologie. Université d'Oran.
- 125/ SEGLEN, M. (2004). Sociologie de la famille. (5<sup>ème</sup> éd). Paris : Armand Colin. ISBN : 2-200-26737-1. 293p.
- 126/ SENAC-SLAWINSKI, R. (2010). Problèmes politiques et sociaux : Femmes-Hommes Des inégalités à l'égalité. Paris : La documentation française. ISBN : 3-303332-109685. 85p.
- 127/ SID LARBI-ATOUCHE, Kh. (2001). Paroles de femmes : 21 clefs pour comprendre la littérature féminine en Algérie. Algérie : Editions ENAG. ISBN : 9961-62-226-X. 216p.
- 128/ SILLAMY, N. (2003). Dictionnaire de psychologie. Paris : Larousse. ISBN : 2-03-575086-5. 281p.

- 129/ SORDES-ADER, F, & TAP, P. (2002). Santé, maladie et identité, In : FISCHER, G-N, (sous la dir de). Traité de psychologie de la santé. Paris : Dunod. P135-162.
- 130/ SOUABER, H. Dossier : Activité féminine en Algérie, réalités et perspectives. 19 CIDDEF. p19-26.
- 131/ STATKOWA, S. (1976). La femme dans le socialisme. (2<sup>ème</sup> Edition). Berlin : Panorama DDR. 64p.
- 132/ TAP, P. (1987). Identité, style personnel et transformation des rôles sociaux. Bulletin de psychologie (Université de Toulouse Le Mirail Laboratoire « Personnalisation et changements sociaux » U.A. C.N.R.S. n° 259). Tome XL - N° 379. P399-403.
- 133/ TILLON, G. (1966). Le harem et les cousins. Paris : Editions du seuil. ISBN : 2-02-066195-3. 217p.
- 134/ TODOROV, T, (sous la dir de). (2007). Le siècle de Germaine Tillon. Paris : Editions du seuil. ISBN : 978-2-02-095194-4. 384p.
- 135/ TOUSIGNANT, M. (1992). Les origines sociales et culturelles des troubles psychiques. (1<sup>ère</sup> Edition). Paris : PUF. ISBN : 2-13-044357-5. 252p.
- 136/ WALLON, H. (1976). Psychologie et éducation de l'enfance. (6<sup>ème</sup> Edition). Paris : CNRS. 433p.
- 137/ WINNICOTT, D.W. (1971). La consultation thérapeutique et l'enfant. (Traduit de l'anglais par MONOD, C). France : Gallimard. ISBN : 978-2070286263. 417p.
- 138/ YACINE, T. (2008). Les voleurs de feu : Elément d'une anthropologie sociale et culturelle de l'Algérie. (2<sup>ème</sup> Edition). Alger : Editions ALPHA. ISBN : 9961-780-82-4. 210p.
- 139/ YACINE, T. (2010). Piège ou combat d'une femme. (2<sup>ème</sup> Edition). Alger : Editions ALPHA. ISBN : 9947-886-04-5. 343p.



# الملاحق

الملحق (1): النسب المئوية لشبكة الملاحظة الخاصة بالأم الماكثة بالبيت:

الرقم	الإجابات							البنود
	إطلاقا		نادرا		كثيرا		غالبا	
	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
01	4%	02	36%	18	16%	08	44%	22
02	12%	06	28%	14	34%	17	26%	13
03	6%	03	2%	01	42%	21	50%	25
04	68%	34	28%	14	0%	00	4%	02
05	6%	03	6%	03	34%	17	54%	27
06	68%	34	24%	12	4%	02	4%	02
07	0%	00	8%	04	40%	20	52%	26
08	14%	07	52%	26	12%	06	22%	11
09	4%	02	32%	16	36%	18	28%	14
10	4%	02	56%	28	16%	08	24%	12
11	6%	03	2%	01	42%	21	50%	25
12	38%	19	32%	16	4%	02	26%	13
13	0%	00	0%	00	46%	23	54%	27
14	74%	37	22%	11	0%	00	4%	02
15	0%	00	4%	02	44%	22	52%	26
16	62%	31	20%	10	10%	05	8%	04
17	0%	00	0%	00	44%	22	56%	28
18	46%	23	42%	21	8%	04	4%	02
19	8%	04	0%	00	34%	17	58%	29
20	64%	32	34%	17	2%	01	0%	00
21	0%	00	2%	01	44%	22	54%	27
22	22%	11	54%	27	6%	03	18%	09
23	12%	06	8%	04	38%	19	42%	21
24	6%	03	24%	12	30%	15	40%	20
25	0%	00	4%	02	46%	23	50%	25
26	28%	14	42%	21	16%	08	14%	07
27	28%	14	4%	02	44%	22	24%	12
28	22%	11	32%	16	26%	13	20%	10

مكان الأم والممارسات الأمومية داخل العائلة الجزائرية.

29	أنت تحضرينه من الروضة أو من المدرسة	13	26%	08	16%	18	36%	11	22%
30	الأب يحضره من الروضة أو من المدرسة	12	24%	13	26%	13	26%	12	24%
31	تتناقشين مع طفلك بعد خروجه من المدرسة	04	8%	06	12%	28	56%	12	24%
32	يتناقش معه الأب بعد خروجه من المدرسة	10	20%	13	26%	18	36%	09	18%
33	يتناقش معه الأب عندما يعود من العمل	16	32%	13	26%	09	18%	12	24%
34	تحضنين الطفل عندما يذهب للنوم	00	0%	03	6%	23	46%	24	48%
35	يحضنه الأب عندما يذهب للنوم	08	16%	10	20%	10	20%	22	44%
36	تواسينه عندما يبكي	01	2%	03	6%	20	40%	26	52%
37	يواسيه الأب	03	6%	23	46%	13	26%	11	22%
38	أنت تتكفلين بمعاقبته عندما يخطئ	04	8%	09	18%	18	36%	19	38%
39	الأب يتكفل بمعاقبته عندما يخطئ	04	8%	12	24%	20	40%	14	28%
40	تأخذين طفلك في زهات	07	14%	14	28%	23	46%	06	12%
41	يأخذه الأب في زهات	07	14%	07	14%	10	20%	18	36%
42	تنامين بجانبه عندما يخاف في الليل	01	2%	07	14%	23	46%	19	38%
43	ينام الأب بجانبه عندما يخاف في الليل	15	30%	11	22%	15	30%	09	18%
44	أنت تغطينه في الليل	01	2%	02	4%	23	46%	24	48%
45	الأب هو الذي يغطيه في الليل	03	6%	19	38%	13	26%	15	30%
46	ينام الطفل معك في الغرفة	02	4%	10	20%	16	32%	22	44%
47	ينام الطفل لوحده وحده	27	54%	09	18%	07	14%	07	14%
48	أنت توقظينه في الصباح	08	16%	04	8%	15	30%	23	46%
49	الأب يوقظه في الصباح	21	42%	16	32%	07	14%	06	12%
50	تستجيبين له عندما يناديك في الليل	00	0%	00	0%	25	50%	25	50%
51	الأب يستجيب له عندما يناديك في الليل	13	26%	15	30%	12	24%	10	20%
52	أنت تجهزيه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	06	12%	02	4%	19	38%	23	46%
53	الأب يجهزه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	27	54%	18	36%	04	8%	01	2%
54	أنت تتكفلين بشراء حاجياته	11	22%	10	20%	19	38%	10	20%
55	الأب يتكفل بشراء حاجياته	02	4%	11	22%	17	34%	20	40%
56	عندما تكونين في زيارة يبقى الأب مع الطفل في المنزل	27	54%	06	12%	05	10%	12	24%
57	تشاهدين معه التلفاز	02	4%	05	10%	22	44%	21	42%
58	يشاهد الأب معه التلفاز	09	18%	16	32%	05	10%	20	40%
59	تركبه يساعدك في المطبخ	16	32%	14	28%	09	18%	11	22%

60	عندما يعود الأب من العمل يقضي بعض الوقت معه	07	14%	12	24%	18	36%	13	26%
----	---	----	-----	----	-----	----	-----	----	-----

الملحق (2): النسب المئوية لشبكة الملاحظة الخاصة بالأم العاملة:

الرقم	الإجابات	إطلاقا		نادرا		كثيرا		غالبا	
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
01	رضاعة طبيعية	4%	02	36%	18	38%	19	22%	11
02	رضاعة اصطناعية	4%	02	26%	13	32%	16	38%	19
03	الأم تحضر الرضاعة	4%	02	12%	06	50%	25	34%	17
04	الأب يحضر الرضاعة	56%	28	26%	13	10%	05	8%	04
05	الأم تعطي الرضاعة للطفل	6%	03	6%	03	46%	23	42%	21
06	الأب يعطي الرضاعة للطفل	36%	18	42%	21	14%	07	8%	04
07	عندما يبكي تذهبين لإسكاته	0%	00	2%	01	54%	27	44%	22
08	عندما يبكي يسكته الأب	10%	05	34%	17	34%	17	22%	11
09	تحملينه مرارا في اليوم	2%	01	28%	14	42%	21	28%	14
10	يحملة الأب مرارا في اليوم	12%	06	54%	27	18%	09	16%	08
11	تطعمينه أنت بالملقعة	4%	02	8%	04	44%	22	44%	22
12	يطعمه الأب بالملقعة	36%	18	44%	22	6%	03	14%	07
13	أنت تغيرين له الحفاظ	0%	00	2%	01	54%	27	44%	22
14	الأب يغير له الحفاظ	52%	26	32%	16	6%	03	10%	05
15	تحمميه بمفردك	6%	03	4%	02	52%	26	38%	19
16	الأب يقوم بتحميمه	58%	29	36%	18	2%	01	4%	02
17	تغيرين له ملابسه	0%	00	2%	01	48%	24	50%	25
18	الأب يغير له ملابسه	40%	20	40%	20	10%	05	10%	05
19	أنت من تدخله إلى المرحاض	16%	08	4%	02	38%	19	42%	21
20	الأب هو الذي يدخله إلى المرحاض	60%	30	26%	13	8%	04	6%	03
21	تأخذينه إلى النوم	2%	01	2%	01	54%	27	42%	21
22	الأب يأخذه إلى النوم	12%	06	48%	24	20%	10	20%	10
23	عندما يمرض تأخذينه أنت إلى الطبيب	6%	03	12%	06	46%	23	36%	18
24	عندما يمرض يأخذه الأب إلى الطبيب	10%	05	26%	13	28%	14	36%	18
25	أنت تتكفلين بإعطائه الدواء	2%	01	0%	00	50%	25	48%	24
26	الأب يتكفل بإعطائه الدواء	24%	12	52%	26	8%	04	16%	08
27	أنت تصطحبينه إلى الروضة أو إلى المدرسة	26%	13	14%	07	34%	17	26%	13

28	الأب يصطحبه إلى الروضة أو إلى المدرسة	18	36%	11	22%	14	28%	07	14%
29	أنت تحضرينه من الروضة أو من المدرسة	13	26%	08	16%	16	32%	13	26%
30	الأب يحضره من الروضة أو من المدرسة	15	30%	15	30%	12	24%	08	16%
31	تتناقش مع طفلك بعد خروجه من المدرسة	13	26%	01	2%	19	38%	17	34%
32	يتناقش معه الأب بعد خروجه من المدرسة	17	34%	17	34%	10	20%	06	12%
33	تتناقش مع طفلك عندما تعودين من العمل	11	22%	03	6%	20	40%	16	32%
34	يتناقش معه الأب عندما يعود من العمل	16	32%	17	34%	09	18%	08	16%
35	تحضنين الطفل عندما يذهب للنوم	00	0%	05	10%	20	40%	25	50%
36	يحضنه الأب عندما يذهب للنوم	06	12%	15	30%	16	32%	13	26%
37	تواسيه عندما يبكي	01	2%	04	8%	27	54%	18	36%
38	يواسيه الأب	04	8%	14	28%	22	44%	10	20%
39	أنت تتكفلين بمعاقبته عندما يخطئ	06	12%	10	20%	20	40%	14	28%
40	الأب يتكفل بمعاقبته عندما يخطئ	08	16%	16	32%	17	34%	09	18%
41	تأخذين طفلك في نزهات	07	14%	14	28%	18	36%	11	22%
42	يأخذ الأب في نزهات	07	14%	09	18%	23	46%	11	22%
43	تنامين بجانبه عندما يخاف في الليل	02	4%	05	10%	22	44%	21	42%
44	ينام الأب بجانبه عندما يخاف في الليل	07	14%	24	48%	10	20%	09	18%
45	أنت تغطينه في الليل	00	0%	02	4%	25	50%	23	46%
46	الأب هو الذي يغطيه في الليل	10	20%	21	42%	12	24%	07	14%
47	ينام الطفل معك في الغرفة	04	8%	09	18%	17	34%	20	40%
48	ينام الطفل لوحده وحده	28	56%	07	14%	08	16%	07	14%
49	أنت توقظينه في الصباح	08	16%	06	12%	22	44%	14	28%
50	الأب يوقظه في الصباح	18	36%	13	26%	15	30%	04	8%
51	تستجيبين له عندما يناديك في الليل	00	0%	02	4%	26	52%	22	44%
52	الأب يستجيب له عندما يناديك في الليل	09	19%	20	40%	12	24%	09	18%
53	أنت تجهزيه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	10	20%	00	0%	21	42%	19	38%
54	الأب يجهزه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	22	44%	22	44%	04	8%	02	4%
55	أنت تتكفلين بشراء حاجياته	01	2%	02	4%	31	62%	16	32%
56	الأب يتكفل بشراء حاجياته	06	12%	17	34%	15	30%	12	24%
57	عندما تكونين في العمل في زيارة يبقى الأب مع الطفل في المنزل	15	30%	18	36%	07	14%	10	20%
58	تشاهدن معه التلفاز	06	12%	04	8%	23	46%	17	34%
59	يشاهد الأب معه التلفاز	12	24%	13	26%	19	38%	06	12%

60	تركيبه يساعدك في المطبخ	23	46%	11	22%	10	20%	06	12%
61	عندما تعودين من العمل تقضين بعض الوقت معه	01	2%	05	10%	21	42%	23	46%
62	عندما يعود الأب من العمل يقضي بعض الوقت معه	04	4%	20	40%	12	24%	14	28%

### الملحق (3): شبكة المقابلة الخاصة بالأم دون عمل

#### La grille d'entretien de la mère sans emploi

- عدد الأطفال:
- سن الأطفال:
- المستوى الدراسي:
- تكلمي عن أطفالك.
- كيف هي علاقتك بهم؟
- عند ميلاد الطفل من كان يساعدك في التكفل به؟
- الرضاعة كانت طبيعية أو اصطناعية؟
- متى كان الفطام؟
- في حال الرضاعة الإصطناعية من يحضر الرضاعة؟
- من يعطي الرضاعة للطفل؟
- هل كان يساعد الأب أحيانا فيعطيه الرضاعة؟
- عندما يبكي من يذهب لإسكاته؟
- هل تحمليه مرارا في اليوم؟
- من يطعمه بالملعقة؟
- من يغير له الحفاظ؟
- من يتكفل بتحميمه؟
- من يغير له ملابسه؟
- من يدخله إلى المرحاض؟
- من يأخذه إلى النوم؟
- عندما يمرض من يأخذه إلى الطبيب و يتكفل بإعطائه الدواء؟
- من يصطحبه إلى المدرسة؟ أو الحضانة؟ متى تأخذينه إلى الروضة و متى تسترجعيه؟

- من يحضره منها؟ هل يبقى فيها نصف اليوم أو طول اليوم؟
- هل تتناقش مع طفلك بعد الخروج من المدرسة؟
- هل تحضنين الطفل و تقبلينه عندما يذهب للنوم؟
- هل تواسينه عندما يبكي؟
- من يتكفل بمعاقبته عندما يخطئ؟
- هل تأخذين طفلك في نزهات؟
- هل تنامين بجانبه عندما يخاف في الليل؟
- من يغطيه في الليل؟
- أين ينام معك في الغرفة أو وحده؟
- من يوقظه في الصباح؟
- هل تستجيبين له عندما يناديك في الليل؟
- من يجهزه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة؟
- من يتكفل بشراء حاجياته؟
- تشاهدين معه التلفاز؟
- تتركه يساعدك في المطبخ؟
- هل أنت الوحيدة من تهتم بنظافتهم و إطعامهم و الاهتمام بهم و متابعة تدرسهم؟
- هل يساعدك الزوج في الاهتمام بهم؟
- تكلمي عن نمط التربية الذي تتبعينه؟
- كيف ترين نفسك كأم؟
- هل تميلين إلى جنس معين؟
- تحدثي عن رأيك في إنجاب الأطفال؟ كم من طفل؟ ماذا تتمنين أن يكونوا في المستقبل؟
- في أي إطار تجدين نفسك حاليا أكثر زوجة أو أم أو امرأة؟
- ما هو هدفك في هذه الحياة؟ تكلمي عن ذلك.

## شبكة المقابلة الخاصة بالأم العاملة

الملحق (4):

### La grille d'entretien de la mère ayant une situation professionnelle.

- عمل الأم:
- عدد الأطفال:
- سن الأطفال:
- المستوى الدراسي:
- تكلمي عن أطفالك.
- كيف هي علاقتك بهم؟
- عند ميلاد الطفل من كان يساعدك في التكفل به؟
- الرضاعة كانت طبيعية أو اصطناعية؟
- متى كان الفطام؟
- في حال الرضاعة الإصطناعية من يحضر الرضاعة؟
- من يعطي الرضاعة للطفل؟
- هل كان يساعد الأب أحيانا فيعطيه الرضاعة؟
- عندما يبكي من يذهب لإسكاته؟
- هل تحمليه مرارا في اليوم؟
- من يطعمه بالملعقة؟
- من يغير له الحفاض؟
- من يتكفل بتحميمه؟
- من يغير له ملابسه؟
- من يدخله على المرحاض؟
- من يأخذه إلى النوم؟
- عندما يمرض من يأخذه إلى الطبيب و يتكفل بإعطائه الدواء؟
- من يصطحبه إلى المدرسة؟ أو الحضانة؟ متى تأخذينه إلى الروضة و متى تسترجعيه؟
- من يحضره منها؟ هل يبقى فيها نصف اليوم أو طول اليوم؟
- هل تتناقشين مع طفلك بعد الخروج من المدرسة أو عندما تعودين أنت من العمل؟
- هل تحضنين الطفل و تقبلينه عندما يذهب للنوم؟



- هل توأسيه عندما يبكي؟
- عندما تذهبين للعمل أين تتركينه؟ من يتكفل بهم عندما تذهبين للعمل؟
- من يتكفل بمعاقبته عندما يخطئ؟
- هل تأخذين طفلك في نزهات؟
- هل تنامين بجانبه عندما يخاف في الليل؟
- من يغطيه في الليل؟
- أين ينام معك في الغرفة أو وحده؟
- من يوقظه في الصباح؟
- هل تستجيبين له عندما يناديك في الليل؟
- من يجهزه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة؟
- من يتكفل بشراء حاجياته؟
- تشاهدين معه التلفاز؟
- تتركه يساعدك في المطبخ؟
- عندما تعودين من العمل هل تقضين بعض الوقت معه؟
- هل أنت الوحيدة من تهتم بنظافتهم و إطعامهم و الاهتمام بهم و متابعة تدرسههم؟
- هل يساعدك الزوج في الاهتمام بهم؟
- هل العمل يشغلك عن أطفالك؟
- تكلمي عن نمط التربية الذي تتبعينه؟
- كيف ترين نفسك كأم؟
- هل تميلين إلى جنس معين؟
- تحدثي عن رأيك في إنجاب الأطفال؟ كم من طفل؟ ماذا تتمنين أن يكونوا في المستقبل؟
- في أي إطار تجددين نفسك حالياً أكثر زوجة أو أم أو امرأة عاملة؟
- ما هو هدفك في هذه الحياة؟ تكلمي عن ذلك.
- هل يمثل الزواج و الأمومة عائق بالنسبة إلى طموحاتك؟

الملحق (5):

## شبكة الملاحظة

### Grille d'Observation

سن الأم: ..... سن الأب: ..... عدد الأطفال: ..... سنهم: .....

عمل الأم: .....

عمل الأب: .....

**ملاحظة:** شبكة الملاحظة هذه تملأ من طرف الأم أو الأب و لكن هي تتعلق بالممارسات الأمومية في العلاقة

أم - طفل.

تملاً الشبكة من طرف:  الأم:  الأب:

الرقم	البنود	الإجابات	إطلاقاً Jamais	نادراً Rarement	كثيراً Plusieurs fois	غالباً Très souvent
01	رضاعة طبيعية					
02	رضاعة اصطناعية					
03	الأم تحضر الرضاعة					
04	الأب يحضر الرضاعة					
05	الأم تعطي الرضاعة للطفل					
06	الأب يعطي الرضاعة للطفل					
07	عندما يبكي تذهبين لإسكاته					
08	عندما يبكي يسكته الأب					
09	تحملينه مرارا في اليوم					
10	يحملة الأب مرارا في اليوم					
11	تطعمينه أنت بالملعقة					
12	يطعمه الأب بالملعقة					

				أنت تغيرين له الحفاظ	13
				الأب يغير له الحفاظ	14
				تحمميه بمفردك	15
				الأب يقوم يتحمميه	16
				تغيرين له ملابسه	17
				الأب يغير له ملابسه	18
				أنت من تدخله إلى المرحاض	19
				الأب هو الذي يدخله إلى المرحاض	20
				تأخذينه إلى النوم	21
				الأب يأخذه إلى النوم	22
				عندما يمرض تأخذينه أنت إلى الطبيب	23
				عندما يمرض يأخذه الأب إلى الطبيب	24
				أنت تتكفلين بإعطائه الدواء	25
				الأب يتكفل بإعطائه الدواء	26
				أنت تصطحبينه إلى الروضة أو إلى المدرسة	27
				الأب يصطحبه إلى الروضة أو إلى المدرسة	28
				أنت تحضرينه من الروضة أو من المدرسة	29
				الأب يحضره من الروضة أو من المدرسة	30
				تتناقشين مع طفلك بعد خروجه من المدرسة	31
				يتناقش معه الأب بعد خروجه من المدرسة	32
				تتناقشين مع طفلك عندما تعودين من العمل	34
				يتناقش معه الأب عندما يعود من العمل	35
				تحضنين الطفل عندما يذهب للنوم	36
				يحضنه الأب عندما يذهب للنوم	37
				تواسينه عندما يبكي	38
				يواسيه الأب	39
				أنت تتكفلين بمعاقبته عندما يخطئ	40
				الأب يتكفل بمعاقبته عندما يخطئ	41
				تأخذين طفلك في نزهاة	42
				يأخذه الأب في نزهاة	43
				تنامين بجانبه عندما يخاف في الليل	44
				ينام الأب بجانبه عندما يخاف في الليل	45

				أنت تغطينه في الليل	46
				الأب هو الذي يغطيه في الليل	47
				ينام الطفل معك في الغرفة	48
				ينام الطفل لوحده وحده	49
				أنت توقظينه في الصباح	50
				الأب يوقظه في الصباح	51
				تستجيبين له عندما يناديك في الليل	52
				الأب يستجيب له عندما يناديك في الليل	53
				أنت تجهزيه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	54
				الأب يجهزه للذهاب إلى المدرسة أو الروضة	55
				أنت تتكفلين بشراء حاجياته	56
				الأب يتكفل بشراء حاجياته	57
				عندما تكونين في العمل في زيارة يبقى الأب مع الطفل في المنزل	58
				تشاهدين معه التلفاز	59
				يشاهد الأب معه التلفاز	60
				تركه يساعدك في المطبخ	62
				عندما تعودين من العمل تقضين بعض الوقت معه	63
				عندما يعود الأب من العمل يقضي بعض الوقت معه	64